مركز دراسات الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية
وحدة الدكتوراه: اللغة العربية وعلومها

تعدد القراءات القرآنية وأثره في الإشباع الدلالي في القصص القرآني

- بحث في تساند القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية -

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه

شعبة اللغة العربية وآدابها

تخصص لسانيات

إنجاز الطالب الباحث:
مصطفى بويخامون
رقم التسجيل: 05/18LAS

الأستاذ المشرف:
الدكتور مولاي علي سليماني

الموسم الجامعي: 1443 هـ/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾

سورة يوسف، الآية: 3

إهداء

إلى روح أبي وروح أمي الطاهرتين، أسكنهما الله فسيح جنانه.

إلى من بذل جهده، كي أرتقي في مدراج العلم "روح عمي" الطاهرة، تغمده الله برحمته الواسعة.

إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل المتواضع، وخاصة أستاذي الفاضل **الدكتور مولاي علي سليماني**.

إلى جميع أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال.

إلى كل من جمعتني معهم لحظات الدراسة والصداقة.

إلى كل من يسعى جاهدا في طلب العلم والمعرفة.

أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع.

كلمة شكر وتقدير

بعد شكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى، أتقدم بجزيل الشكر إلى فضيلة أستاذي المحترم الدكتور مولاي علي سليماني الذي لم يبخل علي بملحوظاته الدقيقة، وتوجيهاته السديدة في إنجاز هذا البحث المتواضع، ليخرج إلى حيز الوجود.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي بجامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – بني ملال- الذين يبذلون جهودا كبيرة في تكوين الطلبة تكوينا متينا قصد إنجاز بحوث علمية ترقى إلى المستوى الجيد.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، هدانا بفضله إلى صراطه المستقيم، وأضاء بصائرنا بكتابه المبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد شكل نزول القرآن الكريم باللسان العربي نقلة علمية كبيرة في كل مناحي الحياة البشرية، فارتبطت علوم اللغة العربية بالعلوم الشرعية، وأسهم في تشكل العلوم كلها، فدعَّم أصول اللغة العربية، وأثرى سماتها وخصائصها الإعرابية، وطبع نحوها وصرفها وأصواتها ومعجمها ودلالات الألفاظ بطابع خاص فريد ومتميز، فهو غاية في تخير الألفاظ المعبرة، ذات الظلال والإيحاءات الطريفة، و في تخير الصيغ الصرفية، وآية في اللمحات النحوية الإعرابية، والأداء الصوتي بأجراس أصواته وبفواصله، ورسمه الذي ينطوي على أبعاد دلالية فريدة...، وصار من الواجب على كل من أراد الخوض في كلام الله تعالى أن يُقبل على تعلم اللغة العربية، تفاديا للوقوع في اللحن والتحريف في قراءة القرآن الكريم، وتحقيقا للفهم والإفهام في آياته وسوره، إذ لا سبيل إلى المعاني القرآنية دون التفقه في علوم اللغة العربية من نحو، وصرف، وأصوات، ومعجم، وبلاغة،.. وهي المعوَّل عليها في تفسير القرآن الكريم وتأويله، لأنها من أقوى وسائل البيان التي تساعدنا في القراءة الصحيحة والفهم السليم، ولذلك توجه اهتمام علماء اللغة العربية إلى دراسة القرآن الكريم، فنظروا في خصوصيات تراكيبه اللغوية صوتا، وصرفا، ونحوا، وبلاغة،.. وجعلوه الأصل الأول في تقعيد علوم اللغة العربية، فأغنى القرآن الكريم بقراءاته علوم اللغة العربية، وحافظ على قواعدها الصوتية والنحوية والصرفية والبلاغية...، فصار رأس المصادر في تقعيد علوم العربية، ومجالا خصبا لتقويم القواعد اللغوية.

إن القرآن الكريم رسالة عالمية، تهيأت لها شروط التواصل الممتد عبر الزمان والمكان، جاء لتشريع الأحكام، وتوضيح المقاصد، وبيان طرق المعاملات...، فهو خطاب بيان لمصالح العباد، ومنافعهم في العاجل والآجل، خطاب بيان وهداية ورحمة للعالمين كافة، ولأجل هذا كله، كان خطابا موجَّها إلى الإنسان برسالة كاملة، وموجِّها له، لا يغفل جانبا من جوانب حياته، تحقيقا للفوز في الدنيا والآخرة، وقد كان من فضل الله أن أنزل هذا الخطاب الرباني بلسان عربي مبين، فتوفرت فيه شروط الإبانة والإفهام، وجَمع في آن واحد بين البيان والتبين.

ولما كان كلام الله عز وجل خطاب بيان وتبليغ، وخطاب علم وعمل، فإنه من الواجب أن نتعامل معه، ذلك التعامل الذي سيقودنا إلى الارتقاء والعطاء والخير والنفع للبشرية جمعاء، فهو صالح لكل زمان ومكان، معانيه متجددة، وقادرة على الإنتاج، وتقديم الحلول للمشاكل التي يمكن أن تواجه الإنسان في عصرنا الراهن، وذلك بإعمال العقل والاجتهاد في كل شؤون الحياة ومجالاتها.

أهمية الموضوع ومجاله العلمي:

يتعلق موضوع البحث بتعدد دلالات المفردة القرآنية في القصص القرآني من منظور المقاربة التساندية بين القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية، ونشير هنا إلى أن البحث في الدلالات القرآنية رحلة في البحث عن المعنى في هذا النص الذي تعددت وجوه إعجازه، فقد أحكمه الله تعالى نصا واحدا، وأودع فيه أسرارا ليبقى شاهدا على عظمته وعلى سعة علمه، فأسلوبه متميز، يتسع لمعان كثيرة بألفاظ قليلة، يحتاج معه القارئ إلى إمعان النظر والتأمل والتدبر للكشف عن بعض معانيه ومقاصده، فقد أودع الله فيه سر تجدده، وصلاحية معانيه لكل زمان ومكان، وما يزال مصدرا فياضا للعلم والمعرفة، فهو لا يُخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يزيدنا إلا العلم واليقين، كلما أقبلنا على مدارسته بإعمال النظر والتدبر، ولذلك فإن هذا البحث يسعى إلى بيان أثر القراءات القرآنية في تعدد الدلالات في القصص القرآني، وذلك بتغير التراكيب القرآنية من حيث البنى الصرفية والنحوية والإعرابية والبلاغية، فينتج عن ذلك تغيرات في القيم الدلالية التي تتكامل في نسق بياني منظم، ولذلك وسمنا بحثنا بعنوان: " **تعدد القراءات القرآنية وأثره في الإشباع الدلالي في القصص القرآني- بحث في تساند القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية** -"، لأجل أن نكشف من خلاله عن وظيفة القراءات القرآنية في تكامل المعاني في القصص القرآني الذي يمثل منهجا شاملا في التربية والحياة العملية لتجارب بشرية من طريق الوحي، فكان مجال اهتمامنا -في هذه الدراسة- يتعلق أساسا بفهم الخطاب القرآني وبيانه من منظور القراءات القرآنية بشتى صنوفها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية واللغوية المحضة...، لما لها من أبعاد دلالية وتداولية تتضمن القيم والتعاليم الإلهية والأسرار واللطائف الربانية التي تُعد في الحقيقة من مظاهر الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم، فالقراءات القرآنية بشتى أنواعها فصيحة كل الفصاحة في لغاتها وتراكيبها ونحوها وصرفها ورسمها...، وصادقة في كل دلالاتها، فهي في أصلها وحي رباني، كما أن خاصية التعدد التي تمتاز بها تفتح مجالا رحبا لتعدد الدلالات التي تتكامل وتتعاضد فيما بينها، فيتمم بعضها بعضا، ويصدق بعضها بعضا في نسق بياني يفضي إلى اتساع المعاني القرآنية التي تنسجم مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وتلك حقيقة مرتبطة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم، ولذلك

اعتنى العلماء المسلمون بدراسة اللغة القرآنية في تراكيبها، وخصوصا ما يتعلق بدلالات المفردات داخل النظم القرآني، فكثرت الدراسات اللغوية التي اشتغلت بعلم الدلالة في القرآن الكريم قديما وحديثا، حيث توجه اهتمام الباحثين إلى دراسة علاقة اللفظ بالمعنى، وأقروا بوجود الصلة القوية بين اللفظ (الدال) وصورته في الذهن (المدلول)، غير أنه قد تكون للدال الواحد مدلولات متعددة حسب السياق وقصد المتكلم، وذلك لأن التعابير القرآنية منفتحة على آفاق دلالية واسعة، لما تشير إليه من المعاني والإيحاءت التي يمكن أن نستشفها من خلال السياق القرآني، وهذا الأمر يقودنا إلى القول بأن المعنى في الخطاب القرآني، لا يقف عند الدلالات الصريحة والمباشرة التي تحملها الألفاظ داخل النظم القرآني، وإنما يمتد ليشمل كل إيحاء وتلميح وتعريض..، يزيد في تقوية المعنى المباشر وتأدية الغرض وتوكيده، ومعنى هذا أن التعبير القرآني منفتح على تعدد الدلالات التي يستدعيها السياق القرآني، ألفاظه قليلة، ومعانيه كثيرة، مما جعله مجالا واسعا للتأويل، فجوهر الإشباع الدلالي في القصص القرآني: هو تعدد المعنى، وركناه: المرسِل (الله عز وجل) والمكلَّف (الإنسان)، ومساحته: النص وسياقاته، وأدواته: علوم اللغة العربية، وكل العلوم التي من شأنها أن تساعدنا في بناء المعنى وتحقيق الفهم.

وعلى هذا الأساس فصل التفكير اللغوي والبلاغي القول في ارتباط الدلالة بالمناسبة، لأهميتها في تحديد المعنى وتوجيهه، فقد تتعدد معاني المفردة الواحدة تبعا لتعدد سياقاتها في التراكيب اللغوية، ولذلك اتجه البحث الدلالي في القرآن الكريم إلى النظر في العلاقات الدلالية بين المفردات داخل التراكيب اللغوية، والكشف عن أنواع الدلالات من قبيل: الدلالة الصوتية، الدلالة الصرفية، الدلالة النحوية، الدلالة الاجتماعية، الدلالة النفسية، الدلالة الإيحائية...، لكون المفردة القرآنية داخل النظم تمتاز بخصوبتها الدلالية، وتفتح مجالا واسعا للتعدد الدلالي، والغنى التأويلي، وذلك باستحضار السياق القرآني الذي يمثل عاملا حاسما في تحديد تلك الدلالات مراعاة لقصد المتكلم.

أسباب اختيار الموضوع:

ارتأينا أن نشتغل في تعدد دلالات المفردة القرآنية في القصص القرآني من منظور القراءات القرآنية، لنتذوق حلاوة تراكيبه اللغوية، من حيث أصواتها وصرفها ونحوها وبلاغتها..، وغناه الدلالي والجمالي والقصدي والتعليمي، مما يكشف عن العظمة الإلهية في هذا الكتاب الكريم الذي تعددت فيه وجوه الإعجاز، أصواتا، وصرفا، ونحوا، وإعرابا، وبلاغة،.. ولذلك فإن أسباب اختيار هذا الموضوع تتوزع بين دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فالأولى: تتجلى في حبي لكتاب الله تعالى، قراءة وتأملا وتدبرا.

أما الثانية: فتتجلى في كون موضوع البحث من المواضيع التي تستحق المدارسة خدمة للقرآن الكريم، لما يمتاز به من خصوبة دلالية واسعة، تحقق آفاقا رحبة في القراءة والفهم والتفسير والتأويل، فهو خطاب يتسع فيه التفسير والتأويل على قدر نظر المتدبر فيه، وبحسب ما تحتمله ألفاظه وأساليبه من المعاني الكثيرة، بحيث تتعدد الفهوم والتأويلات التي يحتاج معها الناظر إلى إعمال العقل مع استدعاء السياق القرآني قصد ترجيح ما يترجح منها بالدليل، لتوافق مقاصد الشريعة الإسلامية، ولذلك كان محط اهتمام العلماء المسلمين منذ القديم، فدرسوا العلاقة بين اللفظ والمعنى في النص القرآني، وناقشوا دلالة اللفظ على المعنى المدلول قصد الكشف عن دلالاته السطحية والعميقة، فكان لهم دور الريادة في معرفة وجوه إعجازه الدلالي، وتحقق لهم ذلك من خلال الربط بين العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، وغيرها من العلوم والمعارف التي من شأنها أن تساعد على توسيع أفق الفهم، فكان مما اشتغلوا به في هذا المجال دراسة معاني الألفاظ، حيث أفردوا لها مصنفات كثيرة، باعتبارها فرعا من فروع فقه اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، فكان لهم- بهذا العمل الجليل- فضل السبق في إرساء دعائم علم الدلالة، ولذلك نجدهم يربطون بحوثهم في موضوع الدلالة بفن البيان الذي يعنى بكيفية أداء المعنى وتوصيله بطرق دلالية متنوعة.

إشكال البحث وأهدافه:

حظي القرآن الكريم باهتمام كبير من قبل العلماء والباحثين- المتقدمين والمتأخرين- فأُنجزت بحوث ودراسات متعددة في معانيه وألفاظه وأغراضه وأساليبه... لكن مع ذلك، بقيت جوانب خفية، لم تنل نصيبها من الدراسة والبحث، أو هي موضع اختلاف بين العلماء والباحثين، ولعل الاختلاف في الرؤية والمنهج هو السبب في تعدد الخطابات التفسيرية، فكانت الحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب لتدبير هذا الاختلاف من طريق إيجاد تخريجات ممكنة، تقودنا إلى الصواب، فموضوع البحث جدير بالمدارسة الدقيقة للكشف عن الإشباع الدلالي في القصة القرآنية من منظور تعدد القراءات القرآنية الذي أسهم بشكل كبير في انفتاح التعبير القرآني على تعدد الدلالات، وقد كشفت آيات القصص القرآني- بعد تدبر عميق- عن تعدد الدلالات لأنساق التراكيب التي اختزلت معاني خفية، وذلك لأن الاختلاف بين القراءات القرآنية، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، وليس اختلاف تضاد، كما ذهبت إلى ذلك بعض الكتابات الاستشراقية، فالاختلاف الحاصل بين القراء، إنما هو حاصل في الألفاظ المسموعة، وليس في المعاني المفهومة، وهو اختلاف ناتج عن اختلاف لهجات القبائل العربية، وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف العادات والطباع البشرية داخل البيئات العربية، فقد تنفرد بيئة معينة ببعض الألفاظ التي قد لا

تتوارد على لهجات بيئات أخرى، رغم أن هذه البيئات جميعها تنطوي داخل إطار لغة واحدة، فالاختلاف في القراءات القرآنية من الوسائل المحققة لتكامل المعاني القرآنية في نسق بياني يُفضي إلى إشباع الدلالة القرآنية، ولاشك أن هذا مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم. فما أثر القراءات القرآنية في إغناء العلوم العربية اللغوية والشرعية على السواء؟ وما أثرها في إنتاج الدلالة، وتوسع المعنى في القرآن الكريم؟. وما وظيفتها في إشباع الدلالة في القصة القرآنية؟.

وعلى هذا الأساس، فإن هذا البحث يسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، نذكر منها:

- إظهار الأثر الكبير للقراءات القرآنية في تطور الدرسين اللغوي والشرعي على السواء.
- إبراز التكامل بين القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعنى في القصة القرآنية.
- تبيان أثر تساند القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية في اتساع المعنى في القصة القرآنية.
- الكشف عن بعض المعاني والأسرار الربانية في القرآن الكريم تحقيقا للنفع في الدنيا والآخرة.

منهج البحث:

لاشك أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المناسب الذي يمكن توظيفه، ومن ثمة فإن هذا البحث اعتمد المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي الذي أفادنا في تحليل نماذج من آيات القصص القرآني قصد استنباط بعض ما تضمنته من أسرار ولطائف ربانية، بالإضافة إلى المنهج النقدي المقارن الذي أفادنا في عقد مقارنة بين الخطابات التفسيرية لنقد بعض التفاسير التي طعنت في بعض القراءات القرآنية، أو جانبت الصواب بسبب الخلفيات الفكرية والمذهبية التي وجهت الدلالة القرآنية توجيها غير سليم.

الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد كثرت الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع القراءات القرآنية - قديما وحديثا- وتنوعت بحسب التخصصات العلمية والمعرفية، لكن ما يمكن التنبيه إليه، هو أن هذه الدراسات ظلت محدودة الرؤية؛ لأنها تنطلق غالبا من تصور علمي واحد، إما من زاوية نحوية، أو صرفية، أو أسلوبية، أو معجمية، أو فقهية، أو بلاغية،...، ولكثرتها وتنوعها، وصعوبة حصرها، نذكر بعضها فقط، ومنها: دراسة بعنوان :" **الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات القرآنية**" للدكتور عبد البديع النيرباني، وهي رسالة نال بها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حلب عام:

2005م، وهي دراسة محصورة في الجوانب الصوتية للقراءات القرآنية، ودراسة موسومة بعنوان:" **أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دراسة تطبيقية في سورة البقرة**" للدكتور محمد مسعود علي حسن عيسى، وهي دراسة تناولت الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية في القراءات القرآنية وأثرها في فهم المعنى، دون الإشارة إلى التكامل الحاصل بين المعاني القرآنية، ودراسة بعنوان: "**القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**" للدكتور عبد الصبور شاهين، وهي دراسة متخصصة في الجوانب اللغوية للقراءات القرآنية، وخاصة القراءات الشاذة باعتبارها تراثا غنيا بالمادة اللغوية، ودراسة بعنوان: "**التوجيه النحوي الدلالي للقراءات القرآنية، ما قرئ بوجهين من وجوه الإعراب في ضوء علم الدلالة الحديث**" للدكتور عبد التواب الفيومي، فالدراسة محصورة في التصور النحوي للقراءات القرآنية، وأثره في الكشف عن الدلالة، ودراسة بعنوان:" **اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع**" للدكتورة سيرين مدحت الخيري، وهي دراسة محصورة في البحث عن دلالات الصيغ الصرفية للمفردات القرآنية في القراءات السبع، ودراسة بعنوان:" **تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى**" للدكتور خير الدين سيّب، وهي دراسة محصورة في الأساليب البلاغية للقراءات القرآنية وأثرها في اختلاف المعنى، ودراسة بعنوان: "**القراءات المتواترة وحروف المعاني**"، للدكتور عبد الكريم إبراهيم صالح، وهي دراسة محصورة في تناوب القراءات القرآنية بين حروف المعاني، ودراسة بعنوان: "**مدخل القراءات القرآنية في الإعجاز البلاغي**" للدكتور محمد إبراهيم عبد العزيز شادي، وهي دراسة حصرت القراءات القرآنية في كونها من الوسائل البارزة المحققة لإعجاز القرآن الكريم، ودراسة بعنوان:" **الاختلاف الصرفي في القراءات العشر وأثره في اتساع المعاني**" للدكتور الجابري بن علي منصوري، وهي دراسة متخصصة في البحث عن دلالات الصيغ الصرفية للمفردات في القراءات العشر وأثرها في اتساع المعنى، وغير ذلك من الدراسات اللغوية المتخصصة في القراءات القرآنية التي لا يسمح المقام بذكرها.

<u>خطة البحث</u>:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وبابين، وخاتمة.

ف**<u>الباب الأول</u>**: يحمل عنوان" **<u>تعدد القراءات القرآنية والاحتجاج بها في العلوم اللغوية والشرعية</u>**"، وهو يتكون من فصلين، **<u>فالفصل الأول</u>**: يسعى إلى التعريف بالقراءات القرآنية بصورة علمية ميسرة، ودراسة واضحة موجزة، تجمع حبات هذا العلم في عقد واحد منتظم، حتى يتمكن الباحث من معرفة موضوعه وثمرته وفضله وقواعده وأصوله ومقاصده وتطور حركة التأليف فيه، ويتضمن هذا الفصل مبحثين، وهما:

المبحث الأول: ويتعلق بمفهوم هذا العلم، ونشأته، وتطور حركة التأليف فيه، وهو يتكون من ثلاثة مطالب، **فالمطلب الأول**: سعى إلى التعريف بعلم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا، **والمطلب الثاني**، تضمن بيانا لتعدد القراءات القرآنية وأنواعها، ثم **المطلب الثالث**، الذي درسنا فيه نشأة القراءات القرآنية، وتطور حركة التأليف في هذا العلم.

أما **المبحث الثاني**: فقد درسنا فيه أصول القراءات القرآنية ومقاصد تعددها، ويتكون هو كذلك من ثلاثة مطالب، **فالمطلب الأول**، يتعلق بأصول القراءات القرآنية، و **المطلب الثاني**، خصصناه لدراسة علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم، بينما **المطلب الثالث**، درسنا فيه مقاصد تعدد القراءات القرآنية.

وقد أنهينا هذا الفصل بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها خلال مسار البحث.

أما **الفصل الثاني**، فقد خصصناه للاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية اللغوية والشرعية، لأجل بيان أن القراءات القرآنية رغم اختلاف منازلها تواترا وشذوذا، فهي في غاية الصحة اللغوية، وأنها تمثل أصلا قويا للاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية، ولذلك فإن هذا الفصل، يتكون من **مبحثين**، **فالمبحث الأول**، خصصناه للاحتجاج بالقراءات القرآنية في علوم اللغة العربية، أصواتا، ومعجما، ونحوا، وصرفا، وبلاغة..، وأنها تُعد أصلا قويا في توجيه القواعد اللغوية، بينما **المبحث الثاني**، خصصناه للاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم الشرعية، ذلك أن القراءات القرآنية تمثل كذلك أصلا قويا في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه،... ومادام الأمر كذلك، فإن مشروعية الاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية على السواء ضرورة معرفية، لتبيان أثرها في تطور التفكير اللغوي العربي، وتجديد الفهم في علوم الشريعة الإسلامية، فعلى مستوى صناعة الخطاب التفسيري مثلا، لا تخفى أهميتها للباحث في الكشف عن بعض مراد الله عز وجل، وبناء الأحكام اللغوية، واستنباط الأحكام الشرعية،... ولما كان النص القرآني عربيا، فإن العمل بمقتضى أحكامه متوقف على معرفة علوم اللغة العربية، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

أما **الباب الثاني**، فيحمل عنوان" **أثر القراءات القرآنية في اتساع الدلالة في القصص القرآني**"، وهو دراسة تطبيقية تسعى إلى بيان أثر القراءات القرآنية في اتساع المعاني القرآنية في القصص القرآني، وذلك بالبحث عن دلالات اللفظ داخل سياقه في التراكيب القرآنية، إيمانا منا أن الاختلاف على مستوى الرسم والقراءة مدخل مهم للكشف عن تعدد الدلالات في القرآن الكريم، ولذلك ارتكزت مباحث

الفصل الأول الموسوم بعنوان: " **تعدد القراءات القرآنية وعلاقته بتعدد المعاني القرآنية**"، على دراسة تطبيقية قوامها الكشف عن التعدد الدلالي والتأويلي في آي القصص القرآني من خلال مبحثين أساسين، **فالمبحث الأول:** يتعلق بالاختلاف في الرسم والقراءة، وأثرهما في اتساع الدلالة في القصة القرآنية من خلال **ثلاثة مطالب**، ركزت على رسم المفردة القرآنية وعلاقته بالمعنى من خلال إثبات الحرف وحذفه، والإبدال بنوعيه: الإبدال بين الحروف، والإبدال بين الحركات الإعرابية وغير الإعرابية، بينما **المبحث الثاني:** يتعلق باختلاف الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعنى من خلال **ثلاثة مطالب**، وهي: الوقف والابتداء، والفصل والوصل، ثم الحذف والذكر.

أما **الفصل الثاني**، فيتعلق بالقراءات القرآنية وتساند مكونات اللغة العربية في القصة القرآنية من خلال سورة المسد، ولذلك فإن مباحث هذا الفصل كذلك دراسة تطبيقية تكشف عن الإشباع الدلالي في هذه السورة الكريمة من خلال التكامل بين المكونات اللغوية وتعضيدها بالقراءات القرآنية، وأهمها: المكون الصوتي، والمكون المعجمي، والمكون الصرفي، والمكون التركيبي (النحوي)، والمكون الدلالي (البلاغي)، والمكون التداولي، على اعتبار أن التساند بين تعدد القراءات القرآنية ومكونات اللغة العربية يمثل أساسا متينا للكشف عن تعدد الدلالات التي تُفضي إلى تعدد المعاني القرآنية، وذلك في إطار نظرية التكامل بين العلوم اللغوية العربية وغيرها من المعارف الإنسانية التي بإمكانها أن تنير لنا الطريق للكشف عن الإشباع الدلالي في هذه السورة الكريمة، فهذا الفصل يسلط الضوء على آيات سورة المسد التي تضمنت تراكيب غنية بالدلالات قوامها، الصوت، والمعجم، والنحو، والصرف، والبلاغة،.. وذلك بإعمال المناولة التساندية بين القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية وفق نسق منظم تتكامل فيه القراءات القرآنية والمكونات اللغوية للكشف عما تضمره الآيات القرآنية من مقاصد وغايات وأسرار وراء ظلال التراكيب في هذه القصة القرآنية.

وعلى هذا الأساس، فإن التصور الذي نتبناه في هذا البحث هو استثمار تساند القراءات القرآنية والمكونات اللغوية وغير اللغوية من أجل الكشف عن اتساع المعنى في القرآن الكريم، إذ سنُعمل هذه المكونات مجتمعة بشكل منظم ومنسق، ويتطلب هذا التصور أن يكون مفسر النص القرآني متسلحا بجملة من العلوم والمعارف اللغوية وغير اللغوية التي من شأنها أن تساعده في التعامل مع النص القرآني، دراسة وتفسيرا وتأويلا، قصد النفاذ إلى مقاصده وغاياته، وننبه القارئ إلى أن عرض هذه المكونات اللغوية في استقلالها وانفصالها، لا يعني عدم التكامل فيما بينها في سبيل الكشف عن دلالات جديدة، وإنما هو فصل إجرائي.

وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها، بالإضافة إلى الفهارس.

صعوبات البحث:

تعترض الباحث- في مجال البحث العلمي- صعوبات، نذكر منها:

- صعوبة البحث في القرآن الكريم، لأنه يتطلب الاستناد إلى أقوى الأدلة في تفسير وتأويل الآيات القرآنية. لما يستلزمه من كثرة التحري والتدقيق والتحقيق.
- طبيعة الموضوع وتشعب مجالات البحث فيه، فهو يقوم على توظيف ثمرات علوم مختلفة وفوائدها لتبيان أثر القراءات القرآنية في اتساع المعنى.
- كما أن الاشتغال في هذا الموضوع ليس بالأمر السهل، لكونه متعدد الجوانب، ومرتبطا بعدة قضايا، بحيث تصلح كل قضية أن تكون بحثا مستقلا.

ولكن رغم هذه الصعوبات، تمكنا بتوفيق من الله، أن نتدارس النص القرآني من منظور القراءات القرآنية، وأن نكشف عن التكامل والتساند بينها، وبين علوم اللغة العربية.

وختاما، لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا فضيلة الدكتور مولاي علي سليماني الذي تولى هذا البحث بإشرافه وتوجيهه، واعتنى بقراءته، وأمدني بتوجيهاته السديدة، وملحوظاته الدقيقة، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وسدد خطاه، ووفقه في خدمة البحث العلمي، كما نتوجه بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة العلمية المناقشة الذين تحمَّلوا عناء القراءة والتقويم، وفاء بالمسؤولية الأكاديمية، وإسهاما في بناء صرح البحث العلمي بهذه الكلية.

والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول:

تعدد القراءات القرآنية والاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية:

مدخل:

لقد بعث الله كل رسول بلسان قومه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ اُللَّهُ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِے مَنْ يَّشَآءُۖ وَهُوَ اَلْعَزِيزُ اُلْحَكِيمُ ﴾[1]، وأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين قصد إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فجاءت نصوصه على أكمل وجوه البلاغة، وأدقها في بيان الحقائق العلمية، وأصدقها في نقل أخبار ما كان، وأعلمها بأنباء ما سيكون، كل ذلك من أجل أن ترتقي الأمة الإسلامية سلم العلو والرفعة، وتكون خير أمة أخرجت للناس، مصداقا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِلْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِۖ وَلَوَ ـامَنَ أَهْلُ اُلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْۖ مِّنْهُمُ اُلْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ اُلْفَٰسِقُونَ﴾[2]، ولذلك كان القرآن الكريم محل اهتمام العلماء المسلمين في توثيق نصه، والحفاظ على تلاوته وفق أوجه القراءات المتواترة عن النبي ﷺ، ودراسة نصوصه من كل الجوانب العلمية، ولكن تعددت قراءات بعض كلماته، فهناك ما قرئ بأكثر من وجه، مما يفضي إلى تعدد الأوجه النحوية واللغوية والبلاغية، وهذا سيؤدي لا محالة إلى تعدد المعاني القرآنية للآية القرآنية الواحدة بحسب ما تحتمله المفردة في سياقها من دلالات، إذ كل قراءة لها دلالة وفائدة محتملة، تجعلنا نستشعر انفتاح النص القرآني على لطائف وأسرار ربانية، فالقراءات القرآنية ليست تصرفا لفظيا أو نطقيا مجردا، وإنما مادة لغوية ثرية ذات أبعاد دلالية واسعة، فهي فصيحة كل الفصاحة في لغتها ومفرداتها وتراكيبها ونحوها وصرفها ورسمها...، لأنها منقولة عن علمائنا الأئمة القراء الأفاضل الذين يتحلَّون بالأمانة والصدق والعدل والضبط والحفظ والإتقان، وهم متضلعون في العلوم العربية اللغوية والشرعية على السواء، مما أهَّلهم أن يكونوا حجة في الصلاح والقراءة والورع والدين.

ولما كان القرآن الكريم منزّلا بلسان عربي مبين، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الرسول ﷺ قرشي عربي، وهو أفصح من نطق بالضاد، بل كان هذا اللسان – قبل نزول القرآن به- أفصح الألسنة وأوسعها انتشارا، نظرا للمكانة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تمثلها القبائل العربية بين شعوب العالم، وكان نزول القرآن الكريم بهذا اللسان مظهرا من مظاهر إعجازه خاصة ما يتعلق بالقراءات

[1]- سورة إبراهيم، الآية:5.

[2]- سورة آل عمران، الآية:110.

القرآنية، ذلك أنه أنزل بأفصح ما تنتهي إليه اللغات واللهجات العربية جميعا، مستوفيا أحسن ما تؤديها من المعاني بأدق الألفاظ، ولذلك تعددت تخصصات العلماء في دراسة لغة القرآن الكريم، معجما ونحوا وصرفا وتركيبا وبلاغة...، فظهر علم القراءات القرآنية الذي يعنى بطرائق الأداء قصد النطق بألفاظ القرآن الكريم نطقا سليما، وهو علم له مصطلحاته الخاصة، وقواعده الدقيقة المميزة للقراءة المقبولة من القراءة المرفوضة، ومراحله التي مر بها حتى وصل إلى مرحلة النضج، ولذلك فإن الباب الأول من هذا البحث، سيهتم بدراسة مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا، وتاريخ نشأتها، وتطور حركة التأليف فيها، مع الإشارة إلى بيان بعض أصولها ومقاصد تعددها، والاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية، وكل هذا لأجل أن يزداد المسلمون يقينا بوثاقة النص القرآني، ووصوله إلينا بقراءاته سالما من التغيير والتبديل والتحريف، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، ولذلك فإن الفصل الأول، سيهتم بجمع شتات هذا العلم في عقد منتظم، لتبيان أهمية القراءات القرآنية وفضلها وحقائقها للباحثين في مجال الدراسات اللغوية والقرآنية، باعتبارها تؤسس لمعاني القرآن وتؤكدها، ذلك أن لكل قراءة معنى، وأن الأوجه المقروءة المتعددة في القرآن الكريم، لا يلزم من تعددها التضارب والتناقض، فهذا منفي عن القرآن الكريم قطعا، وإنما يشهد بعضها لبعض في المراد، فيكون التكامل بينها من باب التنوع المحمود في البلاغة، وستكون مجمل الأفكار والقضايا المطروحة في هذا الفصل ضرورة معرفية لتصحيح ما يروج في بعض العقول من الملوثات الفكرية التي تُسِيء إلى حرمة النص القرآني، وخاصة الكتابات الاستشراقية التي جانبت الصواب[2]، حيث انطلقت من القراءات القرآنية للطعن في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني، فسنخصصه للاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية اللغوية والشرعية، ذلك أن القراءات القرآنية "جَاءَتْ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ قِيَاسُهَا وَشَاذُّهَا"[3]، فهي رغم اختلاف منازلها تواترا وشذوذا في غاية الصحة اللغوية، وأن مشروعية الاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية على السواء، ضرورة معرفية لتبيان أثرها في تطور الدرس اللغوي العربي، وتجديد الفهم في

---

[1]- سورة الحجر، الآية:9

[2]- من هذه الكتابات الاستشراقية ما كتبه المستشرق الألماني "تيودور نولدكه" في كتابه: (تاريخ القرآن)، والمستشرق اليهودي المجري "جولد تسهير" في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي)،... وغيرهما من المستشرقين الذين انطلقوا من تاريخ علم القراءات للطعن في القرآن الكريم. ينظر كتاب "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين"، عبد الفتاح عبد الغاني القاضي (ت: 1403هـ)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ/2005م، ص: 10.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط 1420هـ، 508/10.

علوم الشريعة الإسلامية، فعلى مستوى صناعة الخطابات التفسيرية مثلا، لا تخفى أهميتها في الكشف عن بعض مراد الله عز وجل، وبناء الأحكام اللغوية، واستنباط الأحكام الشرعية،... ولما كانت الشريعة الإسلامية عربية، فإن العمل بمقتضى أحكامها متوقف على التفقه في علوم اللغة العربية، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

الفصل الأول:

المسار التاريخي للقراءات القرآنية

تمهيد:

إن المتأمل في نشأة العلوم بمختلف أنواعها، يلحظ أن كل علم له تأريخ يتحدث عن بداياته، والمراحل التي مر بها، والأطوار المتناوبة عليه، والمحطات التي أثرت فيه تأليفا وتصنيفا ونضجا واكتمالا،... وعلم القراءات أحد العلوم الشرعية واللغوية من جهة اتصاله بكتاب الله عز وجل، فهو علم قائم بذاته، له مصطلحاته، وضوابطه الدقيقة المميزة للقراءة المقبولة من المرفوضة، ومراحله التي مر بها حتى وصل إلى أوج تطوره بفضل علماء كبار برعوا في هذا العلم، أداء وتأليفا وتصنيفا، مما أهَّلهم أن يكونوا حجة في الصلاح والقراءة والورع والدين، ولذلك خصصنا هذا الفصل للتعريف بهذا العلم بصورة علمية ميسرة، ودراسة واضحة موجزة، تجمع شتات هذا العلم في عقد واحد منتظم، حتى يتمكن الباحث من معرفة موضوعه وثمرته وفضله وقواعده وأصوله ومقاصده وتطور حركة التأليف فيه، ولذلك فإن **المبحث الأول**، يسلط الضوء على مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا، وأنواعها، ثم نشأتها وتطور حركة التأليف، ويتكون من ثلاثة مطالب، وهي:

1. **مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا**
2. **تعدد القراءات القرآنية وأنواعها**
3. **نشأة القراءات القرآنية وتطور حركة التأليف**

أما **المبحث الثاني**؛ فسيهتم بدراسة الأصول التي قامت عليها القراءات القرآنية، وهي تنتظم في مستويين: إما تلفظية صوتية تبين وجوه النطق بالحروف، والحركات، والمدود، والإمالات،... وغيرها. وإما دلالية ترتبط بالتفسير، وتسهم في بناء المعنى، بعد ذلك ننتقل إلى البحث في العلاقة التي يمكن أن تجمع بين القراءات القرآنية والأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم، لنكشف عن بعض مقاصد تعدد القراءات القرآنية، ولذلك فإن هذا المبحث يتكون من ثلاثة مطالب، وهي:

1. **أصول القراءات القرآنية**
2. **القراءات القرآنية والأحرف السبعة**
3. **مقاصد تعدد القراءات القرآنية**

وسننهي هذا الفصل بمجموعة من النتائج المتوصَّل إليها خلال مسار البحث.

المبحث الأول: المفهوم والنشأة والتطور

المطلب الأول: مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا:

1. **التعريف اللغوي:**

تؤدي المفاهيم وظيفة مركزية في مدارسة مختلف الظواهر العلمية قصد بناء صرح العلم، ومن ثمة لابد من الوقوف في هذه الدراسة على مفهوم القراءات القرآنية من خلال تتبع الدلالات في المعاجم اللغوية والاصطلاحية للوقوف على التطور الدلالي الذي لحق هذا المفهوم في مساره التاريخي، إذ التطور من سنن الحياة، فالمفاهيم في جميع اللغات تتغير من حال إلى حال تحقيقا لحاجات الإنسان وأغراضه عبر الحقب الزمنية والتاريخية، وبالنظر إلى الصلة الوثيقة بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية للألفاظ، كان من الضروري العودة إلى مختلف المعاجم اللغوية والاصطلاحية لمعرفة طبيعة استعمال الألفاظ في مجالاتها العلمية، ومن ثمة فإن لفظ "القراءة" في المعاجم اللغوية يُطلق ويراد به معان عدة، ومنها: "قراءة القرآن عن ظهر قلب أو النظر فيه، ولا يقال "قرأت" إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث، فالقرآن مقروء، والرجل القارئ هو العابد الناسك"[1]. وتقول: قرأت المرأة قرء، إذا رأت دما، وأقرأت، إذا حاضت، فهي مقرئ، ولا يقال أقرأت إلا للمرأة خاصة، فأما الناقة، إذا حملت قيل: قَرُؤت قُروءة، والقارئ: الحامل، ويقال للمرأة: قعدت أيام إقرائها أي لم تحمل، وللناقة أيام قروءتها، وذلك أول ما تحمل، فإذا استبان ولدها في بطنها ذهب عنها اسم القروءة[2]. وقال الله عز وجل: ﴿وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، (قروء) لغة، والقياس أقرءٌ[4]. وفي معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" نجد أن المادة: (قرأ): القَرْء بفتح القاف، تدل على الحيض، والجمع أقراء وقروء على فعول، وأقرؤ في أدنى العدد. والقرْء أيضا: الطهر، وهو من الأضداد ويقال: أقرأت النجوم: إذ تأخر

---

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، باب القاف والراء، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال 204/5-205.

[2]- نفسه، 205/5.

[3]- سورة البقرة، الآية: 226.

[4]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 205/5.

مطرها[1]. ويقال أيضا: قرأت الشيء قرآنا: إذ جمعته وضممت بعضه إلى بعض...، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن، وقال أبو عبيدة (ت: 209هـ أو 210هـ)، سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2]، أي جمعه وقراءته، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[3]، أي قراءته، "ومعنى القرآن معنى الجمع... ومنه قولهم: ما قرأت هذه الناقة سَلىً قَطُّ، وما قرأت جنينا قط، مَعْنَاهُ لَمْ تَجْمع جَنِيناً أَي لَمْ يَضطَمّ رَحِمُها عَلَى الْجَنِينِ. [...]، وَفِيهِ قَوْلٌ آخَرُ: لَمْ تقرأْ جَنِينًا أَي لَمْ تُلْقه. وَمَعْنَى قَرَأْتُ القُرآن: لَفَظْت بِهِ مَجْمُوعاً أَي أَلقيته."[4]. وروي عن الشافعي (ت: 204هـ)، أنه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول: القران، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، فهو اسم لكتاب الله لا يهمز[5]. وسمي القرآن؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران... وقد تحذف منه الهمزة تخفيفا، فيقال: قُران، وقريت، وقارٍ، ونحو ذلك من التصريف[6]. وقال بعضهم: قرأت: تفَقَّهتُ، وهذا الشعر على قرء هذا الشعر أي طريقته ومثاله،... وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه إياه: أبْلغَه-... والقرْءُ: الوقت، ... ويقال للحمَّى قرْءٌ، وللغائب قرءٌ، وللبعيد قرء، والقَرء والقرءُ: الحيض والطهر[7]، فهو اسم جامع للأمرين معا –"فلما كان الحيض يجيء لوقتٍ، والطّهر يجيء لوقت جاز أن يكون الأقراء حيَضا وأطهاراً"[8]... وقال أبو إسحاق: الذي عندي في حقيقة هذا أن القَرْءَ، في اللغة، الجمع. وأن قولهم: قريت الماءَ في الحوض، وإن كان قد أُلزِمَ الياء، فهو جمعت، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعا...، والقرء اجتماع الدم في الرحم، وذلك إنما يكون في الطهر[9].

وفي معجم "تاج العروس من جواهر القاموس"، نجد أن هذا الجذر اللغوي (قرأ) يدل أيضا على الجمع والضم، يقال: "قرأ الشيء: جمعه وضمَّه، أي ضم بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته

---

[1]- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط 4، 1407هـ/1987م، 1/64-65.

[2]- سورة القيامة، الآية: 16.

[3]- سورة القيامة، الآية: 17.

[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت:711هـ)، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ، 1/128.

[5]- نفسه، 1/129.

[6]- نفسه، 1/129.

[7]- نفسه،1/130.

[8]- نفسه، 1/131.

[9]- نفسه، 1/131.

وضممت بعضه إلى بعض[1]... وسمي القرآن قرآنا "لأنه يجمع السور، فيضمها[2]، وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ): "القراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[3]، [...] وتسمية هذا الكتاب (أي القرآن) قرآنا من بين كتب الله، لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم"[4]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنَ اَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[6].

وفي معجم "مقاييس اللغة" نجد أن المادة اللغوية بالقاف والراء والهمزة أو الحرف المعتل سواء إذ يُقال: "ما قرأت هذه الناقة سَلىً، كأنه يراد أنها ما حملت قط، ... ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقِصص وغير ذلك، فأما أقرأت المرأة، فيقال إنها من هذا أيضا، وذكروا أنها تكون كذا في حال طهرها، كأنها قد جمعت دمها في جوفها فلم تُرخِه، ومنهم من يقول: إنما إقراؤها: خروجها من طُهر إلى حيض، أو حيض إلى طهر، قالوا: والقرء: وقت، يكون للطهر مرة وللحيض مرة[7]... وأما المادة اللغوية بالحرف المعتل (قري) فهي، "أصل صحيح يدل على جمع واجتماع. من ذلك القرية: سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون قريت الماء في المقراة: جمعته، وذلك الماء المجموع: قريٌّ، وجمع القرية قرى، والمقراة: الجفنة، سميت لاجتماع الضيف عليها، أو لما جُمِعَ فيها من طعام[8]... ومن الباب القَرَى: الظهر، وسمي قَرىً لما اجتمع فيه من العظام[9].

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت: 1205هـ)، دار الهداية، 370/1.

[2]- نفسه، 370/1.

[3]- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، دار ابن الجوزي، جمهورية مصر العربية- القاهرة، ط1، 2012م، ص: 443.

[4]- نفسه، ص: 444.

[5]- سورة يوسف، الآية: 111.

[6]- سورة النحل، الآية: 89.

[7]- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت:395هـ)، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/2011م، باب القاف. ص: 884.

[8]- نفسه، ص: 883-884.

[9]- نفسه، ص: 884.

نستنتج مما سبق أن لفظ القراءة يطلق، ويراد به معان عدة ومنها:

- القرء: اسم جامع للأمرين معا الطهر والحيض، وهو وقت يكون للطهر مرة وللحيض مرة، ولذلك يعد هذا اللفظ من الأضداد.
- القراءة والقرآن: بمعنى واحد، إذ القرآن في الأصل مصدر (قرأ) يقال: قرأ قراءة وقرآنا، فهو مصدر على وزن (فُعلان) بضم الفاء كالغفران، وقيل: وصف مشتق من (القرآن) على وزن (فُعلان) بضم الفاء أيضا، بمعنى الجمع، ثم نقل من هذا المعنى المصدري أو الوصفي للدلالة على الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ.
- القراءة والقرآن: التلفظ بالحروف والكلمات بالتتابع مجموعا، أي بمعنى الإلقاء.
- القراءة والقرآن: الجمع والضم، ولا يقال هذا لكل جمع، فلا يقال مثلا: "قرأت القوم إذا جمعتهم"[1]، كما لا يقال: للحرف الواحد إذا تُفُوِّهَ به قراءة"[2]، وإنما الجمع والضم التلفظ بالحروف والكلمات بالتتابع مجموعا، والقرآن أيضا جامع للسور والآيات بعضها إلى بعض، وجامع للقصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، وجامع لثمرات الكتب السماوية السابقة كلها، وجامع لثمرات العلوم الدينية والدنيوية كلها.
- ذهب فريق من العلماء إلى أن القرآن غير مهموز، فقد اختلفوا في أصل اشتقاقه، وقالوا: إنه مشتق من: قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن لقران السور والآيات والحروف بعضها ببعض. وقال الفراء: مشتق من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا، وهي قرائن، أي أشباه ونظائر. كما يرى البعض أنه اسم غير منقول، وضع من أول الأمر علما على الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ، فهو اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.[3] لكن هل في الحقيقة كل قراءة قرآن بحجة أن القراءة والقرآن في اللغة لفظان مترادفان يدلان معا على الجمع والضم؟.
- وفي تقديرنا، أن القرآن والقراءة القرآنية حقيقتان ملتبستان، فقد يوصف ما يقرأ بأنه قراءة وقرآن، وقد يوصف بأنه قرآن، وقد يوصف بأنه قراءة، وقد أكد الزركشي رحمة الله عليه (ت:

[1]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 443.

[2]- نفسه، ص: 443.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت:911 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 1394هـ/1974م، 1/181-182.

794هـ)" أَنَّ الْقُرْآنَ وَالْقِرَاءَاتِ حَقِيقَتَانِ مُتَغَايِرَتَانِ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الْوَحْيُ الْمُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْبَيَانِ وَالْإِعْجَازِ، وَالْقِرَاءَاتُ هِيَ اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كَتَبَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا"[1]، وعلى أي حال، يمكن أن يزول هذا الإشكال بالبحث في الدلالة الاصطلاحية للمفردتين.

2. التعريف الاصطلاحي:

لقد تعددت آراء العلماء في تحديد مفهوم القراءات من الناحية الاصطلاحية، ومن هذه التعريفات: التعريف السابق الذي قدمه الزركشي، وهو: "اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْوَحْيِ الْمَذْكُورِ فِي كَتَبَةِ الْحُرُوفِ أَوْ كَيْفِيَّتِهَا مِنْ تَخْفِيفٍ وَتَثْقِيلٍ وَغَيْرِهِمَا"[2]، فهو علم يعنى بكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم على وجه صحيح وفق قواعد وضوابط كالمد والإمالة والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة،... وغيرها من الأصول التي تقوم عليها القراءات القرآنية. كما عرف ابن الجزري (ت: 833هـ) هذا العلم قائلا: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[3]، فهو علم قائم على النقل والسماع والمشافهة، ولا مجال للرأي فيه. وعرفه جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) في قوله: "علم به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"[4]، فقد أشار في هذا التعريف إلى أهمية هذا العلم في بيان المعاني القرآنية، وذلك بترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض. وعرفه البنا الدمياطي (ت: 1117هـ)، بقوله: "علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"[5]، أو يقال: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا لناقله"[6]، فهو علم نشأ بالسماع والنقل الصحيح لكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم استنادا إلى الروايات الصحيحة والأسانيد الموصولة إلى رسولنا الكريم محمد ﷺ. قال الزُّرقاني (ت: 1367هـ): هو "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م،318/1.

[2]- نفسه،318/1.

[3]- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري (ت: 833هـ)، ط. دار زاهد القدسي، القاهرة، ص: 9.

[4]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 1433هـ/2012م، 878/4.

[5]- إتحاف فضلاء البشر، البنا الدمياطي (ت: 1117هـ)، تحقيق، أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان ط 3، 1427 هـ/2006م، ص: 6.

[6] - نفسه، ص: 6.

المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[1]، فالمخالفة بين القراء قد تكون في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها، ومرجع ذلك النقل والسماع والتلقي. وعرفه حاجي خليفة (ت: 1067هـ) قائلا: "هو علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى؛ من حيث وجوه الاختلافات المتواترة"[2]، فهو علم يعنى بصور النظم في القرآن الكريم من حيث وجوه الاختلافات المتواترة عن النبي محمد ﷺ، لثبوت القرآن الكريم ثبوتا قطعيا بطريق التواتر الذي يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوه من فيه ﷺ بقراءاته ورواياته. وقال الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ) القراءات القرآنية: "هي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالة والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة"[3]، وغيرها من أصول القراءات القرآنية. فالقراءة في هذا المقام: اسم مفعول بمعنى الوجه المقروء به. ويتجه موضوع هذا العلم إلى معرفة كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وطرق أدائها، في ضبط وثقة وأمانة تجنبا للتحريف والتغيير.

ومن وجوه اختلاف القراء في الحروف قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، فقد قرأ عاصم والكسائي بألف، موافقة للرسم تقديرا، وروي عن الكسائي أنه خير بين إثبات الألف وحذفها، وقرأ الباقون (مَلِك) بغير ألف[5]، فالقراءة بإثبات الألف تدل على أن هذه المفردة وقعت اسم فاعل على معنى الصفة المشبهة للدلالة على دوام الملكية المطلقة لله عز وجل مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6]، فالمعنى: أن الله تعالى هو المختص بالملك مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[7]، فلما نفى الله تعالى عن الناس الملك الذي هو مصدر

---

[1]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني(ت:1367هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط4، 1434هـ/2013م،226/1- 227.

[2]- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر 1941م، 1317/2.

[3]- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور (ت:1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر 1984م، 51/1.

[4]- سورة الفاتحة، الآية:3.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م، 35/1.

[6]- سورة آل عمران، الآية:26.

[7]- سورة الانفطار، الآية :19.

المالك، وجب أن يكون هو المالك، وهو كذلك، ثم إن لفظة (مالك) جمعت بين معنى الاسم ومعنى الفعل، ولأجل ذلك يعمل اسم الفاعل عمل الفعل. وأما القراءة بحذف الألف (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) في قراءة الجمهور، فهي موافقة للرسم تحقيقا، للدلالة على أن الله تعالى مَلَكَ ذلك اليوم بما فيه، والقراءتان متواترتان عن النبي ﷺ، وتدلان على إقرار الملك المطلق لله عز وجل، إذ هما "صفتان ثابتتان للمولى عز وجل على الوجه الذي يليق به سبحانه، ولا يلزم من ثبوت إحداهما سقوط الأخرى، فلما اجتمعت له سبحانه وتعالى الصفتان أخبر عنهما بالقراءتين"[1]، والروايتان تشتركان في اشتقاق الاسمين (مَالِكِ، مَلِكِ) من أصل واحد (مَلَكَ)؛ غير أن القراءة بغير ألف أقوى في النفس، لما فيه من العموم، تقول: كل مَلِكٍ مَالك، ولا تقول: كل مالك ملك، قال أبو حاتم :"إن مالكا أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْخَالِقِ مِنْ مَلِكِ"، وَ" مَلِكِ" أَبْلَغَ فِي مَدْحِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ مَالِكِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَلِكٍ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكًا كَانَ مَلِكًا"[2]، فقد يملك الإنسان الدار أو قطعة أرض، أو سيارة،... ونحو ذلك، ولا يسمى ملكا، وهو في الحقيقة مالك، في حين أن الله تعالى مالك كل شيء، والمالك المختص بملك يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3]، يعني: يوم الدين، وأنه تعالى مالك ذلك اليوم بما فيه، بل الله تعالى مالك الملك، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، قال الشوكاني رحمة الله عليه(ت: 1250هـ):" والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله، ويوم الدين يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده"[5]. وَالاختصاص بِالْإِضَافَةِ فِي الآية الكريمة: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) دالة على تَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْمِلْكِ في ذلك اليوم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[6]. لم يبق لنا إلا القول بأن التلاوة بزيادة الألف تمنحنا عشر حسنات.

---

[1]- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ت:444هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن الطحان، مكتبة المنارة، ط1، 1408هـ، ص:48.

[2]- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ /1964م،140/1.

[3]- سورة غافر، الآية:15.

[4]- سورة آل عمران، الآية:26.

[5]- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت:1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1414هـ، 26/1.

[6]- سورة غافر، الآية:15.

ومن اختلاف القراء في الحركات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدَ ءَاتَيْنَا مُوسَى أَلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى اَبْنَ مَرْيَمَ أَلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ اِلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لاَ تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ إِسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1]. قرأ الجمهور لفظة (القُدُس) بضم القاف والدال، وقيل: القُدُس: الطهارة، وقيل البركة[2]. وقرأ مُجَاهِدٌ وابن كثير بسكون الدال حيث وقع، وفيه لغة فتحها. وقرأ أبو حَيْوَةَ: القدُّوس[3]، بزيادة حرف الواو، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، وسمي جبريل أيضا بروح القدس[4]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت "اهج قريشا وروحُ القدس معك" ومرة قال له: "وجبريل معك" وقال حسان بن ثابت(ت54هـ/674م): [من بحر الوافر]

وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ فِينَا ***وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[5].

أي ليس له نظير، وغير ذلك مما يلحق ألفاظ القرآن من مدّ وإمالة وتخفيف وتسهيل وتحقيق وجهر وهمس وغنة... مما سنتناوله في مبحث أصول القراءات القرآنية.

يظهر لنا من خلال التعريفات الاصطلاحية السابقة، أنها متقاربة من حيث المضمون، فهي تتفق كلها على اختلاف القراء في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وهذا الاختلاف قد يكون صوتيا أو نحويا أو تصريفيا...، مع بيان للطرق التي أخذ منها الرواة عن الأئمة المشهورين في القراءة، وهي طرق إما أن تكون بالسماع، كما في العهد الأول الذي اشتهر بالمشافهة، أو بالكتابة فيما بعد ذلك من طريق المصادر التي نقلت إلينا وجوه القراءة عند الأئمة، ما يعني أن علم القراءات القرآنية قائم على النقل والسماع لمعرفة النقول المتواترة عن أئمة القراء عن النبي محمد ﷺ، ثم إن علم القراءات غير منفصل عن علوم أخرى، كعلم الرسم وعلم الضبط والنقط...، وغيرها من العلوم المعينة على النطق بألفاظ القرآن نطقا صحيحا، إذ من شروط القراءة الصحيحة موافقة الرسم ولو احتمالا، أما علم الضبط، فهو متخصص في التمييز بين القراءتين، كالقراءة بالفصل أو الوصل، أو القراءة بالتحريك أو التسكين... أما النقط فهو متخصص في نقط مفردات القرآن الكريم للتمييز بين القراءتين نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 86.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 478/1.

[3]- نفسه، 481/1.

[4]- نفسه، 481/1.

[5]- نفسه، 481/1.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فقد قرأ الجمهور [نُنْشِرُهَا] بالراء، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف [نُنْشِزهَا] بالزاي[2]. فأما [نَشَرَ]، فهو "أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه."[3]، وأما[نشز]، فهو كذلك "أصل صحيح يدل على ارتفاع وعلو [...]، ثم استعير فقيل: نشزت المرأة: إذا استصعبت على بعلها، وكذلك نشز بعلها: إذا جفاها وضربها."[4]، والمعنى في الآية الكريمة، هو ارتفاع بعض العظام على بعض عند الخلق، إذ العظام نفسها لا توصف بالحياة، وإنما يوصف صاحبها بها، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، أي كيف نرفعها من الأرض، فنردها إلى أماكنها، ويقوي هذا المعنى، قراءة أُبَي: "ننشيها"[5]. نقول: نشر الله الموتى، وأنشرهم، أي أحياهم، والمعنى: انظر إلى العظام التي ابيضت من مرور الزمان عليها، كيف نحييها؟. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[6]، فقد قَرَأَ الجمهور [فَتَبَيَّنُوا]، وقرأ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: [فَتَثَبَّتُوا] بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ، وَكِلَاهُمَا على وزن: تَفَعَّلَ بِمَعْنَى اسْتَفْعَلَ الَّتِي لِلطَّلَبِ، أَيِ: اطْلُبُوا إِثْبَاتَ الْأَمْرِ وَبَيَانَهُ، وَلَا تَقَدَّمُوا مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَإِيضَاحٍ.[7]، ومن هنا تتجلى أهمية علم النقط الذي تخصص في نقط مفردات القرآن الكريم للتمييز بين القراءتين، وغير ذلك من العلوم الملازمة لعلم القراءات.

المطلب الثاني: تعدد القراءات القرآنية وأنواعها

إن من يطلع على المصنفات التي تناولت موضوع "القراءات القرآنية"، وخاصة ما يتعلق بأنواعها، يجد اختلافا واضحا بين آراء العلماء في حصر أنواع القراءات القرآنية، ويعود هذا الاختلاف بالأساس إلى

---

[1]- سورة البقرة، الآية:258.

[2]-الشامل في القراءات العشر، لغة وتفسيرا وأسرارا، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي- دار الرفاعي للنشر، ط2، 1430هـ/2009م، ص:92.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ص:1027.

[4]- نفسه، ص:1027.

[5]- الشامل في القراءات العشر، لغة وتفسيرا وأسرارا، عبد القادر محمد منصور، ص:92.

[6]- سورة الحجرات، الآية: 6.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 31/4.

تعدد المنطلقات عند العلماء، فيكون التقسيم وفق اعتبارات: إما باعتبار القبول والرد، وإما باعتبار ما يُقرأ به، وما لا يُقرأ به، وإما باعتبار السند والرواية. وقد اتفق أهل العلم على تقسيم القراءات القرآنية باعتبار القبول والرد إلى قسمين كبيرين، وهما:

- **القراءة المتواترة الصحيحة**: وهي التي نُقلت إلينا بسند متواتر، أي صحة الإسناد وتواتره، ووافقت الرسم العثماني، أي: أن يكون رسم الكلمة موافقا لأحد المصاحف العثمانية الستة، ووجها من وجوه اللغة العربية، أي ما يشمل متنها، وقواعدها الصوتية والنحوية والصرفية، فكل قراءة استوفت هذه الأركان الثلاثة، فهي قراءة قرآنية مقبولة عند الناس، فلا يجوز رفضها أو إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم.
- **القراءة الشاذة**: وهي كل قراءة اختل فيها ركن من الأركان الثلاثة السابقة، وقد أجمع العلماء على عدم جواز اعتقاد قرآنيتها، وعدم صحة الصلاة بها، والتعبد بتلاوتها[1]، إلا أنهم قالوا: بجواز تعلُّمها وتعليمها وتدوينها، وبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب، لما لها من فوائد كثيرة على المستوى اللغوي، وخصوصا أنها تفيدنا في توسع المعنى، وهم يجمعون على أن القراءة الشاذة هي كل قراءة صح سندها، ولم تتواتر، ووافقت العربية وسواء أوافقت الرسم أم خالفته، إذ القراءات القرآنية لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح، وهي بذلك لا بد، وأن تكون موافقة للعربية، أما الرسم فقد توافقه وقد تخالفه، إذ ليس كل القراءات الصحيحة غير المتواترة مخالفة للرسم. قال ابن الجزري: " وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلا تسمى- أي القراءة- شاذة، بل مكذوبة، يكفر متعمدها"[2]، فالقراءة بدون نقل، وإن وافقت العربية والرسم، يحرم القراءة والاستشهاد بها، بل يكفر متعمدها.

أما باعتبار ما يقرأ به وما لا يقرأ به، فقد قال محمد مكي بن أبي طالب(ت:437هـ):" جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهي: أن ينقل عن الثقات إلى النبي محمد ﷺ، ويكون وجهه في العربية، التي نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف، فإذا اجتمعت هذه الخلال الثلاث قرئ به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن

---

[1]- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري(ت:833هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/1999م، ص:19.

[2]- نفسه، ص:19.

إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده"[1]، فقد بين في هذا القسم الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة، وهي: أن تكون منقولة عن الثقات إلى النبي محمد ﷺ، وأن تكون موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية، وموافقة لخط المصحف.

والقسم الثاني: ما صح نقله في الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يُقبل، ولا يُقرأ به لعلتين: إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، وإنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد. والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على مغيَّبه وصحته، وما لم يقطع على صحته، لا يجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده."[2]، فهذا القسم يُقبل، ولكن لا يُقرأ به، لأنه من أخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن بخبر الواحد.

والقسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة، ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف"[3]، فهذا القسم غير مقبول، لأنه لا وجه له في العربية، وإن كان موافقا لخط المصحف.

يتضح لنا مما سبق، أن كل ما روي من القراءات القرآنية- باعتبار ما يقرأ به، وما لا يقرأ به- على ثلاثة أنواع، وهي:

النوع الأول: يقبل ويقرأ به، وهو المقطوع بصدقه لتوافر الأركان الثلاثة السابقة.

النوع الثاني: يقبل ولا يقرأ به، وهو ما فقد شرط الموافقة لخط المصاحف، فهذا النوع مقبول لأنه موافق لوجه من وجوه اللغة العربية، لكنه لا يقرأ به، لأنه مخالف لخط المصحف.

النوع الثالث: لا يقبل ولا يقرأ به، لكونه لا وجه له في العربية، وإن وافق خط المصحف.

وأما باعتبار السند والرواية، فقد قسم العلماء القراءات القرآنية إلى ستة أنواع، وهي:

- **القراءة المتواترة**: وهي كل قراءة نقلها جمع غفير، لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهى السند، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه، ابن الجزري (ت: 833هـ)[4]، قال

---

[1]- الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت:437 هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار مصر للطبع والنشر، ص: 51.

[2]- نفسه، ص: 51-52.

[3]- نفسه، ص:52.

[4]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الطباع (ت: 1380هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 9/1.

في أول كتابه النشر: "كل قراءة وافقت العربية، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين"، ونستنبط من هذا النص شروط القراءة المتواترة وهي:

- صحة السند عن النبي ﷺ.
- موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- موافقة وجه من وجوه اللغة العربية.

- **القراءة المشهورة**: وهي كل قراءة صَحَّ سندها، ولم تخالف الرسم ولا اللغة، واشتهرت عند القراء بحسب ما ذهب إليه ابن الجزري، لكنها لم تبلغ درجة التواتر، فلم يعدوها من الغلط ولا من الشذوذ، فتصح القراءة بها، ولا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، فالشهرة ما شاع عند العلماء في القراءة، وقد ثبت عندهم أن القرآن الكريم، لا يثبت إلا بالتواتر، وكل قراءة متواترة مشهورة، فالقطع بأنها منزَّلة من عند الله. قال ابن الجزري "ونحن بهذا نقول، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق من غير نكير له، مع أنه شاع واشتهر واستفاض، فلا أقل من اشتراط ذلك، إذا لم يتفق التواتر في بعضها"[1]، فالأولى في القراءة المشهورة إحكام معرفة حال النقلة أولا، ثم إتقان الرسم، وإمعان النظر في وجوه العربية، فمن تحقق له ذلك، انحلت له شبهة القراءة.
- **قراءة الآحاد**: وهي "ما صح نقله عن الآحاد، وصحَّ وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف"[2]، فهذه القراءة مقبولة، لكن لا يُقرأ بها، للعلتين المذكورتين، وهما:

- عدم الأخذ بالإجماع، إذ القرآن الكريم لا يثبت بخبر الواحد.
- مخالفة لما قد أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية، فقراءة الآحاد، لم تشتهر الاشتهار المذكور، لذلك لا تجوز القراءة بها، ولا يجب اعتقادها، ومن ذلك ما أخرجه ابْن الْأَنْبَارِي فِي الْمَصَاحِف وَالْحَاكِم وَصَححهُ عَن أبي بكر أن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَرَأَ: "متكئين على رفارف خضر وعباقري

---

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 13/1.
[2]- نفسه، 14/1.

حسان"[1]، والصواب الذي عليه القراءة، قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾[2].

- **القراءة الشاذة**: وهي التي لم يصح سندها، ولو وافقت رسم المصحف والعربية، والشذوذ معناه: الانفراد عن الجمهور، و(شُذّاذ الناس) الذين يكونون في القوم، ليسوا في قبائلهم ولا منازلهم[3]. وقد تداول علماء اللغة هذا المصطلح، فأطلقوه على ما خالف القاعدة العامة في الباب الواحد، ثم انتقل هذا المصطلح إلى مجال علم القراءات، ليدل على ما وراء القراءات العشر من قراءات[4]، ومنهم من بالغ فقال: (الشاذ) ما وراء القراءات السبع، والقول الأول هو المشهور الصحيح، وهو ما عليه جمهور علماء القراءات والفقه، ومن الشواذ في القراءات، قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[5]، بصيغة الماضي (مَلَكَ)، ونصب (يَوْمَ) على أنه مفعول به[6]، أي: إنه تعالى ملك ذلك اليوم بما فيه ملكا واقعا تحت سيطرته التامة، فالقراءة الشاذة تمتاز بإعجازها اللغوي والدلالي، لما تحققه من أثر قيم في تفهم دلالات النص القرآني، لذا لا ينبغي أن يكون مصطلح (الشاذ) عند غير المختصين مشينا بالقراءة.
- **القراءة الموضوعة**: وهي قراءة مخالفة للعربية بكل لهجاتها، وهي منسوبة إلى صاحبها من غير أصل، وبذلك تعد ضربا من ضروب الوضع والكذب والاختلاق، ومثال ذلك، القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي ونسبها إلى أبي حنيفة[7].
- **القراءة المدرجة**: وتشبه "المدرج" من أنواع الحديث، وهي ما زيد في الآية على وجه التفسير، ومن ذلك قراءة سعد بن أبي وقاص، قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن

[1]- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د. ط)، 723/7.

[2]- سورة الرحمن، الآية:75.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، فصل الشين المعجمة، 494/3.

[4]- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، ص:6.

[5]- سورة الفاتحة، الآية:3.

[6] - هذه القراءة شاذة، وهي منسوبة لأبي حياة، وأبي حنيفة، وجبير بن مَطعِم، وأبي عاصم عبيد بن عمير الليثي، وأبي المحشر عاصم بن ميمون الجحدري، وهم يقرؤون [مَلَكَ] على أنه فعل ماض، وينصبون [اليومَ] على أنه مفعول به. ينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي،36/1.

[7]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، 237/1.

لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً اَوِ إِمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ اَوُ اخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1]، أخرجها سعيد بن منصور، فكانت هذه القراءة بزيادة لفظين (أخ أو أخت من أم)، فلا ندري أهذه قراءة أم تفسير؟ قال ابن الجزري: "نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحا وبيانا، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قرآنا، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، لكن ابن مسعود –رضي الله عنه- كان يكره ذلك ويمنع منه، فروى مسروق عنه أنه يكره التفسير في القرآن، وروى غيره عنه، "جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه"[2].

يظهر من كلام ابن الجزري رحمة الله عليه، أن هذا النوع من القراءة، ما هو إلا ضرب من التفسير والبيان، إلا أن الأثر يروي أن ابن مسعود، كان يكره ذلك كي لا يختلط القرآن بما ليس منه.

يتضح مما سبق أن القراءة المتواترة تتوقف على أركان ثلاثة، وهي:

- صحة الإسناد: والسند في اللغة: ما أسند إليه من حائط ونحوه، وفي الاصطلاح عند علماء القراءات وعلماء الحديث من هذا المعنى، لأن الراوي يسند ما يرويه إلى من سمعه منه، حتى يبلغ السند منتهاه، وهو النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر المتواتر في علم القراءات، هو ما تنقله جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. ويلزم من تواتر السند صحته، أي "أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله"[4].

1- سورة النساء، الآية: 12.

2- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 32/1.

3- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، ص: 5.

4- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/ 13.

- الموافقة في الرسم لأحد المصاحف العثمانية الستة، لأن بين هذه المصاحف اختلاف في الرسم، بالذكر والحذف.
- موافقة اللغة العربية، أي ما يشمل متنها وقواعدها النحوية والصرفية، وليس شرطا أن تكون القراءة وفق الأفصح، الأكثر شهرة من لهجات العرب، وإنما المدار على الرواية المنقولة بالتواتر[1].

وقد جمع ابن الجزري هذه الأركان الثلاثة في قوله:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ *** وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ *** فَهَـذِهِ الثَّلَاثَــةُ الْأَرْكَــانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ *** شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ[2].

وحيثما اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة التي ذكرها الناظم رحمه الله، كانت القراءة شاذة، ويأتيها الشذوذ من جهة مسائل، وهي:

- عدم بلوغ درجة التواتر: فقد تكون القراءة مشهورة، بحيث صحَّ سندها، ووافقت العربية والرسم، لكنها لم تبلغ درجة التواتر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فقد قرأ الجمهور (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) بضم الفاء، أي من جِنْسِكمْ، أَوْ مِنْ نَسَبِكمْ عَرَبِيًّا قُرَشِيًّا يُبَلِّغُهُمْ عَنِ اللَّهِ [...] حريص على هدايتكم حتى لا يخرج أحد عن اتباعه فيهلك[4]، و قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ مُحَيْصِنٍ، وَمَحْبُوبٌ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُسَيْطٍ الْمَكِّيُّ، وَيَعْقُوبُ مِنْ بَعْضِ طُرُقِهِ: مِنْ أَنْفَسِكُمْ بِفَتْحِ الْفَاءِ [في لفظة (أنفُسكم)]. [...]، وَالْمَعْنَى: مِنْ أَشْرَفِكُمْ وَأَعَزِّكُمْ، وَذَلِكَ مِنَ النَّفَاسَةِ،

---

[1]- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، ص: 4.

[2]- طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط1، 1414هـ/1994م، ص: 32. هذه الأبيات مقتطفة من أرجوزته المشهورة، وهي أرجوزة وجيزة ومختصرة، مع توفية المعنى، ألفاظها على وزن أفعولة من الرجز، وهو ضرب من الشعر؛ سُمي بذلك لتقارب أجزائه وقلة حروفه، لغرض تسهيل الحفظ.

[3]- سورة التوبة، الآية:129.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 532/5.

وَهُوَ رَاجِعٌ لِمَعْنَى النَّفَسِ، فَإِنَّهَا أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ[1]، وَرُوِيَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ فَاطِمَةَ، وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]. وذكر ابن عطية رحمة الله عليه (ت: 542هـ) أن عبد الله بن قُسَيْط المكي قرأ «مِنْ أَنْفَسِكُمْ» بفتح الفاء من النفاسة، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها، وذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم[3]، ومع ذلك نجد هذه القراءة مدرجة ضمن شواذ القراءات في كتاب " المحتسب" لابن جني، مع العلم أنها قراءة مروية عن النبي ﷺ. قال ابن جني في معنى هذه القراءة: مِنْ أَنْفَسِكُمْ؛ أي: من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع؛ أي: أجوده وخياره، واشتقه من النفس؛ وهي (الروح) أشرف ما في الإنسان[4]. فما الداعي إلى تصنيف هذه القراءة ضمن القراءات الشاذة، مع العلم أنها قراءة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم؟. إن هذا الأمر مدعاة للاستغراب، إذ كيف يمكن أن تكون قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قراءة شاذة؟!. وقد روى الحاكم في مستدركه على الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بها[5].

يبقى القول إذن، في هذه المسألة أن القبول عند الناس رزق يوسعه الله تعالى على قوم، ويضيقه على آخرين، ولا معقب لحكمه.

- قراءة الآحاد: وتعد من القراءات الشواذ أيضا، وهي "مَا صَحَّ نَقْلُهُ عَنِ الْآحَادِ وَصَحَّ وَجْهُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَخَالَفَ لَفْظُهُ خَطَّ الْمُصْحَفِ"[6]، فهي قراءة صحيحة النقل عن الواحد، وموافقة لوجه من وجوه العربية، لكنها مخالفة للرسم، فهذه القراءة لم تؤخذ بالإجماع، وإنما أخذت بأخبار الآحاد، "ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد"[7]. ومن الشواذ في القراءات أيضا، ما نقله غير ثقة أو

---

[1]- نفسه، 533/5.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 533/5.

[3]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 100/3.

[4]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني(ت:392هـ)، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط، 1420هـ/1999م، 306/1.

[5]- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ/ 1990م، 262/2. رقم الحديث: 2945.

[6]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1 /14.

[7]- نفسه، 14/1.

نقله ثقة، ولكن لا وجه له في العربية، فهذه القراءة غير مقبولة، وإن تحققت الموافقة لخط المصحف[1].

أما القراءة التي تخالف العربية، فهي ضرب من ضروب الوضع والاختلاق، ومن شواذ القراءات أيضا، ما قُرئ على وجه التفسير والبيان.

المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وتطور حركة التأليف

كان الرسول ﷺ يعلم الصحابة القرآن الكريم، ثم إنهم – رضوان الله عليهم- "قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد؛ ومنهم من أخذه عنه بحرفين؛ ومنهم من زاد على ذلك؛ ثم تفرقوا في البلاد، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابع التابعين عن التابعين، وهلم جرا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها، ويعنون بها، وينشرونها."[2]، ويظهر من خلال هذا الكلام أن القراءات القرآنية نشأت بالسماع والرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كيفية النطق بآيات القرآن الكريم كما نزلت، ونطَقها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبهذا يمكن القول بأن القراءات القرآنية نشأت عبر تتبع مختلف الطرق المؤدية بأسانيدها المختلفة حتى تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم، فتكون بذلك القراءات القرآنية متواترة، وليست اجتهادية، إذ الأصل في القراءات القرآنية هو النقل بالإسناد المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن "لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته، وفاقا لبدعتهم... رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للأغنياء بشأن القرآن العظيم"[3]، فعملوا على جمع القرآن الكريم قبل أن يختلف فيه المسلمون اختلاف اليهود والنصارى، وتم اختيار القرأة الحافظين الذين يتولون هذه المهمة الصعبة، إذ أُخليت المصاحف من النقط والضبط، فكان عملهم مستندا إلى ضوابط القراءة الصحيحة، وهي: موافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو تقديرا، وصحة السند، وموافقة وجه من وجوه العربية.

---

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 14/1.

[2]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، 413/1.

[3]- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: 923هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان، والدكتور عبد الصبور شاهين، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1392هـ، 66/1.

سبق أن أشرنا إلى أن الصحابة رضوان الله عليهم أخذوا القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ بالسماع والتلقين الشفوي، فتمكنوا من ضبط القرآن الكريم وإتقان تلاوته، وأخذ عنهم رضوان الله عليهم من جاء بعدهم، وصار يأخذ اللاحق عن السابق بحرف أو بحرفين، أو بأكثر من ذلك، حتى وصلت إلينا القراءات القرآنية بالأسانيد الصحيحة المتصلة، ثم بعد ذلك ظهرت مدارس في القراءات القرآنية في الأمصار بعد توزيع المصاحف في عهد عثمان بن عفان (ت: 34هـ)، ومنها مدرسة مكة، واشتهر فيها كل من مجاهد، وطاوس، وعكرمة... وغيرهم، ومدرسة المدينة المنورة، واشتهر فيها ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وزيد بن أسلم،...وغيرهم، ومدرسة البصرة، واشتهر فيها عامر بن عبد القيس، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر،... وغيرهم، ومدرسة الكوفة، واشتهر فيها علقمة بن قيس النخعي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير،...وغيرهم، ومدرسة الشام، واشتهر فيها المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وأبو الدرداء، وخليد بن سعيد،... وغيرهم[1]، واستمر العلماء المسلمون في العناية والاهتمام بالقراءات القرآنية، خاصة مع جيل تابعي التابعين، حتى صاروا في هذا المجال أئمة كبارا، يُرحل إليهم قصد تعلم قراءة القرآن الكريم، وهؤلاء هم القراء الذين نسبت إليهم القراءات السبع أو العشر، وبلغت شهرتهم الآفاق في علم القراءات القرآنية، وهم: عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي، (ت: 118هـ) وعبد الله بن كثير المكي، (ت: 120هـ) وعاصم بن أبي النجود الكوفي، (ت: 127هـ) وأبو عمرو بن العلاء البصري، (ت: 154هـ) وحمزة بن حبيب الكوفي، (ت: 156هـ) ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي (ت: 169هـ) وعلي بن حمزة الكسائي، (ت: 189هـ)، أبو جعفر المدني، (ت: 127هـ)، ويعقوب الحضرمي، (ت: 205هـ) وخلف البغدادي، (ت: 229هـ).

وقد احتاج العلماء المسلمون مع مرور الزمن، إلى تدوين هذا العلم، وضبط مصطلحاته وقواعده، فنال عناية كبيرة، وعدوه من أشرف العلوم الإسلامية، وذُكر أن أقدم من نُقِل عنه، أنه ألف في هذا العلم هو يحيى بن يعمر (ت:129هـ)، "أحد قرّاء البصرة، وعنه أخذ ابن أبى إسحاق القراءة. وولى القضاء بمرو، وكان عالما بالقرآن والنّحو ولغات العرب"[2]، حيث قيل: إنه جمع في كتابه من القراءات ما روي من

[1]- ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن، 1/415-416. وينظر غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، 1/439-440. وينظر معرفة القراء الكبار، 1/49.

[2]-إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ، 4/25.

اختلاف الناس فيما وافق الخط[1]، ثم توالى التأليف بعد ذلك، وألَّف في هذا العلم مع بداية القرن الثالث الهجري أبو عبيد القاسم بن سلام (ت:224هـ)، وقد قيل عن الكِتاب بأنه جيد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله[2]، وقال عنه ابن الجزري (ت: 833هـ) إنه ضمَّنه –فيما يحسب- خمسة وعشرين قارئا[3]، ومن أنفس ما أُلِّف أيضا في علم القراءات، كتاب أبي حاتم السجستاني (ت: 255هـ)، فقد قال فيه الفيروز آبادي (ت: 817هـ): "ولأهل البصرة أربعة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض: كتاب العين للخليل، وكتاب سيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات"[4]، وبعد ذلك جاء أحمد بن جبير الكوفي (ت: 258هـ)، فألف كتابا في القراءات الثمان: قراءات الأئمة السبع، وقراءة يعقوب[5]، ثم تلاه القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت: 282هـ)، فألف كتابا في القراءات جمع فيه قراءة عشرين قارئا، منهم القراء السبعة، ثم جاء الإمام الطبري (ت: 310هـ)، فألف كتابا في القراءات "سماه الجامع فيه نيف وعشرون قراءة"[6].

وفي هذا السياق من التأليف، جاء عمل أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت: 324هـ)، وهو كتابه السبعة الذي ضمنه قراءة الأعلام السبعة، وإن كان ابن مجاهد قد استفاد ممن سبقه في وضع مصنفات حول القراء السبعة، إلا أنه وَضع كتابا في "شواذ القراءات" وهو الكتاب الذي اتكأ عليه ابن جني (ت: 392هـ) في "المحتسب" ما ينبئ أن ابن مجاهد كان له إلمام واسع بقراءات كثيرة غير قراءات الأئمة السبعة.

وعلى كل حال، فقد ظهرت مؤلفات كثيرة في موضوع القراءات القرآنية، ومنها ما ألفه ابن غلبون الحلبي (ت: 399هـ) "التذكرة في القراءات الثمان"، وما ألفه أبو معشر الطبري (ت: 478هـ) "التلخيص في القراءات الثمان"، وما ألفه عبد الله بن علي المعروف بسبط الخياط (ت: 541هـ) "الكفاية في القراءات الست"، وهي كلها مصنفات تضم قراءات تزيد في العدد على السبعة أو تنقص. ويبقى عمل ابن مجاهد متميزا في هذا المجال، نظرا لكثرة النسج على منواله، وكثرة الشروح لكتابه (القراءات السبعة)، بل نمت

1- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة الدكتور فهمي أبو الفضل، والدكتور محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م، 147/1.

2- إنباه الرواة على أنباء النحاة، القفطي، 15/3.

3- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 34/1.

4- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت:817هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2000م، ص: 151.

5- الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب، ص: 88.

6- النشر في القراءات، ابن الجزري، 34/1.

حركة النقد والاحتجاج والتوجيه لمضمون هذا الكتاب[1]، فهذا أبو علي الفارسي (ت: 377هـ) يؤلف كتابا يحتج فيه لعمل ابن مجاهد، وهو كتاب "الحجة في علل القراءات السبع"، وكذلك فعل الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ) الذي ألف كتابه المشهور "الحجة في القراءات السبع"، فقد كان الرجلان يحملان الوفاء لأستاذهما ابن مجاهد، لأنهما ممن أخذ عنه في فن الإقراء، فدلّلاَ في كتابيهما على حسن اختيار شيخهما ووجاهته[2]. وهناك مصنفات أخرى احتجت لكتاب "السبعة" لابن مجاهد، منها كتاب "حجة القراءات" لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت: 403هـ)، وكتاب "الموضح في تعليل وجوه القراءات" لأحمد بن عمار المهدوي (ت: 430هـ) على وجه التقريب، وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع" لمكي بن أبي طالب (ت: 437هـ)، وغيرها من المصنفات النفيسة التي تأثرت بعمل ابن مجاهد، ويكفي أن نعود إلى ما ذكره ابن الجزري والقسطلاني في أوائل كتابيهما، لنعرف الأثر الكبير الذي أحدثه ابن مجاهد في تطور حركة التأليف في مجال القراءات القرآنية[3]. فقد أحصى ابن الجزري في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء"[4] عددا من القراء الذين نبغوا في هذا العلم، وخدموه تأصيلا وتأليفا.

وهكذا يمكن القول بأن حركة التأليف في القراءات القرآنية نمت وازدهرت بشكل كبير، مما أسهم في تعدد المدارس في الأقطار العربية الإسلامية خدمة للنص القرآني في أصواته وألفاظه ومعانيه وأغراضه وأساليبه.

لقد صار من الضروري والطبيعي، أن يشتهر في كل عصر جماعة من القراء، في كل طبقة من طبقات الأمة، بذلوا كل جهودهم في حفظ القرآن، وإتقان ضبط أدائه، وحسن تعلمه وتعليمه، من عصر الصحابة، ثم التابعين، وأتباعهم، حيث تعاطوا للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويُرحل إليهم قصد الأخذ منهم، فكان في المدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم... وكان بمكة: عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن مُحَيصن... وكان بالكوفة: يحى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود

1- أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، عبد الكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 23

2- نفسه، ص:24

3- ينظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، 1/57-98، ولطائف الإشارات في فنون القراءات، للقسطلاني، 1/86-91.

4- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر، مقدمة الجزء الأول، ص:3.

الأسدي، وسليمان الأعمش، ثم حمزة بن حبيب، ثم الكسائي أبو علي بن حمزة... وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي... وكان بالشام: عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الدماري، ثم شريح بن زيد الحضرمي...، ثم جاء الإمام أحمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد (ت: 324هـ)، فأفرد القراءات السبع المعروفة، ودوَّنها في كتابه المشهور "القراءات السبعة" فاحتلت مكانتها في التدوين، وأصبح علمها مفردا يقصدها طلاب القراءات، فكان لا يأخذ إلا عن الإمام الذي اشتهر بالضبط والأمانة، وطول العمر في ملازمة الإقراء، فكان له من ذلك قراءات القراء السبعة المشهورين في القراءة، كما دَوَّن ثلاث قراءات أخرى غير تلك القراءات السبعة المشهورة، وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت: 127هـ)، وقراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي (ت: 205هـ) وقراءة خلف بن هشام (ت: 229هـ)، وقد ذكر ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" أن "القراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام هي: قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري، وفي ليبيا، وبرواية ورش في بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري، وفي جميع القطر الجزائري، وجميع المغرب الأقصى، وما يتبعه من البلاد والسودان، وقراءة عاصم برواية حفص عنه في جميع الشرق من العراق والشام، وغالب البلاد المصرية والهند وباكستان، وتركيا والأفغان وبلغني أن قراءة أبي عمرو البصري يقرأ بها في السودان المجاور مصر"[1].

وصفوة القول فإن نشأة القراءات بمصادرها ومناهجها ترجع بالأساس إلى مسائل منها: شكل الرسم القرآني، وطريق الرواية المتصلة إلى النبي ﷺ، إضافة إلى تعدد اللهجات العربية.

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 63/1.

المبحث الثاني: أصول القراءات القرآنية ومقاصد تعددها

المطلب الأول: أصول القراءات القرآنية

الأصول: جمع أصل، وهو في اللغة ما يبنى عليه غيرُه، وفي اصطلاح القراء: كل حكم مطرد، جار في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم، كالمد والقصر والإظهار والإدغام والفتح والإمالة... وغيرها من الأصول التي تعتمدها القراءة القرآنية، وفي هذا السياق ورد في معجم التعريفات للشريف الجرجاني (ت: 816هـ) " الأصل هو ما يبنى عليه غيره، [...] وفي الشرع: عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، والأصل: ما يُثبت حكمه بنفسه، ويبنى على غيره"[1]، والأصول الدائرة على اختلاف القراءات هي: المد، والتوسط، والقصر، والإشباع، والإظهار، والإدغام، والقلب، والإخفاء، والصلة، والتحقيق، والتسهيل، والإبدال بنوعيه، والإسقاط، والنقل، والتخفيف، والفتح، والإمالة، والتقليل، والترقيق، والتفخيم، والتغليظ، والاختلاس، والإخفاء، والتتميم، والإرسال، والتشديد، والتثقيل، والوقف، والسكت، والقطع، والإسكان، والروم، والإشمام، والحذف، وياءات الإضافة، وياءات الزوائد...[2] وغير ذلك من القواعد والأصول التي تقوم عليها القراءات القرآنية، وسنقف بالتفصيل عند مختلف هذه المصطلحات التي يعتمدها القراء في القراءات القرآنية، لأهميتها في النطق الصحيح بألفاظ القرآن الكريم من جهة، وعلاقتها ببناء المعنى من جهة أخرى، ومنها:

أ. المد والتوسط والقصر:

المد لغة: الزيادة، واصطلاحا "عِبَارَةٌ عَنْ زِيَادَةِ مَطٍّ فِي حَرْفِ الْمَدِّ عَلَى الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَقُومُ ذَاتُ حَرْفِ الْمَدِّ دُونَهُ."[3]، والقصر: "تَرْكُ تِلْكَ الزِّيَادَةِ وَإِبْقَاءِ الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ عَلَى حَالِهِ"[4]، وحروف المد ثلاثة، وهي الحروف الجوفية: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والتوسط حالة بين المد والقصر، والأصل هو القصر لعدم احتياجه إلى سبب، في حين أن المد والتوسط فرعان عنه لاحتياجهما إلى سبب. وتسمى الحروف الثلاثة السابقة عند القراء بحروف المد

---

[1]- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: محمد علي أبو العباس، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2013م، باب الألف، فصل الصاد، ص: 34.

[2]- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1436هـ/2015م، ص: 57.

3-- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 313/1.

[4]- نفسه، 313/1.

واللين، لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها. وقد جمع الناظم رحمة الله عليه هذه الحروف في قوله:

حُرُوفُهُ ثَلاَثَةٌ فَعِيهَا *** مِنْ لَفْظِ (وَايٍ) وَهْيَ فِي نُوحِيهَا[1].

فالمد واللين وصفان لازمان للألف من غير شرط، لأنها لا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، ويكون في الواو والياء بشرط أن تكونا متولدتين عن حركة تجانسهما، بأن يكون قبل الواو ضمة، وقبل الياء كسرة، وهو ما أشار إليه الناظم رحمه الله في قوله (نوحيها). أما حروف اللين، فهي ظاهرة في قول الناظم:

وَاللِّينُ مِنْهَا الْيَا وَوَاوٌ سُكِّنَا *** إِنِ انْفِتَاحٌ قَبْلَ كُلٍّ أُعْلِنَا[2].

فالواو والياء، إذا وقعتا ساكنتين بعد فتح، فيقال لهما حرفا لين فقط، وفيهما مد ما، حيث قوي شبههما بحروف المد، وفيهما شيء من الخفاء، فعلة المد موجودة فيهما من جهة العقل. وأما من جهة النقل، فقد نص علماء اللغة، ومنهم سيبويه(ت: 180ه) أن في حرفي اللين من المد بعض ما في حروف المد، قال سيبويه في الكتاب:" وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأيٌ، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت"[3]. وأنواع المد كثيرة عند علماء القراءات، ومنها:

- المد **الطبيعي**: وهو أحد قسمين لمطلق المد، إذ المد المطلق عندهم قسمان: أصلي وفرعي، وقد بينهما الناظم في قوله:

وَالْمَــــدُّ أَصْلِـيٌّ وَفَـرْعِـيٌّ لَــهُ *** وَسَــــمِّ أَوَّلاً طَبِيعِيًّـــا وَهُـــو

مَا لاَ تَوَقُّـــفٌ لَـهُ عَلَـى سَبَـبْ *** وَلا بِدُونِهِ الحُرُوفُ تُجْتَلَـبْ

بلْ أَيُّ حَرْفٍ غَيْرُ هَمْزٍ أَوْ سُكُونْ *** جَا بَعْدَ مَدٍّ فَالطَّبِيعِيَّ يَكُونْ

وَالآخَرُ الْفَرْعِيُّ مَوْقُــوفٌ عَلَــى *** سَبَبْ كَهَمْزٍ أَوْ سُكُونٍ مُسْجَلا[4].

---

[1]- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، سليمان بن محمد الجمزوري، تحقيق علي محمد الضباع، ص:6

[2]- نفسه، ص:6

[3]-الكتاب، عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه، (ت:180ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408ه/1988م، 435/4.

[4]- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، سليمان بن محمد الجمزوري، ص:6

- **المد الأصلي:** وهو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذات حرف المد إلا به، ولا يتوقف على سبب من همز أو سكون، ويسمى أيضا عند علماء القراءات بالمد الذاتي. أما المد الفرعي، فهو الذي يزيد على المد الأصلي، ويسمى بالمد العرضي، وسببه، إما همز أو سكون، والهمز إما متقدم أو متأخر، منفصل أو متصل. والسكون لاحق لازم أو عارض، وهو قائم مقام الحركة، إذ لا يمكن النطق به كما هو حقه إلا بالمد.
- **المد المتصل:** وهو ما اجتمع فيه حرف المد والهمزة شريطة أن يتقدم حرف المد نحو،"جآء" "وغيض المآء"، "عن سوء"، وغير ذلك مما هو كثير في القرآن الكريم، ويسمى بذلك لاتصال حرف المد بسببه، وهو الهمز، ويسمى أيضا مد البنية، لأن الكلمة بنيت على المد، ويسمى أيضا عند القراء بالمد الواجب، لإجماعهم على المد، وإن كان بينهم تفاوت في قدره. قال الناظم رحمة الله عليه:

فَوَاجِبٌ إِنْ جَاءَ هَمْزٌ بَعْدَ مَدْ *** فِي كِلْمَةٍ وَذَا بِمُتَّصِلٍ يُعَدْ[1].

- **المد المنفصل:** وهو ما اجتمع فيه حرف المد والهمز في كلمتين، نحو، "بما أنزل"، " قالوا ءامنا"، "في أنفسكم"، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تضمنت هذا النوع من المد، وسمي بذلك لانفصال حرف المد عن سببه، ويسمى أيضا مد البسط، لأنه يبسط بين الكلمتين بساطا، فيفصل به بينهما، كما يسمى أيضا مد الفصل. قال الناظم رحمة الله عليه:

وَجَائِزٌ مَدٌّ وَقَصْرٌ إِنْ فُصِلْ *** كُلٌّ بِكِلْمَةٍ وَهَذَا الْمُنْفَصِلْ[2].

- **مد الروم:** وهو ما جاء فيه حرف المد قبل همزة مسهلة، نحو،" ها أنتم" على قراءة من سهل همزة "أنتم" وأدخل ألفا قبلها، وسمي بمد الروم لأن القارئ يروم بعد الهمزة، فلا يأتي بها محققة.
- **مد التعظيم:** وسببه معنوي، وهو الذي يكون بعد لا النافية في كلمة التوحيد نحو: "لا إله إلا الله"، "لا إله إلا هو" عند من يقصر المنفصل، ويسمى أيضا عند القراء مد المبالغة.
- **مد التبرئة:** وموجبه معنوي، وهو مد لا النافية للجنس نحو: "لا ريب" و "لا شية فيها" عند حمزة فقط.

1- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، سليمان بن محمد الجمزوري، ص:7.

2- نفسه، ص:7.

- **مد الحجز:** وهو عبارة عن مد الألف التي يؤتى بها للفصل بين الهمزتين عند من قرأ بها في نحو، "ءأنذرتهم"، "أإله"، "أءنزل"، سواء حققت الهمزة الثانية أم سهلت، ولذلك يسمى أيضا بمد الفاصل، ومقداره ألف على الصواب عند من أدخلها.
- **مد الفرق:** وهو مد الألف التي يؤتى بها بدلا عن همزة الوصل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلَ اَرَٰيْتُم مَّآ أَنزَلَ اَ۬للَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٖ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماٗ وَحَلَٰلاٗ قُلَ ـآللَّهُ أَذِنَ لَكُمُۥٓۖ أَمْ عَلَى اَ۬للَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]، موطن الشاهد ﴿قُلَ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمُۥٓۖ أَمْ عَلَى اَ۬للَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾، وسمي بمد الفرق، لأنه يفرق بين الاستفهام والخبر، ومقداره عند القراء ثلاث ألفات، فلو أسقط هذا المد من الآية القرآنية، لتحولت من كونها استفهامية إنكارية إلى خبرية تقريرية، وصار المعنى" الله أذن لكم"، وهذا المعنى المستفاد على خلاف مراد الله عز وجل، قال الشوكاني (ت: 1250ه)، في تفسيره:"أَخْبِرُونِي الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ رِزْقٍ، فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا، آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ فِي تَحْلِيلِهِ وَتَحْرِيمِهِ؟ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ؟ [...]، قِيلَ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ فِي: آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ للإنكار، وأم مُنْقَطِعَةً بِمَعْنَى: بَلْ أَتَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ، وَإِظْهَارُ الِاسْمِ الشَّرِيفِ وَتَقْدِيمُهُ عَلَى الْفِعْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الِافْتِرَاءِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ مَا يَصُكُّ مَسَامِعَ الْمُتَصَدِّرِينَ لِلْإِفْتَاءِ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي شَرِيعَتِهِ، بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْجَوَازِ وَعَدَمِهِ، مَعَ كَوْنِهِمْ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ حُجَجَ اللَّهِ، وَلَا يُفْهَمُونَهَا، وَلَا يَدْرُونَ مَا هِيَ، وَمَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الْحِكَايَةُ لِقَوْلِ قَائِلٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ قَلَّدُوهُ فِي دِينِهِمْ، وَجَعَلُوهُ شَارِعًا مُسْتَقِلًّا، مَا عَمِلَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ الْمَعْمُولُ بِهِ عِنْدَهُمْ، وَمَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَوْ بَلَغَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ حَقَّ فَهْمِهِ أَوْ فَهِمَهُ وَأَخْطَأَ الصَّوَابَ فِي اجْتِهَادِهِ"[2]، فسياق ورود الآية، يثبت أنها استفهامية إنكارية، أي: هل الله أذن لكم في تحليل ما أنزل الله إليكم من رزق وتحريمه؟، أم على الله تفترون؟ فهم يفتون للناس في شريعة الله دون عقل وفهم وعلم، إنما مبلغهم من العلم الحكاية لقول قائل بالاتباع والتقليد للذين لا يعقلون حجج الله. وغير ذلك من أنواع المدود: كمد التمكين، ومد البدل، والمد الخفي، والمد العارض للإدغام، والمد العارض للوقف، ومد الهجاء اللازم في فواتح السور، ومد الصلة، ومد العوض، والمد الممكن، ومد التوسط بين الهمزتين، وغير ذلك من الأنواع

[1]- سورة يونس، الآية: 59.

[2]- فتح القدير، محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1414ه، 2/517-518.

التي أنهاها بعضهم إلى عشرة، وبعضهم إلى أربعة عشر، وبعضهم إلى ستة عشر، وبعضهم إلى اثنين وعشرين، وبعضهم إلى أربعة وثلاثين نوعا[1].

ب. الإشباع:

الإشباع لغة: التوفية وبلوغ حد الكمال، واصطلاحا عند علماء العروض :"حركة الحرف الذي بين التأسيس والروي"[2]. وعند علماء القراءات: "أَنَّ الْمَدَّ لِلسَّاكِنِ اللَّازِمِ هُوَ الْإِشْبَاعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[3]. وقد اصطلحوا على أنه بمقدار ألفين زيادة على المقدار الطبيعي بحيث، يكون مقدار الحرف فيه ست حركات، أي أن تمد الصوت بمقدار ثلاث ألفات، ولا يضبط إلا بالتمرن من طريق المشافهة والأخذ من أفواه المشايخ العارفين بعلم القراءات القرآنية.

ج. الإمالة:

الإمالة: "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء"[4]، والفتح والإمالة لغتان جاريتان في لغة العرب، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، والغرض من الإمالة هو الإعلام بأن أصل الألف الياء، وإثارة انتباه القارئ إلى انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء، ومن ثمة فإن أسباب الإمالة تعود بالأساس إلى أمرين وهما: الكسرة والياء، وفائدتها: سهولة النطق باللفظ، لأن اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع. وقد أمال كل القراء العشرة إلا ابن كثير (ت: 120هـ)، فإنه لم يمل شيئا في جميع القرآن، آخذا بالحديث النبوي الشريف: أَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَدَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيُّ بِمَرْوَ، حدثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيُّ، حدثنا بَكَّارُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حدثنا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أنزل القرآن بالتفخيم"[5]، ولعل معنى هذا الحديث هو تعظيم القرآن وتبجيله، لأنه كلام الله عز وجل.

---

[1]- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، ص:66.

[2]- مفتاح العلوم، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف السكاكي (ت:387هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، ص:111.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 335/1.

[4]- نفسه، 30/2.

[5]-حديث الحاكم عن زيد بن ثابت في مستدركه على الصحيحين، باب: من كتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، 264/2، رقم الحديث:2953.

د. الإظهار والإدغام والقلب والإخفاء:

- **الإظهار** لغة: الإبانة والإيضاح، واصطلاحا: فصل الحرف الأول من الحرف الثاني من غير سكت عليه، أي النطق بالحرفين كل واحد منهما على صورته.
- **والإدغام**: الإدخال والستر، يقال أدغمت اللجام في فم الفرس إذا أدخلته، واصطلاحا: النطق بالحرفين المتماثلين، الأول ساكن والثاني متحرك، دفعة واحدة، وسمي هذا المعنى إدغاما لخفاء الساكن عند المتحرك، فكأنه داخل فيه، لا أنه داخل فيه حقيقة، لأن الحرفين ملفوظ بهما على الصحيح، فهو عبارة عن خلط حرفين، وتصييرهما حرفا واحدا مُشددا. فالإظهار في النطق بالحروف هو الأصل لعدم احتياجه إلى سبب، والإدغام فرع لوجود السبب وهو إما:
- **التماثل**: وهو اتفاق الحرفين مخرجا وصفة، أو اتحادهما في الاسم والرسم، كإدغام الميم في الميم، لأن اسمهما واحد، وذاتهما في الرسم واحدة.
- **التجانس**: وهو اتفاق الحرفين مخرجا، واختلافهما صفة، أو اختلافهما مخرجا، واتفاقهما صفة كإدغام الدال في التاء، والتاء في الطاء، والدال في الجيم.
- **التقارب**: وهو تقارب الحرفين مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة معاً كإدغام الدال مع السين والشين، وإدغام اللام مع الراء.

وتتجلى فائدة الإدغام في تخفيف اللفظ لثقل النطق بالحرفين عن المتكلم والسامع معا، وتحقيقا لهذه الخفة، لابد من الجمع بين الحرفين، ليمتزجا في السمع كالحرف الواحد، بواسطة التشديد، وهو جس الصوت في الحيز بعنف، وكل ذلك من أجل الخفة في الكلام واجتناب الثقل، وقد شبه النحويون النطق بالحرفين معا بمشي المقيد، ولذلك دعوا إلى الإدغام، لأنه من لغة العرب تخفيفا للكلام عند المتكلم، وتحسينا له عند السامع.

- **القلب**؛ ومعناه لغة: التحويل: وعرفا: جعل الحرف حرفا آخر، وهو عند علماء القراءات والتجويد قلب النون الساكنة أو التنوين ميما خالصة، فتخفى بغنة، إذا جاء بعدها صوت الباء، وهو من مصطلحات سيبويه في الكتاب، حينما جعله ظاهرة صوتية تحدث عند تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السلسلة الكلامية مثل جذب وجبذ... ومن ذلك قلب النون إلى ميم عند مجاورتها للباء مجاورة مباشرة، ذلك أن النون تتأثر بالباء، وتقلب إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج، وهذا الصوت هو الميم، أي: إن النون تفقد مخرجها دون فقدان صفتها الأنفية، وذلك في مثل: "أنبئهم"

"من بعدهم" "صمٌّ بكم" ... والعلة في هذا القلب، أن الميم مؤاخية للباء، لأنها من مخرجها، ومشاركة لها في الجهر والشدة، وهي أيضا مؤاخية للنون في الغنة والجهر، فلما وقعت النون قبل الباء، ولا يتأتى بينهما الإدغام لبعد المخرجين، ولا الإظهار لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء[1]، وهذا التعليل الصوتي سبق إليه المتقدمون من علماء القراءات والتجويد، فكان للمدرسة القرآنية القرائية فضل السبق على المدارس الصوتية الحديثة، وأكثر من ذلك جعلوا الغنة حرفا من حروف المعجم، ما يدل على نضج الدرس الصوتي عندهم، بل عقدوا في مصنفاتهم بابا لظاهرة الغنة، واعتبروها حرفا مجهورا شديدا يخرج من الخيشوم[2]، بحيث لو أردنا التلفظ بالنون الحقيقية، أو التنوين، وتم مسك الأنف، لا يتحقق خروج الغنة التي في النون، بل يتحقق خروج النون بغير غنة مع تغير الصوت بالنون عند عدم الغنة، ما يدل أن مخرج الغنة من الخيشوم.

- **الإخفاء** لغة: الكتم والستر، واصطلاحا: النطق بحرف ساكن عار عن التشديد على حاله بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول، مع النون الساكنة أو التنوين أو الميم الساكنة، فهو ظاهرة صوتية بين الإدغام والإظهار، مع ضرورة الغنة، ولا تتحقق هذه الظاهرة الصوتية عند علماء القراءات والتجويد إلا مع خمسة عشر صوتا (ت-ث-ج-د-ذ-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ف-ق-ك)، ولا يكون الإخفاء إلا في حرفي الغنة النون والميم، لأن الاتصال لا يتحقق إلا فيهما، فيستتر المخرج بالاتصال ويخفى، ولأن الصوت إذا جرى في الخيشوم أمكن اتصال الحرفين من غير إظهار ولا تشديد، ولذلك ينبغي أن يكون النطق بالمخفي بين التخفيف والتشديد، كما أنه بين الإظهار والإدغام[3]، فعندما تكون النون متبوعة بأحد الأصوات المذكورة سابقا، يتغير موضع نطقها، وذلك واضح مثلا عندما تكون النون متبوعة بالجيم، يصبح موضع نطقها في منطقة الحنك الصلب (القار)، وعندما تكون متبوعة بالقاف تصبح لهوية[4]، وهذا ما جعل علماء الأصوات يرون أن

---

[1]- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمان الأردن، ط 3، 1996م، ص: 266.

[2]- نفسه، ص: 240.

[3]- الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو القاسم القرطبي، تقديم وتعليق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمان، ط1، 2000م، ص 185.

[4]- القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، سمير شريف استيتة، منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2005م، ص: 100.

النون قد صار لها مخرجان، مخرج لها، ومخرج لغنتها، وذلك في نحو: "من شاء" و"من كان" و"من جاء" وشبهه، إذ تذهب النون عند الإخفاء، وتبقى الغنة من الخيشوم ظاهرة[1]، فالإخفاء إذن ما هو إلا النطق بالحرف بحالة بين الإظهار و الإدغام.

هـ. التحقيق والتسهيل والإبدال والإسقاط والنقل:

تتعلق هذه الأصول الخمسة بالهمز، إذ الأصل فيه **التحقيق**، وهو النطق بالهمزة على حقيقتها، وذلك بإخراجها من مخرجها الذي هو أقصى الحلق، كاملة في صفاتها، لغة هذيل وعامة تميم. ونظرا لثقل الهمز، فقد جرى أكثر العرب على تخفيفه بالأصول الأربعة، ومنها: **التسهيل**: وهو النطق بالهمزة بين الهمزة وحرف المد المجانس لحركتها، وهو على حد قول شمس الدين السخاوي (ت: 902هـ):" أن يلين صوتها (الهمزة) ويقرب من حرف اللين الذي منه حركتها"[2]، وتسهيل الهمز لغة قريش وسعد بن بكر وعامة قيس.

فالإبدال لغة: هو جعل شيء مكان آخر، وذلك إذا نحيت الأول، وجعلت الثاني مكانه. واصطلاحا عند القراء، هو إقامة الألف والواو والياء مقام الهمزة عوضا منها، أي: إبدال الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها.

وأما **الإسقاط** لغة: فهو الحذف والطرح والإزالة، واصطلاحا: إسقاط إحدى الهمزتين المتلاصقتين بحيث لا تبقى لها صورة.

وأما **النقل** لغة: فهو التحويل، واصطلاحا: تعطيل الحرف المصطدم للهمزة من شكله، وتحليته بشكل الهمزة. وقد تنوعت العرب في تخفيف الهمز بهذه الأنواع المذكورة، لكونه أثقل الحروف نطقا، وأبعدها مخرجا، وكانت قريش والحجازيون أكثرهم له تخفيفا، بل قيل: هو لغة أكثر العرب الفصحاء[3].

وقد تناول علماء اللغة المتقدمون بتفصيل، أحوال الهمزة المختلفة من تحقيق وتخفيف وبدل، وخصوصا الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني...، وغيرهم، ولكن كان لعلماء القراءات في ذلك النصيب الأوفر، وهو ما نجده في معظم مؤلفاتهم القيمة، فقد درسوا الخصوصيات النطقية لصوت الهمزة، ففصلوا القول في أحكام الهمز قصد اجتناب اللحن في قراءة القرآن الكريم، وكل هذا الاهتمام يرجع إلى سببين وهما:

1- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ص: 267-268.

2- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، ص:73.

3- نفسه، ص:75.

- صعوبة النطق بهذا الصوت لبعد مخرجه، فقد كان حمزة يقول: "إنما الهمز رياضة "[1]، ذلك أن القارئ لا يقدر على النطق به إلا برياضة شديدة.
- الاختلاف الحاصل في اختيارات القراء الأدائية لهذا الصوت حسب مذاهبهم. قال أبو عمرو الداني (ت: 444هـ) رحمة الله عليه في المنبهة:

وَالْهَمْزُ فِيهِ كُلْفَة وَتَعْبُ *** لِأَنَّهُ حَرْف شَدِيد صَعْبُ

يُخْرِجُهُ النَّاطِقُ بِاجْتِهَادِ *** مِنْ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ اعْتِمَادِ

إلى أن قال:

لِذَاكَ فِيهِ النَّقْلُ وَالتَّسْهِيلُ *** بِالْجَعْلِ بَيْنَ بَيْنَ وَالتَّبْدِيلُ[2].

و. الترقيق والتفخيم والتغليظ:

الترقيق لغة: من الرقة بمعنى النحافة، فهو نحول يدخل على جسم الحرف، فلا يملأ صداه الفم، [...]، وقد يطلق على الإمالة[3]. أما **التفخيم والتغليظ**: فهما بمعنى واحد، من الفخامة والعظمة والكبر، سمن يدخل على جسم الحرف، فيمتلئ الفم بصداه[4]، **والتغليظ** ضد الترقيق. وقد اصطلح علماء القراءات على استعمال التفخيم في الراء، والتغليظ في اللام. فهل الأصل في الراء التفخيم أو الترقيق، فلا تفخم إلا لسبب، ولا ترقق إلا لسبب آخر؟.

لقد اختلف علماء القراءات والتجويد في ترقيق الراء وتفخيمها، "فذهب الجمهور[...] إلى تفخيمها، واحتجوا لذلك بأن كل راء غير مكسورة، فتغليظها جائز، وليس كل راء فيها الترقيق، ألا ترى أنك لو قلت: (رغدا) و(رقود) ونحوه، بالترقيق، لغيرت لفظ الراء إلى نحو الإمالة؟ قال: وهذا مما لا يمال، ولا علة فيه توجب الإمالة."[5]، واحتج المخالفون على "أن أصل الراء التفخيم، لكونها متمكنة في ظهر اللسان، فقربت بذلك من الحنك الأعلى الذي به تتعلق حروف الإطباق، وتمكنت منزلتها، لما عرض لها من التكرار، حتى حكموا للفتحة فيها بأنها في تقدير فتحتين، كما حكموا للكسرة فيها بأنها في قوة كسرتين"[6]، وذهب فريق ثالث إلى أن الراء لَيْسَ لها "أَصْلٌ فِي التَّفْخِيمِ، وَلَا فِي التَّرْقِيقِ، وَإِنَّمَا يَعْرِضُ لَهَا ذَلِكَ بِحَسَبِ

---

[1]- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف- الرياض، ط1، 1405هـ/1985م، ص:108.

[2]- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين دراسة مقارنة، الدكتور عزيز أركيبي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م، ص:176.

[3]- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع، ص: 84.

[4]– نفسه، ص: 84.

[5]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 108/2.

[6]- نفسه، 108/2.

حَرَكَتِهَا، فَتُرَقَّقُ مَعَ الْكَسْرَةِ لِتُسْفِلَهَا، وَتُفَخَّمُ مَعَ الْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ لِتُصْعِدَهُمَا، فَإِذَا سَكَنَتْ جَرَتْ عَلَى حُكْمِ الْمُجَاوِرِ لَهَا، وَأَيْضًا، فَقَدْ وَجَدْنَاهَا تُرَقَّقُ مَفْتُوحَةً، وَمَضْمُومَةً إِذَا تَقَدَّمَهَا كَسْرَةٌ، أَوْ يَاءٌ سَاكِنَةٌ فَلَوْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا مُسْتَحِقَّةً لِلتَّفْخِيمِ، لَبَعُدَ أَنْ يَبْطُلَ مَا تَسْتَحِقُّهُ فِي نَفْسِهَا لِسَبَبٍ خَارِجٍ عَنْهَا، كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي حُرُوفِ الِاسْتِعْلَاءِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّكْرَارَ مُتَحَقِّقٌ فِي الرَّاءِ السَّاكِنَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ مُدْغَمَةً، أَوْ غَيْرَ مُدْغَمَةٍ. أَمَّا حُصُولُ التَّكْرَارِ فِي الرَّاءِ الْمُتَحَرِّكَةِ الْخَفِيفَةِ فَغَيْرُ بَيِّنٍ لَكِنَّ الَّذِي يَصِحُّ فِيهَا أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ وَيُتَصَوَّرُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَمِدَ النَّاطِقُ بِهَا عَلَى طَرَفِ اللِّسَانِ فَتُرَقَّقُ إِذْ ذَاكَ، أَوْ تُمَكِّنُهَا فِي ظَهْرِ اللِّسَانِ فَتُغَلَّظُ، وَلَايُمْكِنُ خِلَافُ هَذَا فَلَوْ نَطَقْتَ بِهَا مَفْتُوحَةً، أَوْ مَضْمُومَةً مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَرَدْتَ تَغْلِيظَهَا لَمْ يُمْكِنْ. نَحْوُ الْآخِرَةُ، وَيُسِرُّونَ فَإِذَا مَكَّنْتَهَا إِلَى ظَهْرِ اللِّسَانِ غُلِّظَتْ، وَلَمْ يَكُنْ تَرْقِيقُهَا، وَلَا يَقْوَى الْكَسْرُ عَلَى سَلْبِ التَّغْلِيظِ عَنْهَا إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ إِلَّا أَنَّ تَغْلِيظَهَا فِي حَالِ الْكَسْرِ قَبِيحٌ فِي الْمَنْطِقِ، لِذَلِكَ لَا يَسْتَعْمِلُهُ مُعْتَبَرٌ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا فِي أَلْفَاظِ الْعَوَامِّ وَالنَّبَطِ. وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعَرَبِ عَلَى تَمْكِينِهَا مِنَ الطَّرَفِ إِذَا انْكَسَرَتْ فَيَحْصُلُ التَّرْقِيقُ الْمُسْتَحْسَنُ فِيهَا إِذْ ذَاكَ، وَعَلَى تَمْكِينِهَا إِلَى ظَهْرِ اللِّسَانِ إِذَا انْفَتَحَتْ، أَوِ انْضَمَّتْ فَيَحْصُلُ لَهَا التَّغْلِيظُ الَّذِي يُنَاسِبُ الْفَتْحَةَ وَالضَّمَّةَ"[1]. هكذا يبين ابن الجزري رحمة الله عليه أحكام الراء في ترقيقها وتفخيمها، إذ يمكن النطق بها مرققة مع الكسرة، أو إذا كانت مفتوحة ومضمومة، وتقدمتها كسرة أو ياء ساكنة، وتنطق مفخمة مع الفتحة والضمة لتصعدها.

أما اللام، فإنها أيضا تنطق مغلظة ومرققة، فأما الترقيق، فهو الأصل لكثرته، كما ذهب إلى ذلك علماء التجويد والقراءات وعلماء اللغة والأصوات، قال الحافظ الداني رحمة الله عليه: "اعلموا أن اللام إذا أتت متحركة أو سكنت، وسواء وليها كسرةٌ أو حرف استعلاء، أو غير ذلك، فهي مرققةٌ في جميع القرآن. (...) وقد روى المصريون عن ورشٍ عن نافعٍ تغليظها إذا تحركت بالفتح أو سكنت لا غير نحو {الصلاة}، {فيصلب}، و {الطلاق}، و {معطلةٍ}، {ومن أظلم}، و {ظلموا}. وما أشبهه. والقراء بعد يرققونها من غير إفحاشٍ"[2]. لقد فصل أبو عمرو الداني في أحكام ترقيق اللام، فهي ترد مرققة في جميع القرآن الكريم سواء كانت متحركة أو ساكنة، وسواء وليها كسرة أو حرف من حروف الاستعلاء أو غير ذلك. وقد روي عن ورش عن نافع تفخيمها إذا كانت متحركة بالفتح أو سكنت، وعلماء القراءات بعد يرققون اللام في جميع القرآن الكريم. "فأما اللام من اسم الله عز وجل، فالجميع مجمعون على ترقيقها مع الكسرة من أجلها، عارضة كانت أو غير عارضة، نحو {بسم الله}، و {الحمد لله}، و{بآيات الله}، و{رسل الله}،

---

[1]-النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 2/108-109.

[2]-التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ط1، 1407هـ/1988م، ص:161-162.

و{أحدٌ الله}، و{بل الله}، و{قل اللهم}. وما أشبهه. فإن كان الحرف المفتوح أو المضموم قبلها لاماً لخص ترقيقها، فإن وليها فتحةٌ أو ضمةٌ، أجمعوا على تغليظها من أجلهما، نحو{قال الله}، و{ضرب الله}، و{من الله}، و{سبحانك اللهم}، و{رسلا لله} [...] وما أشبهه. وفخمت في نحو {أحل الله}، و{أجل الله}، و{من أضل الله}، و{فضل الله}، و{ذلكم فضل الله}، {ويضل الله}، {ويفعل الله ما يشاء} وما أشبهه"[1]. وهو لا يرى الإجماع على تغليظها إلا إذا وليها فتحة أو ضمة، مبينا ذلك من خلال نماذج من القرآن الكريم، وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ: "وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ هِلَالٍ كَالْأَذْفَوِيِّ لَا يُفَخِّمُهَا إِلَّا مَعَ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ. (وَاخْتَلَفُوا) فِي مَا إِذَا وَقَعَ بَعْدَ اللَّامِ أَلِفٌ مُمَالَةٌ نَحْوَ: صَلَّى، وَسَيَصْلَى، وَمُصَلًّى، وَيَصْلَاهَا. فَرَوَى بَعْضُهُمْ تَغْلِيظَهَا مِنْ أَجْلِ الْحَرْفِ قَبْلَهَا. وَرَوَى بَعْضُهُمْ تَرْقِيقَهَا مِنْ أَجْلِ الْإِمَالَةِ."[2]، ويذهب فريق إلى تفخيم هذا الحرف مع الصاد المهملة، واختلفوا فيما إذا وقع بعد اللام ألف ممالة نحو (صلى/مصلى/يصلاها...) إذ ذهب بعض إلى تغليظها من أجل الحرف قبلها، وذهب بعض آخر إلى ترقيقها من أجل الإمالة، وهو مذهب الإمام الداني رحمة الله عليه.

قال أبو عمرو الداني رحمة الله عليه: "والترقيق هو في الحرف دون الحركة، إذا كان صيغته. والإمالة في الحركة دون الحرف إذا كانت لعلةٍ أوجبتها، وهي تخفيفٌ كالإدغام سواء"[3]، فالترقيق يقع على الحرف دون الحركة، في حين أن الإمالة تقع في الحركة دون الحرف لعلة موجبة، وهي تخفيف كالإدغام سواء. وقد عبر قوم عن ترقيق الراء بالإمالة بين بين كالداني وبعض المغاربة، وعبر قوم بالترقيق عن الإمالة، وبالتفخيم عن الفتح، ومنه قول القاسم بن أحمد الشاطبي (ت: 590هـ):

وَقَدْ فَخَّمُوا التَّنْوِينَ وَقْفاً وَرَقَّقُوا *** وَتَفْخِيمُهُمْ فِي النَّصْبِ أَجْمَعُ أَشْمُلاَ[4].

ز. الوقف والابتداء

تعد معرفة الوقف والابتداء في القرآن الكريم بابا عظيم الفائدة، لمن أراد أن يفهم المعاني القرآنية، ويستنبط الأدلة الشرعية، إذ لا يمكن أن يتحقق له البيان إلا بمعرفة الفواصل، وقد نقل السيوطي (ت: 911هـ) عن ابن الأنباري (ت: 577هـ) أنه قال: "من تمام معرفة القرآن، معرفة الوقف

---

[1]- التحديد في الإتقان والتجويد، أبوعمرو الداني، ص:162-163.

[2]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 113/2.

[3]- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، ص:163.

[4]- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1412هـ/1992م، ص:156.

والابتداء"[1]، ولذلك دعا العلماء إلى تعلمه ومعرفته، ومن الآثار التي وردت في هذه القضية، ما ورد عن الشعبي، "وهو من أئمة التابعين علما وفقها ومقتدىً، أنه قال: إذا قرأت قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[2]، فلا تسكت حتى تقرأ قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3]"[4]، فالوقف والابتداء لهما علاقة وطيدة بالمعنى، بل لعل ذلك يعد مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ولذلك وضع علماء القراءات للوقف والابتداء أقساما وهي:

- **الوقف التام**: الذي يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده مما يتعلق به، لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6]، فالوقف بين الآيتين تميز بتمامه المطلق، ولذلك يُعمل الوقف بينهما، ويبتدأ بما بعده، لاستغناء ما بعده، عمّا قبله.
- **الوقف الحسن**: وهو ما يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[7]، فالمعنى تام، لكن الابتداء بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[8] لا يحسن، لكونه صفة لما قبله، ومن الإخلال بالمعنى، الفصل بين الصفة والموصوف.
- **الوقف القبيح**: وهو ما يقبح الوقف عليه، كالوقف على "بسم" من قوله تعالى: (بسم الله)، إذ من الاستحالة الفصل بين المضاف والمضاف إليه، فالقبيح لا يفهم منه المراد، ومن تعمده في شيء من القرآن الكريم، فقد كفر، إلا في حالة الاضطرار من أجل التنفس، ثم الرجوع إلى ما قبله من أجل الوصل بما بعده، لكي يتم الكلام، ويُفهَمُ منه المعنى.

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 190/1.
[2]- سورة الرحمن، الآية: 24.
[3]- سورة الرحمن، الآية: 25.
[4]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 225/1.
[5]- سورة البقرة، الآية:4.
[6]- سورة البقرة، الآية:5.
[7]- سورة الفاتحة، الآية:1
[8]- سورة الفاتحة، الآية: 1.

وأما حاجة الوقف إلى المعنى في النصوص البشرية، والنص القرآني خاصة، فهي ضرورة ملحة، لأن معرفة مقاطع الكلام، إنما تكون بعد معرفة المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾[2] على أن المعنى هو: "لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها"، "فقُدِّمَ جواب "لولا"، ويكون همُّه منتفيا، فعُلِمَ بذلك أن معرفة المعنى أصل في ذلك كبير"[3].

لا يخفى من خلال ما تقدَّم أهمية معرفة الوقف والابتداء في القرآن الكريم، لما لذلك من صلة وطيدة بعلم التفسير والبيان، واستنباط الأحكام الشرعية والعقدية، ولذلك أشار الأئمة – رحمة الله عليهم- إلى أنه "لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون المفعول، ولا على المبتدأ دون الخبر، ولا على نحو كان وأخواتها دون أسمائها، ولا على النعت دون المنعوت، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف، ولا على القسم دون جوابه، ولا على حرف دون ما دخل عليه"[4]، لأن مثل هذا الوقف يؤدي إلى فسادٍ في المعنى، وتنتج عنه آثار خطيرة بعيدة عن الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية.

ح. الفصل والوصل:

الفصل والوصل: أصلان كبيران في الوقف، ولهما علاقة وطيدة بالمعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[5]، فعلى تقدير الفصل، بالوقف على (إِلَّا اللَّهُ) يكون المعنى أن التأويل صفة من صفات الله تعالى، فهو المؤوّل، والعالم بما يؤوَّل. وعلى تقدير الوصل، فالراسخون يعلمون تأويله أيضا لرسوخهم في العلم، وهو رأي المتكلمين

---

[1]- سورة يوسف، الآية:24.

[2]- سورة يوسف، الآية: 24.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 200/1.

[4]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 230/1–231.

[5]- سورة آل عمران، الآية: 7.

الذين جعلوا التأويل للعلماء، ونتيجة قولهم، فتح باب الاجتهاد قصد الوصول إلى معرفة الحق، وموطن الخلاف بين الفريقين في الآية الكريمة، أن (الواو) في التعبير القرآني (إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) عند أصحاب الفصل للاستئناف، وعند أصحاب الوصل للعطف، وفي هذا السياق يقول ابن تيمية: (ت 728هـ) "وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع، فإن الله أخبر أنه لا يعلم تأويله إلا هو. والوقف هنا على ما دلَّ عليه أدلة كثيرة، وعليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمهور التابعين وجماهير الأمة"[1].

ومن مواطن الفصل والوصل أيضا في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[2]، كلام وارد على لسان امرأة العزيز، تشهد لسيدنا يوسف عليه السلام بالبراءة والنزاهة، وأنه على الحق، وهي على الباطل، ولما انتهى كلامها، أعقبه الله كلام سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[3]، للدلالة على التبين على البراءة وعلى الحق، وليعلم العزيز صدق سيدنا يوسف عليه السلام، أنه لم يخنه بالغيب، (أي: في غيابه)، وظاهر ما بين الآيتين من فصل، إذ كل آية مستقلة بمعناها، وبينهما تكامل في إنتاج الدلالة العامة: بيان الطرف الخائن، الذي هو على الباطل (امرأة العزيز) والطرف الأمين، الصادق، الذي هو على الحق (يوسف عليه السلام). وتظهر علاقة الفصل والوصل بالقراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[4]، فقد قرأ الجمهور بإثبات الواو قبل السين [وَسَارِعُوا] على العطف على ما قبله من قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5]، وهو عطف جملة على جملة، وكذلك هي في مصاحف أهل الكوفة وأهل البصرة بالواو.[6] وقرأ نافع وابن عامر(سارعوا) بغير واو [أي

[1]- الإكليل في المتشابه والتأويل، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، (د.ت)، ص: 12.

[2]- سورة يوسف، الآية: 51.

[3]- سورة يوسف، الآية: 52.

[4]- سورة آل عمران، الآية:133.

[5]- سورة آل عمران، الآية:132.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 309/1.

بحذف الواو التي تقدمت الآية الكريمة]، وذلك على الاستئناف والقطع، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام بحذف الواو[1]. فالقراءة بالعطف دالة على المسارعة إلى طاعة الله بالفعل، إذ لا تكفي الطاعة بالقول، بل علينا أن نسارع خشية فوات الوقت، أي: أن المعنى: بادروا وسابقوا، وإن كانت الآية الكريمة مقيدة بالعطف على الآية التي قبلها (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، ومادام أن الآية الكريمة تأمر بطاعة الله والرسول، لأن الأمر [سارعوا] وارد فيها على سبيل الوجوب والإلزام، فإن القراءة بحذف الواو أفادت أيضا معنى المسارعة والمسابقة إلى طاعة الله في قوله: (سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)، فالفصل لم يمنع من عدم التردد والتأجيل للتوبة، إذ الأمر جاء مباشرا وحاسما، ولم يترك للمؤمنين مجالا للتفكير قبل المسارعة إلى أسباب المغفرة التي تتمثل في الامتثال للأوامر، واجتناب النواهي. يرى أبو حيان الأندلسي (ت:745هـ) في تفسير هذه الآية أن "الْمُسَارَعَةُ: مُفَاعَلَةٌ. إِذِ النَّاسُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِيَصِلُ قَبْلَ غَيْرِهِ فَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُفَاعَلَةٌ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[2]"[3]. واستنادا إلى هذا القول، يظهر لي- والله أعلم- أن القراءة بالفصل تحفيز لهم، واستنفارهم للمسارعة إلى كل الخيرات الواردة في بداية السورة، خاصة مع آل عمران الذين يمثلون الصفوة الخالصة في الإيمان الصادق، ثم إن السورة الكريمة جمعت أصنافا من الطيبين: الصابرين، الصادقين، القانتين، المنفقين، المستغفرين بالأسحار... واتباع كل هؤلاء طريق إلى طاعة الله والرسول، فالملاحظ أن القراءتين متكاملتان في وجوب المسارعة إلى الامتثال للأوامر الإلهية قصد نيل الثواب ودخول الجنة.

لا يخفى إذن بعد هذا التفسير والبيان، ما للوصل والفصل من أهمية بالغة في بناء المعنى، ووضوح الدلالة، ولذلك قيل للفارسي (من أهل الفرس) لما سُئِل: "ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل[4]، فجعل البلاغة كلها متوقفة على معرفة الفصل من الوصل.

ط. الحذف والذكر:

ينطلق البحث في ظاهرة الحذف والذكر عند علماء العربية من قاعدة مهمة، تعرف بأصل الوضع، وهو وجود طرفين، هما المسند والمسند إليه، ودونهما يعد فضلة أو قيدا، ومن ثمة يمكن معرفة المحذوف من خلال تقديره في الكلام جريا على أصله في العربية، كما أن القيمة البلاغية للحذف لا

1- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 309/1.

2- سورة البقرة، الآية:148.

3- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 345/3.

4- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ)، تحقيق: موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2009م، 68/1.

تتمثل في الإيجاز فحسب، بل تحقق أسرارا بلاغية تستفاد من السياق وقرائن الأحوال، ومن ذلك قوله **تعالى:** ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1]، فقد قرأ الجمهور" بفتح القاف والضاد وبألف بعد الضاد، ولم يمله أحد، جعلوا الفعل لما يسمى فاعله، وهو الله -جل ذكره- وهو مضمر في الفعل (قضى) لتقدم ذكره في بداية الآية، فأخبر عن نفسه بتوفي الأنفس وبالإمساك والإرسال لها، والقضاء بالموت عليها إن شاء، فذلك أحسن في المجانسة والمطابقة، وهو الاختيار، ونصبوا الموت بوقوع الفعل عليه وهو القضاء"[2]، وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، جعلا فعلا لم يسم فاعله، ورفعا الموت لقيامه مقام الفاعل[3]، فالقراءة التي جاء فيها الفعل مبنيا للفاعل، إنما جاءت على الأصل من التصريح بالفاعل، للدلالة على أن الله تعالى هو الفاعل القادر على القضاء بين الناس بالموت والحياة. أما القراءة بالبناء للمفعول، فإنها خرجت عن الأصل لغرض بياني، وهو إفادة توقيع الفعل لعلم المستمع بالفاعل، وهو الله عز وجل، وللدلالة على جلاله وعظمة قدرته المتمثلة في جعل الإنسان بين الموت والحياة، فالإخبار بالفعل المبني للمفعول ها هنا، إنما جاء للدلالة على الجلال، إذ الموت من الأمور العظام التي لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وهو الله عز وجل الذي لا يشاركه أحد في أفعاله، ويتردد هذا البناء للمفعول في كثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن إنزال الكتاب، وقضاء الأمر، وأحداث البعث والقيامة... وكلها أحداث لها فاعل واحد يتفرد بإحداثها، وهو الله عز وجل. قال أبو حيان في تفسير هذه الآية الكريمة" بين الميت والنائم قدر مشترك، وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان"[4].

ي. التقديم والتأخير:

تعني ظاهرة التقديم والتأخير في علاقتها بالقراءات القرآنية أن تتقدم لفظة من الآية على أختها في قراءة، ثم تنعكس هذه الصورة في القراءة الأخرى، حيث يتقدم اللفظ المتأخر، و يتأخر المتقدم، لأسرار ولطائف بلاغية مرتبطة بالمعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ

1- سورة الزمر، الآية:39.

2- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب،700/2. (بتصرف)

3- نفسه، 700/2.

4- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 207/9.

مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[1]، فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه عند خروج نفسه: " وجاءت سكرة الحق بالموت"، وقرأ بها سعيد بن جبير وطلحة[2]، وهي من شواذ القراءات، فالاختلاف ها هنا حاصل بالتقديم والتأخير، أما من حيث المعنى، فإننا نجد في المعاجم اللغوية العربية أن الأصل اللغوي(حق)، يدور حول معان عدة، ومنها قول صاحب لسان العرب:" حَقَّ الأَمرُ يَحِقّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقوقاً: صَارَ حَقّاً وثَبت؛ قَالَ الأَزهري: مَعْنَاهُ وجَب يَجِب وجُوباً، وحَقَّ عَلَيْهِ القولُ وأَحْقَقْتُه أَنا. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾[3]؛ حق عليهم القول أَيْ ثَبَتَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُمُ الجنُّ وَالشَّيَاطِينُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[4]، حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَيْ: وَجَبَتْ وَثَبَتَتْ، وَكَذَلِكَ: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ؛ وحَقَّه يَحُقُّه حَقًّا وأَحَقَّه، كِلَاهُمَا: أَثْبَتَهُ وَصَارَ عنده حقّاً لا يشكُّ فِيهِ. وأَحقَّه: صَيَّرَهُ حَقًّا. وحقَّه وحَقَّقه: صدَّقه؛ وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: صدَّق قائلَه. وحقَّق الرجلُ إِذَا قَالَ هَذَا الشَّيْءُ هُوَ الحقُّ كَقَوْلِكَ صدَّق. وَيُقَالُ: أَحققْت الأَمر إِحْقَاقًا إِذَا أَحْكَمْتَهُ وصَحَّحته؛[...]، وحَقَّ الأَمرَ يحُقُّه حَقًّا وأَحقَّه: كَانَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ؛ تَقُولُ: حَقَقْت الأَمر وأَحْقَقْته إِذَا كُنْتَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ."[5]، فهذه المفردة القرآنية تتسع دلاليا لمعان كثيرة، إذ الحق هو الثبوت، والوجوب، والصدق، واليقين... وأن القرآن الكريم حق، وما جاء به حق، وقد ذكر الموت، فهو حق بالأدلة النقلية والعقلية، لأن الموت حقيقة واقعية في عالم الشهادة، وما يعيشه الإنسان بعد الموت من سعادة أو شقاء حقيقة في عالم الغيب، لأن كلام الله حق وصدق وعدل، بل إن الحق من أسماء الله الحسنى، وقيل من صفاته سبحانه وتعالى. ومن هنا فإن قراءة الجمهور، (سكرة الموت بالحق)، دالة على ما ينتظر الميت -بعد الموت- في الدار الآخرة من سعادة أو شقاء، ويعزز هذا المعنى قول أبي حيان في تفسير هذه الآية :" مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ عِنْدَ نِزَاعِهِ، وَالْبَاءُ فِي بِالْحَقِّ لِلتَّعْدِيَةِ، أَيْ

---

[1]- سورة ق، الآية:19.

[2]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، 283/2.

[3]- سورة القصص، الآية:63.

[4]- سورة الزمر، الآية:68.

[5]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 49/10.

جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ الْحَقَّ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أَنْطَقَ اللَّهُ بِهِ كُتُبَهُ وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، مِنْ سَعَادَةِ الْمَيِّتِ أَوْ شَقَاوَتِهِ، أَوْ لِلْحَالِ، أَيْ مُلْتَبَسِهِ بِالْحَقّ"[1]، إذ الموت حق، و يأتي بالحق اليقين الذي لا مجال للشك فيه، فينال الإنسان جزاءه حسب ما عمله من خير أو شر، فالآية إثبات ليوم البعث " بأبين دليل وأوضحه [...]، والتعبير بالماضي هنا، وفيما بعد لتحقق الوقوع، وسَكْرَةُ الْمَوْتِ شدته مستعارة من الحالة التي تعرض بين المرء وعقله بجامع أن كلا منهما يصيب العقل بما يصيب، وجوز أن يشبه الموت بالشراب على طريق الاستعارة المكنية، ويجعل إثبات السكرة له تخييلا، وليس بذاك، والباء إما للتعدية كما في قولك: (جاء الرسول بالخبر)، والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي نطقت به كتب الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، وقيل: حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته، وقيل: بالحق الذي ينبغي أن يكون من الموت والجزاء، فإن الإنسان خلق له، وإما للملابسة كما في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2]، أي: ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر، وقيل: بالحكمة والغاية الجميلة."[3]، وأما قراءة أبي بكر و سعيد بن جبير وطلحة وغيرهم، (سكرة الحق بالموت)، سكرة الله تعالى، لأن (الحق) من أسمائه عز وجل، وقيل من صفاته تعالى، فأضيفت السكرة إلى الحق للتهويل، لأن ما يأتي من العظيم عظيم، وقال الزمخشري بخصوص هذه القراءة:" سكرة الحق بالموت، على إضافة السكرة إلى الحق، والدلالة على أنها السكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له، وأنها حكمة، والباء للتعدية، لأنها سبب زهوق الروح لشدتها، أو لأنّ الموت يعقبها، فكأنها جاءت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل سكرة الحق سكرة الله، أضيفت إليه تفظيعا لشأنها وتهويلا."[4]، وقرأ ابن مسعود سكرات الموت جمعا، و ذلِكَ إشارة إلى الموت، استنادا إلى الحديث النبوي الشريف: "حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ

1- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 534/9.

2- سورة المؤمنون، الآية: 20.

3- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ، 13/331-332.

4- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407هـ، 386/4.

عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»[1]، ومن هنا نخلص إلى التكامل بين هذه القراءات القرآنية بشكل يحقق لنا الإشباع في المعنى، كما أن الأسلوب القرآني في كل قراءة، بلغ قمة الروعة والجمال في الإيجاز والاختصار والإعجاز.

لقد أفاض علماء القراءات في تقديم تفسيرات صوتية لمختلف الحالات التي تعرض للخصائص النطقية للحروف من تفخيم وترقيق وإدغام...، وفصلوا القول في ذلك بتتبع اختيارات القراء واختلافاتهم، فكان عملُهم تمهيدا للدراسات اللغوية الحديثة التي عالجت الظاهرة الصوتية من مختلف جوانبها. ولما كان القرآن الكريم أعظم كتاب منزل، يُتقرب به إلى الله تعالى، تكفل الله بحفظه، وقيض له من الحفظة والنقلة من قاموا بأدائه خير قيام، فنقلوا إلينا الأصول التي تقوم عليها القراءة الصحيحة كالإسكان والروم والإشمام والحذف والتتميم والاختلاس والإخفاء والتشديد والتثقيل والإرسال وياءات الإضافة وياءات الزوائد... وغير ذلك من المباحث الصوتية التي وضعت الأصول التي قامت عليها القراءات القرآنية، فأسهم علماء القراءات إلى جانب علماء اللغة المتقدمين في وضع اللبنة الأولى للدرس الصوتي العربي، إلا أن البحث الصوتي عند القراء كان متخصصا في المفردات القرآنية من حيث خصوصياتها الصوتية، فكان النص القرآني عندهم هو المنطلق في الدراسة الصوتية قصد التأصيل لقواعد التجويد التي تساعد على الأداء الصحيح لألفاظ القرآن الكريم، فكان لهم، بهذا العمل الجليل، فضل السبق في ظهور ما يسمى "بالصوتيات التقويمية"[2].

المطلب الثاني: القراءات القرآنية والأحرف السبعة

لقد أثار العلماء قضية علاقة القراءات القرآنية بالأحرف السبعة، فهل الأحرف السبعة هي القراءات السبعة المشهورة عند القراء، أم أن المسألة تتعلق بشيء آخر غير القراءات القرآنية؟. أو بتعبير مختصر، هل الحرف هو القراءة؟ يكفي أن نقف عند الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحرف، لنعقد موازنة ومقارنة بين المصطلحين، فقد ورد في المعاجم اللغوية أن "الحرف" يدل على معان عدة، منها: أن

1- حديث رواه البخاري (ت: 256هـ) في صحيحه، باب سكرات الموت، 107/8. رقم الحديث:6510.

2- تهتم الصوتيات التقويمية بطرق تقويم النطق وإصلاحه قصد تحسين النطق بالحروف، وتجويد قراءة القرآن الكريم، ثم توسع مجال اشتغالها لتقويم النطق وإصلاحه عند من يتعلم لغة غير لغته الأم. (تعليم اللغة لغير الناطقين بها)، ثم توسعت دائرة الأبحاث الصوتية عند علماء اللسانيات المحدثين، فظهرت الصوتيات العامة، الصوتيات المقارنة، الصوتيات العلاجية...

حرف الشيء: هو جانبه وشِقُّهُ، وحرف كل شيء ناحيته كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره[1]. وفي حديث موسى والخَضِر قال رسول الله ﷺ: "وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نقر في البحر، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر"[2]، فحرف السفينة كما ورد في الحديث الشريف: جانبها وشقها، فيكون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[3]، أن كل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفا، كقولنا: يقرأ هذا في حرف ابن مسعود أي: في قراءة ابن مسعود، وقوله: "على سبعة أحرف"، يعني سبع لغات من لغات العرب، هكذا قال الأزهري رحمة الله عليه (ت: 370هـ): "وهذه الأحرف السبعة التي معناها اللغات غير خارجة من الذي كُتِب في مصاحف المسلمين التي اجتمع عليها السلف والخلف المتبعون، فمن قرأ بحرف لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان أو تقديم مؤخر، أو تأخير مقدم، وقد قرأ به إمام من أئمة القراء المشتهرين في الأمصار، فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ومن قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف، وخالف بذلك جمهور القرأة المعروفين، فهو غير مصيب، وهذا مذهب أهل العلم الذين هم القدوة، ومذهب الراسخين في علم القرآن حديثا وقديما"[4]، لكن الذي يظهر لنا أن العرب كانت تتكلم عدة لغات أكثر من سبعة، وربما يكون المشهور عندهم سبع لغات نزل بها القرآن الكريم، وقد خاض العلماء في هذه المسألة، فذهب أغلبهم إلى أن ما صح في الرواية عن الأئمة المشهورين، إنما هو جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وقد تعددت الآثار حول نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، بتعدد الوقائع التي تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا يجهلون جواز قراءة القرآن الكريم بأكثر من وجه، فلما عرضوا الأمر على النبي ﷺ، علموا ما كانوا يجهلون. فقَدْ نَصَّ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]، فهو حديث متواتر، تبوأ مكانة مهمة بين صفوف الأحاديث الداعية إلى البحث والدرس للكشف عن المعنى، وباعتباره أساسا من أسس التقعيد اللغوي، لاشتماله على جوانب لغوية متعددة، منها اللهجات والقراءات...، ولذلك تعددت الدراسات والبحوث- في القديم والحديث- حول هذا الحديث النبوي الشريف لتفسيره وتحديد المراد منه، فقد

---

[1]- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ/2001م، مادة (حرف)، 11/5.

[2]- حديث رواه مسلم في صحيحه، 1850/4، رقم الحديث: 2380.

[3]- حديث رواه مسلم في صحيحه، 560/1، رقم الحديث: 818.

[4]- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، 11/5.

[5]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 21/1.

رواه صحابة كُثر، منهم عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم[1]، وفي متنه اختلاف، بالزيادة والنقصان، لتعدد رواياته، ففي بعضها ورد اسم، "ميكائيل"، وفي بعضها اسم "جبريل"، وفي بعضها ذُكرت الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يسأل الله التخفيف، وبعض الروايات، ذَكرت الشيخ الكبير، والعجوز، والغلام، ومن لم يقرأ كتابا قط، باعتبارهم من يشق عليهم التكليف بقراءة القرآن الكريم على حرف واحد، وخلا بعض الروايات عن ذكر هذه الأسماء، إلا أن المفردات الثلاث،" على سبعة أحرف"، وردت في جميع روايات الحديث.

لقد اختلف العلماء حول مدلول "سبعة أحرف" الوارد في الحديث النبوي الشريف، حتى بلغت أقوالهم حد التضارب، فذهبوا مذاهب شتى، إذ منهم من ذهب إلى كون العدد، "سبعة"، غير مقصود، وإنما المراد منه التوسعة والتيسير على الأمة الإسلامية. قال ابن حجر: "وَقِيلَ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالسَّبْعَةِ حَقِيقَةُ الْعَدَدِ بَلِ الْمُرَادُ التَّسْهِيلُ وَالتَّيْسِيرُ وَلَفْظُ السَّبْعَةِ يُطْلَقُ عَلَى إِرَادَةِ الْكَثْرَةِ فِي الْآحَادِ كَمَا يُطلق السّبْعين فِي الْعَشَرَاتِ وَالسَّبْعُمِائَةُ فِي الْمِئِينَ وَلَا يُرَادُ الْعَدَدُ الْمُعَيَّنُ وَإِلَى هَذَا جَنَحَ عِيَاضٌ وَمَنْ تبعه."[2]، والحجة عندهم، أن هذا العدد يطلق في أساليب العرب، ويراد منه الكثرة، لا من باب حصر العدد، ومن هذا المعنى في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾﴾[3]، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، وإن فيه معنى الشرط، [...]، والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير [...] والذي يُفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار"[4]، فالخطاب موجه إلى الرسول محمد ﷺ، ولم يُفهم من هذا الخطاب حصر العدد، ولم يُفهم من ذلك، أنه عليه السلام، إن زاد عن السبعين، غفر للمنافقين، ولكن المعنى المقصود، هو أنه ﷺ، ولو استكثر لهم من الدعاء والاستغفار، لم يغفر الله لهم. وفي الحديث الشريف، "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ جَمِيعًا، عَنْ حَمَّادٍ - قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنِ

---

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 21/1.

[2]- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط: 1379هـ، 23/9.

[3]- سورة التوبة، الآية:81.

[4]- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 295/2.

الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»"[1]. فقد رأى شراح هذا الحديث، أن العدد مئة يدل على كثرة الاستغفار، وليس معناه، أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد في استغفاره على مائة مرة، حين يحدث له شيء من الكتمة والغم، فهو يستغفر خوفا من التقصير، فكانت الحكمة من هذا الحديث النبوي الشريف، أن يُكثر الناس من دعاء الاستغفار خوفا من التقصير في أعمال الخير والبر، ولأن الاستغفار كالشفاعة لهم، ومن ثمة احتل الاستغفار حيزا مهما في التشريع الإسلامي.

يرى هذا الفريق من العلماء، أن المراد من "سبعة أحرف" التوسعة والتيسير على الأمة الإسلامية، لكن هذه العبارة في بعض الروايات،" فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف" تثبت أن رأي هؤلاء العلماء – في نظري- مرجوح، لأن العبارة تفيد أن للرخصة حدا تنتهي إليه، وهو السبعة، سواء أدركنا حقيقة المعدود على وجه اليقين، أو لم ندركها. وأما الفريق الثاني، فهو يرى أن دلالة العدد، "سبعة"، مقصودة في الحديث النبوي، فذهب كل واحد منهم مذهبا مغايرا للآخر حسب تأويله للحديث النبوي الشريف. قال ابن قتيبة (ت: 276ه): "وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة.

وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال.

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل"[2]. وهي أقوال فيها بلبلة وفوضى، يمكن معارضتها بأدلة وحجج، ومنها:

- **الحجة الأولى:** أن الاختلاف الذي وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، لم يكن اختلافا حول ما ذُكر من أقوال، وإنما كان حول القراءة، لتبيان أوجه القراءة الصحيحة. قال ابن الجزري: " وهَذِهِ الْأَقْوَالُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا وَتَرَافَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ عُمَرَ وَهِشَامٍ وَأُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمْ، لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي تَفْسِيرِهِ وَلَا أَحْكَامِهِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ"[3]، إذ لم يكن الاختلاف في تفسير القرآن الكريم، ولا في أحكامه، وإنما وقع الاختلاف في قراءة حروفه. فقد وقع الاختلاف بين عمر بن الخطاب وهشام بن

[1]- حديث رواه مسلم في صحيحه، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، 2075/4، رقم الحديث: 2702.

[2]- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276 ه)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1435ه/2014م، ص:29.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 25/1.

حكيم رضي الله عنهما في قراءة "الفرقان"، لذلك قرر عمر رضي الله عنه أن يرفع الأمر إلى النبي ﷺ، تقول الرواية: "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- يَقُولُ: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ فَقَرَأَ. قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ. فَقَرَأْتُ. فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ."[1]، وغيرها من الحوادث التي جرت بين الصحابة في قراءة القرآن الكريم.

- **الحجة الثانية:** أن القبائل العربية التي عاصرت نزول القرآن الكريم كثيرة، وتجاوزت السبع، وقد ذكر السيوطي رحمة الله عليه في كتابه:" الإتقان في علوم القرآن" القبائل العربية، وأحصى لأكثرها أمثلة من القرآن الكريم، وردت بلهجتها، ومنها: قُرَيْشٍ وَهُذَيْلٍ وَكِنَانَةَ وَخَثْعَمَ وَالْخَزْرَجِ وَأَشْعَرَ وَنُمَيْرٍ وَقَيْسٍ وعيلان وجرهم واليمن، [....][2]، ما يدل أن اللهجات العربية، لم تكن يومئذ سبعا، وإنما أكثر، لكن هذا لا يمنع من أن تكون "الأحرف السبعة" الواردة في الحديث النبوي الشريف دالة على اللغات المشهورة والأكثر فصاحة عند العرب، توسيعا عليهم في القراءة، وهذه اللغات السبع متفرقة في القرآن الكريم، فيقرأ كل قوم بلغته، وما جرت عليه العادة من إدغام وإظهار وإمالة وتفخيم وإشمام وإتمام وهمز وتليين وغير ذلك من وجوه اللغات التي كانت سائدة عند العرب، فقد ذهب "ابن قتيبة " في تأويل هذا الحديث إلى أن القرآن الكريم أُنزل: "على سبعة أوجه من اللغات متفرّقة في القرآن، يدلّك على ذلك قول رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: «فاقرؤوا كيف شئتم»"[3]، أي يقرأ كل واحد، كما علم، وبلغته الأصلية، وما جرت عليه العادة من قواعد القراءة في لغة قومه، وقد يتوجه المعنى في الحديث إلى وجهين: "أحدهما: أن يكون أراد سبعة أوجه من اللغات بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ

[1]- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، أحمد بن محمد القسطلاني (ت: 923هـ)، مصر، ط7، 1323هـ،236/4. رقم الحديث:2419.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 106/2-124.

[3]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص:30.

إِطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنَ اَصَابَتْهُ فِتْنَةُ إِنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ أَلدُّنْيا وَالَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ أَلْخُسْرَانُ أَلْمُبِينُ ﴿١١﴾[1]، أي: ومن الناس من يعبد الله على النعمة تصيبه، والخير يناله من تثمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السؤال، ويطمئن إلى ذلك ما دامت له هذه الأمور واستقامت، فإن تغيرت حاله، وامتحنه الله بالشدة في عيشه، والضر في بدنه ترك عبادة ربه، وكفر به، فهذا عَبَد الله على وجه واحد، وذلك معنى الحرف. والوجه الثاني: أن يكون النبي ﷺ سمى القراءات أحرفًا على طريق السعة، كنحو ما جرت عليه عادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وما جاوره، وتعلق به ضربًا من التعلق وتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فسمى النبي ﷺ القراءة حرفًا"[2]، فهذا الوجه يقودنا حتما إلى أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية التي تنحصر في سبعة أوجه لفظية، منها ما قد يرجع إلى لهجات العرب، ومنها ما لا دخل للهجات فيه.

- **الحجة الثالثة:** أن الاختلاف الذي وقع بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما، لم يكن اختلافا على مستوى اللهجة، فهما قرشيان، ولهجتهما واحدة، إنما وقع الاختلاف بينهما في وجه القراءة، ويزيد الزركشي الأمر وضوحا عن ابن عبد البر، فيقول: "قَدْ أَنْكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ سَبْعَ لُغَاتٍ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَمْ يُنْكِرِ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ لُغَتِهِ الَّتِي طُبِعَ عَلَيْهَا، وَأَيْضًا فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ كِلَاهُمَا قُرَشِيٌّ وَقَدِ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمَا وَمُحَالٌ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ عُمَرُ لُغَتَهُ."[3]، فالأحرف السبعة إذن، هي أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية، وهي منصوصة منزلة، وكلها كلام الله عز وجل، يجوز أن نقرأ بها، "لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرؤوا بلغاتهم، وجروا على عاداتهم، وخلّوا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم، فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل"[4]، ولأن القراءة بلغاتهم موافقة لعادتهم وطبائعهم، وذلك من أجل التيسير والتسهيل عليهم.
- **الحجة الرابعة:** الاختلاف بين العلماء في إحصاء القبائل العربية السبع التي لها وزنها في مجال الفصاحة والبلاغة، قال ابن الجزري:" اخْتَلَفُوا فِي تَعْيِينِهَا (القبائل العربية) فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ:

---

[1]- سورة الحج، الآية:11.

[2]- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ/2003م، 10/229-230.

[3]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 1/219.

[4]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص:34.

قُرَيْشٌ، وَهُذَيْلٌ، وَثَقِيفٌ، وَهَوَازِنُ، وَكِنَانَةُ، وَتَمِيمٌ، وَالْيَمَنُ. وَقَالَ غَيْرُهُ خَمْسُ لُغَاتٍ فِي أَكْنَافِ هَوَازِنَ: سَعْدٌ، وَثَقِيفٌ، وَكِنَانَةُ، وَهُذَيْلٌ، وَقُرَيْشٌ، وَلُغَتَانِ عَلَى جَمِيعِ أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيُّ: يَعْنِي عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ أَيْ أَنَّهَا مُتَفَرِّقَةٌ فِي الْقُرْآنِ، فَبَعْضُهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هُذَيْلٍ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ هَوَازِنَ، وَبَعْضُهُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ."[1]، فهناك من يرى قبائل معينة لمجاورتها قريشا، وهناك من يرى قبائل أخرى لبعدها عن مواطن التحضر، فشرع كل واحد منهم يختار القبائل العربية الأكثر شيوعا من وجهة نظره.

وفي تقديرنا، فإن النفس لا تطمئن إلا بالرأي الذي جعل "الأحرف السبعة"، ترجع إلى وجوه الخلاف في القـراءات القرآنية، وقد حددهـا فريق من العلماء ومنهم: ابن قتيبة (ت: 276هـ)، والقرطبي (ت: 671هـ)، والزركشي (ت: 794هـ)، وابن الجزري (ت: 833هـ)... وغيرهم، في سبعة أوجه، قال ابن قتيبة: "وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه: أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها [...] نحو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ يُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورُ ﴿١٧﴾﴾[2]، وهل يجازي إلا الكفورُ. [...]. والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب [...] نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾[3]، وبعد أَمَةٍ. والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها [...] نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[4]، وفُرِّغَ. والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، (...) نحو قوله تعالى: ﴿إن كانت إلا زقيةً﴾ و﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٨﴾﴾[5]. والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 24/1.

[2] - سورة سبأ، الآية: 17.

[3] - سورة يوسف، الآية: 45.

[4] - سورة سبأ، الآية: 23.

[5]- سورة يس، الآية:28.

ومعناها، نحو قوله تعالى: (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ)، في موضع ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾[1]. والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[2]، وفي موضع آخر: (وجاءت سكرة الحق بالموت). والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾[3]، وفي موضع آخر: (وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِم) [...]"[4]، فكانت كل هذه الوجوه كلام الله تعالى الذي نزل به جبريل على رسوله محمد ﷺ، وهي من اختلاف التعابير تيسيرا على الأمة الإسلامية في قراءة القرآن الكريم، وليست من اختلاف التضاد بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾[5]، وفي هذا الشأن يقر ابن قتيبة أن "الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير واختلاف تضاد، فاختلاف التضاد لا يجوز، ولست وَاجِدَه بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ."[6]، فالاختلاف في القراءات القرآنية اختلاف تغاير، وليس اختلاف تضاد، وذلك من أجل التيسير والتسهيل، ورفع المشقة، وهو مقصد من مقاصد تعدد القراءات القرآنية.

يتضح مما سبق أن القراءات القرآنية من القرآن المنزل، وأن لها علاقة وطيدة بالأحرف السبعة، وتظهر هذه العلاقة في الآثار المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم "أقرأني "جبريل" عليه السلام على حرف واحد فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[7]. ومن ثمة، فإن القراءات التي نقرؤها في القرآن الكريم، إنما هي بعض من هذه الأحرف السبعة التي أنزل عليها، لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة الإسلامية تيسيرا على العباد في القراءة، ولم يثبت عن الصحابة، أنهم سألوا النبي ﷺ عن المراد بالأحرف السبعة، لأن ذلك كان معلوما عندهم، فلم يحتاجوا إلى بيانه، فالقرآن والأحرف والقراءات من الوحي المنزل على رسولنا محمد ﷺ. وفي هذا الجمع، حكم وأسرار ومقاصد كثيرة.

1- سورة الواقعة، الآية:31.

2- سورة ق، الآية: 19.

3- سورة يس، الآية: 35.

4- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص: 31-32.

5- سورة النساء، الآية:81.

6- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص: 33.

7- حديث رواه البخاري في صحيحه،6/ 184، رقم الحديث: 4991. ورواه مسلم في صحيحه،1/ 561، رقم الحديث: 272.

المطلب الثالث: مقاصد تعدد القراءات القرآنية

1. المقاصد العامة:

إن الوقوف عند مقاصد القراءات القرآنية وفوائدها أمر اجتهادي، يتحقق للباحث من خلال استنباط الأسرار والحكم العظيمة التي يشتمل عليها تعدد القراءات القرآنية، وقد خصص العلماء الذين صنفوا في علم القراءات أبوابا مستقلة لتبيان بعض هذه الأسرار والحكم، فهذا الإمام مكي بن أبي طالب (ت: 437 هـ) ذكر بابا في كتابه: "الإبانة عن معاني القراءات"، سماه: "فائدة تعدد القراءات"، أشار فيه إلى المقاصد من تعدد القراءات القرآنية التي تتمثل في التيسير والتسهيل، ليقرأ كل قوم على ما جرت عادتهم عليه، قال: "يسّر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة، ليقرأ كل قوم على لغتهم، على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم؛ فقوم جرت عادتهم بالهمز، وقوم بالتخفيف، وقوم بالفتح، وقوم بالإمالة..."[1]، فيكون بذلك المقصد الأسمى من القراءة على أكثر من حرف، هو رفع الحرج وإرادة التهوين والتخفيف على الأمة الإسلامية. ومن المقاصد العامة في تعدد القراءات القرآنية:

- التيسير على الأمة الإسلامية بسهولة حفظ القرآن الكريم ونقله، لأن حفظ كلمة ذات أوجه أسهل من حفظ جمل كثيرة، وأقرب إلى الفهم، لاسيما فيما كان خطه واحدا.
- اتصال سند القراءات القرآنية دليل على اتصال الأمة الإسلامية بالسند الإلهي، ودليل على صدق النبي ﷺ؛ إذ القرآن الكريم لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض ولا تخالف، مع كثرة الاختلاف والتنوع، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر إعجازه اللغوي والدلالي، وآية بالغة على صدق الرسالة المحمدية.
- في تعدد القراءات القرآنية تعظيم لأجر الأمة الإسلامية في حفظ القرآن الكريم والعناية بجمعه ونقله بأمانة إلى غيرهم؛ وبذل الجهد في قراءته وتتبع معاني المفردات القرآنية، قصد استنباط الحكم والأحكام الشرعية، وذلك كله من أجل العلم والعمل قصد الانتفاع، فكان الأجر بمقدار العلم والعمل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا

[1]- الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب، ص: 80 –81.

وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾[1]؛ أي: "أجاب الله دعاءهم بقوله: إني لا أُبطل عمل من عمل خيراً ذكراً كان العامل أو أُنثى قال الحسن: مازالوا يقولون ربنا، ربنا، حتى استجاب لهم {بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ} أي الذكر من الأنثى، والأنثى من الذكر، فإذا كنتم مشتركين في الأصل، فكذلك أنتم مشتركون في الأجر"[2].

- إظهار كمال إعجاز القرآن الكريم بغاية الإيجاز؛ وقد أشار إلى هذه المسألة ابن الجزري رحمه الله في معرض حديثه عن فوائد اختلاف القراءات القرآنية، قائلا: "وَمِنْهَا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ نِهَايَةِ الْبَلَاغَةِ، وَكَمَالِ الْإِعْجَازِ وَغَايَةِ الِاخْتِصَارِ، وَجمَالِ الْإِيجَازِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ، إِذْ كَانَ تَنَوُّعُ اللَّفْظِ بِكَلِمَةٍ تَقُومُ مَقَامَ آيَاتٍ، وَلَوْ جُعِلَتْ دَلَالَةُ كُلِّ لَفْظٍ آيَةً عَلَى حِدَتِهَا لَمْ يَخف مَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِن التَّطْوِيلِ"[3]، ما يبين أن القراءات القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، لما تحققه من نهاية البلاغة، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز.
- جمالية تلقي القرآن الكريم وقراءاته؛ وتتمثل هذه الجمالية في الإقبال على قراءة القرآن الكريم، وإتقان تجويده، ودراسة أساليبه للكشف عن المعاني الخفية، ولذلك ضبط العلماء كل ما يتعلق بكيفية أداء ألفاظه قصد التمكن من النطق الصحيح، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا ولا تفخيما ولا ترقيقا...، كما ضبطوا مقادير المد، وتفاوت الإمالة، وميزوا بين الحروف بالصفات،... وغير ذلك مما أشرنا إليه من الأصول التي تقوم عليها القراءات القرآنية.
- حفظ القرآن الكريم من كل تحريف أو تزوير، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[4]، فالله تعالى نزل القرآن الكريم هداية ورحمة للناس عامة، وحفظه من التزوير والتحريف في مطلق الزمان والمكان، مما جعله كتابا صالحا لأحوال الناس على الدوام والاستمرار، كما أن إتقان النطق بحروفه ورواياته، يعد سببا لحفظ القرآن الكريم.

2. **المقاصد الخاصة:**

يمكن أن نصنف المقاصد الخاصة للقراءات القرآنية إلى أقسام، وهي:

[1]- سورة آل عمران، الآية: 195.

[2]- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417هـ/1997م، 231/1.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 52/1.

[4]- سورة الحجر، الآية: 9.

أ. المقاصد اللغوية:

وتتمثل في كون المفردات القرآنية، تمتاز بخصوبة دلالية واسعة، فنجد أنها تحمل في ذاتها أسرارا ولطائف لغوية عجيبة؛ ومن ذلك أن اللفظ قد يتأرجح بين الحقيقة والمجاز، ولذلك شرع العلماء يميزون في النص القرآني بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية للمفردات القرآنية حسب سياق ورودها في الآيات القرآنية من أجل الوصول إلى المعنى في القرآن الكريم، إذ يمكن لهذا المعنى أن يتأرجح بين الحقيقة والمجاز حسب اختلاف القراءات القرآنية؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[1]، فقد قرأ الجمهور: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "أعْصِرُ عِنَبًا" وهي من شواذ القراءات القرآنية. قال ابن جني (ت: 392 هـ) في توجيه هذه القراءة: "هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} ؛ وذلك أن المعصور حينئذ هو العنب، فسماه خمرًا لما يصير إليه"[2]، ويظهر من هذا الكلام أن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه دالة على المعنى نفسه عند قراءة الجمهور؛ ففي قراءة الجمهور يمكن أن نقدر حذف المضاف، فنقول : "أعصر عنب خمر"، وقد يمكن أن يكون الخمر هو العنب حقيقة في لغة من لغات العرب ، قال الزمخشري: "وقيل: الخمر – بلغة عمان – اسم للعنب"[3]، وعلى هذا الأساس، يكون هذا الأسلوب القرآني في قراءة ابن مسعود جاريا على الحقيقة، وفي قراءة الجمهور جاريا على المجاز المرسل الذي علاقته اعتبار ما سيكون عليه حال الشيء، والقرينة لفظية "أعصر"، والخمر لا يعصر، وإنما المعصور العنب. وهنا تظهر لنا الفائدة اللغوية التي تتمثل في توسيع المعجم اللغوي العربي وإغنائه، وفي الوقت نفسه توسيع للدلالة القرآنية.

وقد تكون القراءة حجة لغوية لقول بعض أهل العربية؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[4]، موطن الشاهد (تَسَّآءَلُونَ) فقد قرأ الجمهور بتشديد السين، حيث تم إدغام الثانية في السين، لتقاربهما في سمة الهمس. وقرأ

[1]- سورة يوسف، الآية: 36.

[2] - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، 343/1 – 344.

[3]- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 468/2.

[4]- سورة النساء، الآية: 1.

عاصم وحمزة والكسائي وخلف: "تساءلون" بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين، لاجتماع صوتين متماثلين؛ والسين قريبة منهما، فصار المجموع ثلاثة أمثال، ولو تم الإدغام لصار اللفظ تاء وسينين، فتحتم الحذف من أجل الخفة على اللسان. والتساؤل هنا هو أن يسأل بعضهم بعضا، من باب المفاعلة، والمفاعلة هنا بمعنى "فعل" إذا تعدد فاعله، وأصله على القراءة "تتساءلون" فحذفت إحداهما تجنبا للثقل على اللسان.

ومن المقاصد اللغوية أيضا اتجاه القاعدة النحوية تحو المرونة والاتساع، ولذلك أجاز بعض النحاة المتأخرين العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض، استنادا إلى قراءة حمزة بجر[الأرحامِ] على أن المفردة جاءت على معنى: (تساءلون به وبالأرحام)، وقد شن بعض النحويين ثورة عنيفة ضد هذه القراءة بدعوى أن الظاهر لا يعطف على المضمر المجرور، إلا بإظهار الخافض، قال أبو العباس المبرد (ت: 285ه): "فمخطئ في قول البصريين، لأنهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض، ومن أجازه من غيرهم فعلى قُبح، كالضرورة. والقرآن إنما يحمل على أشرف المذاهب. وقرأ حمزة: {الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ}، وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر"[1]، أي: إن هذا مما لا يجوز عند بعض النحاة إلا للضرورة الشعرية، كقول الشاعر: [من بحر البسيط]

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا *** فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ[2].

لكن قراءة حمزة صحيحة، لأنها وردت بالتواتر عن النبي محمد ﷺ، لذلك فهي سنة متبعة، وقد قرأ بها جماعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس وغيرهما، فلم يكن سبيل إلى ردها، قال ابن جني (ت: 392ه) في توجيه هذه القراءة: "ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها، وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس: إنني لم أحمل " الأرحام" على العطف على المجرور المضمر، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت: "وبالأرحامِ"، ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها "[3]، وهذا تخريج صحيح، لذلك لا سبيل إلى رد قراءة حمزة، ووصفها بالضعف أو القبح أو اللحن، وقد قرئ أيضا بالنصب [والأرحامَ] عطفا على ما قبلها؛ أي اتقوا الله تعالى، والأرحامَ صِلوها، ولا تقطعوها، فإن قطْعها

[1]- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: 285ه)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1434ه/2013م، باب في التشبيه، ص:531.

[2]- البيت الشعري من بحر البسيط، ولم أهتد لقائله. ينظر الكامل في اللغة والأدب، باب في التشبيه، ص:531.

[3]-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط4، 1434ه/2013م، 293/1.

مما يجب أن يُتقى، وغير ذلك من الأسرار والفوائد اللغوية التي يمكن أن نستنتجها من تعدد القراءات القرآنية وتنوعها.

ب. المقاصد الأصولية:

من تجليات المقاصد الأصولية الجمع بين حكمين شرعيين؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذيٗ فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ فِے اِ۬لْمَحِيضِۖ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّيٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اُ۬للَّهُۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ اُ۬لْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٠﴾﴾[1]؛ موطن الشاهد (يَطْهُرْنَ) فقد قرأ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَأَبُو بَكْرٍ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْهَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهِمَا[2]. فالقراءة بالتخفيف تفيد أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطْهُرَ بانقطاع حيضها، وأما القراءة بالتشديد، فإنها تفيد الاغتسال، إذ المعنى "يتطهرن، أي يغتسلن بالماء، بعد انقطاع الدم، وقرئت حتى "يطّهّرن"، [...] وكلاهما يطهرن ويطّهّرن، وقرئ بهما جيدان. ويقال: طهَرت وطهُرت جميعا، وطهُرت أكثر[3]. إلا أن القراءة بالتخفيف تفيد أن الحائض لا يقربها الزوج إلا إذا شفيت من الحيض، ودخلت في وقت الطهر، ويكون طهرها بانقطاع حيضها. أما القراءة بالتشديد، فإن أصل الفعل هو (يَتَطَهَّرْنَ)، فأدغمت التاء في الطاء من أجل الخفة على اللسان، لتقاربهما في المخرج الصوتي (أسناني، لثوي)، ولتقاربهما في الشدة والهمس، إلا أن حرف التاء مرقق، وحرف الطاء مفخم، وتفيد هذه القراءة حكما شرعيا، وهو اغتسال المرأة بالماء بعد انقطاع الحيض، ولذلك ينبغي الجمع بين هذين الحكمين الشرعيين، إذ الفائدة الأصولية هنا، تتجلى في إعمال الدليلين معا أولى من إهمال أحدهما، والأصل في الدلائل، كما تقرر عند علماء الأصول، الإعمال دون الإهمال.

ومن المقاصد الأصولية أيضا ما يكون لأجل حكمين شرعيين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْۥٓ إِلَى اَ۬لصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْۥٓ إِلَى اَ۬لْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْۥٓ إِلَى اَ۬لْكَعْبَيْنِۖ﴾[4]، موطن الشاهد في هذه الآية: "وَأَرْجُلَكُمْ" "قرأه نافع وابن عامر والكسائي وحفص

[1]- سورة البقرة، الآية:220.

[2]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 227/2.

[3]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط1، 1427هـ/ 2006م، 191/1.

[4]- سورة المائدة، الآية:7.

بالنصب، وقرأه الباقون بالخفض"[1]، فقد أسهم الاختلاف بين القراءتين في بيان حكمين شرعيين، فأما الأول: "العطف على الوجوه والأيدي، وكان ذلك أولى [...]، لما ثبت من السنة والإجماع على غسل الأرجل"[2]، والمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير، وَقَد فهم جمهور الصحابة هذا التقديم والتأخير في الآية، استنادا إلى ما "رَوَى عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَرَأَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ- رَحِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا- عَلَيَّ (وَأَرْجُلِكُمْ) فَسَمِعَ عَلِيٌّ ذَلِكَ بوَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ: (وَأَرْجُلَكُمْ) هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ مِنَ الْكَلَامِ."[3]، فأفادت القراءة بالنصب حكما شرعيا، وهو غسل الأرجل في الوضوء، وأما الثاني: "العطف على الرؤوس، [...] والأكثر في كلام العرب أن يحمل العطف على الأقرب"[4]، فأفادت قراءة الخفض حكما شرعيا آخر، وهو المسح، إن كان الرِّجلان مستورين بالخفين، تنبيها على عدم الإسراف في الماء. ويمكن أن يحمل المعنى على وجه من وجوه العربية، إذ "صار المسح يستعمل في الغسل، وكذلك مسح الأرجل مستعمل في الغسل نفسه"[5]، وروي عن أبي زيد "أن العرب تسمي الغسل الخفيف مسحا، ويقولون: تَمَسَّحْتُ للصلاة بمعنى: غسلت أعضائي"[6]، ولذلك اختلف الفقهاء في حكم الأرجل بين الغسل والمسح، وعلى أي حال، فإن القراءة بالنصب تفيد الغسل، وبه نطقت السنة النبوية الشريفة، لأنها "بيان مجمل كتاب الله تعالى، وبيان المجمل في الواجب واجب"[7]، والقراءة بالخفض تفيد المسح للابس الخف، والغسل لغيره. قال ابن الجزري رحمة الله عليه: "فَإِنَّ الْخَفْضَ يَقْتَضِي فَرْضَ الْمَسْحِ وَالنَّصْبَ يَقْتَضِي فَرْضَ الْغَسْلِ فَبَيَّنَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، فَجَعَلَ الْمَسْحَ لِلَابِسِ الْخُفِّ وَالْغَسْلَ لِغَيْرِهِ"[8]، فجمعت الآية القرآنية بين هذين الحكمين الشرعيين، لمقصد بيان ما يكون عند اجتماع حكمين شرعيين أو أكثر في المسألة الواحدة.

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 353/1.

[2]- نفسه، 354/1.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ/ 1964م، 93/6.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 353/1.

[5]- نفسه، 354/1.

[6] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ، 163/2.

[7]- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد القرطبي (ت: 595هـ)، تحقيق وتخريج: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1430 هـ/ 2009 م، ص: 25.

[8]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 29/1.

ج. المقاصد الفقهية:

تمتاز القراءات القرآنية بمقاصدها الفقهية، كبيان ما يكون مرجحا لحكم اختُلف فيه؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1]. ذكرت هذه الآية الكريمة الغالب في أيمان الناس، وبينت أن كفارة اليمين تجب بالإطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة، وأن المكفِّر مخير بين هذه الأشياء الثلاثة، فإن لم يجد انتقل إلى صيام ثلاثة أيام، وقد وردت فيها قراءات مختلفة، كان لها أثر بالغ في الحكم الشرعي، وخاصة الأحكام الفقهية المتعلقة بثلاث قضايا، وهي:

- **القضية الأولى: انعقاد الأيمان**

قَرَأَ الْحَرَمِيَّانِ وَأَبُو عُمَرَ بِتَشْدِيدِ الْقَافِ [في لفظة عقَّدتم]، وَقَرَأَ الْأَخَوَانِ وَأَبُو بَكْرٍ بِتَخْفِيفِهَا، وَابْنُ ذَكْوَانَ بِأَلِفٍ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْقَافِ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ بِمَا عَقَدَتِ الْأَيْمَانُ جَعَلَ الْفِعْلَ لِلْأَيْمَانِ[2]، فالقراءة بالتخفيف (عَقَدْتُم)، جاءت على الأصل، قال ابن فارس:" الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةِ وُثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهَا[3]. ويدل هذا الفعل في الآية الكريمة على توثيق اليمين مرة واحدة، فتلزم الكفارة الحالف إذا عقد يمينا بحلف مرة واحدة، أو مرات كثيرة، إذا كان ذلك على الشيء الواحد. والمعنى: أوجبتم الأيمان. ومما يرجع إلى هذا المعنى القراءة بزيادة الألف (عَاقَدْتُم)، بمعنى: عاهدتم، وَهُوَ الْعَقْدُ وَالْجَمْعُ عُقُودٌ"[4]. وقد بَيَّن أبو بكر بن العربي (ت: 543هـ) دلالة هاتين القراءتين قائلا: القراءة بزيادة الألف من باب المفاعلة، على أن أصل الفعل فعل من اثنين، بمعنى: تحالفتم. وقد يكون الثاني من حلف لأجله في كلام وقع معه، وقد يعود ذلك إلى المحلوف عليه، فإنه ربط به اليمين، وقد يكون فَاعَلَ بمعنى فَعَلَ[5]. ويظهر أن التناوب بين الصيغتين متداول عند أهل اللغة كقولنا: "عاقبت المجرم". وعلى هذا الأساس فإن القراءة بالتخفيف بيان للمراد في الآية الكريمة، وهو العقد بمعناه

---

[1]- سورة المائدة، الآية:91.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 350/4.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس (ت: 395هـ)، 86/4.

[4]- نفسه، 86/4.

[5]- أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي المعافري (ت: 543هـ)، 150/2.

الحكمي، أي رَبطُ الْقَول بِالْقَصْدِ الْقَائِمِ بِالْقَلْبِ، وتلفظه باللسان، لأن فَعَلْتُم من العقد، وهو المطلوب.
وأما القراءة بالتشديد، فهي دالة على أمرين، وهما:

- أن **فعَّل** بالتشديد يقتضي التكرار والتكثير الذي يراد به كثرة الفعل، وتردده من الفاعل، بمعنى: عقد بعد عقد. أو يراد به كثرة الفاعلين (العاقدين) للأيمان، أي: إن كل حالف عقد على نفسه يمينا.
- أن **فعَّل** بالتشديد يفيد التأكيد للدلالة على تأكيد العزم بالالتزام، لأن عقَّدتم بمعنى: وثَّقتم بالقصد والنية، ويقوي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اِ۬للَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ اُ۬لْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اُ۬للَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾[1]، والتوكيد، ضد اللغو في اليمين.

لقد كان لهذه القراءة أثر بالغ في اختلاف الفقهاء، وتعدد الأحكام الفقهية، ومنها:

- عدم وجوب الكفارة إلا إذا كرر اليمين، لأن فعَّل بالتشديد يقتضي التكرار والتكثير عندما يكون مشتقا من (فَعَل) المتعدي بالتخفيف، وقد رُوي عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ التَّشْدِيدَ يَقْتَضِي التَّكْرَارَ، فَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إِلَّا إِذَا كُرِّرَ[2]. لكن هذا القول مردود بما ثبت بالسنة الصحيحة من وجوب الكفارة على اليمين، وإن لم يكررها الحالف. فقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْر.»[3]، فيكون بذلك ما رُوي عن ابن عمر مخالفا للسنة والإجماع[4]. وقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: التَّشْدِيدُ يَقْتَضِي التَّكْرِيرَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلَسْتُ آمن أَنْ يَلْزَمَ مَنْ قَرَأَ بِتِلْكَ الْقِرَاءَةِ أَلَّا تُوجَبَ عَلَيْهِ كَفَّارَةٌ فِي الْيَمِينِ الْوَاحِدَةِ حَتَّى يُرَدِّدَهَا مِرَارًا[5].

---

[1]- سورة النحل، الآية :91.

[2]- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، 267/6.

[3]- حديث رواه البخاري في صحيحه، 138/8 رقم الحديث:6680- ورواه مسلم في صحيحه، 1273/3، رقم الحديث:1652.

[4]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 267/6.

[5]- نفسه، 267/6.

- أن المؤاخذة تلزم عند عقد اليمين في قلب الحالف ولفظه، فلو عقد اليمين في قلبه دون أن يتلفظ به، فلا مؤاخذة عليه، وكذلك إن تلفظ به، ولم يكن قاصدا له[1]، فحمل الفقهاء تكرار الحدث في هذه القراءة على اعتبارين، الأول: قصد اليمين بالقلب، والثاني: تلفظه باللسان.
- لا تكرر الكفارة بتكرار اليمين، قال الجصاص: " وَأَيْضًا فَإِنَّ فِي قِرَاءَةِ التَّشْدِيدِ إفَادَةَ حُكْمٍ لَيْسَ فِي غَيْرِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ مَتَى أَعَادَ الْيَمِينَ عَلَى وَجْهِ التَّكْرَارِ أَنَّهُ لَا تَلْزَمُهُ إلَّا كَفَّارَةٌ وَاحِدَةٌ"[2].

- **القضية الثانية: بيان طعام كفارة اليمين**

قرأ الجمهور (كِسْوَتُهُمْ) بكسر الكاف، وقرأ النَّخَعِيُّ وَابْنُ الْمُسَيَّبِ وَابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كُسْوَتُهُمْ بِضَمِّ الْكَافِ، وَقَرَأَ ابْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ السميفع أَوْ كَأُسْوَتِهِمْ بِكَافِ الْجَرِّ عَلَى أُسْوَةٍ[3]. والكِسوة بكسر الكاف وضمها بمعنى واحد: ثَوْبٌ قَمِيصٌ أَوْ رِدَاءٌ أَوْ إِزَارٌ...، فهما لغتان في المصدر وفي الشيء المكسوِّ، قال الزمخشري: «كالقِدوة في القُدوة، والإِسوةُ في الأُسوة[4]. وقد بينت هاتان القراءتان أن الكسوة نوع من الكفارة، وبذلك تكون كفارات اليمين أربعا، ثلاث منها على التخيير، وهي: الإطعام، أو الكسوة، أو تحرير رقبة، فإن تعذر أداء إحداهن، فصيام ثلاثة أيام. وأما قراءة (كإسوتهم) بكاف الجر الداخلة على الأُسوة أو الإِسوة، فهي كما قال الراغب الأصفهاني:" وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا، وإن سارّا وإن ضارّا[5]، والجار والمجرور (كإسوتهم) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: طعامهم كأسوة أهليكم، وقال السعد: الكاف زائدة أي أو طعامهم أسوة أهليكم[6]، فنتج عن هذه القراءة اختلاف العلماء اختلافا كبيرا في بيان مقدار طعام المسكين في الكفارة.

---

[1]- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تاريخ الطبع، 1405هـ، 114/4.

[2]- نفسه، 114/4.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 353/4.

[4]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ) تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 409/4.

[5]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، ص:76.

[6]- روح المعاني، الألوسي، 14/4.

- **القضية الثالثة: التتابع في صيام كفارة اليمين وعدمه**

قرأ الجمهور (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ)، وَقَرَأَ أُبَيٌّ وَعَبْدُ اللَّهِ وَالنَّخَعِيُّ. أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ[1]، فأما قراءة الجمهور، فهي القراءة الصحيحة، لموافقتها رسم المصحف، وهي قراءة مطلقة غير مقيدة بالتتابع. وأما ما ورد عن قراءة أُبيّ بن كعب من تقييد الأيام بالتتابع، فهو منسوخ، ويؤيد ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: نَزَلَتْ "فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ"، فَسَقَطَتْ مُتَتَابِعَاتٍ "قَوْلُهَا سَقَطَتْ تُرِيدُ نُسِخَتْ، لَا يَصِحُّ لَهُ تَأْوِيلٌ غَيْرُ ذَلِكَ[2]. وبناء على هاتين القراءتين، فقد اختلف الفقهاء اختلافا كبيرا في اشتراط التتابع في صوم كفارة اليمين، وعدم اشتراطه.

يتضح مما سبق أن القراءات القرآنية تحقق لنا فوائد ومقاصد فقهية متعددة، يمكن للإنسان المسلم أن يختار منها ما يناسب طاقته في أداء واجباته الدينية. وقد تكون القراءة القرآنية بيانا لحكم مجمع عليه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾[3]، فقد قرأ الجمهور (وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ)، وهي قراءة صحيحة لموافقتها رسم المصحف. وقرأ "سعد بن أبي وقاص وغيره (وله أخ أو أخت من أم)[4]، وهي قراءة شاذة، لمخالفتها رسم المصحف. فقراءة الجمهور صرحت بالأخ والأخت مطلقا، فيكون الاحتمال للأب فقط أو للأم فقط أوهما معا، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي زوج وأم، أو جدة واثنان من إخوة الأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم، فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الإخوة ، لأنهم من أم واحدة، وهو مذهب الشافعي ومالك وإسحاق وغيرهم، وقال جماعة من الصحابة وغيرهم بجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود"[5]. أما قراءة سعد بن أبي وقاص، فإنها بينت أن المراد بالإخوة هنا هو الإخوة للأم، وهذا ما ذهب إليه العلماء من غير خلاف، ولذلك يمكن القول بأن هذه القراءة الشاذة أضافت فائدة فقهية، تمثلت في تقييد الحكم الشرعي، بعدما كان مطلقا في القراءة الصحيحة، فجعلت الإخوة للأم يرثون بإجماع علماء الأمة الإسلامية.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 355/4.

[2]- مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ)، 241/4، رقم الحديث:7657. وينظر السنن الكبرى للبيهقي، 430/4، رقم الحديث:8234.

[3]- سورة النساء، الآية:12.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 547/3.

[5]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 28/1.

د. المقاصد التفسيرية:

تزودنا القراءات القرآنية بمقاصد تفسيرية ومنها؛ إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾[1]، فقد قرأ: "علي وعمر وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وابن عمر وابن الزبير "رضي الله عنهم" وأبي العالية والسلمي ومسروق طاووس وسالم بن عبد الله وطلحة بخلاف: "فامضوا إِلَى ذِكْرِ اللَّه"[2]، وهي قراءة شاذة، لكنها تفسير لقراءة الجمهور "فاسعوا إلى ذكر الله"، وقد جاء في لسان العرب أن " سَعَى إِذَا عَدَا، وسَعَى إِذَا مَشَى، وسَعَى إِذَا عَمِلَ، وسَعَى إِذَا قَصَد، وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى المُضِيِّ عُدِّيَ بِإِلَى، وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى العَمَل عُدِّي بِاللَّامِ."[3]، وَ من هنا يظهر أن هذا الأصل اللغوي يدور حول معان عدة: العدو، والمشي، والعمل، والقصد، فإذا أفاد معنى العمل تعدى باللام، وإذا أفاد معنى المضي تعدى بحرف الجر "إلى"، وبِذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[4]؛ وليسَ مِنَ السَّعْيِ الَّذِي هُوَ العَدْوُ، ويزكي هذا المعنى ما ورد في الحديث النبوي الشريف: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[5] ، فالمقصود هو السعي الذي بمعنى المشي والمضي تحقيقا للوقار والسكينة، وهو المعنى المرجح الذي يتناسب مع سياق ورود الآية الكريمة، ويعضده الحديث النبوي الشريف. فهذه القراءة "فامضوا إِلَى ذِكْرِ اللَّه" موضحة ومفسرة لقراءة الجمهور: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ "أي: فاقصدوا، وتوجهوا. وليس فيه دليل على الإسراع، وإنما الغرض المضي إليها."[6]؛ فحققت بذلك هذه القراءة الشاذة فائدة تفسيرية، تمثلت في رفع توهم السرعة، لأن المضي، ليس من مدلوله السرعة، بل مجرد الذهاب لأداء صلاة الجمعة. وقد يحمل لفظ "السعي" على معنى الاهتمام بصلاة الجمعة، وحضورها في وقت مبكر، ويؤيد هذا المعنى الحديث النبوي الشريف:" حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ،

1 - سورة الجمعة، الآية: 9.

2- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، 321/2.

3- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 385/14.

4- سورة الجمعة، الآية: 9.

5- حديث رواه مسلم في صحيحه، 421/1. رقم الحديث: 602.

6- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، 321/2.

وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[1].

ومن المقاصد التفسيرية، تفسير لِمَا لَعَلَّه لا يُعرف، إذ كان العرب يقرأون بلغاتهم التي جرت عليها عاداتهم وطباعهم مع الاختلاف الواضح في الألفاظ والإعراب شرط حصول الاتفاق في المعنى، وذلك قصد التيسير ورفع المشقة عليهم، كما رأينا في حديث الأحرف السبعة، ومن أجل ذلك "جاء في القرآن مخالفة ألفاظ المصحف المجمع عليه، كالصوف، وهو العهن"[2]، في قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[3]، فقد قرئ، "كالصوف المنفوش"، على وجه التفسير والبيان للعهن. وقد تكون القراءة حجة لأهل الحق، ودفعا لأهل الزيغ. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾[4]، فقد قرأ ابن كثير وغيره "وَمَلِكًا كبيراً" بكسر اللام، والمَلِك الكبير هو العظيم القدر، وهو الله عز وجل، ومن ثمة فإن هذه القراءة تعد من أعظم الدلائل على رؤية الله في الدار الآخرة، فحققت بذلك فائدة تفسيرية عقدية، وهي مسألة إثبات رؤية الخالق سبحانه وتعالى، وهي من القضايا العقدية التي أثارت جدلا وخلافا بين مختلف الفرق الكلامية، وخاصة بين الأشاعرة والمعتزلة، فقد ذهب الجمهور إلى إثبات رؤية الله، وهي رؤية حسية، في حين ذهبت فرقة المعتزلة إلى خلاف ذلك، إيمانا منهم بفكرة التنزيه للذات الإلهية عن المكان والتشبيه والتجسيم. ويظهر من خلال قراءة ابن كثير أنها موافقة للمعنى الذي ذهب إليه الجمهور، وهو أن المؤمنين سيرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة. فقد ورد عن النبي ﷺ عن صهيب عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[5]، قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ"[6]، ما يبين بالأدلة

[1]- حديث رواه البخاري في صحيحه، باب: الاستماع إلى الخطبة،11/2. رقم الحديث: 929.

[2]- نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 1411 هـ/1991م، ص:49.

[3] - سورة القارعة، الآية:4.

[4] - سورة الإنسان، الآية: 20.

[5]- سورة يونس، الآية:26.

[6]- حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى،163/1، رقم الحديث:181.

النقلية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أن المؤمنين غير محجوبين عن ربهم، وأن رؤية الله عز وجل يوم القيامة ثابتة على الحقيقة.

هـ. المقاصد التاريخية:

تحقق القراءات القرآنية مقاصد تاريخية، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَوْصَىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1]، فقد قرئ بالنصب (ويعقوبَ)- وهي قراءة شاذة-[2]، فدلت هذه القراءة على أن إبراهيم عليه السلام أدرك ولادة حفيده يعقوب عليه السلام، وكان ممن حضروا وصيته، قال ابن كثير في تفسيره:" وَقَدْ قُرِئَ بِنَصْبِ يَعْقُوبَ هَاهُنَا عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، فَلَوْ لَمْ يُوجَدْ يَعْقُوبُ فِي حَيَاتِهِمَا، لَمَا كَانَ لِذِكْرِهِ مِنْ بَيْنِ ذرِّيَّةِ إِسْحَاقَ كَبِيرُ فَائِدَةٍ"[3]، فيكون يعقوب داخلا فيمن أوصاه إبراهيم، وهذا على خلاف ما ذهب إليه البعض، كقول القشيري:" وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ يَعْقُوبَ لَمْ يُدْرِكْ جَدَّهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّمَا وُلِدَ بَعْدَ مَوْتِهِ"[4].

ومن المقاصد التاريخية للقراءات القرآنية ما ذُكر في هزيمة وانتصار الروم، قال الله تعالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[5]، ففي هذا النص القرآني قراءتان: الأولى متواترة، وهي قراءة الجمهور:" غُلِبَت" بضم الغين وكسر اللام، و" سَيَغْلِبون" بفتح الياء وكسر اللام. والثانية شاذة، وهي قراءة عَلِي، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، وَالْحَسَنِ: "غَلَبَت" بفتح الغين وفتح اللام على البناء للفاعل، و"سَيُغْلَبُون" بضم الياء وفتح اللام على البناء للمفعول[6]، فالمعنى المستفاد من القراءة المتواترة، هو أن الروم مغلوبة، وستنتصر في بضع سنين من هزيمتها، بينما القراءة الشاذة دلت على أن الروم غالبة، وستُهزم في بضع سنين من انتصارها. وفي الحالين، المؤمنون فرحون بنصر الله تعالى، فالقراءة المتواترة أخبرت عن انهزام الروم أمام الفرس،

---

[1]- سورة البقرة، الآية:131.

[2]- هي قراءة شاذة ذكرها أبو حيان الأندلسي في تفسيره، وقرأ بها إسماعيل بن عبد الله المكي وعمرو بن فائد الأسواري. ينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 636/1.

[3]- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار الطبع للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، 446/1.

[4]- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، 168/1.

[5]- سورة الروم، من الآية:1 إلى الآية:4.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 374/8.

والذي كان سنة 616م[1]، ونبأت وبشرت بانتصارهم على الفرس في جولة قادمة، وكان ذلك بعد تسع سنين من نزول الآية، أي سنة 625م[2]، وقد فرح المسلمون بنصر الروم يومها، باعتبارهم أهل كتاب، والفرس الوثنيين؛ عبدة النار، والفرح بهذا النصر سائغ، للاعتبار العقدي السابق، لاسيما وقد عانوا من الحرب النفسية التي شنها عليهم المشركون عقب انهزام الروم أمام الفرس. وأما القراءة الشاذة، فقد أخبرت عن انتصار الروم على الفرس الذي كان سنة 625م[3]، ونبأت وبشرت بانهزامهم أمام المسلمين في حرب قادمة في بضع سنين، وكان ذلك في غزوة تبوك (رجب سنة تسع للهجرة)، وقد تراجع الروم عن قتال المسلمين، بعد أن بلغتهم قوتهم، وفي ذلك هزيمة لهم[4]، ففرح المسلمون بهذا النصر فرحا كبيرا. وهكذا تكون هذه القراءة دالة على واقعة تاريخية تمثلت في انهزام الروم أمام المسلمين، فلا تعارض بين القراءتين في بيان المراد كما يدعي المستشرق اليهودي "جولد سيهر" الذي أقر " أن القراءتين متناقضتان في المعنى، فالغالبون في القراءة المشهورة، هم المغلوبون في القراءة الأخرى"[5]. ويظهر مما سبق ذكره بخصوص بيان المقصود من القراءتين بطلان ادعائه، ذلك أنهما غير متناقضتين في المعنى، وإنما تقرران حقيقتين تاريخيتين مشهورتين في التاريخ الإسلامي.

و. المقاصد التراثية:

تعد القراءات القرآنية مظهرا من مظاهر ثراء التراث الإسلامي العظيم الذي حفظ لنا صورا وظواهر لغوية متعددة، إذ لا يمكن أن ننكر جهود العلماء المتقدمين في التأصيل للدرس اللغوي العربي في تاريخ الإنسانية من خلال اهتمامهم بالقراءات القرآنية، وخاصة القراءات الشاذة، نظرا لأهميتها اللغوية والتاريخية،" وكأن من وصفوها بالشذوذ، قد وصموها، من حيث أرادوا تمييزها عن القراءات المشهورة سندا، وقد تكون القراءة الشاذة في مستوى المشهورة، من حيث الفصاحة، وقد تكون أفصح منها، ولكن هكذا شاء لها القدر، أن تنزوي في مستوى الشذوذ."[6]، فلا ننكر مع عبد الصبور شاهين القيمة اللغوية للقراءة الشاذة، إذ يمكن أن تكون أفصح من القراءة المتواترة أو المشهورة، كما يمكن أن تكون مساوية لها في الفصاحة، وإن لم تتوفر على شرط النقل المتواتر الوثيق المتصل السند، وقد يكون

[1]- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص:96.

[2]- نفسه، ص:96.

[3]- نفسه، ص:96.

[4]- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ/1995م، 515/2.

[5]- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص:97.

[6]- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة النافذة، ط1، 2008م، ص:6.

الشاذ منها قد نسخ...، فيكون هذا المسلك منصفا للتآلف بين القراءات القرآنية، ذلك أن القراءات الشاذة تمثل وثيقة لغوية ثرية بالنسبة للغة العربية الفصحى، وذات مغزى دلالي غني، فهي تمثل في ذاتها مظهرا من مظاهر الإعجاز اللغوي والدلالي في القرآن الكريم، وخاصة القراءات الشاذة التي يعضدها قياس من نحو ولغة، وذلك بأن يتمكن علماء اللغة العربية من تفهم لغتها وحشد النظير لها من كلام العرب، فحسبك به من إيناس كما ذكر ابن جني[1]، ولذلك يجوز الاحتجاج بكل ما ورد أنه قرئ به في القرآن الكريم في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا[2]، لما لذلك من أثر مفيد في تفهم دلالات النص القرآني، وإغناء لغتنا العربية الفصيحة، ولذلك تهافت العلماء قديما إلى التأليف في الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية عامة، وشواذ القراءات خاصة، ونذكر على سبيل المثال: الشواذ لقطرب محمد بن المستنير(ت: 206هـ)، والشواذ لأبي حاتم السجستاني (ت: 255هـ)، والمحبر والمفيد في الشواذ لمحمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت: 360هـ)، وشواذ القراءات لابن خالويه (ت: 370هـ)، وكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني(ت: 392هـ)، والشواذ لابن غلبون الحلبي (ت: 399هـ)،... وغيرها من المصنفات الفريدة التي كشفت عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبينت الجوانب الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية في التراث اللغوي العربي، وإذا كنا لا ننكر القيمة اللغوية والتراثية للقراءات الشاذة، فهذا يدفعنا إلى الاجتهاد في البحث عن القراءات القرآنية المطمورة في مختلف المصادر والمخطوطات، لأنها تمثل حال اللغة العربية الفصحى ولهجاتها القديمة.

خلاصة القول؛ فإن مقاصد تعدد القراءات القرآنية كثيرة، ومنها:

- المقاصد العامة: وتتجلى في جمالية تلقي القرآن الكريم، وسهولة حفظه، وتيسير نقله وفهمه، وعظم الأجر، وحفظه من كل تحريف أو تزوير، وإظهار إعجازه، وصدق الرسالة المحمدية،...
- المقاصد الخاصة: وتتجلى في المقاصد اللغوية والتفسيرية والفقهية والأصولية والتاريخية والتراثية.

1- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، 200/2.

2- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. أحمد سليم الحمصي، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط2، 2016م، ص: 37.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، وهي:

- اتساع المادة المعجمية للأصل الثلاثي "قرأ"، فقد تبين أن هذا الأصل يطلق في المعاجم العربية، ويراد به معان عدة، ومنها: الجمع والضم، والتلاوة، أي: النطق بالكلمات المكتوبة...
- إن القراءات القرآنية اصطلاحا: علم بكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم نطقا صحيحا وفق قواعد وأصول يقوم عليها هذا العلم.
- إن القراءات المتواترة والقرآن حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحيا من عند الله، وحقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما.
- إن القراءات القرآنية قسمان: قسم متواتر صحيح باعتبار شروط ثلاثة، وهي: موافقة العربية، ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصحة السند، فهذه الشروط الثلاثة تجعل من القراءة القرآنية مقبولة، بحيث لا يجوز ردها. وقسم شاذ اختل فيه شرط من هذه الشروط الثلاثة، لكن يجب تعلمه وتعليمه، لأنه مفيد في علم العربية.
- إن القراءات القرآنية مرت في نشأتها وتطورها بمراحل، فقد ابتدأت بقراءة واحدة، ثم توسعت على سبعة أحرف، ثم إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول محمد ﷺ، ثم إلى علم قائم بذاته، له أصوله وقواعده، لتتعدد بعد ذلك المصنفات في هذا العلم، ومنها: كتاب "السبعة في القراءات" لابن مجاهد (ت: 324هـ)، الذي كان له أثر بالغ في حركة التأليف في علم القراءات القرآنية من قِبل العلماء القراء الذين اشتهروا بغزارة العلم والعدالة والضبط والأمانة.
- إن علم القراءات القرآنية يقوم على قواعد وأصول كثيرة، منها ما له علاقة وطيدة بكيفية أداء المفردات القرآنية، ومنها ماله علاقة قوية بالمعنى، فقد أفاض علماء القراءات في تقديم تفسيرات صوتية لمختلف الحالات التي تعرض للخصائص النطقية للحروف من تفخيم وترقيق وإدغام...، وفصلوا القول في ذلك بتتبع اختيارات القراء واختلافاتهم، فكان عملهم تمهيدا للدراسات اللسانية الحديثة التي عالجت الظاهرة الصوتية من مختلف جوانبها، فنقلوا إلينا الأصول والقواعد التي تقوم عليها القراءة الصحيحة كالإسكان والروم والإشمام والحذف والتتميم والاختلاس والإخفاء والتشديد والتثقيل والإرسال وياءات الإضافة وياءات الزوائد... وغير ذلك مما ذكرناه من الأصول التي قامت عليها القراءات القرآنية.

- إن القراءات القرآنية لها علاقة وطيدة بالأحرف السبعة، وتظهر هذه العلاقة في كثرة الآثار المنقولة عن رسول الله ﷺ، ومن ثمة، فإن القراءات القرآنية التي نقرؤها في القرآن الكريم، إنما هي بعض من هذه الأحرف السبعة التي أنزل عليها، لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة الإسلامية تيسيرا على العباد في القراءة، فالقرآن والأحرف والقراءات من الوحي المنزل على رسولنا محمد ﷺ.
- إن مقاصد تعدد القراءات القرآنية كثيرة، ويمكن تصنيفها إلى مقاصد عامة: كرفع المشقة، وإرادة التيسير والتخفيف على الأمة الإسلامية، وسهولة حفظ القرآن الكريم، وبيان إعجازه... ومقاصد خاصة، مرتبطة بالفوائد اللغوية والتفسيرية والشرعية والتاريخية والتراثية،... ما يجعل التراث اللغوي للقراءات القرآنية موضوعا جديرا بالمباحثة والمدارسة، سعيا وراء تحقيق النفع والفائدة من هذا التراث الحافل بمختلف الظواهر الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية.

الفصل الثاني:

الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية اللغوية والشرعية

تمهيد:

جاء في المعاجم العربية أن الأصل الثلاثي" حجج" يدل على معان عدة، ففي معجم " لسان العرب"، قال ابن منظور:" يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها [...] والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه.[...] واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلَكُ"[1]. فالحجة هي القصد والبرهان والدليل،... والوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والاحتجاج بالشيء، هو أن تتخذه حجة قصد الانتصار على الخصم. وفي معجم "مقاييس اللغة" قال ابن فارس (ت: 395هـ):" الْحَاءُ وَالْجِيمُ أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ. فَالْأَوَّلُ الْقَصْدُ، وَكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ. [...] والحجة، بِهَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ. يُقَالُ حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ. وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ."[2]، فالحجة تدل على معان متعددة، منها: القصد، الدليل، البرهان، البينة الواضحة، ويراد بها أيضا ما يحتج به الإنسان قصد الظفر على الخصم، و يراد بالحجة: المحاجة والمنازعة في قوله تعالى:

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعَ اَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾﴾[3]، ويراد بها: البينة الواضحة في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾﴾[4]، وفي الاصطلاح فإن الحجة: "ما دل به على صحة الدعوى، وقيل: الحجة والدليل واحد"[5]، فالحجة ما يقصد بالطلب لمعرفة الشيء على طريق الأدلة لمجادلة الخصم، وقد وردت

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، فصل الحاء، 228/2.

[2]- مقاييس اللغة، ابن فارس، حج، 29/2-30.

[3]- سورة الشورى، الآية:13.

[4]- سورة الأنعام، الآية :150.

[5]- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، 82/1.

المادة اللغوية "حجج" في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة، عشرا منها في سور مكية، وثلاثا وعشرين في سور مدنية[1].

لقد نما مصطلح" الاحتجاج" في البيئة اللغوية، عند علماء اللغة، فكان مصطلحا جداليا، يوظف في تقعيد علوم العربية، وصارت الحجج والبراهين تقام من نصوص اللغة العربية للدلالة على صحة رأي أو قاعدة لغوية، كالاحتجاج في النحو ، وذلك بالبحث عن الأدلة التي تثبت صحة قاعدة نحوية من نصوص اللغة العربية نثرا وشعرا، فيؤتى بالشواهد في سياق الاحتجاج، حيث لا يقوم احتجاج دون شواهد، لذلك كان الاحتجاج عند علماء اللغة العربية يستعمل للمغالبة والجدل وتقديم الحجة، ومن ذلك ما نجده بشكل صريح في مصنفات عربية كثيرة؛ مثل: الاحتجاج بالشعر في تفسير القرآن الكريم، في مسائل نافع بن الأزرق(ت: 65هـ)، وكتاب:" الإنصاف في مسائل الخلاف" لكمال الدين أبي البركات الأنباري (ت: 577هـ)، وكتابه "المذكر والمؤنث"، وكتاب "الأضداد" لمحمد بن القاسم الأنباري(ت: 328هـ)، وغيرها من المصنفات الكثيرة التي اعتمدت الحجاج في تقعيد علوم العربية.

ويعد القرآن الكريم بقراءاته، رغم اختلاف منازلها تواترا وشذوذا، رأس المصادر اللغوية في تقعيد علوم العربية، لما حظي به من الدقة والضبط، لكن الغريب في الأمر، أننا نجد تنافرا بين القاعدة اللغوية والقراءات القرآنية عند النحاة، ذلك أنهم لم يكونوا على منهج واحد في أمر القراءات القرآنية التي خرجت عن قراءة الجمهور، فمنهم من سعى إلى تقبيح بعض القراءات القرآنية وتلحينها وقبول البعض الآخر، ومنهم من جعل القراءات القرآنية كلها حجة، وهذا واضح في تراث ابن مالك(ت: 672هـ)، صاحب الألفية، وأبي حيان الأندلسي(ت: 745هـ)، صاحب شرح التسهيل، وابن هشام(ت: 761هـ)، صاحب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وابن عقيل(ت: 769هـ)، والسيوطي(ت: 911هـ)[2]،...وغيرهم من النحاة المتأخرين الذين يحتجون باللغة القرآنية في المسائل اللغوية لاستنباط ما فات أسلافهم من قواعد لغوية، أو تصحيح ما سُبقوا إليه من أصول، فصار القرآن الكريم بقراءاته موجها للقواعد اللغوية، ومجالا خصبا لتقويمها.

إن الاختلاف في المنهج النحوي بين النحاة، هو ما جعل القاعدة النحوية تعرف اضطرابا في البناء والصياغة، وكان ذلك عيبا على مناهج النحاة المتقدمين في دراسة اللغة العربية، لأن قواعدهم لم تستوعب بعض ما جاءت به القراءات القرآنية، ولذلك كانت الحاجة ملحة إلى منهج جديد قائم على

---

[1]- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، سنة الطبع بدار الكتب المصرية، 1939م، ص:193-194.

[2]- أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، ط: 2011م، أفريقيا الشرق- المغرب، ص: 38. (بتصرف).

النظر في القراءات القرآنية لتصحيح القواعد النحوية، إذ لا ينبغي أن يقاس القرآن الكريم على شيء، بل الواجب أن يقاس عليه لبناء القاعدة النحوية، ولو كانت القراءة شاذة، لأن مصطلح الشذوذ في القراءات القرآنية لا يعني بالضرورة الشذوذ اللغوي، إذ الشذوذ القرائي قد يكون لأسباب غير مخالفة للقاعدة النحوية. وسنبحث هذه القضية – إن شاء الله - من خلال الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا الصوتية والمعجمية والنحوية والصرفية.

والحقيقة أن القرآن الكريم بقراءاته حجة في العربية، وكان من الواجب على النحاة المتقدمين تصحيح قواعد اللغة العربية بالقراءات القرآنية، لأن القرآن الكريم أول وأوثق مصدر في هذا الوجود، يُحتج به عند العلماء المسلمين في العلوم اللغوية والشرعية على السواء، ولذلك كان لزاما على علماء اللغة العربية تنسيق قواعدهم مع منهج القرآن الكريم. قال جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) رحمة الله عليه:" أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به، جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا. وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه، ولا يقاس عليه، نحو:" استحوذ"[1] [...] وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة، وإن اختُلِف في الاحتجاج بها في الفقه "[2].

ويظهر من خلال هذا الكلام أن القراءات القرآنية حجة بالغة في اللغة العربية، ولو كانت القراءة شاذة، فإنه يجب تعلمها وتعليمها، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، لما لذلك من فوائد جمة تعود بالنفع على علم العربية، ولذلك لا خلاف بين العلماء المسلمين في الاحتجاج بها في الدراسات اللغوية، بل قد يستعان بها في بيان المراد من القراءة المتواترة، ولا يعني هذا الاحتجاج دائما جعل ما في القراءة مطردا، يقاس عليه، بل يعني أن القراءة حجة على وجود ظاهرة لغوية من قبيل ما يحفظ، ولا يقاس عليه، ومن ذلك ما وصفه السيوطي بالمجمع على وروده، ومخالفته للقياس، فقد أُجمع على القراءة به، مع قصره على السماع في بابه، ومن هذا القبيل باب تصحيح عين "استحوذ" في قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ

[1] - لفظة "استحوذ" وردت في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾، الآية:19، لفظة جاءت على الأصل من غير إعلال، ليست كمثل أخواتها نحو: "استقال" و"استقام"، فمن قال: حاذ يحوذ لم يقل إلا "استحاذ"، ومن قال: "أحوذ" فأخرجه على الأصل، قال: "استحوذ" (لسان العرب، مادة: "حوذ"،3/487).

2 - الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص:37.

ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾[1]، هكذا يقر السيوطي أنه يمكن أن يكون في القراءات القرآنية على اختلاف منازلها تواترا وشذوذا، ما لم يطرد في القواعد العربية، فيكون ذلك من باب السماع عند علماء العربية، أما "إذا عَضَدها قياس فحسبك به من إينَاس"[2]، وذلك بأن يكون لها نظير من لغة العرب، إذ ليس من الضروري أن يكون كل ما في القراءة القرآنية مقيسا في قواعد العربية، ويؤيد هذا التوجه ما ذهب إليه أبو العباس ثعلب(ت: 291هـ): "إِذَا اخْتَلَفَ الْإِعْرَابُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ السَّبْعَةِ، لَمْ أُفَضِّلْ إِعْرَابًا عَلَى إِعْرَابٍ فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا خَرَجْتُ إِلَى الْكَلَامِ كَلَامِ النَّاسِ فَضَّلْتُ الْأَقْوَى"[3]، وفي الحقيقة فإن الدعوة إلى الاحتجاج باللغة القرآنية في المسائل اللغوية والشرعية، دعوة أقر بها كثير من العلماء المسلمين، فهذا عبد الفتاح القاضي يقول:" قد علمت أن القراءة الشاذة لا تجوز القراءة بها مطلقا، فعلم أنه يجوز تعلمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية."[4]، ويقول الشيخ عضيمة:" القرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة، وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأنا عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يُكتفى فيه برواية الآحاد"[5]، وفي هذا السياق نفسه، نجد الأستاذ سعيد الأفغاني يقر أن القرآن الكريم:" هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعا الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة"[6].

يظهر لنا من خلال هذه الأقوال أن القراءات القرآنية المتواترة والشاذة تحقق لنا فوائد كثيرة- سبق ذكرها في الفصل الأول - وهي فوائد تؤهلها لتكون مصدرا للكثير من الدراسات اللغوية المتنوعة، وخاصة القراءات الشاذة التي هي:" أوثق الشواهد على ما كانت عليه- العربية الفصحى- ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية، واللغوية بعامة، في مختلف الألسنة واللهجات، بل إن من الممكن القول بأن القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية التي تصلح أساسا للدراسات الحديثة،

---

[1]- سورة المجادلة، الآية:19.

[2]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، 200/2.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 455/4.

[4]- القراءات الشاذة وتوجيهها من كلام العرب، مطبوع مع البدور الزاهرة البدور، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1401هـ/1981م، ص:10.

[5]- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة- مصر، (د. ط)، (د.ت)، القسم الأول،1/1-2.

[6]- في أصول النحو العربي، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط2، 1957م، ص:28.

والتي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة"[1]، فهي في الحقيقة أوثق الشواهد، لأنها تجسيد لحال اللغة العربية الفصحى ولهجاتها القديمة، فليس من شاردة في هذه اللهجات إلا ولها في شواذ القراءات شاهد أو أكثر، ولعل هذا الكنز الثمين، هو ما جعل علماء اللغة العربية يهتمون بتوجيه شواذ القراءات القرآنية، ومن ذلك ما قام به ابن جني في كتابه: "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، لأن القراءة الشاذة تحمل في ذاتها من القوة ما يدفع عنها التهمة ويؤهلها لإثراء الدرس اللغوي العربي وإغنائه، قال ابن جني:" ولعله أو كثيرا منه- يقصد الشاذ من القراءات- مساو في الفصاحة للمجتمع عليه... وتمطوه قوى أسبابه وترسو به قدم إعرابه...آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرى مُرى أن العدول عنه، إنما هو غض منه، أو تهمة له"[2]، وبهذا يتضح لنا جليا أن القرآن الكريم- بقراءاته المتواترة والشاذة- هو النص الصحيح الذي أجمع العلماء على الاحتجاج به في العلوم اللغوية العربية، على اختلاف أنواعها، قصد استنباط الأحكام اللغوية التي تفيدنا في بناء قواعد اللغة العربية، كما هو في الوقت نفسه حجة في العلوم الشرعية العربية، بمختلف أنواعها قصد استنباط الأحكام الشرعية، لأنه يمثل المصدر الأول المعول عليه في بناء الأحكام اللغوية والشرعية، ذلك لأن "ما جاء في القرآن كان حجة قاطعة، وما لم يقع في القرآن نلتمسه في كلام العرب، ونظير هذا الأحكام الشرعية، إذا جاء الحكم في القرآن عُمل به، وإن لم يرد نص في القرآن، نلتمسه في السنة وفي غيرها."[3]، فالقرآن الكريم حجة قوية في بناء القواعد اللغوية من خلال إمعان النظر في أساليبه قصد استنباط الأحكام النحوية والصرفية والبلاغية...، وما لم نجده فيه، نلتمسه في كلام العرب، ومثل هذا، الأحكام الشرعية، فإن ما ورد فيه نعمل به، وما لم نجده فيه، نلتمسه في السنة النبوية الشريفة وفي غيرها من المصادر الموثوقة، ولذلك نرى ضرورة خضوع قواعد اللغة العربية للقرآن الكريم بقراءاته، لأنه نزل على أفصح لغات العرب، وأكثرها انتشارا بين القبائل العربية، فالقواعد اللغوية مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام العرب شعرا ونثرا، فالقرآن الكريم أصلها الأول، وهي بمثابة الفرع، لأنها من القرآن الكريم نشأت، وعنه أُخذت، ولذلك لا يجب أن يُعترض بالفرع على الأصل.

1- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، ص:6.

2- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ص:103/1.

3- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، 12/1-13.

إن الدعوة إلى هذه الحجية من أجل تحكيم القراءة القرآنية بالقاعدة اللغوية، دعوة ينتج عنها تأثير قوي يتجلى في عدم التفريق بين الأحكام الشرعية التعبدية والقواعد اللغوية، ذلك أن الأحكام الشرعية التعبدية تبنى عن طريق القواعد اللغوية، لكن تخالفها في أمور منها:

- أن المخطئ لغويا في غير القرآن الكريم وقراءاته والحديث النبوي الشريف ليس آثما، إذ إن بناء القواعد اللغوية العربية في غير هذه المصادر المذكورة، ليس أمرا تعبديا.
- تعدد مصادر بناء القواعد اللغوية العربية، لأن ما لم يقع في القرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف، نلتمسه في كلام العرب شعرا ونثرا.
- أن المخالف للأحكام الشرعية التعبدية آثم، إذ المطلوب هو العمل بها في كل ميادين الحياة.
- أن مصادر هذه الأحكام التعبدية محصورة في الكتاب والسنة والاجتهاد، وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي كالإجماع والقياس.

بعد كل ما ذكرنا، لم يبق لنا، إلا القول بالحسم في مشروعية الاحتجاج بالقراءات القرآنية في اللغة العربية والشريعة الإسلامية- استنادا إلى أقوال العلماء-، وعلى اعتبار أن القراءات القرآنية جَاءَتْ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ قِيَاسُهَا وَشَاذُّهَا"[1]، ومادام الأمر كذلك، فإن القراءات القرآنية، باختلاف منازلها تواترا وشذوذا، في غاية الصحة اللغوية، إلا أنها ليست على مستوى واحد من الفصاحة وإمكان القياس، وفي هذا المقام يُقر أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ): بأن" القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواترًا يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك، فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو، ولعلهم أرادوا أنه صحيح فصيح، وإن كان غيره أفصح منه؛ فإنا لا ندعي أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة"[2]، فالقراءة سنة متبعة، مما يدل على ضرورة التقيد بما روي من القراءات القرآنية عن الرسول ﷺ، فمن رد شيئا من قراءاته، فقد رد على النبي ﷺ، ومادام أن القراءات القرآنية جاءت على لغات العرب، فهذا لا يمنع من القول بوجود الفصيح منها، والأفصح، فهي بذلك ليست على درجة واحدة من الفصاحة، والمقصد من ذلك، التيسير على العباد في قراءة القرآن الكريم. قال أبو حيان:

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 508/10.

[2]- إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، دار الكتب العلمية، ص:412.

"الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، وَيُوجَدُ فِيهَا الْفَصِيحُ وَالْأَفْصَحُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَعَالَى الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ"[1]، وإذا سلمنا بورود القراءات القرآنية على لسان العرب، فهذا دليل قاطع على الاحتجاج بها في الشريعة، لأن الشريعة الإسلامية عربية، ولأن العمل بمقتضى أحكامها متوقف على فهم هذا اللسان، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، ولأن الله تعالى "لما أنزل كتابه باللسان العربي،[...]، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين، ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين."[2]، ولذلك اعتنى العلماء المسلمون بدراسة هذا اللسان نظرا لكون الشريعة عربية، ومادام أن القراءات القرآنية من لسان العرب، فإنها تعد من أقوى الأدلة والبراهين في تيسير العملية التفسيرية، إذ لا تفاضل بينها في بيان المراد من كلام الله عز وجل، رغم اختلاف مراتبها تواترا وشذوذا، لما لها من قيمة تفسيرية مهمة تكتسبها من صحة سندها[3]، فقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام(ت: 224ه) :" فَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَمْ يُؤْخَذْ عِلْمُهَا إِلَّا بِالْإِسْنَادِ وَالرِّوَايَاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْخَاصَّةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ دُونَ عَوَّامِ النَّاسِ، فَإِنَّمَا أَرَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهَا أَنْ يَسْتَشْهِدُوا بِهَا عَلَى تَأْوِيلِ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، وَتَكُونُ دَلَائِلَ عَلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ وَعِلْمِ وُجُوهِهِ، وذلك كقراءة حفصة وعائشة [...]، فَهَذِهِ الْحُرُوفُ وَأَشْبَاهٌ لَهَا كَثِيرَةٌ قَدْ صَارَتْ مُفَسِّرَةً لِلْقُرْآنِ، وَقَدْ كَانَ يُرَى مِثْلُ هَذَا عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ فِي التَّفْسِيرِ فَيُسْتَحْسَنُ ذَلِكَ. فَكَيْفَ إِذَا رُوِيَ عَنْ لُبَابِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ صَارَ فِي نَفْسِ الْقِرَاءَةِ؟ فَهُوَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَأَقْوَى، وَأَدْنَى مَا يُسْتَنْبَطُ مِنْ عِلْمِ هَذِهِ الْحُرُوفِ مَعْرِفَةُ صِحَّةِ التَّأْوِيلِ. عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا تَعْرِفُ الْعَامَّةُ فَضْلَهُ. إِنَّمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ. وَكَذَلِكَ يُعْتَبَرُ بِهَا وَجْهُ الْقِرَاءَةِ"[4]، فتكون للقراءة القرآنية، استنادا إلى هذه الوظيفة، قيمة تتجلى في بيان خفي، أو إيضاح مبهم؛ أي تكون بمنزلة البيان والتبين للمعاني القرآنية، بما في ذلك بيان الأحكام الشرعية وإثباتها، لأن القرآن الكريم نزل بها، ونقلها الثقات بطرق صحيحة، فلا سبيل إلى القدح فيها.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 523/8.

[2]- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419ه/ 1999م،449/1.

[3]- ثبت عن رسول الله ﷺ الإذن بالرواية عن أهل الكتاب من دون تصديق مطلق لهم أو تكذيب، فكيف بما نقل عن الصحابة مرفوعا أو موقوفا، وقد عدلهم الله تعالى، فالأخذ عنهم من باب أولى.

[4]- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224ه)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1415ه/1995م، ص:325.

والحقيقة أن اختلاف القراءات القرآنية، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، مما يجلب التيسير للمكلف، إذ تكون القراءتان بمنزلة آيتين، فتكون إحداهما متممة للأخرى في الحكم، أو لبيان أكثر من حكم واحد في أحوال مختلفة، بحيث يمكن الجمع بين الأحكام الشرعية، كما يمكن للمكلَّف أن يختار الحكم الشرعي الذي يناسب حاله، لأن الدين الإسلامي دين يسر، وليس دين عسر.

يرى النووي رحمة الله عليه (ت: 676هـ) أن القراءة بالشواذ في الصلاة، تجعل الصلاة باطلة إن كان المصلي عالما، وإن كان جاهلا لم تبطل صلاته، وقد نقل الإمام أبو عمر بن عبد البر الحافظ إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها[1]، ولذلك لا تجوز القراءة بالشاذ في الصلاة، ولا ينبغي لمن يصلي بالناس أن يقرأ بالشاذ مراعاة لهذا الإجماع، وإن نقلت لنا الروايات أن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا يُصلون بقراءاتهم الشاذة التي صح سندها، ولم يقل أحد ببطلان صلاتهم.

أما الاحتجاج بالقراءات الشاذة في الفقه، فقد اختلف العلماء على ثلاثة آراء:

- **الرأي الأول:** لَا يُحْتَجُّ بِهَا، وَلَا يَكُونُ لَهَا حُكْمُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّ نَاقِلَهَا لَمْ يَنْقُلْهَا إلَّا عَلَى أَنَّهَا قُرْآنٌ، وَالْقُرْآنُ لَا يَثْبُتُ إلَّا بِالتَّوَاتُرِ، وَإِذَا لَمْ يَثْبُتْ قُرْآنًا لَمْ يَثْبُتْ خَبَرًا."[2]
- **الرأي الثاني:** يحتج بها، إذا أضافها القارئ إلى التنزيل، أو أن "تجري مَجْرَى الْخَبَرِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ الْأَثَرِ عَنْ الصَّحَابَةِ، نَعَمْ الشَّرْطُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِي ذَلِكَ أَنْ لَا يُخَالِفَ رَسْمَ الْمُصْحَفِ، وَلَا يُوجَدُ غَيْرُهَا مِمَّا هُوَ أَقْوَى مِنْهَا."[3]، فيحتج بها عند بعض المذاهب الفقهية بشروط منها: إذا أضيفت إلى التنزيل، أو أن تكون خبرا عن النبي ﷺ، أو أثرا عن الصحابة رضي الله عنهم. وزاد الشافعي (ت: 204هـ) رحمه الله شرط عدم مخالفة رسم المصحف، وعدم وجود ما هو أقوى منها، لأن القراءة الشاذة- كما رأينا في الفصل الأول- نوعان: إما أن تكون مشهورة، وهي التي وافقت العربية والرسم وصح سندها، ولكنها لم تبلغ درجة التواتر، وإما أن تكون قراءة الآحاد، وهي قسمان: قسم وافق العربية والرسم، ولم يصح سنده. وقسم وافق العربية، وخالف الرسم، سواء صح سنده أو لم يصح.

---

[1]- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ/1994م، ص:97.

[2]- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، الأولى، 1414هـ/ 1994م،221/2.

[3]- نفسه، 223/2.

- **الرأي الثالث:** يحتج بها مطلقا، وهو رأي أغلب المذاهب الفقهية، الحنابلة والشافعية[1]، والحنفية[2]، فقد ذهبت هذه المذاهب الفقهية إلى اعتبار القراءات الشاذة حجة في الأحكام الشرعية، ومن الأقوال الدالة على ذلك ما يأتي:

أ. من أقوال الحنابلة:

قال ابن قدامة (ت: 620هـ)[3] :" فأما ما نقل نقلا غير متواتر، كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه" فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، فقد قال قوم: ليس بحجة[...]، والصحيح أنه حجة، لأنه يخبر(أي ابن مسعود)، أنه سمعه (أي هذا الخبر) من النبي ﷺ"[4].

ب. من أقوال الشافعية:

قال الأسنوي (ت: 772هـ):" نص الشافعي في موضعين من مختصر البويطي على أنها حجة [القراءة الشاذة]، ذكر ذلك في باب الرضاع وَفِي بَاب تَحْرِيم الْحَج، وَجزم بِهِ الشَّيْخ أَبُو حَامِد فِي الصّيام وَفِي الرَّضَاع وَالْمَاوَرْدِيّ فِي الْمَوْضِعَيْنِ أيضا"[5].

ج. من أقوال الحنفية:

قال السرخسي (ت: 483هـ):" ونحن أثبتنا التتابع بقراءة ابن مسعود، فإنها كانت مشهورة إلى زمن أبي حنيفة رحمه الله تعالى... والزيادة عندنا تثبت بالخبر المشهور"[6].

ويظهر لي من هذه الأقوال- والله أعلم- جواز إعمال القراءات الشاذة في الأحكام الفقهية، لأن ما ورد لا يخلو من أن يكون قرآنا أو خبرا مسموعا من النبي ﷺ، وكل منهما يجب العمل به، وكلاهما حجة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم يتميزون بالعدل والثقة والضبط في النقل، كما كانوا يتورعون عن تفسير

---

[1]- يرى بعض الدارسين أن مذهب الشافعية عدم الاحتجاج بالقراءات الشاذة مطلقا، ومنهم وهبة الزحيلي في كتابه:" أصول الفقه الإسلامي"، 427/1، إلا أن الصحيح هو أنهم يحتجون بها بما فهم الإمام الشافعي نفسه، لكن بشروط وضوابط. ينظر" القراءات الشاذة"، لعبد العلي المسؤول، 199/1، وما بعدها.

[2]- اشترطوا الشهرة في الاحتجاج بالقراءات الشاذة، ينظر"البحر المحيط في أصول الفقه"، الزركشي، 476/1.

[3]- هو موفق الدين أبو محمد بن قدامة بن مقدام الدمشقي الحنبلي، ولد سنة: 541هـ، كان علما في العلم والعمل مع الثقة والورع والوقار، له مصنفات عدة، أهمها: المغني، توفي سنة: 620هـ. ينظر"سير أعلام النبلاء"، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، 165/22.

[4]- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين أبو محمد بن قدامة (ت: 620هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ/2002م، 203/1-204.

[5]- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين أبو محمد بن الحسن الأسنوي (ت: 772هـ)، حققه وعلق عليه محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1407،1هـ/1987م، ص:142.

[6]- المبسوط، محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د. ط)، 1406هـ/1986م، 75/3.

القرآن الكريم بالرأي، وما دام أن الدين الإسلامي دين يسر، فإن الإعمال بالقراءات الشاذة في الفقه، قد يكون فيه التيسير والتوسعة على المكلف في الأحكام الشرعية.

المبحث الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم اللغوية العربية

المطلب الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي الأصوات والمعجم

1. نشأة الدرس الصوتي ومراحل تطوره في التراث اللغوي العربي

أ. نشأة الدرس الصوتي في التراث اللغوي العربي

لقد استفاد الدرس الصوتي العربي من المباحث الصوتية عند علماء النحو واللغة، إذ كان الدافع الأساس هو خدمة القرآن الكريم، ولذلك شغلت مخارج الحروف اهتمام العلماء المسلمين في الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية، وخاصة علماء القراءات والتجويد الذين كان لهم فضل السبق في الدراسات الصوتية من خلال اهتمامهم بكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم قصد الامتثال للواجبات التعبدية، ولأن حسن الأداء فرض في القراءة كما قال ابن الجزري رحمه الله:" قال الشيرازي في كتابه الموضح: فَإِنَّ حُسْنَ الْأَدَاءِ فَرْضٌ فِي الْقِرَاءَةِ، وَيَجِبُ عَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَتْلُوَ الْقُرْآنَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ صِيَانَةً لِلْقُرْآنِ عَنْ أَنْ يَجِدَ اللَّحْنُ وَالتَّغْيِيرُ إِلَيْهِ سَبِيلًا."[1] ومن أجل ذلك اهتم القراء بمخارج الحروف القرآنية، لأنه لا رخصة في تغيير ألفاظ القرآن الكريم وتعويجها، قال الله تعالى: ﴿ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِے عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]، فكانت الحاجة إلى البحث في مخارج الحروف قصد تيسير القراءة على أفصح وجه وأبينه، فنشأ علم التجويد والقراءات من الحاجة إلى تفسير علمي للوجوه الصوتية التي ضمتها القراءات القرآنية، لذلك لا يمكن إنكار فضل علماء القراءات والتجويد في البحث في مخارج الحروف، فقد كانت المعارف الصوتية متداولة عند القراء قبل أن تدون في المصنفات، وترجع بالأساس إلى وجوه صوتية مبثوثة في القراءات القرآنية، حيث غلب على الدرس الصوتي المشافهة والعرض على الشيوخ، إذ كان هؤلاء لا يجيزون إلا الحافظ المتقن لقراءة القرآن الكريم.

والغاية من ذلك كله، هو أن يكون أداء القرآن الكريم في غاية الدقة والوضوح، فشملت القراءات القرآنية قواعد التجويد ومختلف الأصول العامة التي أشرنا إليها في الفصل الأول من هذه الدراسة، كالإظهار والإدغام والإمالة وتحقيق الهمز وإسقاطه وتخفيفه... وغيرها من الاختلافات في الأداء التي أغنت النص القرآني في أبعاده الصوتية.

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 211/1

[2]- سورة الزمر، الآية:27.

ب. مراحل تطور الدرس الصوتي في التراث اللغوي العربي

رغم الفوارق الزمنية بين القراء في العصور الأولى وبين علماء اللسانيات والصوتيات في العصور المتأخرة، فإنه يمكن القول بأن الدرس الصوتي العربي مر بمرحلتين، الأولى: تنظيرية تأصيلية، والثانية: تطبيقية تحليلية.

- **المرحلة الأولى**: وكانت مع بداية التفكير الصوتي عند العرب في القرنين الأول والثاني الهجريين، وتمثلت في عمل أبي الأسود الدؤلي(ت: 69هـ) الذي قام على أساس صوتي من خلال نقط المصحف وضبط أواخر ألفاظه قصد تحقيق النطق الصحيح للحرف، وبعد هذه المحاولة، جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: 170هـ)، فحاول حصر ألفاظ اللغة في معجمه" العين" باعتماد الترتيب الصوتي للحروف، حيث رتب أصوات الحروف حسب مخارجها مبرزا خصائصها وسماتها النطقية والعلاقات الصوتية بين الحركات والحروف ورموزها في النطق، فكان رائدا في الدراسات الصوتية العربية، ومن أفكاره الصوتية المشهورة عند علماء اللغة، قوله:" صَرَّ الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صَرْصَرَة، فكأنّهم تَوَهَّموا في صوت الجندب مدا، و توهموا في صوت الأخطب ترجيعا. ونحو ذلك كثيرٌ مختلِفٌ."[1]، فهو يتصور أن وضع الأصوات، إنما هو وضع للمعاني والدلالات المرادة من اللفظ. وبعده جاء تلميذه سيبويه (ت: 180هـ) الذي استطاع بكل دقة وإتقان تفسير مختلف الظواهر اللغوية تفسيرا مقبولا من خلال كتابه الذي سجل فيه ملاحظاته الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، فحاول أن ينقل دراسة الأصوات من مجال التجريد إلى مجال التطبيق، معتمدا مع أستاذه الخليل منهجا وصفيا قائما على الملاحظة الذاتية والاستقراء.
- **المرحلة الثانية**: وفيها انتقل البحث الصوتي إلى مرحلة جديدة على يد ابن جني (ت: 392هـ)، الذي استطاع أن يجمع من بطون كتب اللغة معلومات صوتية مفيدة، فخطا بعلم الأصوات خطوة إلى الأمام من خلال مؤلفاته، ومنها لا على سبيل الحصر، "سر صناعة الإعراب"...،إذ حاول من خلال هذه الدراسة أن يضيف أفكارا ومعلومات جديدة بخصوص الظاهرة الصوتية، فقد قرر أن يضع هذا الكتاب، ليشتمل "على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب."[2] ، ذلك أن الذين سبقوه إلى الخوض في هذا الفن، "لم يشبعوا القول فيه"[3]، فمن

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 56/1.

[2]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، 15/1-16.

[3]- نفسه، 118/1.

لطائفه الصوتية العجيبة، قوله:" والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو."[1]، وذلك راجع إلى اختلاف أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة، مما ينتج عنه اختلاف الصوت المنبعث. وقال أيضا: "اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأولها الألف، وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا العباس، فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفا، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها، ويقول: هي همزة، ولا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا أعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة. وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي منه عندنا، وسأوضح القول فيه بإذن الله"[2]، لأن الألف التي في أول حروف المعجم هي همزة في الأصل، وإنما سميت ألفا، لأنها ترسم ألفا في الخط، والعبرة باللفظ لا بالخط. وغير ذلك من الأفكار الصوتية التي نجدها مبثوثة في كتبه، ولذلك كان جديرا أن يكون علم الأصوات علما قائما بذاته في هذه المرحلة، وأن يكون ابن جني رائدا في الدراسات الصوتية العربية، لما بذله من جهود في سبيل هذا العلم حتى أصبح محدد الغاية واضح المنهج. ثم بعد ذلك عرف هذا العلم تطورا ملحوظا بفضل علم التشريح وظهور الأجهزة الدقيقة التي مكنت الإنسان من دراسة مختلف الظواهر الصوتية دراسة علمية موضوعية، وكان عمل ابن سينا (ت: 428هـ) في رسالته المشهورة" أسباب حدوث الحروف" عملا رائدا في هذا المجال، إذ حاول الربط بين إنتاج الأصوات وعمل الأعضاء من خلال الاستفادة من علوم الطبيعة والطب والتشريح، مما مكنه من تشريح الحنجرة تشريحا مفصلا للتعرف على أجزاء الحنجرة، ودورها في نطق الأصوات، ففتح بذلك مجالا واسعا من البحث والدراسة لمعرفة أشياء كانت متوارية عن أعين من سبقوه إلى هذا العلم.

وقد استفاد علماء البلاغة من البحوث الصوتية السابقة، فكانت لهم عونا في بناء الخطاب وتحليله، ومن هؤلاء الرماني (ت: 384هـ)، حيث نجد في رسالته" النكت في إعجاز القرآن" إشارة إلى بعض القواعد الصوتية، مثل تلاؤم الحروف في القرآن الكريم، وعدم تنافرها، فجعل السبب في هذا التلاؤم هو" تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما. وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره

---

[1]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، 21/1.

[2]- نفسه، 55/1.

الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد، كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد، كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان [...]، ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك."[1]، وجعل ابن سنان الخفاجي (ت: 466هـ) من دراسته للأصوات اللغوية في كتابه" سر الفصاحة" مدخلا لدراسة فصاحة الألفاظ والكلام الذي ينتظمها، وأثر ذلك في بلاغته. ويرى عبد القاهر الجرجاني(ت: 471هـ) "أن نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى"[2]، فهو يؤكد على أهمية الصوت ومذاقة الحروف وسلامتها من الثقل، غير أنه لا يجعل ذلك وحده سببا في إعجاز القرآن الكريم، يقول:" واعلمْ أنَّا لا نأبى أن تكونَ مذاقةُ الحروفِ وسلامتُها مما يَثْقُل على اللسان، داخِلاً فيما يُوجِبُ الفضيلةَ، وأنْ تكونَ مما يُؤَكِّدُ أمرَ الإعجاز، وإنما الذي ننكِرُه ونُفَيِّلُ رأي مَنْ يَذْهَبُ إليه، أن يَجْعَلَه معجِزاً به وَحْدَه ويَجعلَه الأَصْلَ والعُمْدَةَ."[3]، على أن ذكر الأصوات اللغوية عند بعض البلاغيين له صلة بالإعجاز من وجه آخر، كما نجد عند أبي بكر الباقلاني (ت: 403هـ) الذي يقر أن الحروف المفتتح بها في أوائل السور، هي نفسها حروف عربية، ومن ثمة، فإن القرآن الكريم منتظم من الحروف التي بها ينتظم كلام العرب[4]، ليكشف أثر هذه الأصوات، التي يسميها الحروف، في جانب من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.

لقد أدرك علماء البلاغة أهمية الأصوات اللغوية في بناء الألفاظ وأثر ذلك في فصاحة الكلام، وهذا ما يوضح الصلة العميقة بين الدرس اللغوي والدرس البلاغي، فإذا كانت البلاغة تبحث في الوسائل اللغوية التي تحقق تماسك الخطاب وانسجامه، ومن ثمة، تحقيق الفهم والإفهام، فإن الأصوات اللغوية تعد جانبا مهما من هذه الوسائل. فما مدى إسهام القراءات القرآنية في التأصيل للمباحث الصوتية؟. وما أثرها في تطور الصناعة المعجمية واتساع معجم اللغة العربية؟.

---

[1]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، ص:96.

[2]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1992م، ص:49.

[3]- نفسه، ص:522.

[4]- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (ت: 403)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط5، 1997م، ص:44-45.

2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا الصوتية:

أ. أثر القراءات القرآنية في التأصيل للمباحث الصوتية:

لقد كان للاحتجاج بالقراءات القرآنية في الأصوات بعد تأصيلي عند القراء، فإذا كان هدف اللسانيات كما هو معلوم، هو دراسة اللغة في مستوياتها: الصوتية والمعجمية والصرفية والتركيبية والدلالية...، فإن معظم القراء كانوا علماء مبرزين في اللغة، وكان لهم فضل السبق في دراسة هذه المستويات اللغوية، ولا مشاحة في المصطلح، مما يبرر مشروعية الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الأصوات، على اعتبار أن القراءات القرآنية تشكل طاقة هائلة من الأصوات، بل تعد الاختلافات الصوتية في اللسانيات أوسع ظاهرة، يمكننا أن نصنف القراءات القرآنية تحتها، و سنقدم أمثلة للاحتجاج بالقراءات القرآنية من خلال المماثلة الصوتية في الحركات والأصوات، لأهمية هذه الظاهرة الصوتية في تلمس جمالية التلوين الصوتي في القرآن الكريم، وذلك من خلال تجاور الأصوات بعضها ببعض، بحيث يؤدي التقارب بينها في الصفة والمخرج إلى تحقيق الانسجام الصوتي، والتيسير في عملية النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي. وقد أدرك علماء اللغة هذه الظاهرة قديما، فأطلق عليها سيبويه اسم (المضارعة)، ويقصد بها تقريب الأصوات المجاورة بعضها مع بعض، وقد عالج هذه المسألة في "الكتاب"، في (باب الحرف الذي يضارَع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارَع به ذلك الحرف وليس من موضعه)[1]، وأطلق عليها ابن جني اسم (التقريب) في حديثه عن الإدغام الأصغر، قال:" والإدغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت."[2]، ولم يكن العلماء المحدثون بمنأى عن دراسة هذه الظاهرة الصوتية بتسميات متعددة منها: المماثلة والمناسبة والانسجام والتوافق والإتباع والتوازن الإيقاعي ... وهي كلها تشير إلى هذا النظام الصوتي الذي يحتل مساحة واسعة في اللغة القرآنية، ويمثل في الحقيقة مظهرا من مظاهر الإعجاز اللغوي التأثيري في القرآن الكريم.

1- الكتاب، سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار التاريخ، بيروت- لبنان، (د.ت)، 359/4.

2- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، 141/2.

ب. الاحتجاج بالتماثل الصوتي في الحركات:

- **الاحتجاج بالتماثل الصوتي في الفتح:**

قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1]، موطن الشاهد في الآية الكريمة، الفعل(مَكَثَ) قرأه عاصم بفتح الكاف، وضمها الباقون، وهما لغتان، والفتح أكثر وأشهر، ويدل على الفتح قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[2]، (ماكثون) اسم فاعل، لا يكون من (فَعُلَ)، فدل على أنه (فَعَلَ) بالفتح."[3]، والحقيقة أن وزن (فَعُلَ) يأتي منه اسم الفاعل على وزن فعيل، نحو: ظَرُفَ وكَرُمَ...، فإن اسم الفاعل منهما: ظريف وكريم، إلا أن الضم هو الاختيار، لأن عليه الجماعة. قال أَبو منصور الأزهري (ت: 370هـ): " اللُّغَة العاليةُ: مكُثَ بالضمِّ جاءَ نادِراً، و"مكَثَ" لُغةٌ ليستْ بالكثيرة وَهِي القياسُ. [....] ويُقَال: مَكُثَ ومكَثَ بالمكَان إِذا لبِثَ، وأجوَدُهما: مكُثَ."[4]، فلغة الضم جعلها أبو منصور اللغة العالية، وهي الأصل؛ وهي الأجود، وهي قراءة الجمهور، لكن فيها ثقل النطق، لصعوبة الانتقال من الفتح إلى الضم، ومن الضم إلى الفتح، لأن الكاف المضمومة وقعت بين صوتين مفتوحين، بينما لغة الفتح جاءت من باب التماثل الصوتي من أجل الخفة على اللسان في النطق، فَثِقَلُ النطق في "مَكُثَ" هو الذي جعلها نادرة الاستخدام على الرغم من أصالتها، وخفة النطق في "مَكَثَ" هو الذي أدى إلى فشوها وإن لم تكن هي الأصل.

- **الاحتجاج بالتماثل الصوتي في الكسر:**

قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٨﴾﴾[5]، فقد "قرأ حمزة (يخْصمون) بإسكان الخاء مخففا، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء والتشديد، ومثله أبو عمرو، وقد قيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ ورش وابن كثير بفتح الخاء والتشديد، وقرأ الكسائي وابن ذكوان بكسر الخاء والتشديد."[6]، فأما القراءة باختلاس حركة الخاء وإخفائها والتشديد، فهو الأصل، لأن

---

[1]- سورة النمل، الآية:22.

[2]- سورة الزخرف، الآية:77.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 620/2.

[4]- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م، 107/10.

[5]- سورة يس، الآية:48.

[6]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 678/2.

أصله" يفتعلون"، فالخاء ساكنة[1]، من الفعل: اختصم، يختصم، فتم إدغام التاء في الصاد لتقارب مخرجيهما، ولما كان حرف الصاد أقوى من حرف التاء وقع التشديد، فاجتمع الساكنان، الخاء والمشدد، فكُسر الخاء لالتقاء الساكنين، فتعلقت هذه الظاهرة الصوتية عند القراء بتوالي الكسر، ليسير نطق الكلمة عندهم على وتيرة واحدة، ويتحقق قانون المماثلة الصوتية بالكسر، إذ يُلاحظ أنه عندما تأتي الكلمة على صيغة (افتعل)، فإن تاء الافتعال تدغم في عين الفعل، إن كان بينهما تماثل أو تجانس، ولما كان الحرف المدغم مكونا من صوتين أولهما ساكن، وفاء الفعل في الصيغة السابقة ساكنة، فقد أدى ذلك إلى الجمع بين الساكنين، مما حدا بهم إلى الكسر، فسكون الخاء هو الأصل، لكن القراء وجدوا صعوبة في الانتقال بالنطق من الساكن إلى الكسر، ولذلك عدلوا عن السكون إلى الكسر، وإن لم يكن هو الأصل.

- **الاحتجاج بالتماثل الصوتي في الضم:**

قال الله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[2]، فقد "قرأ عبد الله «يُخُصِّفان» بضم الياء والخاء وكسر الصاد مشددة، وهي مِنْ خصَّف بالتشديد، إلا أنه أتبع الخاء للياء قبلها في الحركة، وهي قراءة عَسِرةُ النطق، ويدل على أن أصلها مِنْ خَصَّف بالتشديد قراءةُ بعضهم «يُخَصِّفَان» كذلك إلا أنه بفتح الخاء على أصلها."[3]، وهي قراءة عبد الله بن يزيد، مِنْ الفعل الرباعي المضموم الياء في المضارع، (خَصَّفَ، يُخَصِّفُ)، فالأصل أن تكون حركة الخاء هي الفتح، إلا أن حرف الخاء تابع لحرف المضارعة في الضم، وهي قراءة عَسِرةُ النطق (يُخُصِّف)، ومما يدل على أن الأصل فتح الخاء، قراءةُ بعضهم "يُخَصِّفَانِ"، فدل ذلك على أن الأصل هو الفتح، فتأثرت حركة الخاء بحركة الياء قبلها، وعُدل عن الأصل تحقيقا للمماثلة الصوتية في لغة قوم من العرب.

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 678/2.

[2]- سورة الأعراف، الآية:21.

[3]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، 5/285-284.

- **الاحتجاج بالتماثل الصوتي في السكون:**

الأصل في هذه الظاهرة الصوتية أن الكلمة عند أهل العربية لا تبدأ بساكن، ولا يُجْمَعُ بين ساكنين وسطها، وقد انتبه لهذا القانون علماء اللغة كالخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب، وغيرهما، وأَصَّلَهُ سيبويه في الكتاب، فصار أصلا من أصول المدرسة البصرية، قال سيبويه (ت: 180هـ): "وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء، حرف ساكن، لم يجز أن يُسكّن، ولكنك إن شئت أخفيت، وكان بزنته متحركا"[1]. وقد وردت قراءات متعددة جَمَعَ فيها القُرَّاء بين السَّاكِنَيْنِ الصَّرِيحَيْنِ بالخروج عن الأصل، فَوَقَفَ منها البصريون ومَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ مَوْقِفَ الإنكار، فنَسَبُوهَا إلى اللَّحْنِ، بينما الكوفيون أجازُوا اجتماع السَّاكِنَيْنِ في مِثْلِ المواضع التي أجازها القُرَّاءُ، معتمدين في ذلك على رواياتهم والسَّمَاعِ مِنَ العَرَبِ. ومما قرئ بالجمع بين الساكنين قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، فقد قرأ حمزة الزيات بتشديد الطاء، "فَمَا اسْطَّاعُوا"، وخففها الباقون، وحجة من شدد، أنه أدغم التاء في الطاء، لقرب التاء من الطاء في المخرج، ولأنه أبدل من التاء، إذا أدغمها، حرفا أقوى منها، وهو الطاء[3]، فهذه القراءة سَبْعِيَّةٌ، ورغم ذلك جمعت بين الساكنين، فأجازت ما لا يجوز إلا في الشاذ من الشعر، كقول الشاعر: [من بحر الرجز]

كَأَنَّهَا بَعْدَ كَلاَلِ الزَّاجِرِ *** ومَسْحِي مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرِ[4].

يريدون: ومسحه، فأدغم الحاء في الهاء، والسين ساكنة، فجمع بين ساكنين، ليس الأول حرف لين، وهو قليل بعيد[5]، وقد أثارتْ هذه الظاهرة الصوتية جَدَلاً علمياً كبيراً خاصة بين النحويين، فهذا الزَّجّاجُ يرُد هذه القراءة قائلا: "مَن قرأَ هذه القراءَةَ فهو لاحِنٌ مُخطِئٌ زعَمَ ذلكَ الخليلُ، ويونُسُ، وسيبويهِ وجَميعُ مَن يَقولُ بقولِهِم، وحُجَّتُهُم في ذلكَ أَنَّ السِّينَ ساكِنَةٌ، وإذا أُدغِمَتِ التَاءُ في الطّاءِ صارَت طاءً ساكِنَةً، ولا يُجمَعُ بينَ ساكِنَينِ."[6]، لكن ابن الجزري يرى أن هذا الجمع بين الساكنين جائز عند

---

[1]- الكتاب، سيبويه، 328/4.

[2]- سورة الكهف، الآية:93.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 550/2.

[4]- سيبويه، الكتاب، 338/4. هذا البيت الشعري ذكره سيبويه دون أن ينسبه، والشاهد فيه: أنه قلب الهاء حاء، وأخفاها في الحاء الأولى، وهذا ضرب من الإدغام عند سيبويه في كلام العرب، وهو يستدعي أن تنطق الحاء كأنها مشددة تشديدا خفيفا. والهاء في لفظة (كأنها) عائدة على الناقة التي يصفها الشاعر. والكلال بمعنى: التعب في لسان العرب، 5/ 3919. مادة "كلل". فقد وصف الشاعر في هذا البيت قوة الناقة بعد طول السير، وتعب زاجرها، كأنها عقاب منقضة، كسرت جناحيها عند انقضاضها.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 551/2.

[6]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 239/4.

القراء، قال رحمة الله عليه:" وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ جَائِزٌ مَسْمُوعٌ، قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو: وَمِمَّا يُقَوِّي ذَلِكَ وَيُسَوِّغُهُ أَنَّ السَّاكِنَ الثَّانِيَ لَمَّا كَانَ اللِّسَانُ عِنْدَهُ يَرْتَفِعُ عَنْهُ وَعَنِ الْمُدْغَمِ ارْتِفَاعَةً وَاحِدَةً صَارَ بِمَنْزِلَةِ حَرْفٍ مُتَحَرِّكٍ، فَكَأَنَّ السَّاكِنَ الْأَوَّلَ قَدْ وَلِيَ مُتَحَرِّكًا "[1]، فالملاحظ إذن، أن اللغة العربية إذا كانت تسير في اتجاه التخلص من مظاهر الصعوبة في النطق، فإننا نجد قراءة سبعية تأتي بالجمع بين الساكنين في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وقد أثارت هذه الظاهرة نقاشا علميا حاسما بين علماء اللغة العربية، بمختلف تخصصاتهم العلمية، فتعددت الرؤى مما يدل على عدم صرامة قواعد اللغة العربية، وأنها تسمح بورود القليل النادر الذي يمثل استثناء القاعدة.

ج. الاحتجاج بالتماثل الصوتي القائم على الإبدال بين الأصوات:

الإبدال عند اللغويين هو "إقامة حرفٍ مكان حرفٍ في موضعه، أو هو اتّفاق كلمتين في معنييهما وحروفهما عدا حرفاً واحدا"[2]، وقد أشار ابن جني إلى هذه القضية اللغوية في كتابه الخصائص (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وأعطى أمثلة كثيرة، تبين أن الحروف العربية تربط بينها آصرة القرابة بالأخوة، مما يسمح بإقامة حرف مكان حرف، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٤﴾ ﴾[3]، نجد أن (الأز) في الآية الكريمة بمعنى (الهز العنيف)،أي: تهزهم هزا، لأن الهمزة أخت الهاء، وهما حرفان من حروف الحلق، قال ابن فارس:" الْهَاءُ وَالزَّاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي شَيْءٍ وَحَرَكَةٍ[...]وَهَزِيزُ الرِّيحِ: حَرَكَتُهَا وَصَوْتُهَا.[...] وَمِنَ الْبَابِ الْهَزَاهِزُ: الْفِتَنُ يَهْتَزُّ فِيهَا النَّاسُ"[4]، فهذا الفعل يحمل دلالة حسية، تتمثل في حركة الشيء واضطرابه. قال الله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾[5]، فالفعل (هُزِي) في الآية الكريمة، بمعنى: حَرِّكِي جِذْعَ النَّخْلَةِ، وَقَرِّبِيهِ يَدْنُ إِلَيْكِ، وَيَلِنْ بَعْدَ الْيُبْسِ، وَيُسْقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا[6]، والتحريك طبعا سيكون قدر المستطاع، لأن مريم عليها السلام خائرة القوى بعد الوضع. أما الفعل (تؤزُّهم أزّا)، فيَدُلُّ عَلَى التَّحَرُّكِ

---

[1]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 316/2.

[2]- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2002م، 656/2.

[3]- سورة مريم، الآية:84.

[4]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الهاء، ص:1054.

[5]- سورة مريم، الآية: 25.

[6]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 88/16.

وَالتَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ"[1]، فهو يحمل دلالة معنوية قوية، تتمثل في قوة الحركة والإزعاج، لأن الفعل من عمل الشياطين، قال ابن جني: "أي: تزعجهم وتقلقهم، [....]، وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك"[2]، فالفعل هنا بمعنى تهزّهم هزًّا قويا وعنيفا، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، ولذلك قال أهل التفسير:" تُحَرِّكُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: تُزْعِجُهُمْ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تُشْلِيهِمْ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: تُغْرِيهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَتُهَيِّجُهُمْ لَهَا بِالْوَسَاوِسِ وَالتَّسْوِيلَاتِ"[3]، فهذه المعاني كلها متقاربة عند المفسرين، و تحقق القراءات القرآنية مثل هذا الإبدال بين الأصوات، بشكل واسع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[4]، ففي كلمة (الصراط) أربع قراءات، وهي:

- **القراءة الأولى:** قرأ (السراط) بالسين، قنبل عن ابن كثير[5]، لأن السين هو الأصل، إنما أبدل منها صادا لأجل الطاء التي بعدها للموافقة معها في الاستعلاء، فالصاد أقوى من السين، ولو كانت الصاد هي الأصل، لم تُرد إلى السين لضعف السين، لأن الأصل في كلام العرب أن يكون الإبدال من الأضعف إلى الأقوى. والسرط لغة: هو البلع، قال ابن فارس:" سَرَطْتُ الطَّعَامَ، إِذَا بَلَعْتَهُ، لِأَنَّهُ إِذَا سُرِطَ غَابَ. وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: السِّرَاطُ مُشْتَقٌّ مِنْ ذَلِكَ."[6]، فمن قرأ بالسين، إنما آثر أن يقرأ بالأصل، وإن كان في ذلك صعوبة في النطق، ومخالفة لرسم المصحف، وهي لغة عامة العرب.
- **القراءة الثانية:** قرأ بقية القراء ورواتهم، غير قنبل ورويس وخلف عن حمزة، بالصاد الصريحة (الصراط)، وهي لهجة قريش، وحجة من قرأ بالصاد، أنه وافق خط المصحف، وأن السين حرف مهموس فيه تسفل، وبعدها حرف الطاء، مجهور، مستعل، فأبدل من السين صادا لمؤاخاتها السين في الصفير والمخرج، ولأن مخرج الصاد قريب من مخرج الطاء، فضلا عن مؤاخاتها الطاء في الإطباق والاستعلاء، وقد أسهم هذا الإبدال في تحقيق التجانس الصوتي والخفة في النطق، مما دفع جمهور القراء إلى العدول عن الأصل. وقـــد وردت هذه اللفظة في شعر العرب للدلالة على الطريق، ومن ذلك قول الشاعر عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: [من بحر الوافر]

---

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الهاء، ص:42.

[2]- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، 499/1.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 297/7.

[4]- سورة الفاتحة، الآية:5.

[5]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 42/1.

[6]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب السين والراء وما يثلثهما، ص:512-513.

شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى*** تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ.

ونسب الطبري (ت310هـ) هذا البيت الشعري للهذلي أبي ذؤيب، وصيغته عنده.[1]

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بالخَيْلِ حَتّى*** تركْنَاها أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ[2].

وَقَولَ جَرِيرٌ بن عطية الخطفي: [من بحر الوافر]

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ *** إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ[3].

- **القراءة الثالثة:** القراءة بين الصاد والزاي، فقد " قرأ بها خلف عن حمزة وحجته، أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء في الجهر، لأن الصاد حرف مهموس، والطاء حرف مجهور، أشم الصاد لفظ الزاي، للجهر الذي فيها، فصار قبل الطاء، حرف يشابهها في الإطباق وفي الجهر اللذين هما من صفة الطاء"[4]، ومسوغ ذلك أنه سعى إلى تحقيق المؤاخاة بين الصوتين في الجهر والإطباق، مما يؤدي إلى سهولة النطق بالكلمة، "وحَسن ذلك، لأن الزاي من مخرج السين، والصاد مؤاخية لها في الصفير، والعرب تبدل السين صادا إذا وقع بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء، لتسفل السين وهمسها، وتصعد ما بعدها وإطباقه وجهره، ليكون عمل اللسان من جهة واحدة، فذلك أخف عليهم."[5].
- **القراءة الرابعة:** القراءة بزاي خالصة من غير إشمام (الزراط)، وهي قراءة شاذة، رواها القرطبي في تفسيره دون أن يعزوها لأحد[6]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحروف: الزاي والسين والصاد من حروف الصفير، لذلك تكون قابلة للإبدال وتناوب المواقع في بعض الكلمات، مما يسهم في إغناء المعجم اللغوي العربي وإثرائه وتوسيعه، فقد روى ابن دريد عن أبي حاتم، أنه قال: اختلف اثنان

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، 170/1.

2- لا يوجد هذا البيت الشعري في ديوان الشاعر، ونسبه القرطبي في تفسيره،128/1، لعامر بن الطفيل، وفي رواية أخرى ورد صدر البيت هكذا: (خَشَوْنَا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتّى). ينظر" الكشف والبيان عن تفسير القرآن" لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ /2002م، 119/1.

3- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 170/1. ورد هذا البيت الشعري في سياق مدح هشام بن عبد الملك، أي: إنه على طريق الحق./ والموارد: ج. موردة: وهي الطرق المؤدية إلى الماء، ويقصد هنا الطرق التي يسلكها الناس إلى قضاء أغراضهم، كما يسلكون الموارد إلى الماء.

4– الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 42/1-43. (بتصرف)

5- نفسه، 43/1.

6- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، 147/1.

في السَّقر والصَّقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فسألا أعرابيا: كيف تقول أبالصاد أم بالسين؟ فقال: أما أنا فأقول بالزاي[1]، ففي لفظة (الصراط) أربع لغات: السراط بالسين، وهو الأصل، وبالصاد لوقوع الطاء بعدها، وبالزاي الخالصة، وبإشمام الصاد الزاي، وكل ذلك قد قرئ به[2]، والمراد بهذه اللفظة في الآية الكريمة، بحسب هذه اللغات، طريق الحق، وهو دين الإسلام، قال القرطبي:" وَالْمَعْنَى: دُلَّنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَرْشِدْنَا إِلَيْهِ، وَأَرِنَا طَرِيقَ هِدَايَتِكَ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى أُنْسِكَ وَقُرْبِكَ."[3]، واستنادا إلى هذه القراءات القرآنية، فإن الأصوات في اللغة العربية تشترك في مجموعة من الصفات والخصائص النطقية، مما يحقق الإبدال والتناوب بينها في المواقع داخل الكلمات، فالأصل في لفظة (السراط) السين وهو صوت مرقق، ولكن لما جاور الطاء، وهو صوت شديد مفخم، كان من اللازم أن يبدل من السين نظيرها المفخم، وهو الصاد الذي يناسب الطاء في الإطباق والاستعلاء تحقيقا للخفة على اللسان في النطق، وبهذا يمكن القول بأن القراءات القرآنية كان لها أثر بالغ في تطور الصناعة المعجمية واتساع معجم اللغة العربية.

3. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الصناعة المعجمية:

أ. نشأة التفكير المعجمي والدلالي عند العرب ومراحل تطوره:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فأسهم بشكل كبير في حفظ اللغة العربية، وبقائها حية خالدة على مر الدهور، فهو المصدر الأول المعوَّل عليه في الدراسات الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية...، إذ بفضله نشأت العلوم اللغوية العربية، من معجم وصرف ونحو وبلاغة... وغيرها من علوم اللسان العربي. وتكاد تجمع كتب التراجم اللغوية على أن مراحل تطور الدراسات اللغوية عند العرب تتلخص في أربع مراحل، وهي: رواية اللغة، وتجميع المرويات اللغوية في تآليف خاصة، فتصنيف المعاجم بقسميها اللفظي والمعنوي، فمرحلة التنظير التي تميزت بوضع المناهج لدراسة الظواهر اللغوية، وسنركز على التأليف المعجمي باعتباره محاولة لجمع مفردات اللغة العربية مرتبة ترتيبا صوتيا أو ألفبائيا، أو بحسب الموضوعات، أو كما اصطلح عليها بمعاجم الألفاظ ومعاجم

---

[1]- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت: 370هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت- لبنان، 1411هـ/1991م، ص: 29.

[2]- نفسه، ص: 28.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 147/1.

المعاني، وإن كانت الأولى أسبق ظهورا من الثانية[1]. وقد تميزت مرحلة التأليف المعجمي بظهور كثرة المعاجم اللغوية العربية التي حققت وظيفة مركزية تمثلت في الحفاظ على اللغة العربية في ماضيها وحاضرها المتجدد، وما يلحقها من تطور في أثناء تفاعلها مع غيرها من اللغات عبر الحقب الزمنية. قال ابن منظور في مقدمة معجمه:" وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه، ولم أشبع باليسير"[2].

يتضح من هذا الكلام أن الغاية من جمع مفردات اللغة العربية هي حفظها وحمايتها من اللحن، وبذلك فإن المعاجم اللغوية تعد مصدرا مهما من مصادر المعرفة التي لا يمكن أن يستغني عنها الباحث المتخصص والطالب معا في دراسة الألفاظ من حيث صيغها ودلالاتها...، وما يعرض لها أحيانا من تطور في معانيها عبر الحقب الزمنية. وقد سلك التأليف المعجمي عند العرب طرقا مختلفة، أهمها:

- طريقة الترتيب الصوتي بحسب المخارج الصوتية والتقاليب والأبنية الصرفية.
- طريقة الترتيب الألفبائي وفق أصول الكلمات.
- طريقة الترتيب الموضوعي القائم على جمع المفردات ضمن حقول دلالية أو مجالات معنوية[3].

---

[1]- مراحل جمع اللغة العربية: أولا: مرحلة الرواية بالمعنى الاصطلاحي عند علماء البصرة والكوفة، وهي جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء بالذهاب إليهم في بواديهم أو بلقائهم في الحواضر. وقد توسع علماء الكوفة في الرواية عن العرب، ورووا عن اللهجات العربية كلها.
ثانيا: مرحلة التدوين، أي الكتابة لجمع الألفاظ التي تبدو غريبة على القارئ في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكان أول كتاب في غريب القرآن للصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت: 68هـ)، حيث كان يفسر مفردات القرآن تفسيرا لغويا مستشهدا بالشعر العربي القديم، ثم تتابعت التآليف المستقلة في غريب القرآن والحديث، والتآليف المختلطة في القرن الثاني من الهجرة، حيث سعى العلماء إلى جمع الألفاظ الغريبة والنادرة ومعرفة معناها ومواضع استعمالها لمقاومة اللحن. وأول كتاب في النوادر ذكرته المصادر "نوادر" أبي عمرو بن العلاء (ت: 154هـ). ينظر البيان والتبيين للجاحظ (ت: 255هـ)، 321/1.
ثالثا: مرحلة التأليف المعجمي: التي تميزت بكثرة المعاجم اللفظية ومعاجم المعاني، ففي القرن الثاني الهجري ظهر أول معجم من المعاجم اللفظية، وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ) الذي كان فاتحة لعهد جديد في التأليف المعجمي. رابعا: مرحلة التنظير التي شهدت ميلاد كوكبة من العلماء أشهرهم ابن جني (ت: 392هـ) الذي أخضع المادة اللغوية للمنطلقات المنطقية والاعتزالية في كتابه: الخصائص، وابن فارس (ت: 395هـ) الذي وضع كتابا في فقه اللغة بعنوان: "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، ثم عبد القاهر الجرجاني الذي كان ثورة على البلاغة العربية من منطلق نظرية النظم التي وضع تفاصيلها في كتابه المشهور:" دلائل الإعجاز"...

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، المقدمة، ص:12.

[3]- الطريقة الأولى والثانية تحيلان إلى معاجم الألفاظ التي يحتل فيها علم الأصوات وعلم الصرف أهمية بالغة في الصناعة المعجمية، بينما الطريقة الثالثة تحيل إلى معاجم المعاني، ويطلق عليها في علم الدلالة الحديث اسم المعاجم المتجانسة، أو المعاجم الموضوعية، أو معاجم تداعي المعاني، أو حقول المعاني، حيث يتم ترتيب الألفاظ بحسب معانيها. ينظر المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، لرياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 1407هـ/1987م، ص:29.

وإذا كنا لا ننكر فضل القرآن الكريم على العلوم اللغوية العربية عامة، والتأليف المعجمي خاصة، فقد كان عند أصحاب المعاجم حجة ودليلا قاطعا على صدق ما يذهبون إليه في أبحاثهم المعجمية التي تعد من أنجع الوسائل القديمة والحديثة للحفاظ على اللغة العربية في ماضيها وحاضرها المتجدد، وما يلحقها من تطور في تفاعلها مع غيرها من اللغات عبر مسيرتها التاريخية.

ب. وظيفة القراءات القرآنية في إغناء الدلالة المعجمية:

لقد بدأ تاريخ المعجم العربي منذ أن واجه الناس مشاكل في فهم القرآن الكريم، ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس (ت: 68هـ) رضي الله عنهما، أنه "كان جالسا بفناء الكعبة قد أسدل رجله في حوض زمزم، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن، وعن الحلال والحرام، وإذا هو يتعايى بشيء يسألونه عنه. فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم له به. فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عزّ وجل، فتفسره لنا، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عزّوجل أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

- قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضرا إن شاء الله تعالى. فقالا: أخبرنا عن قول الله عزّوجل: ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

- قال: عزين: الحلق الرفاق[2].

- قالا: وهل تعرف العرب ذلك؟

- قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول: [من بحر الوافر]

فَجَاءُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى *** يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا.[3]

يمكن أن نعتبر هذه المحاورة العلمية إحدى المقدمات الأولى لنشأة التفسير اللغوي، وفي الوقت نفسه تمثل الإرهاصات الأولى لنشأة المعجم اللغوي العربي، ذلك أن هذا العمل المعجمي مرتبط بالإلمام الواسع لعبد الله بن عباس بلغات العرب، ودلالات مفرداتها، وغريبها ونوادرها، وعلى أشعار العرب وأيامهم وأنسابهم وخطبهم وأمثالهم...، وقد مكنه هذا العلم الواسع بالعربية من حل بعض الإشكالات الدلالية التي كانت تعترض طريق السائلين، فاستطاع أن يفسر لهم مفردات اللغة العربية تفسيرا لغويا محضا من خلال الاستشهاد بأشعار العرب لتبيان المعاني القرآنية، ولذلك يمكن أن نعتبر مثل هذه

[1]- سورة المعارج، الآية:37.

[2]- الحلق الرفاق: جماعات متفرقين.

[3]- غريب القرآن في شعر العرب (مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس)، عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت: 68هـ) رضي الله عنهما، المقدمة، ص:26-27-28.

المحاورات العلمية البداية الفعلية لنشأة المعجم اللغوي العربي، لكنها مرتبطة بالعامل الديني الذي تمثل أساسا في حراسة القرآن الكريم خوفا من أن تقع فيه أخطاء في النطق أو الفهم، إذ لا يتحقق الفهم السليم لمفردات القرآن الكريم إلا بمعرفة دلالاتها ومعانيها، وبعد ذلك توجهت عناية علماء اللغة العربية إلى جمع اللغة وحفظها وتدوينها مخافة من الضياع، بانقراض الحافظين لها، فظهرت المصنفات اللغوية والمعاجم التي جمعت الألفاظ في الموضوع الواحد، كالمعاجم المتصلة بخلق الإنسان والخيل والطير والأرض والنبات أو الشجر...، وغيرها من المعاجم اللغوية التي اهتمت بالبحث عن أصول معاني الألفاظ، وأصولها الاشتقاقية، وتتبع مراحل تطورها الدلالي عبر العصور...، فتعددت المعاجم اللغوية باختلاف تخصصاتها حتى استوعبت بشكل كبير التراث اللغوي والفكري والديني والمعرفي والحضاري للأمة العربية في شتى ميادين الحياة. وسنبين في هذا المحور أهمية الاحتجاج بالقراءات القرآنية في التأصيل للمباحث الصوتية والتفكير المعجمي والدلالي عند العرب.

لقد أثرى الاختلاف في القراءات القرآنية المعجم اللغوي العربي، ووسَّعه على مستوى الأصوات والمعجم والصرف والنحو في نسق متكامل، ولذلك ميز علماء اللغة بين الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية، فالدلالة الصوتية تستمد مشروعيتها من طبيعة الأصوات، وذلك أن للصوت علاقة قوية بدلالة اللفظ، فالكلمة أصوات، يؤدي النطق الصحيح بها إلى فهم المعنى المقصود، كما ينتج عن فساد النطق بها تغير في الدلالة، فالصوت له أثر واضح في تعميق الدلالة وتصويرها في نفس المتلقي، وقد تنبه علماء اللغة العربية قديما إلى علاقة الصوت بالدلالة، ومن هؤلاء قول الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: 175هـ):" صَرَّ الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صَرْصَرَة، فكأنّهم تَوَهَّموا في صوت الجندب مدا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا. ونحو ذلك كثيرٌ مختلِفٌ"[1]، فالصوت يصور لنا المعنى، ويجسده في نفس المتلقي، ومن هنا تكون الوظيفة الصوتية في بناء الكلمة من الوظائف المساندة للوظائف الأخرى التصريفية والمعجمية والتركيبية في إنتاج الدلالة، ومن ذلك ظاهرة الإدغام، وتحقيق الهمز، وتخفيفها، والوقف والابتداء، والإمالة، والإبدال... وغيرها من أصول القراءات القرآنية التي أسهمت في إغناء المعجم اللغوي العربي، ومن النماذج الدالة على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 56/1.

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾[1]، فقد "قرأ الْجُمْهُورُ: خَلِيفَةً، بِالْفَاءِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْخَالِفِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَخْلُوفِ، وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ كَانَ مَعْنَاهُ: الْقَائِمُ مَقَامَ غَيْرِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي جُعِلَ إِلَيْهِ.[...] وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَبُو البرهسم عِمْرَانُ: خَلِيقَةً، بِالْقَافِ وَمَعْنَاهُ وَاضِحٌ."[2]، فهذا الاختلاف الصوتي بين الفاء والقاف، نتج عنه أثر كبير في المعنى، إذ القراءة بالفاء (خليفة) تدل على الاستخلاف في الأرض، أي: أن الله تعالى مستخلف في الأرض خليفة، ومصير فيها خلقا، يقال: "اسْتَخْلَفَ فُلَانًا مِنْ فُلَانٍ: جَعَلَهُ مَكَانَهُ. وخَلَفَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا كَانَ خَلِيفَتَه. يُقَالُ: خَلَفَه فِي قَوْمِهِ خِلافَةً. [...]، وخَلَفْتُه أَيضاً إِذَا جِئْتُ بَعْدَهُ. وَيُقَالُ: خَلَّفْتُ فُلَانًا أُخَلِّفُه تَخْلِيفاً، واسْتَخْلَفْتُه أَنا جَعَلتُه خَلِيفَتِي. واسْتَخْلفه: جَعَلَهُ خَلِيفَةً. والخَلِيفةُ: الَّذِي يُسْتَخْلَفُ مِمَّنْ قَبْلَهُ، والجمع خَلَائِف."[3]، فالآية الكريمة إشارة إلى أن الله عز وجل كرَّم الإنسان، وجعله خليفة في الأرض، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْخَالِفِ، كما يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَخْلُوفِ، فإِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ كَانَ مَعْنَاهُ: الْقَائِمُ مَقَامَ غَيْرِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي جُعِلَ إِلَيْهِ. وَالْخَلِيفَةُ، قِيلَ: هُوَ آدَمُ لِأَنَّهُ خَلِيفَةٌ عَنِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَرْضِ، أَوْ عَنِ الْجِنِّ بَنِي الْجَانِّ، أَوْ عَنْ إِبْلِيسَ فِي مُلْكِ الْأَرْضِ، أَوْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ وابن عباس. وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ خَلَائِفُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَاقْتُصِرَ عَلَى آدَمَ لِأَنَّهُ أَبُو الْخَلَائِفِ، [...]. وَقِيلَ: وَلَدُ آدَمَ لِأَنَّهُ يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا: إِذَا هَلَكَتْ أُمَّةٌ خَلَفَتْهَا أُخْرَى، قَالَهُ الْحَسَنُ، فَيَكُونُ مُفْرَدًا أُرِيدَ بِهِ الْجَمْعُ، [...]. وَقِيلَ: الْخَلِيفَةُ اسْمٌ لِكُلِّ مَنِ انْتَقَلَ إِلَيْهِ تَدْبِيرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالنَّظَرُ فِي مَصَالِحِهِمْ، [...]. وَفِي الْمُسْتَخْلَفِ فِيهِ آدَمُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْحُكْمُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ. الثَّانِي: عِمَارَةُ الْأَرْضِ، يَزْرَعُ وَيَحْصُدُ وَيَبْنِي وَيُجْرِي الْأَنْهَارَ"[4]، ففي لفظة (خليفة) وجوه من التفسير عند العلماء المفسرين، ومنها: أن المراد بالخليفة أبونا آدم عليه السلام، لأنه خليفة الله في أرضه، وقيل: ولد آدم، وقيل: الأنبياء جميعا خلائف الله في أرضه، وهم من آدم. وقيل: اسم لكل من تولى تدبير شؤون الناس والنظر في مصالحهم، والحكم بينهم بالحق والعدل. وعليه فالخليفة: "فعيلة بمعنى فاعل للمبالغة. وقيل: لأنه إذا مات يخلفه من بعده، وعليه فهو من فعيلة بمعنى مفعول"[5]، وكل هذه المعاني محتملة في الآية الكريمة. والله أعلم. وأما القراءة بالقاف (خليقة)،

1- سورة البقرة، الآية:29.

2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 227/1.

3- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خلف)، 83/9.

4- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 227/1.

5- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 398/1. وينظر إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، 81/1، والبحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 113/1.

فإن لفظة (خلق) تدل فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ابتِداع الشَّيْءِ عَلَى مِثال لَمْ يُسبق إِليه: وَكُلُّ شَيْءٍ خلَقه اللَّهُ، فَهُوَ مُبْتَدِئه عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سُبق إِليه. [....] قَالَ أَبو بَكْرِ بْنُ الأَنباري: الْخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ على وَجْهَيْنِ: أَحدهما الإِنْشاء عَلَى مِثَالٍ أَبْدعَه، وَالْآخَرُ التَّقْدِيرُ[1]، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝﴾[2]، معناه: أحسن المقدرين لخلقه، أي: إنه تعالى أحدثه بعد أن لم يكن موجودا، يقال: خليقة الله، وهم خلْق الله أيضا، والجمع الخلائق[3]، والخلق يكون المصدر، ويمكن أن يكون هو المخلوق، فالإنسان خليقة الله في الأرض، أي إنه تعالى أوجده قصد الاستخلاف في الأرض، فيكون معنى الآية الكريمة حسب هذه القراءة، أن الله تعالى أوجد الناس خليقة في هذه الأرض قصد عمارتها، فهُمْ خَلِيقةُ اللَّهِ، وَهُمْ خَلْق اللَّهِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، وَجَمْعُهَا الْخَلَائِقُ، فسبحان الله الذي خلق كل شيء، وأحسن تقديره، ولذلك كان من صفات الله تعالى الْخَالِقُ والخلَّاق، وَلَا تَجُوزُ هَذِهِ الصِّفَةُ بالأَلف وَاللَّامِ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[4]، لأن الله تعالى هُوَ الخالق الحقيقي الَّذِي أَوجد الأَشياء جَمِيعَهَا بَعْدَ العدم، ثم إن صيغة اسم الفاعل (جاعل) في الآية الكريمة دلت على أمر مؤكد الحدوث في المستقبل، وأنه واقع، ولاشك في وقوعه، ولذلك أيقنت الملائكة مباشرة بوقوع هذا الحدث، فتساءلت عن طبيعة أفعال من سيُستخلف في الأرض، ولم تسأل عن المستخلَف أو زمان استخلافه، فصيغة اسم الفاعل هنا أفادت الإخبار والتأكيد معا بوقوع هذا الحدث في المستقبل. والله تعالى أعلم.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن القراءة بالفاء (خليفة) تكون بمعنى أن الله استخلف آدم عليه السلام أو ذريته أو هو وذريته، وأن القراءة بالقاف (خليقة) تكون بمعنى الخلق، وهم خلق الله، أي: آدم وذريته الذين جعلهم الله خلفاء الأرض لتدبير شؤون الناس، والحكم بينهم بالحق والعدل، وقد وردت اللفظة بصيغة فعيل بمعنى فاعل للمبالغة للدلالة على كثرة عدد المخلوقين المستخلفين في الأرض، وهم آدم وذريته – والله تعالى أعلم-، واستنادا إلى هذا النموذج يمكن القول بأن القراءات القرآنية تعد مجالا خصبا وغنيا بالاختلافات الصوتية والصرفية والنحوية، وهي مادة لغوية ثرية كفيلة بتوسيع المعجم اللغوي العربي وإغنائه.

1- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خلق)، 85/10.

2- سورة المؤمنون، الآية:14.

3- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري، مادة (خلق)، 1471/4.

4- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (خلق)، 85/10.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي النحو والتصريف:

1. أهمية النحو في بناء المعاني القرآنية:

إن العلاقة بين النحو والتصريف علاقة العام بالخاص، فإذا كان النحو نظر في التركيب، فإن التصريف نظر في ذات الكلمة لتعرف بنيتها وصيغتها، فمن فاته علم التصريف، فاته علم عظيم، وكلاهما ضروريان في علم التفسير، لأن "النظر في كتاب الله، يكون من وجوه، الوجه الأول: علم اللغة اسما وفعلا وحرفا... والوجه الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من علم النحو"[1]، إذ لا يمكن أن تتضح لنا مصادر الكلمة إلا بالتصريف، فإذا استقام لنا ذلك، انتقلنا إلى التركيب للنظر في المعنى من طريق الإعراب الذي هو سبيل لفهم المعاني، لأن الإعراب إنما وضع للفرق بين المعاني، إذ المعنى يختلف باختلاف الإعراب، فلو ذهب الإعراب، لاختلطت المعاني، ولم يتميز بعضها من بعض، وتعذر علينا الفهم والإفهام، ولذلك يرى العلماء المسلمون أن فهم القرآن الكريم متوقف على معرفة علوم اللغة العربية، ومنها: علم النحو الذي نشأ منذ نزول القرآن الكريم، والتفكر في معانيه، إذ كان ظهوره مرتبطا باتساع رقعة الدولة الإسلامية، واختلاط العرب بالأعاجم، فأخذ اللحن ينتشر بين الناس، وفسدت الألسنة، فكانت الحاجة إلى علم النحو لتقويم الألسن حماية للقرآن الكريم من اللحن، ولعل هذا السبب هو الدافع الأساس لنقط المصحف ووضع ضوابط الشكل الإعرابي تفاديا للوقوع في اللحن من جهة، و دراسة أساليب نظمه ووجوه إعجازه قصد محاولة الفهم من جهة أخرى. قال ابن خلدون(ت: 808هـ) :" ولابد من معرفة علوم اللسان [...]، وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام، حسبما يتبين في الكلام عليها فنا فنا، والذي يتحصل أن المقدم منها هو النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة، وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمسند إليه، فإنه تغير بالجملة، ولم يبق له أثر، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة"[2]، فلا عجب من هذه الأهمية التي جعلت النحو يتقدم على سائر العلوم في صناعة الخطاب التفسيري، لأنه هو الأداة البارزة في فهم النص القرآني، والوسيلة الموضحة لمعانيه، ولذلك كان لظهور كتب معاني النحو وإعرابه أثر كبير في ظهور بوادر

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 14/1.

[2]- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب- دمشق، (بدون- ط)، 1425هـ/2004م، ص:367.

التفسير اللغوي، وقد رُوي عن النبي ﷺ، أنه قال: "أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه"[1]، فالمعرفة بالنحو شرط أساس في الفهم، إذ لا يمكن الاستغناء عنه في الكشف عن معاني القرآن الكريم قصد الوصول إلى بعض أسراره وعجائبه التي لا تنقضي، بل جعله الأئمة من السلف والخلف شرطا من شروط المجتهد في الفقه، لكي يستطيع أن يفرق بين المعاني، ويتمكن من استنباط الأحكام الشرعية.

2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا النحوية والتصريفية:

لقد كانت قضية عدم شمولية القاعدة النحوية لبعض الظواهر اللغوية في القرآن الكريم وقراءاته من القضايا المهمة التي شغلت بال الباحثين، فاتجهوا إلى ضرورة تصحيح منهج النحو العربي، وذلك بربطه بالقرآن الكريم وقراءاته، ليستمد أصوله من سند قوي وثابت، وهو القرآن الكريم، أي أن يتجه وجهة قرآنية خالصة لإعادة النظر في مصطلحاته وقواعده وعلله وأقيسته...، وذلك لأن القرآن الكريم وقراءاته هو المصدر الأول الذي يُحتج به عند اللغويين والنحويين في دراسة العربية، وتوثيق قواعدهم وأصولهم، إذ الأصل هو أن يُقعد للنحو والصرف بالقرآن الكريم، مما جعل الخلف من النحاة يستثمرون القرآن الكريم وقراءاته للرد على الكثير من المسائل والقضايا الصوتية والصرفية و النحوية التي عالجها النحاة المتقدمون، ففتحوا بذلك مجالا واسعا للاجتهاد قصد إثراء الدرس اللغوي الحديث، وانطلقوا من القرآن الكريم بقراءاته، لإعادة النظر في بناء القواعد اللغوية، فاتجهت مصطلحاتهم النحوية والتصريفية نحو المرونة والليونة، كي تتناسب مع طبيعة اللغة العربية، ومن مظاهر ذلك:

- الحكم بجواز بعض القراءات القرآنية التي كانت غير جائزة عند النحاة المتقدمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]، موطن الشاهد لفظة (وَضَعَتْ)، فقد قرأ باقي السبعة بفتح العين وإسكان التاء، وقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَيَعْقُوبُ: بِضَمِّ التَّاءِ (وَضَعْتُ)، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بِمَا وَضَعْتِ، بِكَسْرِ تَاءِ الْخِطَابِ.[3]، فأما القراءة الأولى فإنها دلت على القصد في الإعلام والإِخْبَارِ مِنَ اللَّهِ سبحانه وتعالى، بِأَنَّهُ أَعْلَمُ بهذا الوضع. أَيْ: أعلم بِحَالِهِ، وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ هَذِهِ الْأُنْثَى، بينما القراءة الثانية بالضم دلت على أن

---

[1]- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن نعيم بن الحكم النيسابوري (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، 477/2. رقم الحديث:3644.

[2]- سورة آل عمران، الآية:36.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 117/3-118.

الكلام لأم مريم، وكأنها خاطبت نفسها على سبيل التسلية، وليس على سبيل الإخبار، لأن الله تعالى أعلم بذلك قبل الوضع، بينما دلت القراءة الثالثة على توجيه الخطاب إلى أم مريم، وكأن قائلا قال لها ذلك، فتكون العلامة الإعرابية إشارة موحية بهذه المعاني التي تكشف عنها كل قراءة. قال الفراء (ت207هـ):" قد يكون من إخبار مريم، فيكون (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ)، يسكن العين، وقرأ بها بعض القراء، ويكون من قول اللّه تبارك وتعالى، فتجزم التاء لأنه خبر عن أنثى غائبة"[1]، فهذه الوجوه القرائية أحدثت تمييزا بين أنواع الخطاب، فالقراءة بالإسكان دلالة على الإخبار الإلهي عن فعلها، لأن الكلام "ليس من كلامها، بل معترض، وجاز ذلك لما فيه من تعظيم الرب تعالى"[2]، والقراءة بالضم دلالة على قول أم مريم وفعلها، والقراءة بالكسر دلالة على توجيه الخطاب إليها للعلم بفعلها. والقراءة "الْأُولَى أَقْوَى، لِأَنَّ الْوَجْهَ فِي مِثْلِ هَذَا أَنْ يُقَالَ: وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ. وَوَجْهُ جَوَازِهِ أَنَّهَا وَضَعَتِ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ تَفْخِيمًا"[3]، والوقف جائز في القراءة بسكون التاء، وغير جائز لمن ضمها[4]. وفي الآية الكريمة، اعتراض بجملتين، الأولى «والله أعلم بما وضعت»، والثانية «وليس الذكر كالأنثى»، إذ يجوز الِاعْتِرَاض بِأَكْثَر من جملَة خلافًا لأبي عَليّ الْفَارِسِي الذي مَنع ذَلِك[5]، فما المسوغ من منعه الاعتراض بأكثر من جملة في القرآن الكريم، وفي كلام العرب؟. هكذا توسع النحاة في تحليل الوجوه الإعرابية للقراءات القرآنية من خلال النظر في عناصر الجملة القرآنية وترابطها، والاستدلال بقرائن الحال والمقام، وما تتيحه العلامة الإعرابية من إمكانات للكشف عن المعاني المقصودة.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

[1]- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار- عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1، (د.ت)،207/1.

[2]- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت: 616هـ)، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، 2000م،138/3.

[3]- نفسه، 138/3.

[4]- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم الشافعي (ت: نحو 1100هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر، 2008م،136/1.

[5]- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله المعروف بالوقاد (ت: 905هـ)، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الرسالة- بيروت، ط1، 1415هـ/1996م، ص:59.

بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٤﴾﴾[1]، موطن الشاهد لفظة (عَسِيتُمۡ)، حيث" اختلفوا في كسر السين وفتحها، فقرأ نافع: هَلْ عَسِيْتُمُ بكسر السين [...]، وفتح الباقون السين من عَسَيْتُمُ"[2]. قال أبو علي الفارسي(ت: 377هـ): الأكثر فتح السين، وهو المشهور، ووجه الكسر قول العرب: هو عس بذلك[3]، وأهل اللغة يقولون: عَسَيت أن أفعل ويختارونه"[4]، أي: يختارون القراءة بفتح السين، لكن النحاة المتأخرين حكموا بجواز كسر السين وفتحها إعمالا للقراءتين معا.

- الخروج عن النحو البصري في قضايا نحوية، كالسماح بجواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[5]، قرأ ابن عامر وحده (زُيّن) برفع الزاي، و(قتلُ) برفع اللام، ونصب الدال في (أولادَهم) وخفض (شركائِهم). فيما قرأ الباقون بنصب الزاي في (زَيّن)، ونصب اللام في (قتلَ)، وخفض (أولادِهم)... ورُدّت هذه القراءة السبعية، لأنها خالفت القاعدة التي تقضي بعدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر عند نحاة البصرة، بينما أجازها نحاة الكوفة اعتمادا على هذه القراءة، وما يمتلكونه من شواهد في كلام العرب، شعرا ونثرا، وقبِلها النحاة المتأخرون بصدر رحب، باعتبارها قراءة منقولة بالتواتر عن النبي ﷺ، وموافقة لرسم المصحف، ولها وجه في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ومما ردّه نحاة البصرة، وقَبِلَهُ النحاة المتأخرون، قراءة نافع في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾[6]، قرأ الجمهور(معايش) بالياء، وقرأ الأعرج وزيد والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر(معائش) بالهمز[7]، وردّ أبو عثمان المازني (ت: 247هـ) هذه القراءة بدعوى أن نافعا لم

---

[1]- سورة البقرة، الآية:244.

[2]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (ت: 377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1413هـ/ 1993م،349/2.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 570/2.

[4]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 213/1.

[5]- سورة الأنعام، الآية:138.

[6]- سورة الأعراف، الآية:9.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 15/5.

يكن عالما بالعربية وكلام العرب، قال:" أَصْلُ أَخْذِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ عَنْ نَافِعٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي مَا الْعَرَبِيَّةُ وَكَلَامُ العرب"[1]، وحاشا أن يكون الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم (ت: 169هـ)[2] غير عالم باللغة العربية، وهو مقرئ أهل المدينة، وأحد أئمة القراء السبعة، فكيف ينسب إليه هذا الخطأ؟. كما أنكر أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ) هذه القراءة بدعوى أنه لا يحب القراءة بالهمز، إذ أكثر الناس يقرؤون بترك الهمز، قال: "فأما ما رواه نافع من معائش بالهمز، فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظَ هذه الياءِ التي من نفس الكلمة أَسْكِنَ في معيشة، فصار على لفظ صحيفة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءَة بالهمز ،إذ كَانَ أَكْثرُ النَّاسِ، إنَّمَا يقرؤون بترك الهمز، ولو كان مما يهمزُ، لجاز تحقيقه وترك همزه، فكيف وهو مما لا أصل له في الهمز؛ وهو كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ الذي ينبغي أن يقال فيه إلى ما عليه الأكثر، لأن القراءَة سنة، فالأَوْلى فيها الاتباع، والأولى اتباع الأكثر."[3] ، فعدّ النحاة هذه القراءة مخالفة للقياس في الجمع، إذ صيغة (مفعلة) تجمع على وزن (مفاعل) نحو: مناور- مقاوم...، وكذلك معايش، وليس على وزن (فعائل)، إلا أن النحاة المتأخرين قبِلوا هذه القراءة، ولذلك ردّ أبو حيان الأندلسي على نحاة البصرة بكل ثبات، قائلا : "وَلَسْنَا مُتَعَبِّدِينَ بِأَقْوَالِ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ"[4]، فكان هذا الرجل يقبل لغة القرآن وقراءاته جميعا، وهي عنده حجة، ولذلك قَبِل أن يقال: معائش، احتجاجا بقراءة نافع، وإن ردها المازني وغيره من نحاة البصرة الذين يعتمدون منهجا نحويا قائما على القياس والتعليل.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 15/5. أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب المازني العدوي (ت: 247هـ)؛ من بني مازن بن شيبان من أهل البصرة، عالم كبير في اللغة والأدب والنحو، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي، وأخذ عنه أبو العباس المبرد، والفضل بن محمد اليزيدي، وغيرهم. له تصانيف كثيرة: منها: كتاب التصريف، وكتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب الألف واللام، وكتاب العروض، وكتاب القوافي. ينظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: الدكتور رياض مصطفى عثمان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 125.

[2]- هو الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم، وكنيته أبو رويم، مدنيّ، وأصله من أصبهان، ولد رضي الله عنه سنة سبعين، وتوفّي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة، هو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، ونافع هو أحد الأئمة القراء الذين اشتهر ذكرهم في جميع الآفاق، ووقع على فضلهم وجلالتهم الاتفاق، وكان أسود شديد السواد. أمّ الناس في الصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة، قرأ على سبعين من التابعين، وقرأ على مالك رضى الله عنه الموطأ، وقرأ عليه مالك القرآن، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، وأجمع عليه الناس بعد شيخه أبى جعفر، وقرأ عليه مائتان وخمسون رجلا. وكان رضي الله عنه واسع العلم في علوم القرآن، وعلوم العربية. ينظر شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ص:12.

[3]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 247/2.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 15/5.

- الخروج عن النحو الكوفي في قضايا نحوية وصرفية، كإثبات وزن (فعليل) في كلام العرب بعد إنكاره من قبل نحاة الكوفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴾[1]، فقد قرأ ابن كثير(جَبرِيل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، مع العلم أن الهمزة ليست كغيرها من الحروف الصحيحة، لأنها قابلة للتغيير بالإبدال والحذف بالنقل وغيره. ويرى كثير من النحويين أن هذا اللفظ من الألفاظ الأعجمية التي تركتها العرب على أبنية العجم، ويرى آخرون، ومنهم الأخفش(ت: 215هـ) وأبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)...، أن القراءة بالفتح من لغات العرب. قال أبو إسحاق الزجاج في هذه القضية :"جبريل في اسمه لغات قرئ ببعضها ومنها ما لم يُقْرأ به، فأجود اللغات جَبْرَئِيل - بفتح الجيم، والهمز، لأن الذي يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في صاحب الصور" جَبْرَئِيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث، ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرها ويقال أيضاً جبرَأَلٌ - بحذف الياءِ وإثبات الهمزة (وتشديد اللام)، ويقال جبرين - بالنون وهذا لا يجوز في القرآن - أعني إثبات النون لأنه خلاف المصحف"[2]، إلا أننا نجد نحاة الكوفة ينكرون وزن هذا اللفظ (فعليل) في كلام العرب، فهذا الفراء(ت: 207هـ)، عماد المدرسة الكوفية، ينقل عنه أبو حيان، أنه قال: "لَا أُحِبُّهَا، [أي القراءة بالفتح] لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلِيلٌ"[3]، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ اَ۬لْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۖ وَأَنزَلَ اَ۬لتَّوْرَىٰةَ وَالِانجِيلَ ﴾[4]، فقد قرأ الحسن: الأنجيل، بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمية، لأن أفعيل- بفتح الهمزة- عديم في أوزان العرب[5]، وغير ذلك من الآراء التي قيلت بخصوص تلحين القراءات القرآنية، إلا أن النحاة المتأخرين حكموا بجوازها توسيعا لمنهجهم في الاستدلال بالقرآن الكريم وقراءاته المتواترة والشاذة، باعتبارها حجة في بناء أصولهم وأحكامهم اللغوية، ومجالا لاستقرائهم، واستنباط القاعدة اللغوية، وكل ما في الأمر أن ثمة لغة شائعة كثيرة، وأخرى قليلة نادرة، فإذا صحت لغة القراءة، فإن صحتها لا تعني قوتها وفصاحتها، بل تعني أنها لغة مسموعة، ولكنها قليلة.

1- سورة البقرة، الآية:96.

2- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 103/1.

3- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 509/1.

4- سورة آل عمران، الآية:2.

5- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 335/1-336.

خلاصة القول؛ فإن النحاة المتأخرين اتجهوا بالمصطلحات نحو المرونة والليونة من خلال احتجاجهم بالقرآن الكريم وقراءاته في مختلف القضايا الصوتية والنحوية والصرفية، مما ساعدهم على الجمع بين منهجين في منهج واحد، فالمنهج الأول، هو منهج القراء القائم على العرض والأداء والنقل، والمنهج الثاني، هو منهجهم القائم على السماع والقياس، فحاولوا بذلك تأسيس منهج نحوي جديد قائم على الجمع بين المنهجين، وذلك باستثمار اللغة القرآنية على اعتبار أنها الأصل، وهي المصحِّحَة للأصول، ودليل قوي على صحة الاستنباط والقياس، وقد عَمِل هذا المنهج النحوي الجديد على تكسير حدة التعصب بين النحاة، والتقليل من الخلاف في المسائل اللغوية، فكان أقرب إلى المنهج الوصفي الذي فتح آفاقا رحبة وجديدة في دراسة الظاهرة اللغوية، ونزوع التفكير اللغوي نحو العلمية والموضوعية.

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علوم البلاغة والشعر

1. صلة القراءات القرآنية بعلوم البلاغة:

لقد تعددت الدراسات البيانية التي تناولت تفسير القرآن الكريم منذ زمن مبكر، فظل هذا الإحساس الفطري بالبيان القرآني، ينمو ويتطور مع مرور الزمان، إلى أن تحول إلى إحساس معرفي يتوخى البحث في أساليب القرآن الكريم، ونظمه، وصور إعجازه، مع علمنا أن" القرآن الكريم كان علم البلاغة عند العرب، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم"[1]، ذلك أنه نزل على قوم بلغوا ذروة سامية في الفصاحة والبيان، فوجدوا أن أسلوبه فريد، لذلك تلقاه الخطباء والأدباء والشعراء وعلماء الأمة الإسلامية بالمهابة والجلال، لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله، فشرعوا يبحثون عن أسرار إعجازه، وتعددت الأقوال في هذا الإعجاز، فمنهم من قال بالصرفة[2]، ومنهم من قال بنظمه وتراكيب جمله، وباستعاراته وتشبيهاته وبديع آياته، ويكادون يجمعون على أن القرآن معجز من جهة بلاغته، ولذلك يُعَدّ علم البلاغة عند المفسرين من العلوم الواجبة على من أراد أن يفسر شيئا من القرآن الكريم. قال الزمخشري (ت: 538هـ)، فيما معناه: لا يغوص الرجل على شيء من الحقائق الواردة في كتاب الله عز وجل إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان،[...] بعد أن يكون قد أخذ من سائر العلوم بحظ

---

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: 1356هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، الصحوة- القاهرة، ط1، 1435هـ/2015م، ص: 225.

[2] - قول المعتزلة: إن الله تعالى صرف الناس عن الإتيان بالقرآن الكريم.

وافر[1]، وقد حصر أبو حيان الأندلسي(ت: 745هـ) هذه العلوم في سبعة، وهي: علم اللغة، علم الصرف والنحو، علم البلاغة، علم الحديث، علم أصول الفقه، علم أصول الدين والكلام، وعلم القراءات[2]، ويمكن أن نضيف علوما أخرى، كالطب والفلك وعلم الطبيعة، وعلم الاجتماع... وغيرها من العلوم التي تفيدنا في العملية التفسيرية، وذلك في إطار نظرية تكامل العلوم والمعارف، إذ لا يتحقق البيان القرآني إلا بامتلاك أدوات غنية، تمكننا من الفهم والاستنباط. وقد لفت انتباهي كلام ابن الجزري(ت: 833هـ)، حينما جعل القراءات القرآنية مدخلا بلاغيا في بيان إعجاز القرآن الكريم. قال رحمة الله عليه: "وَمِنْهَا (أي القراءات القرآنية) مَا فِي ذَلِكَ مِنْ نِهَايَةِ الْبَلَاغَةِ، وَكَمَالِ الْإِعْجَازِ وَغَايَةِ الِاخْتِصَارِ، وَجِمَالِ الْإِيجَازِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ، إِذْ كَانَ تَنَوُّعُ اللَّفْظِ بِكَلِمَةٍ تَقُومُ مَقَامَ آيَاتٍ، وَلَوْ جُعِلَتْ دَلَالَةُ كُلِّ لَفْظٍ آيَةً عَلَى حِدَتِهَا لَمْ يَخْفَ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ مِنَ التَّطْوِيلِ."[3]، مما يثبت معه القول بأن القراءات القرآنية من أوجه البلاغة المحققة للمعاني القرآنية والإعجاز البياني على السواء.

ولا ريب أن المتتبع للظواهر المترتبة على القراءات القرآنية، سيجد لا محالة أن أكثر هذه الظواهر لها صلة بعلم المعاني الذي جعله علماء البلاغة منحصرا في موضوعات تتصل بالنظم، ومطابقة الكلام الرباني لمقتضى الحال أصالة، ذلك أن الأسلوب القرآني أسلوب بلاغي بامتياز، إذ يتسم بالإيجاز والاختصار، لأنه قد تكون المفردة القرآنية داخل النظم الواحد قابلة لتعدد القراءات القرآنية، مما يؤدي إلى تعدد الأوجه اللغوية والنحوية والبلاغية، وهذا طبعا يفضي إلى تعدد المعاني القرآنية في الآية الواحدة، حسب ما تحتمله المفردة في سياقها من دلالات، إذ كل قراءة تؤثر على حركة المعنى في التركيب، وفق نسق متكامل يحقق لنا الثراء الدلالي في القرآن الكريم. وسنكتفي في هذا المطلب بتقديم نماذج من الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم البيان.

2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في تنوع مدلولات الصورة البلاغية:

أ. التشبيه:

لقد أدرك علماء اللغة والبلاغة والتفسير أهمية التشبيه في قراءة النص القرآني لغويا وبلاغيا لاستنباط معانيه، كما أدركوا من خلال التعامل مع القرآن الكريم أهمية تغاير القراءات القرآنية في تنوع المعنى من طريق التشبيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً

[1]- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، المقدمة، ص:2.

[2]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، 14/1-15-16. (بتصرف)

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 52/1.

يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[1]، موطن الشاهد لفظة (قاسية)، قَرَأَها حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ (قَسِيَّةً) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ بغير ألف على وزن فعيلة، وَالْبَاقُونَ بِالْأَلِفِ وَالتَّخْفِيفِ،[...]، وقرئ قِسية، بكسر القاف للاتباع.[2] وحجة من قرأ بالألف (قاسية) أنها صيغة اسم الفاعل، من (قسا-يقسو)، وأصلها (قاسِوة)، فلما تحركت الواو، وانكسر ما قبلها، قلبت ياء، وهي من القسوة لا غير، "قسا: القَسَاء: مَصْدَرُ قَسا القَلبُ يَقْسُو قَسَاء. والقَسْوَةُ: الصَّلابةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وحجَر قَاسٍ: صُلْب. وأَرض قَاسِيَةٌ: لَا تُنبت شَيْئًا"[3]، فالقسوة، هي الصلابة في كل شيء، سواء ارتبطت الدلالة بما هو حسي أو ما هو معنوي، ومن ذلك غلظ القلب، ونبوه عن الرأفة والرحمة. واحتج أصحاب هذه القراءة بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[4]، أي: إن قلوبهم لا تعي، ولا تفعل ما فيه خير وصلاح، وهي بذلك شبيهة بالحجر في القسوة والصلابة. قال فخر الدين الرازي (ت: 606هـ):" وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً أَيْ جَعَلْنَاهَا نَائِيَةً عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ مُنْصَرِفَةً عَنِ الِانْقِيَادِ لِلدَّلَائِلِ"[5]، فهي قلوب بعيدة عن قبول دلائل الحق والإيمان. وأما قراءة (قَسِيَّة)، فهي على وزن فعيلة. قال ابن منظور:" القَسِيُّ: الشَّدِيدُ: ودِرْهَم قَسِيٌّ: رَدِيءٌ، وَالْجَمْعُ قِسْيانٌ مِثْلُ صَبِيّ وصِبْيان، قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِلْكَسْرَةِ قَبْلَهَا كقِنْية، وَقَدْ قَسا قَسْواً"[6]، فالقسي الشديد في كل شيء، و درهم قسي؛ أي فاسد ومغشوش، ونقل ابن عطية (ت: 542هـ) عن الطبري (ت: 310هـ)، أنه قيل بأن: "قسية، ليست من معنى القسوة، وإنما هي كالقسي من الدراهم، وهي التي خالطها غش وتدليس، فكذا القلوب لم تصْفُ للإيمان بل خالطها الكفر والفساد."[7]، فيكون المعنى: أن هذه القلوب شُبهت بهذه الدراهم الفاسدة والمغشوشة، ووجه الشبه بين الطرفين هو الفساد وعدم الصفاء. ووزن (فعل) إنما يأتي اسم الفاعل منه على (فاعل) في أكثر كلام العرب، وأيضا فإن (فعيلا) و(فاعلا)، أخوان،

1- سورة المائدة، الآية:14.

2- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1402هـ،325/11.

3- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 180/15-181.

4- سورة الزمر، الآية:21.

5- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 325/11.

6- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 181/15.

7- المحرر الوجيز، أبو محمد بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ، 169/2.

نحو: رحيم وراحم، وعليم وعالم، لكن في (فعيل) معنى التكرير والمبالغة.[1]، ومادام أن صيغة (فعيلة) دالة على معنى التكرير والمبالغة[2]، فإن القراءة بهذا الوزن، أبلغ في الذم من(فاعلة)، فكان وصف قلوب هؤلاء الذين حرّفوا كلام الله، وزاغوا عن الحق والإيمان، بأبلغ صفات القسوة، ذلك أن قلوبهم بلغت الحد الأقصى في الغش والكفر والفساد، فطبع الله عليها كالدرهم الفاسد.

نخلص إلى أن هذه الصورة البلاغية القائمة على التشبيه البليغ، حققت وظيفة تصويرية بيانية تمثلت في الوصف الدقيق لهذه القلوب المريضة، البعيدة كل البعد عن الإيمان والحق، مما جعلها قلوبا فاسدة، لا يُرجى منها نفع ولا خير.

ب. الاستعارة:

تعد الاستعارة فنا من فنون القول الجميلة في اللغة العربية، ويُتوخى منها توصيل المعنى إلى قلب السامع بطريقة فنية وجميلة، ولا شك أن تغاير القراءات القرآنية، يسهم بشكل كبير في تنوع مدلولات هذه الصورة البلاغية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٢﴾﴾[3]، فقد قرأ ابن كثير (ولا يَسمَع الصم الدعاء)، بفتح الياء، وفتح الميم، ورفع الصم على الإخبار عنهم،[...] وقرأ الباقون بضم التاء، وكسر الميم، ونصب الصم.[4]، فالمعنى المقصود في قراءة ابن كثير، هو نفي السماع عنهم، ولذلك رفعهم كرفع الفاعل، لأنهم لا يسمعون الحق، كما لا يسمع الأصم كلام من يكلمه. وفي هذه القراءة استعارة، إذ لفظة (الصم) استعارة للقوم الذين يعرضون عن الحق، ولا يستمعون إليه، فشبهوا في إعراضهم عن قبول الحق بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس، لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله، لا تعيه آذانهم، وكأنهم بلا سماع حقيقة لانتفاء جدوى السماع، فهم كحال الموتى الذين فقدوا السماع، كما شبهوا بالصمّ الذين ينعق بهم فلا يسمعون. ولما لم يكن التصريح بالمستعار له في الآية الكريمة (المشركون)، وإنما صُرِّح بلفظ المستعار منه: الموتى، الصم على سبيل الاستعارة التصريحية للدلالة على حال هؤلاء المشركين الذين أعرضوا عن سماع الحق، فلم ينتفعوا به. قال الطبري (ت310هـ) في تفسير هذه الآية: "إنك يا محمد لا تقدر أن تُفِهم الحقّ من طبع

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 355/1.

[2]- المبالغة في القرآن الكريم، ماهي إلا طريق من طرق إثبات المعنى مؤكدا، كطريق التشبيه والاستعارة والكناية...إلخ، فتكون المبالغة في جهة صياغة المعنى قصد التأكيد بهدف الإقناع والتأثير، لأن القرآن الكريم حقائق ثابتة، ليس فيها ادعاء أو المبالغة بالعدول عن الحقيقة، وهذا يقودنا إلى القول بأن المبالغة في القرآن الكريم، ليست على سنن المبالغات المعهودة في كلام الناس.

[3]- سورة النمل، الآية:82.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 629/2-630.

الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه، ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمّ الله عن سماعه سمعه، إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم، ولا يُصغون للحقّ، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له."[1]، ويتبين أن الخطاب موجه إلى الرسول محمد ﷺ، وهو جار على نسق أسلوبي واحد، وهو: لا تُسمع الموتى/ولا تُسمع الصم، وهذا النسق الأسلوبي، مازال جاريا على الاستعارة للدلالة على شدة إعراضهم، عما يُدعون إليه من الحق، وهذا أنكى وأوغل في تشبيههم بالموتى والصم.

ج. التعبير القرآني بين الإسناد الحقيقي والمجازي:

تؤثر القراءات القرآنية على نوعية الإسناد في التعبير القرآني، فيتأرجح المعنى بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية، والظاهرة اللافتة للنظر في هذا الأمر، أننا نجد تفاوتا في قوة الدلالة بين القراءتين، وذلك بحسب أحوال المخاطبين، فتناسب كل قراءة صنفا من المخاطبين، لأن اهتمامات الناس متفاوتة، والقرآن الكريم بقراءاته حريص على تتبع كل الأحوال بشكل موجز، وتبعا لهذا، تكون لكل قراءة دلالة معينة، لكن الاختلاف بينهما، لا يؤدي إلى التعارض والتباين، وإنما يؤدي إلى اكتمال الصورة المحققة للغرض. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[2]، فقد قرأ حمزة والكسائي "ساحر" بألف، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر "سحر" بغير ألف[3]. ونشير هنا إلى أن أي تغيير في رسم الكلمة بالزيادة أو النقصان، يتبعه تغيير في حركة المعنى، إذ القرآن الكريم معجز بنظمه ورسمه، ولذلك فإن زيادة الألف ونقصانها سر من الأسرار التي خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. فالقراءة بالمصدر وما يترتب عليها من إسناد اسم الفاعل "مبين" إلى ضميره إسنادا مجازيا؛ لأن السحر لا يبين، ولكنه يبان، فهذه القراءة تُشعر بأن الانبهار كان بالسحر نفسه، حتى صار في أعينهم كأنه قائم بذاته؛ من شدة تأثيره،

---

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 495/19.

[2]- سورة المائدة، الآية:112.

[3]- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص:249.

وحذفت الألف لتهون من شأن الساحر وعمله. أما القراءة باسم الفاعل (ساحر)، فهي تدل على ذات الساحر، وتشعر بأن الانبهار كان به، لكن مهما بلغ شأنه، فإنه لا يفلح الساحر حيث أتى. والواضح أن القراءة بالمصدر أقوى دلالة على التأثر والانجذاب والتجاوب، ولا شك أن التفاوت في قوة الدلالة راجع إلى تعدد نواحي الاستجابة عند الناس. ومن منظور آخر، قد يكون "في الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فيكون مثل القراءة بالألف [...] ويجوز أن يكون ساحر بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر"[1]، فالملاحظ أن لكل قراءة دلالة متفردة مطابقة لمقتضى الحال، وإن حصل التداخل الحسن بين القراءتين في اكتمال الصورة المحققة للغرض.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم: "فَعَمِيَتْ"، بتخفيف الميم وفتح العين، وقرأ حمزة والكسائي: "فَعُمِّيتْ"، بضم العين وتشديد الميم[3]، ومعنى "عُمِّيت أُخفيت، وقُرئ عمِيَت ومعناه خَفِيت وحقيقتُه أن الحجةَ كما تجعل مُبصِرة وبصيرةً، تجعلُ عمياءَ لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيرَه، وفي قراءة أُبَيّ فعماها عليهم على الإسناد إلى الله عزَّ وجلَّ."[4]، فأما القراءة بضم العين وتشديد الميم، فإنها تدل على أن القوم لما أعرضوا كارهين، حيل بينهم وبين رؤية الحق، ويؤيد هذا المعنى قراءة أبَيّ" فعماها عليهم"، وأما قراءة تخفيف الميم وفتح العين، فإنها تدل على أن الآية لما أهملوها أهملتهم، وهذا ما يستفاد من إسناد "عميت" إلى ضمير البينة إسنادا مجازيا، والفاعل الحقيقي الذي قُصد وصفه بالعمى، هم القوم الذين انصرفوا عن الحجة أو البينة، فلم يهتدوا بها، ولم يواجه نوح عليه السلام، قومه بإسناد العمى إليهم؛ خشية اصطدامه بهم في موقف يحاول فيه استمالتهم، ويدعوهم بالحجة المقنعة والموعظة الحسنة، ولهذا المعنى، أوثر إسناد العمى إلى البينة تجوزا، وإن كان الموصوف بالعمى حقيقة هم القوم، فقام التعبير القرآني على استعارة التعمية للإخفاء أو الاشتباه بجامع عدم الرؤية فيهما، للدلالة على انصراف قوم نوح عن الحق.

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 367/1.

[2]- سورة هود، الآية:28.

[3]- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، ص:332.

[4]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 201/4.

والحاصل أن قراءة تخفيف عين الفعل" عَمِيَتْ"، وبناءه للفاعل، وما يستتبعه من ملاحظة التجوز الإسنادي، أضفى على الأسلوب القرآني الروعة والجمال، وذلك من خلال التعريض بأن هؤلاء القوم غير مهيئين لرؤية الحق وإدراكه، ولذلك يتلطف نوح عليه السلام في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، قصد إدراك الحق الذي خفي عليهم.

نخلص إلى أن القراءات القرآنية أسهمت بشكل كبير في تنوع الإسناد بين الحقيقة والمجاز، وذلك راجع إلى أن لكل قراءة اعتبارا يفضي إلى المعنى المقصود حسب السياق وأحوال المخاطبين، لتكون الدلالة القرآنية مطابقة لمقتضى الحال. وهذا ما يؤكد أن القراءات القرآنية مدخل في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

د. التعبير القرآني بين الكناية والتصريح:

لا تكاد الكناية تخرج في معناها اللغوي عن الستر والإخفاء والإبهام في المعاجم اللغوية، أما معناها الاصطلاحي، فهو عند أهل الأدب والبلاغة:" كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهرا في اللغة سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، فيكون تردد فيما أريد به، فلا بد من النية أو ما يقوم مقامها من دلالة الحال... والكناية عند علماء البيان: هي أن تعبر عن شيء لفظا كان أو معنى بلفظ غير صحيح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض"[1]، ويمتاز النص القرآني بأساليبه الكنائية خاصة في المواقف التي تستدعي الستر والإخفاء، ويؤدي تعدد القراءات القرآنية إلى تنوع الدلالة، لتتأرجح بين الكناية والتصريح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2]، فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف "لمستم" بغير ألف[...] وقرأ الباقون "لامستم" بالألف.[3]، ويطلق لفظ (اللمس) في المعاجم اللغوية العربية على الجس والمس. تَقُولُ: "تَلَمَّسْتُ الشَّيْءَ، إِذَا تَطَلَّبْتَهُ بِيَدِكَ. قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ: اللَّمْسُ أَصْلُهُ بِالْيَدِ لِيُعْرَفَ مَسُّ الشَّيْءِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ كُلُّ طَالِبٍ مُلْتَمِسًا. وَلَمَسْتُ، إِذَا مَسِسْتَ. قَالُوا: وَكُلُّ مَاسٍّ لَامِسٌ"[4]، ومن هذا المعنى،

---

[1]- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، باب الكاف، فصل النون، ص:186.

[2]- سورة النساء، الآية:43.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 250/2.

[4]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ص:938

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰباً فِے قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ اَ۬لذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٨﴾[1]، أَيْ: لمسوه بأيديهم. قال ابن منظور:" اللَّمْس: الجَسُّ، وَقِيلَ: اللَّمْسُ المَسُّ بِالْيَدِ، لَمَسَه يَلْمِسُهُ ويَلْمُسُه لَمْساً ولامَسَه. [...]. واللَّمْس: كِنَايَةٌ عَنِ الْجِمَاعِ، لَمَسَها يَلْمِسُها ولامَسَها"[2]، فقد يكون اللمس هو المس باليد، يقال: "مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّه مَسّاً لَمَسْتَه بِيَدِكَ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ للأَخذ وَالضَّرْبِ لأَنهما بِالْيَدِ، وَاسْتُعِيرَ لِلْجِمَاعِ لأَنه لَمْسٌ، وللجُنون كأَن الْجِنَّ مَسَّته؛ يُقَالُ: بِهِ مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ."[3]، فالقراءة بغير ألف (لمستم)، وردت على معنى: لمس بعض الجسد بعض الجسد، ولمس اليد الجسد، فجرى الفعل من واحد، إذ اللمس يكون بغير الجماع، وهو قول ابن مسعود وابن عمر وعبيدة وعطاء والشعبي وابن جبير، وغيرهم. يقولون: إن اللمس في هذا الإفضاء باليد إلى الجسد، [...]، وببعض جسده إلى بعض جسدها، فحمل على غير الجماع...فهو لمس بغير يد، واللمس على وجهين: لمس باليد، ولمس بغير اليد[4]، أما من قرأ بالألف (لامستم)، فإنه جعل الفعل من اثنين، فجرى على المفاعلة للدلالة على الجماع، لأنه لا يكون إلا من اثنين، قال أبو عمر:" الملامسة الجماع، واللمس لسائر الجسد."[5]، ويجوز في اللغة أن يكون الوزن (فَاعَلَ) من واحد، مثل: "عاقب القاضي المجرم"، وإذا تتبعنا لفظتي اللمس والمس في التعبير القرآني، نجد أن اللمس غالبا ما يكون في الأعيان والماديات، بينما المس غالبا ما يكون في الأرواح كمس الجن والشياطين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ اَ۬لذِينَ يَاكُلُونَ اَ۬لرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ اُ۬لذِے يَتَخَبَّطُهُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ مِنَ اَ۬لْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا اَ۬لْبَيْعُ مِثْلُ اُ۬لرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ اَ۬للَّهُ اُ۬لْبَيْعَ وَحَرَّمَ اَ۬لرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اَ۬للَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ اُ۬لنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٤﴾[6]، وقد يكون المس كناية عن الجماع، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمُۥٓ إِن طَلَّقْتُمُ اُ۬لنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى اَ۬لْمُوسِعِ قَدْرُهُۥ وَعَلَى اَ۬لْمُقْتِرِ قَدْرُهُۥ مَتَٰعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى اَ۬لْمُحْسِنِينَ ۝٢٣٤ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا

[1]- سورة الأنعام، الآية:8.

[2]- لسان العرب، 209/6.

[3]- نفسه، 218/6.

[4]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 340/1-341.

[5]- أحكام القرآن، ابن العربي المعافري (ت: 543هـ)، رَاجَعَ أصوله وخرّج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1424هـ/2003م،564/1.

[6]- سورة البقرة، الآية: 274.

فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[1].

يتضح مما سبق أن التعدد القرائي أدى إلى الاختلاف في الحكم الشرعي، ذلك أنه نشأ خلاف فقهي كبير بين الفقهاء والمفسرين حول معرفة الحكم الشرعي الذي تشير إليه الآية الكريمة، فمنهم من ذهب إلى أنه المسيس، وأن اللمس والملامسة يكون بغير جماع، ومنهم من ذهب إلى أن المقصود هو الجماع، لأن "حقيقة اللمس إلصاق الجارحة بالشيء، وهو عرف في اليد، لأنه آلته الغالبة، وقد يستعمل كناية عن الجماع"[2]. ويظهر من هذا الكلام أن اللفظ في الآية الكريمة، قد يحمل على حقيقته، وهو الراجح في قراءة حمزة والكسائي وخلف، إذ لم يشتهر في الجماع كالملامسة، ومنهم من رجح الحمل على الجماع في القراءتين، فهذا الأسلوب القرآني أسلوب كنائي، يعلمنا أدب الحديث، ويربينا على العفة والحياء والأخلاق الحميدة.

نخلص من هذه الظواهر البلاغية المدروسة إلى أن القراءات القرآنية مدخل بلاغي مهم في بيان الإعجاز القرآني، ذلك أن كل قراءة لها فائدة ودلالة محتملة، بحيث تتكامل القراءات القرآنية المتعددة للفظ الواحد، وتتعاضد بأوجه دلالاتها على أداء المقصود وفق ما يطابق أحوال المخاطبين.

3. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الشعر:

إذا كان الشعر الجاهلي من لغات العرب، فإن الاطلاع عليه واجب لمعرفة معاني النص القرآني، لأنه قد لا يتم بناء المعنى إلا بفتح الجسور بين النص القرآني والنص الشعري العربي، فقد أدرك العرب في نفوسهم عظمة الشعر منذ العصر الجاهلي وإلى الآن، وازدادت حاجتهم إليه بعد مجيئ الإسلام لتبيان المعاني القرآنية، و شعر العلماء، منذ الصدر الأول للإسلام، بحاجتهم إلى الشعر العربي، للاستعانة به، في فتح مغاليق الألفاظ، والأساليب العربية الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، فأكبوا عليه يروونه، ويحفظونه، ويدرسون أساليبه ومعانيه، وما يدور فيه من ذكر لأيام العرب ووقائعهم، ولولا هذا الباعث الديني، لاندثر الشعر الجاهلي، ولم يصل إلينا منه شيء"[3]، فهو من أهم سبل الاحتجاج في الكشف عن دلالات المفردات العربية، وفك رموزها وتبيين حقائقها، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنه، يرجع إلى الشعر الجاهلي للاستعانة به على فهم غريب القرآن ومشكله، قال:" الشعر

[1]- سورة البقرة، الآيتان: 234-235.

[2]- أحكام القرآن، ابن العربي المعافري، 564/1.

[3]- فصول في فقه العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط6، 1420هـ/1999م، ص:111.

ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه."[1]، فلا يمكن – بعد هذا الكلام- نفي أهمية الشاهد الشعري باعتباره مصدرا مفيدا في تخريج دلالات اللفظة العربية، وبناء صرحها المعجمي، وهو طريق لفهم غريب القرآن ومشكله، واستنباط بعض المعاني القرآنية. وقد يقول قائل: كيف يجوز لنا أن نحتج بالشعر على القرآن الكريم؟، ونحن نعلم أنه مذموم في القرآن الكريم نفسه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ اُ۬لْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾[2]، فنقول: إن الله تعالى أنزل القرآن الكريم لتنظيم حياة الناس، وتصحيح أحوالهم الاجتماعية الفاسدة ، ولذلك مثّل القرآن الكريم قطيعة مع العادات والتقاليد السيئة في المجتمع الجاهلي، وفي مقابل ذلك، عمل على نشر الأخلاق الفاضلة، وتوحيد القبائل العربية المتصارعة تحت راية الدين الإسلامي. فأحدث القرآن الكريم، بشكله التعبيري، تحولا جذريا وشاملا في البنية الذهنية والفكرية والنفسية للمجتمع العربي، فلا ننفي بعد هذا الكلام، علاقة القرآن الكريم بالواقع الاجتماعي والثقافي للعرب، وقد أدرك العلماء المسلمون منذ زمن الوحي أن النص القرآني غير منعزل عن واقع الناس وأحوالهم، لأنه أُنزل لتصحيح الأوضاع البشرية الفاسدة، ومن ثمة لم يجدوا حرجا في فهم القرآن الكريم على ضوء النصوص الأدبية، وخاصة الشعر، وهذا ما يزكي كلام ابن عباس رضي الله عنه، وغيره من الصحابة والتابعين الذين كانوا يستشهدون بالشعر على غريب القرآن ومشكله. ولا يعني ذلك أن الشعر أصل للقرآن الكريم، وإنما هو طريق من الطرق، لفهم بعض معانيه، ويبقى الأصل الأول هو القرآن الكريم الذي يحتج به في سائر العلوم والمعارف، بل هو مصدر جميع العلوم والمعارف، ومفجّرها، ولعل هذا ما جعل الباقلاني (ت: 403هـ) في دراساته للبيان القرآني، يرى أن القرآن الكريم يتميز بأسلوبه الفريد عن غيره من الأساليب، ذلك أن القرآن الكريم: "إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم [أي العرب]، وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة، وأنه معجز. وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه. [....]، وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حد واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف."[3]، ومن هذا الكلام يمكن القول بأن القرآن الكريم متميز عن كلام العرب بأسلوبه البديع و نظمه المعجز، لأنه في أعلى درجات التلاؤم والبيان، فهو ليس

1- غريب القرآن في شعر العرب (مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه وعن أبيه)، (ت: 68هـ)، ص:19

2- سورة الشعراء، الآيات:223-224-225.

3- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (ت: 403هـ)، ص:35-37.

شعرا، وليس نثرا، إنما هو قرآن عربي، بلسان عربي مبين، ولذلك حرص العلماء المسلمون على عدم الخلط بين مصطلحات القرآن الكريم ومصطلحات النص الأدبي البشري، لأن القرآن الكريم يعلو هذا النص البشري سواء كان نصا نثريا أو نصا شعريا. وهذا ما جعل القرآن الكريم يمثل أساس الحركة الثقافية والعلمية والإبداعية في المجتمع العربي الإسلامي، بل هو مصدر النشاط الذهني والفكري للإنسان، ومركز الانطلاق في كل أمور الحياة، ولما كان كذلك، فهو المصدر الأول الذي يحتج به في جميع العلوم والمعارف، وكيف لا نقبل ذلك؟ وهو المصدر الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف.

ولقد ارتأينا أن نخص بالمباحثة مشروعية الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الشعر من خلال قضية صوتية مرتبطة بأحكام الهمزة في اللغة القرآنية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧١﴾[1]، موطن الشاهد (ءَالِد)، فهناك من قرأ بتحقيق الهمزتين، وهناك من قرأ بتخفيف الأولى، وتحقيق الثانية، رغم ما في ذلك من عسر في النطق، وهناك من قرأ (ءاألد) بتحقيق الهمزتين ومدة بينهما، فقد" قرأت فرقة: «أألد» بتحقيق الهمزتين، وقرأت فرقة بتخفيف الأولى وتحقيق الثانية، وفي النطق بهذه عسر، وقرأت فرقة: بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية، والتخفيف هنا مدها، وقرأت فرقة «ءاألد» بتحقيق الهمزتين ومدة بينهما[2]، ولاشك أن هذه القراءات الثلاث من لغات العرب، إذ الهمز سمة من سمات القبائل البدوية، كتميم وقيس وبني أسد... ومن جاورها، أي قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها، لأن هذه القبائل تميل إلى السرعة في النطق، ولذلك كان تحقيق الهمزة من أيسر السبل للتخفيف من عيب هذه السرعة. أما القبائل الحضرية وخاصة الحجاز وقريش في مكة، والأوس والخزرج في المدينة، فهي – على العكس من ذلك- متأنية في نطقها، ولذلك تميل إلى إهمال الهمز، أو ما عبر عنه النحاة بعبارات مختلفة، كالتسهيل، والتخفيف[3]. تقول: (اِقرَا آية) في قول من خفف الأولى، لأن الهمزة الساكنة إذا خُففت، أبدل مكانها الحرف الذي منه حركة ما قبلها. قال سيبويه في الكتاب:" اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل.[...]. اعلم أن كل همزةٍ مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ، فإنَّك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققَّةً، غير أنَّك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي؛ لأنك تقربها من هذه

[1]- سورة هود، الآية:71.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 3/190-191.

[3]- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، ص، ص: 30-31.

الألف"[1]، فالهمزة المخففة بمنزلتها محققةً في الزِّنة عند سيبويه. ويدلنا على ذلك قول الأعشى[2]: (ت: 629م) [من بحر البسيط].

أَأَنْ رَأَتْ رَجُلا أعشى أضرَّ به *** ريب المنون ودَهْرٌ مُتْبِلٌ خَبِلُ[3].

فالشاهد في هذا البيت الشعري تخفيف الهمزة الثانية من قول الشاعر (أأن)، وجعلها بين بين، واستدل النحاة على أن همزة بين بين في حكم المتحركة، ولو لم تكن بزنتها محققة، لانكسر البيت الشعري، واختل وزنه عروضيا (أأن رأت/ متفعلن)، والتفعيلة وقع فيها زحاف الخبن، وهو حذف الثاني الساكن، وهذا الحذف الذي لحق التفعيلة، له أثر واضح في تلوين النغم، وتنويع الإيقاع الصوتي.

وقد تابع ابن جني سيبويه في قوله، وذكر أن هذه الهمزة، وإن قربت من الساكن، فإنها متحركة في الحقيقة، وعلل ذلك قائلا:" ويدلك على أنها وإن كانت قد قربت من الساكن فإنها في الحقيقة متحركة، أنك تعتدها في وزن العروض حرفا متحركا"[4]، ويدلنا على ذلك قول الشاعر كثير عزة[5]: (ت: 105ه) [من بحر الطويل].

أأن زُمّ أجمالٌ، وفارقَ جيرةٌ *** وصاح غُرابُ البينِ أنتَ حزينُ[6].

ألا ترى أن وزن قولك "أأن زُمْ": على وزن (فعولن)، فالهمزة الثانية مقابلة لعين "فعولن" وهي متحركة، ولو لم تكن بزنتها محققة، لانكسر البيت الشعري، واختل وزنه عروضيا.

قال الله تعالى: ﴿ فَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذَ اَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۝٨٩ فَالُوٓاْ أَ۬نَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ فَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِےۖ فَدْ مَنَّ اَ۬للَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَنْ يَّتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ اَ۬لْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾[7]، موطن الشاهد (أَ۬نَّكَ)، فقد قرأ الجمهور بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم في التحقيق والتسهيل، فجمعوا الهمزتين في الآية الكريمة على تحقيقهما[8]. قال أبو إسحاق الزجاج:" ويجوز أئنك -

---

[1]- الكتاب، سيبويه، 549/3.

[2]- الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل الملقب بصنَّاجة العرب، وفد على النبي ﷺ، ومدحه. توفي 629م.

[3]- الكتاب، سيبويه، 550/3.

[4]- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421ه/2000م،62/1.

[5]- كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر بني مروان، وصاحب عزة (ت105ه).

[6]- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن عبد ربه (ت328ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404ه، 213/6.

[7]- سورة يوسف، الآيتان: 89-90.

[8]- قرأ ابن كثير وأبو جعفر لفظة (أَ۬نَّكَ) في الآية الكريمة بهمزة واحدة، وقرأها أُبَيُّ (أئنك أو أنت). ينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 342/5.

على أن يجعل الثانية بين الياء والهمزة، وقرئت (أئنك) على إنك بفصل بين الهمزتين بألف لاجتماع الهمزتين"[1]، ويدلنا على هذا الفصل بين الهمزتين بالألف قول الشاعر ذي الرمة: (ت: 117 هـ/735م) [من بحر الطويل].

أيا ظبية الوَعْساء بين جُلاجِل***وبين النَّقَا آأَنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ؟.[2]

موطن الشاهد في البيت الشعري (آأنت) حيث أدخلت ألف بين همزة الاستفهام وهمزة الضمير، كراهة التقاء الساكنين، إذ من العرب قوم يعمدون إلى الفصل بين الهمزتين بالألف إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء الهمزتين، فالملاحظ أن هذه القاعدة الصوتية موافقة للإيقاع العروضي للبيت الشعري.

قال الله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾[3]، فقد قرأ الجمهور [سأل] بالهمز، وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر [سال] بدون همز، وهي لغة قريش[4]، يقال: سالت اسال، وسَلْتُ أَسَالُ،[أي من السؤال]، والرجلان يتساءلان ويتساوَلان بمعنى واحِد"[5]، وهي لغة من لغات العرب عند من يبدلون الهمزة بالألف، إذا كان ما قبلها مفتوحا، والياء إذا كان ما قبلها مكسورا، والواو إذا كان ما قبلها مضموما، وليس هذا بقياس، وإنما مما يُحفظ عن العرب. ومثل الألف التي أبدلت من الهمزة، قول الشاعر حسان بن ثابت: (ت: 54هـ/674م) [من بحر البسيط].

سَالَتْ هذيلٌ رَسُولَ اللَّهِ فاحِشَةً *** ضَلَّتْ هذيلٌ بِمَا سالَتْ وَلَم تُصِبِ[6].

موطن الشاهد في البيت الشعري (سالت هذيل)، والأصل (سألت هذيل)، فأبدلت الهمزة ألفا، ولولا هذا الإبدال، لانكسر البيت الشعري باختلال وزنه عروضيا. وقد تحذف الهمزة كما في قول الشاعر أحمد شوقي (ت: 1932م) [من بحر الخفيف]:

وَسَلاَ مِصْرَ هَلْ سَلاَ الْقَلْبُ عَنْهَا *** أَمْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمُؤَسِّي؟.[7]

---

[1]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 90/3.

[2]- الكتاب، سيبويه، 551/3.

[3]- سورة المعارج، الآية:1.

[4]- الشامل في القراءات العشر: لغة، وتفسيرا، وأسرارا، عبد القادر محمد منصور، ص:296.

[5]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 211/5.

[6]- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، باب: هرب العديل من الحجاج، ص:368. وقد ورد الشطر الثاني من البيت في كتاب سيبويه على الشكل الآتي: "ضَلَّتْ هذيلٌ بِمَا جَاءَتْ وَلَم تُصِبِ"، الكتاب، 468/3.

[7]- ديوان أحمد شوقي، أحمد شوقي (ت: 1932م)، دار صادر، بيروت، د. ت، 335/1. وينظر" الأدب العربي المعاصر في مصر"، لشوقي ضيف (ت: 1426هـ)، دار المعارف، ط13، 116/1. وهذا البيت الشعري من قصيدته السينية المشهورة التي قالها، وهو في المنفى بالأندلس، وعارض بها سينية البحتري التي وصف فيها إيوان كسرى.

موطن الشاهد في البيت الشعري (وسلا مصر)، والأصل هو" واسألا مصر"، بتحقيق الهمزة، وقد أخرج الشاعر الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين على عادة العرب في إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع، كما في قول الشاعر امرئ القيس (ت: 545م): [من بحر الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[1].

فالملاحظ أن الشاعر أحمد شوقي حذف الهمزة، ونقل حركتها إلى حرف السين لتدل على حذفها، ولم يقصد من هذا الحذف إلا السهولة في النطق، وتحقيق التجانس التام بين اللفظتين "سلا مصر" و"سلا القلب"، لعدم اختلال الوزن عروضيا، إذ بتحقيق الهمزة، تكون التفعيلة صحيحة (فاعلاتن)، وبحذفها تكون التفعيلة مخبونة (فعلاتن)، دون أن ننسى دور هذا الزحاف في تلوين النغم، وتنويع الجرس الموسيقي. وفي العبارة مجاز مرسل، علاقته المحلية، لأنه ذكر المحل(مصر)، وهو يقصد الحال (الأهل) للتعبير عن اشتياقه وحنينه إلى أهله ووطنه. وقد حسُن هذا الحذف بالجناس التام الذي خلقه الشاعر في البيت بين اللفظتين "سلا مصر" و"سلا القلب"، وحسن المعنى لما صور القلب إنسانا يسلو، بمعنى أنه ينسى ويصبر على ما أصابه من ضيق وحزن، وصور الزمان طبيبا يعالج السقم، وقد سلك في التعبير عن هذه المعاني طريق الاستعارة المكنية التي حققت وظيفة بيانية لحالته النفسية المتأزمة في المنفى، ووظيفة تشخيصية في تقريب المعاني إلى ذهن المتلقي.

خلاصة القول: إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الشعر، له امتداد واسع في مختلف القضايا الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية، إلا أن المقام لا يسمح لنا بعرض كل القضايا اللغوية المرتبطة بهذه المكونات، لذلك اقتصرنا على هذه النماذج التي تخص المكون الصوتي للقراءات القرآنية، لنبين مدى استفادة الشعر من القواعد الصوتية التي بُنيت عليها القراءات القرآنية، وبهذا يمكن القول بأن القراءات القرآنية تمثل خزانا لغويا ثريا، ينهل منه الشعراء في عملية الإبداع الشعري، فنجدهم يجيزون في نظم الشعر مختلف القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية التي أجازها القراء وعلماء اللغة العربية، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على أن القرآن الكريم أسهم في الحفاظ على مختلف اللغات العربية القديمة، ونشر بلاغته على نطاق واسع بين الشعراء و الأدباء والنقاد.

وإذا كان الشعر الجاهلي لم يرق إلى درجة الضبط والوثوق والتواتر الذي تم به نقل القرآن الكريم، فما أحوجنا- في نظري- إلى أن نعتمد القرآن الكريم وقراءاته حجة وأداة في بناء القواعد النحوية، لا أن ننطلق من الشعر للطعن في بعض القراءات القرآنية وتلحينها، إذ «ليس القصد تصحيح

---

[1]- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس (ت: 545م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت، ط2، 1425هـ/2004م، 14/1.

القراءة بالعربية بل تصحيح العربية بالقراءة»[1]، وهذا هو المذهب الصحيح عند كبار العلماء، لأن القرآن الكريم مؤصِّل لقواعد العربية ومؤسِّس لها، ولذلك لا يمكن دفع القراءة القرآنية ببعض المذاهب النحوية، لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع، وهو نبينا- محمد صلى الله عليه وسلّم- ومن أصحابه والتابعين. قال الإمام الفخر ما معناه: أنا شديد العجب من النحويين إذا وجد أحدهم بيتا من الشعر، ولو كان قائله مجهولا، يجعله دليلا على صحة القراءة، وفرح به، ولو جعل ورود القراءة دليلا على صحته كان أولى[2]، فلو افترضنا اختلاف النحويين والقراء[في قاعدة من قواعد النحو] كان المصير إلى القراء أولى، لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط، ولأن القراءة ثبتت تواترا، وما نقله النحويون فآحاد، ثم لو سلّم أن ذلك ليس بمتواتر، فالقراء أعدل وأكثر، فالرجوع إليهم أولى، وأيضا فلا ينعقد إجماع النحويين بدونهم، لأنهم شاركوهم في نقل اللغة، وكثير منهم من النحويين[3].

[1]- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن الصفاقسي (ت: 1118هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م، ص:104.

[2]- نفسه، ص:104.

[3]- نفسه، ص:104.

المبحث الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية الشرعية:

المطلب الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي التفسير والحديث:

1. وظيفة القراءات القرآنية في علم التفسير:

يعد علم التفسير من أشرف العلوم، وقد حاز هذا الشرف من جهات ثلاث: أما الجهة الأولى، فلأن موضوعه يتعلق بالبحث عن المعنى في كلام الله عز وجل قصد الامتثال للأوامر واجتناب النواهي. وأما الجهة الثانية، فتتمثل في الْغَرَض مِنْهُ، وهُوَ تحقيق السَّعَادَةِ في الدنيا والآخرة. وأما الجهة الثالثة، فالحاجة إلى هذا العلم ضرورة معرفية، تتمثل في حاجة الإنسان إلى العلوم الدينية والعلوم الشرعية، ولأن العلم بها مُتَوَقِّف عَلَى الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى[1]، ذلك أن القرآن الكريم هو مصدر هذه العلوم، فلا نمتلكها إلا بالعلم بكتاب الله عز وجل، ولذلك يرى الزركشي أن التفسير هو" عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ."[2]، فلا يتحقق هذا البيان، واستخراج الحكم والأحكام إلا بامتلاك جملة من العلوم والمعارف، ومنها: علم اللغة وعلم النحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات القرآنية... وغيرها من العلوم التي تمكننا من الفهم والاستنباط.

يظهر من كلام الزركشي أن القراءات القرآنية علم من العلوم المساعدة على تفسير كتاب الله تعالى، بل أكثر من ذلك لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، مما يعني أن تعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، ويسهم هذا التعدد في اتساع المعاني من غير تناقض وتضاد، ذلك: "أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به، وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها، لا تؤدي إلى تناقض وتضاد في المقروء، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم"[3]، فالقراءات القرآنية أداة فاعلة في توجيه المعنى، إذ يسهم تغير القراءة في

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 868/4. (بتصرف).

[2]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 13/1.

[3]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، 149/1.

تقلبات الدلالة، فتبين القراءة جزءا من المعنى، ثم تكمل القراءة الأخرى جزءا آخر من المعنى، دون أن يؤدي ذلك إلى التناقض أو التضاد بين المعاني القرآنية، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وكله صدق، وهذا دليل على صدق الرسول محمد ﷺ.

يعد اختلاف القراءات القرآنية، من هذا المنظور، مظهرا من مظاهر الإشباع الدلالي في القرآن الكريم، إذ اللفظة الواحدة في الآية، تقرأ بوجوه مختلفة، فتؤدي القراءات القرآنية إلى كثرة المعاني التي يكون معها المفسر في حاجة إلى معرفة موسعة بعلوم اللغة العربية، ليكون قادرا على فك الإشكالات الدلالية التي قد تعترض سبيله في صناعة الخطاب التفسيري. ذلك أن اللغة العربية مدخل للعبور إلى المعنى من خلال إبراز الفروق الدلالية بين القراءات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾[1]، فقد قرئت: (كَلِمَةً) بالنصب على التمييز، والرفع على الفاعلية، و رجح الزمخشري القراءة بالنصب، لأنها أقوى وأبلغ. وفيها معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كَلِمَةً![2]، ومن هنا يمكن القول بأن العلامة الإعرابية تتغير بحسب قصد المتكلم الذي يُسهم بشكل كبير في تغيير المعنى النحوي، وإنتاج أكثر من دلالة نحوية، ففي الآية الكريمة، نجد الرفع يعني شيئا، والنصب شيئا آخر، ولكل منهما دلالة تختلف عن الأخرى، وتدل على معنى في نفسها حسب سياق الجملة القرآنية.

2. **الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند المفسرين:**

لقد اتخذ الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند المفسرين الأوائل مسلكا يقوم على رد بعض القراءات القرآنية وتلحينها، إذ لا يرون حرجا في نقدها والطعن فيها، فكان منهجهم يقوم على الترجيح والمفاضلة بين القراءات القرآنية، إذا تعذر عليهم الجمع بينها، ولا نريد هنا أن نخوض في الجدل الذي دار بين العلماء حول جواز الترجيح بين القراءات القرآنية أو عدم جوازه، ولكن نريد أن نشير إلى أنه بعد انقضاء الجيل الأول من القراء، أي بعد انتهاء النصف الأول من القرن الثاني، تجرأ كثير من النحاة على القراءات القرآنية، وأخضعوها للطعن والنقد على نحو ما يفعلون بسائر الكلام البشري، كما لا نريد أن نطيل في هذه القضية، لأنه سبق أن عرضنا لذلك أمثلة عند نحاة البصرة ونحاة الكوفة، ولكن الذي يهمنا بالتحديد، هو موقف المفسرين الخلَف من الاحتجاج بالقراءات القرآنية، ومسلكهم في التعامل معها.

---

[1]- سورة الكهف، الآية:5.

[2]- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 703/2.

لقد نزع المفسرون المتأخرون إلى قبول القراءات القرآنية جميعا، واعتبروها المصدر الأساس لاستقرائهم، واستنباط أصولهم سواء شاعت اللغة أم لم تشع، ويكفي في هذا المقام أن نقدم التجربة التفسيرية لأبي حيان الأندلسي، هذا المفسر النحوي الكبير، الذي دافع عن القراءات القرآنية بالأدلة والحجج المقنعة، فوقف وقفة قوية ضد المعترضين من النحاة والمفسرين الذين أنكروا قراءات قرآنية منقولة[1]، ومن ذلك الزمخشري الذي أنكر قراءة ابن عامر، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[2]، إذ قرأ [ابن عامر] ببناء الفعل (زُيّن) للمجهول، و(قتلُ) بالرفع على ما لم يُسم فاعله، و (أولادَهم) بالنصب على المفعولية للمصدر، و (شركائِهم) بالجر على إضافة المصدر إليه فاعلا، فيكون قد فصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المصدر (أولادَهم) اختيارا، وهذا الفصل قبيح عند البصريين، قليل الاستعمال، ولا يجيزون ذلك الفصل إلا بالظرف لضرورة الشعر. فأما المعنى المستفاد من قراءة الجمهور ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ هو: أن الشيطان، أو إبليس الأكبر زين لكثير من المشركين قَتْلَ أولادِهم أي: أوحى إليهم أنهم هم شركاؤهم في الرزق. فهل هم حقا شركاؤهم؟ كلا. وأما قراءة ابن عامر (زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) فهي دالة على هذا المعنى: ما أعز أولادَهم الذين تطلعوا للإسلام، وهم ليسوا من شركائهم في الرزق في شيء، وما أكرم هؤلاء الأولاد، فإنهم تخلصوا من إملاء شركائهم، أي: من إملاء شركاء آبائهم وأجدادهم، وصادروا إملاءاتهم، وخرجوا عن إطار سلطانهم وسيطرتهم عليهم، فهؤلاء الآباء، الأجداد، وقد زين لهم قتلُ أقرب الأقربين، وخصوصا أولادهم الذين اهتدوا بهدي ربهم. فالقراءتان متكاملتان في بيان المعنى المراد من الآية الكريمة.

[1]- الطعن في القراءات القرآنية المتواترة قديم قِدم نشأة علم القراءات القرآنية، وعلم النحو العربي حين وقف بعض النحاة الأوائل من بعض القراءات القرآنية المتواترة مواقف عجيبة، فرموها باللحن، أو الخطأ، أو الضعف، أو الشذوذ!!، ومن هؤلاء المعترضين على سبيل المثال لا الحصر: الفراء، والأخفش، والمازني، والمبرد، والزجاج، والنحاس، وأبو علي الفارسي، وابن جني، والأنباري، والعكبري، والرضي... حيث خفي عليهم توجيهها، أو أنها لم تتفق مع قواعدهم النحوية، مع أن التوجه الصحيح هو: إتباع القاعدة النحوية للقراءة القرآنية، لا إتباع القراءة القرآنية للقاعدة النحوية، أي: أنه كان من الواجب عليهم تصحيح قواعد العربية بالقراءة القرآنية، لأن كلام الله هو المؤسس والمؤصل للقواعد النحوية، ولذلك لا يجب أن تُدفع القراءات القرآنية ببعض المذاهب النحوية. وهذا هو المذهب الصحيح عند كثير من العلماء كابن يعيش (ت: 643هـ)، وابن مالك (ت: 672هـ)، وأبي حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، والسمين الحلبي (ت: 756هـ)، المنيّر الإسكندري، والشيخ الشهاب،... الذين أولوا هذه القضية عناية فائقة، ووقفوا ضد المعترضين للقراءات المتواترة وقفة قوية، محاولين توجيهها توجيها سليما موافقا لمقاصد الشريعة الإسلامية.

[2]- سورة الأنعام، الآية:138.

وقد ذكر السمين الحلبي في تفسيره" الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" مجموعة من العلماء المعترضين على هذه القراءة ، ومنهم: سيبويه، وأبو عبيد، وأبو جعفر النحاس، وأبو علي الفارسي، وابن جني، ومكي بن أبي طالب، وابن عطية، وتابعهم الزمخشري في ذلك، وتفاوتت عباراتهم في إنكار هذه القراءة، فمنهم من حكم عليها بالقبح، أو قلة الاستعمال، أو بعيدة في العربية، أو ضعيفة، ومنهم من قال: سمجة مردودة...إلخ[1]. قال :"وهذه الأقوال التي ذكرتُها جميعاً لا ينبغي أن يُلْتفت إليها، لأنها طَعْنٌ في المتواتر، وإن كانت صادرةً على أئمةٍ أكابرَ، وأيضاً فقد انتصر لها مَنْ يقابلهم، وأورد من لسانِ العرب نظمِه ونثره ما يشهد لصحة هذه القراءة لغةً"[2]، فكيف بعد هذا الكلام، ألاّ نقبل هذه القراءة المتواترة بتوجيهها السليم عند كثير من المفسرين؟ وبأي وجه يصح لنا أن ننكرها بناء على عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه في السعة بالمفعول؟، مع أن الأخذ بالجواز بالظرف في الشعر للضرورة – ليس خاصا بالبصريين، بل شاركهم في ذلك الكوفيون، وعلى رأسهم الفراء الذي كان أول من فتح باب الطعن في هذه القراءة[3]. كما أننا نعلم أن لها نظائر كثيرة في كلام العرب، شعرا ونثرا، ونعلم أن ابن عامر عربي فصيح، لأنه أخذ "الْقُرْآن عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ اللَّحْنُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ"[4]، وهو مقرئ أهل الشام، كما أنه حجة في اللغة العربية، ومشهور بالثقة والأمانة، وكمال الدين والعلم، وقد جمع له الخليفة عمر بن عبد العزيز بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بالجامع الأموي بدمشق[5]، ولذلك تلقى كثير من النحويين والمفسرين هذه القراءة بالقبول، قال ابن مالك في سياق قبول هذه القراءة: [من بحر الرجز].

وَعُمْدَتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِر*** وَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِد وَنَاصِر[6].

وفي هذا السياق، يرد أبو حيان الأندلسي على الزمخشري الذي رفض هذه القراءة بأبلغ رد، قائلا:" وَأَعْجَبُ لِعَجَمِيٍّ ضَعِيفٍ فِي النَّحْوِ يَرُدُّ عَلَى عَرَبِيٍّ صَرِيحٍ مَحْضَ قِرَاءَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ مَوْجُودٍ نَظِيرُهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ فِي غَيْرِ مَا بَيْتٍ وَأَعْجَبُ لِسُوءِ ظَنِّ هَذَا الرَّجُلِ بِالْقُرَّاءِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ تَخَيَّرَتْهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لِنَقْلِ كِتَابِ

---

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، 5/166-161.

[2]- نفسه، 5/166.

[3]- معاني القرآن، الفراء، 1/357-358.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 4/657.

[5]- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم (ت: 1118هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ- 2004 م، 1/227.

[6]- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك (ت: 672هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط1، الباب: المقدمة، 1/41.

اللَّهِ شَرْقًا وَغَرْبًا"[1]، وغير ذلك من الآراء والأقوال التي تشهد على تواتر هذه القراءة القرآنية، واتصال سندها بالرسول الكريم محمد ﷺ، ولذلك فهي في ذاتها تمثل أقوى دليل، ولا تحتاج إلى دليل من كلام العرب.

يظهر لنا من خلال الاطلاع على تفسير أبي حيان، أنه يعتمد السماع والرواية، وهو ما ثبت في كلام العرب- شعرا ونثرا- عند من يوثق بفصاحته، كما يُحسن الظن بالقراء الأئمة الذين يتحلون بالصدق والأمانة والعدل والضبط وصحة النقل، إذ يستحيل تواطؤهم على الكذب، ولذلك فإن الأساس المعتمد عنده في الاحتجاج بالقراءات القرآنية هو القراءة، فهو يحتج بها لصحة القاعدة، وليس العكس، ويحرص على حمل القراءات التي جاءت بما لم يطرد في أصوله اللغوية على اللهجات الخاصة عند العرب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].فقد قرأ عكرمة ويحيى بن يعمر "البَاقِر"، بزيادة الألف، وهي لغة في كلام العرب، و"البَقَرُ: اسْمُ جِنْسٍ. [...] وَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ والأُنثى. [...]، وَالْجَمْعُ البَقَراتُ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَالْجَمْعُ بَقَرٌ وَجَمْعُ البَقَرِ أَبْقُرُ كزَمَنٍ وأَزْمُنٍ؛[...]، فأَما بَقَرٌ وباقِرٌ وبَقِيرٌ وبَيْقُورٌ وباقُورٌ وباقُورةٌ فأَسماء لِلْجَمْعِ؛ زَادَ الأَزهري: وبَواقِر؛ عَنِ الأَصمعي."[3]، وربما سُمِّيَتْ البَقَرَةً بهذا الاسم "لِأَنَّهَا تَبْقُرُ الْأَرْضَ، أَيْ تَشُقُّهَا لِلْحَرْثِ"[4]، والعرب تقول في جمع البقر والجمال، الباقر والجامل، فيجعلونه اسماً للجنس، ومن ذلك قول الشاعر: [من بحر البسيط].

مَا لِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مُوحِشًا*** خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ[5].

يظهر إذن، أن لفظ (الباقر)، يشير دلاليا إلى جماعة البَقر الذي اشتبه على بني إسرائيل، لأنه وُجد قتيل بينهم، اسْمُهُ (عَامِيلُ)، وَلَمْ يَدْرُوا قَاتِلَهُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ وَفِي سَبَبِ قَتْلِهِ، فأمرهم الله بذبح بقرة، وضرب الْقَتِيلَ بِبَعْض من لحمها، فيَحْيَا وَيُخْبِرُ بِمَنْ قَتَلَهُ[6]، فالقراءتان متوافقتان في المعنى، وإن اختلف اللفظ، وهذا مسلك من مسالك إشباع الدلالة رغم اختلاف الأسلوب القرآني.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 658/4.

[2]- سورة البقرة، الآية:69.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 73/4.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 400/1.

[5]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 87/1. وينظر أيضا البحر المحيط،410/1. والبيت الشعري من بحر البسيط، ولم أهتد لقائله.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 403/1-404.

وإذا لم يتسن لأبي حيان إرجاع القراءة إلى لهجة من لهجات العرب، أو إعمال القياس، يكون ذلك عنده مما يحفظ، ويلجأ إلى التأويل وفق ما ينسجم مع سياق الآية الكريمة ومنطق الشرع، فيجعل ما لم يطرد في القراءة محمولا على لهجة من لهجات العرب، مؤمنا بتعدد اللهجات في العربية، وذلك مقدم عنده على جعله من الشاذ، ومقدم أيضا على الاحتيال لتأويله، وهذا المنهج التفسيري الجديد الذي اعتمده أبو حيان في التعامل مع القراءات القرآنية، مكنه من توجيه ما لم يطرد في القراءات القرآنية، وعدم الاستسلام لتلحينه أو الطعن فيه، فهو يحاول أن يجد تخريجا للقراءات القرآنية، وخاصة ما لم يطرد فيها، بحمله على وجه صحيح في اللغة العربية، وقد تحقق له ذلك بحكم اطلاعه الواسع على العلوم اللغوية والشرعية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[1]، فقد قَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ، وَالْفَيَّاضُ بْنُ غَزْوَانَ: (فَأُوَٰرِي) بِسُكُونِ الْيَاءِ، فَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ عَلَى الْقَطْعِ أَيْ: فَأَنَا أُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي، فَيَكُونُ أُوَارِي مَرْفُوعًا"[2]، وقال الزمخشري بالنصب على جواب الاستفهام، وَهَذَا خَطَأٌ فَاحِشٌ، لِأَنَّ الْفَاءَ الْوَاقِعَةَ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ تَنْعَقِدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَالْجَوَابُ شَرْطٌ وَجَزَاءٌ،[...]وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَقُرِئَ بِالسُّكُونِ عَلَى فَأَنَا أُوَارِي، أَوْ عَلَى التَّسْكِينِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ لِلتَّخْفِيفِ. يَعْنِي: أَنَّهُ حَذَفَ الْحَرَكَةَ وَهِيَ الْفَتْحَةُ تَخْفِيفًا اسْتَثْقَلَهَا عَلَى حَرْفِ الْعِلَّةِ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: هِيَ لُغَةٌ لِتَوَالِي الْحَرَكَاتِ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَرَّجَ عَلَى النَّصْبِ، لِأَنَّ نَصْبَ مِثْلَ هَذَا هُوَ بِظُهُورِ الْفَتْحَةِ، وَلَا تُسْتَثْقَلُ الْفَتْحَةُ فَتُحْذَفُ تَخْفِيفًا كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَلَا ذَلِكَ لُغَةٌ كَمَا زَعَمَ ابْنُ عَطِيَّةَ، وَلَا يَصْلُحُ التَّعْلِيلُ بِتَوَالِي الْحَرَكَاتِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَوَالَ فِيهِ الْحَرَكَاتُ. وَهَذَا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ- أَعْنِي النَّصْبَ- بِحَذْفِ الْفَتْحَةِ، لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ، فَلَا تُحْمَلُ الْقِرَاءَةُ عَلَيْهَا، إِذَا وُجِدَ حَمْلُهَا عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ، وَقَدْ وُجِدَ، وَهُوَ الِاسْتِئْنَافُ أَيْ: فَأَنَا أُوَارِي."[3]، وقد يكون أبو حيان على صواب، لأن (أنْ) عامل ضعيف، فلا يُضمر إلا إذا كان في التركيب بدل، كحرف العطف، أو حرف الجر[4]، فهو يختفي وراء هذين الضربين من الأحرف، وينصب الفعل المضارع، أما إذا خلا التركيب من حرف النصب، رُفع الفعل المضارع، كما في قوله تعالى:

---

[1]- سورة المائدة، الآية:33.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 235/4.

[3]- نفسه، 235/4.

[4]- الكتاب، سيبويه، باب: (الحروف التي تضمر فيها أن)، 5-6/3.

﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾[1]، إذ الأصل: أن أعبدَ، فلما حذفت (أن) رُفع الفعل. ومن أجل هذا رفض جمهور نحاة البصرة والكوفة رواية النصب في قول طرفة بن العبد: (ت: 569م)، [من بحر الطويل]

ألا أيّهَذا اللّائمي أَحْضرُ الوَغَى *** وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟[2].

وذكروا أن القياس رفع "أحضرُ"[3]، وإنما قدر النحويون "أنْ" في مثل هذه التراكيب، ولم ينسبوا عمل النصب إلى لام التعليل، أو لام الجحود، أو "حتى"، لأنها أحرف جارة، مختصة بالأسماء، وعاملة فيها، فلا يمكن أن تكون عاملة في الفعل، لأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال، ولا عوامل الأفعال تعمل في الأسماء. ولم ينسبوا كذلك عمل النصب إلى فاء السببية، و "واو المعية"، و "أو"، لأنها أحرف عطف، لا اختصاص لها، وما كان كذلك لا عمل له، ولذلك عطف النحاة "فَأُوَارِيَ" بِنَصْبِ الْيَاءِ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾[4]. وإن قال سيبويه: "واعلم أن الفاء لا تضمر فيها (أَنْ) في الواجب، ولا يكون في هذا الباب إلا الرفع."[5]، وذكر الزمخشري جواز النصب على جواب الاستفهام، وليس بشيء عند أبي حيان، إذ ليس المعنى، أيكون مني عجز فمواراة، ألا ترى أن قولك: أَتَزُورُنِي فَأُكْرِمَكَ، معناه: إِنْ تَزُرْنِي أُكْرِمْكَ. وليس المعنى هنا، لو عجزت لواريت.

واستنادا إلى هذا التحليل النحوي، رفض أبو حيان التوجيه النحوي للزمخشري بخصوص هذه الآية القرآنية، لأنه لا ينسجم مع المعنى. قال:" لِأَنَّ الْفَاءَ الْوَاقِعَةَ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ تَنْعَقِدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَالْجَوَابُ شَرْطٌ وَجَزَاءٌ، وَهُنَا تَقُولُ: أَتَزُورُنِي فَأُكْرِمَكَ، وَالْمَعْنَى: إِنْ تَزُرْنِي أُكْرِمْكَ.[...]، وَلَوْ قُلْتَ هُنَا: إِنْ أَعْجَزْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ أُوَارِ سَوْءَةَ أَخِي لَمْ يَصِحَّ، لِأَنَّ الْمُوَارَاةَ لَا تَتَرَتَّبُ عَلَى عَجْزِهِ عَنْ كَوْنِهِ مِثْلَ الْغُرَابِ."[6]، وهكذا يتبين لنا أن أبا حيان يجعل النحو تابعا للمعنى، وهو يحرص على إعمال حسه النقدي واللغوي لتأويل ما لم يطرد في القراءات الشاذة، محاولا بذلك حمل القراءة على وجه صحيح في العربية.

1- سورة الزمر، الآية:61.

2- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزني، أبو عبد الله (ت: 486هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ/2002م، ص: 107./ شرح بعض مفردات البيت الشعري: الوغى: أصله صوت الأبطال في الحرب ثم جعل اسْمًا للحرب./ مخلدي: من الفعل: خلد يخلد، خلودا: بمعنى: البقاء، والإخلاد والتخليد الإبقاء، أي: هل أنت ضامن عيشي إلى الأبد؟.

3- الكتاب، سيبويه، 99/3.

4- سورة المائدة، الآية:33.

5- الكتاب، سيبويه، 38/3.

6- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 235/4.

خلاصة القول: إن القرآن الكريم بقراءاته، نزل بأفصح لغات العرب، ولذلك فإن الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العملية التفسيرية مسلك من مسالك الكشف عن تعدد الدلالات القرآنية، شرطَ أن يكون المفسر أكثر تفهما وتقبلا لمجيء القراءات القرآنية ببعض ما لم يطرد في القواعد اللغوية. وعلى هذا الأساس نقترح منهجية دقيقة في التعامل مع القراءات القرآنية في العملية التفسيرية، وهي منهجية تستند إلى المعالم التالية:

- أولا: عدم مواجهة القراءات القرآنية بالطعن والتلحين، بل يجب توجيهها توجيها سليما موافقا لمقاصد الشريعة الإسلامية.
- ثانيا: حمل القراءة القرآنية على لغة خاصة من لغات العرب.
- ثالثا: حمل القراءة القرآنية على وجه صحيح في العربية.
- رابعا: تأويل ما في القراءة القرآنية وفق ما ينسجم مع السياق القرآني ومنطق الشرع.

3. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم الحديث:

يعد الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فقد قال النبي ﷺ: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"[1]، ومن ثمة فإن كلامه ﷺ حجة في بناء الأحكام الشرعية عند الفقهاء وحجة في بناء القواعد النحوية عند علماء العربية. ومن المعلوم أن الحديث النبوي الذي وصل إلينا، ليس كله كلام الرسول محمد ﷺ لفظا، ولكن كلامه معنى، إذ لم تأت كل الأحاديث النبوية على لسانه ﷺ، وإنما شملت ما نقلته الروايات في محاوراته لأصحابه، وما نقلته في تقريراته وأقواله وأعماله ﷺ، ولذلك نجد الحديث الواحد مرويا على أوجه متعددة حسب تعدد الروايات، ومن هنا يمكن القول بأن جل الأحاديث المروية عن النبي ﷺ مروية بالمعنى، وربما هذا السبب هو الذي جعل علماء اللغة العربية المتقدمين يتركون الاستدلال بما ورد في الأحاديث على إثبات القواعد في اللغة والنحو، لوثوقهم أن لفظ الحديث، ليس من الرسول محمد ﷺ، إذ لو كان من لفظه ﷺ، "لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية."[2]، بالإضافة إلى أن الرواة ليسوا من الأعراب الفصحاء، ولأن كثيرا منهم، "كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك."[3]، ولذلك وقعت في لغة الحديث النبوي أخطاء كثيرة، ومن ذلك الحديث الشريف: حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ

[1] - حديث رواه الإمام أحمد في مسنده، 410/28، رقم الحديث: 17174.

[2]- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص:42.

[3]- نفسه، ص:42.

أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى أَثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيُصَلِّي رَكْعَةً. وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ. قَبْلَ التَّسْلِيمِ. فَإِنْ كَانَتِ الرَّكْعَةُ الَّتِي صَلَّى خَامِسَةً، شَفَعَهَا بِهَاتَيْنِ السَّجْدَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَتْ رَابِعَةً فَالسَّجْدَتَانِ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ»[1]، بإثبات الياء في الفعل المضارع "فليُصلي" لا بحذفها، مع العلم أنه في حالة الجزم بلام الأمر، ومن ذلك أيضا الحديث: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنَّمَا كَانَ مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ النَّبِيُّ ﷺ، لِيَكُونَ أَسْمَحَ لِخُرُوجِهِ»[2]، والصواب: منزلا، لأنه خبر "كان"، وغير ذلك من الأخطاء الشائعة عند رواة الأحاديث النبوية، وبهذا يمكن القول بأن انتشار اللحن بين الرواة، إضافة إلى التأخر في تدوين الحديث النبوي الشريف...، يُعدَّان من بين الأسباب التي جعلت الاحتجاج بالحديث النبوي، يكون ضعيفا في القرون الأولى ، ولكنه لم يكن معدوما، فلا نجد مثلا في كتاب سيبويه غير عدد قليل من الأحاديث[3]، ولم يصرح بأنها أحاديث نبوية، وربما هذه القضية متعلقة بأمور منها:

- أولا: لخوفه أن ينسب حديثا باطلا للنبي ﷺ، فيكون ممن كذب على النبي ﷺ، لأنه لم يتثبت من حجة الحديث وصحة روايته.
- ثانيا: لعدم شيوع المصنفات في الحديث إلا بعد زمن سيبويه، فلم يتيسر له العودة إلى الأحاديث كما هو الحال فيما بعد[4].
- ثالثا: لاعتماده كلام شيوخه، والسير على نهجهم، فلا يريد مخالفتهم، وهذا ما يظهر في "الكتاب"، من خلال كثرة الأسئلة التي يوجهها لأستاذه الخليل حول مختلف الظواهر اللغوية.

ونلاحظ اختلاف رواية سيبويه في بعض الأحاديث عما جاء في كتب الأحاديث الصحيحة، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، ومصنف ابن أبي شيبة...، مثل الحديث: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى

[1]- موطأ مالك، تحقيق: عبد الباقي، باب إتمام المصلي ما ذكر إذا شك في صلاته،95/1. رقم الحديث:62.

[2]- حديث رواه البخاري في صحيحه، باب المحصب،181/2. رقم الحديث :1765.

[3]- أوصل عبد السلام هارون، محقق كتاب سيبويه، عدد الأحاديث الواردة في "الكتاب" إلى سبعة، وجاءت على النحو الآتي:

- "كُلُّ مولود يُولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه"./ سيبويه، الكتاب، 283/2-284.
- "ما من أيامٍ أحبَّ إلى الله فيها الصومُ من عشر ذي الحجة"./ سيبويه، الكتاب، 22/2.
- "وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يفجُرك"./ سيبويه، الكتاب، 87/1.
- إني عبد الله آكلا كما يأكل العبد وشاربا كما يشرب العبد./ سيبويه، الكتاب، 57/2.
- سبوحٌ قدوسٌ ربَّ الملائكة والروح./ سبوحًا قدوسًا ربَّ الملائكة والروح./ سيبويه، الكتاب، 277/1.
- إن الله ينهاكم عن قِيلَ وَقَالَ./ سيبويه، الكتاب، 207/3.
- فَبِهَا وَنِعْمَتْ./ سيبويه، الكتاب، 84/4.

[4]- الشاهد في أصول النحو في كتاب سيبويه، الحديثي خديجة، دار النشر، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1394هـ/1974م، ص:74.

يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ"[1]، فإن الضمير (هما) موطن الشاهد لم يأت في كتب الأحاديث، وإنما ساق سيبويه هذا الحديث لأجل بيان الأوجه الإعرابية[2] التي يحتملها في كلام العرب ،... كما نجد أيضا في كتاب "معاني القرآن" للفراء الأحاديث النبوية قليلة جدا بالمقارنة مع الآيات القرآنية وكلام العرب شعرا ونثرا، وأغلبها وُظفت في توضيح أسباب نزول الآيات القرآنية، والقلة منها استُخدمت شواهد في اللغة والنحو، ولقلتها أذكرها بنصوصها[3]، وهي مرتبة كما وردت في كتاب "معاني القرآن". ويظهر أن أغلب هذه الأحاديث الموظفة في اللغة والنحو غير مسندة إلى الرواة.

هكذا يتضح لنا جليا، ضعف الاحتجاج بالحديث النبوي في المسائل اللغوية والنحوية عند هذين العالمين الجليلين، وغيرهما من العلماء المتقدمين، وسيبقى الأمر على هذا النهج إلى نهاية القرن الرابع للهجرة، حيث سنلحظ عند المبرد وأبي علي الفارسي الزيادة في اعتماد لغة الحديث النبوي، إلا أنهما لم يجعلا منه موردا جديدا للاستقراء، وبقي الأمر على ما هو عليه عند علماء المشرق بعد هذا القرن، إذ لم

---

[1]- ورد هذا الحديث في صحيح البخاري هكذا: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ»، 100/2، رقم الحديث: 1385.

[2]- هذا الحديث فيه ثلاثة أوجه: فالرفع وجهان، والنصب وجه واحد. فأحد وجهي الرفع: أن يكون المولود مضمرا في يكون، والأبوان مبتدآن، وما بعدهما مبني عليهما. والوجه الثاني: أن تعمل يكون في الأبوين، ويكون هما مبتدأ [وما بعده خبرا له]. والنصب على أن تجعل هما فصلا. ينظر الكتاب لسيبويه، 284/2.

[3]- الأحاديث النبوية التي استشهد بها الفراء (ت: 207 هـ) في اللغة والنحو قليلة، وهي:

- قول من روى عن النبي ﷺ: " أُوصى امْرَأً بأمه". ينظر معاني القرآن للفراء، 5/1.
- بلغنا أن النبي ﷺ قال: " الْكَمْأَةُ من المنّ وماؤها شفاء للعين". نفسه، 38/1.
- حَدَّثَنِي قَيْسٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بإسناد برفعه إلى النبي ﷺ أنه سمع رجلا يَقْرَأُ فَقَالَ: " يَرْحَمُ اللَّهُ هَذَا، هَذَا أَذْكَرَنِي آيَاتٍ قَدْ كُنْتُ أُنسِيتُهُنَّ". نفسه، 65/1.
- نقلنا في الحديث أن رسول اللَّه ﷺ قال: " أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خِفْتُ لَأَدْرَدَنَّ". نفسه، 266/1.
- وجاء في الحديث: " كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقيت، ويقوت". نفسه، 280/1.
- كما قالوا: " نَهَى رسولُ الله ﷺ عَن قيل وقال وكثرة السؤال". نفسه، 468/1.
- ولقد سمعت عَن ﷺ أَنَّهُ قَالَ في بعض المشاهد: " لتأخذوا مصافكم". نفسه، 470/1.
- وجاء في الحديث عَن النَّبِيّ ﷺ: " إنّ عَمّ الرجل صِنْو أبيه". نفسه، 59/2.
- وَفِي الحديث: " إذا كَانَ الشتاء قيظًا، وَالْوَلَدُ غيظًا، وغاضت الكرامُ غَيْضًا، وفاضت اللئامُ فيضًا. فقد تبيّن النقصانُ فِي الغيض". نفسه، 59/2.
- وجاء عَن النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " العيادة قدر فواق ناقة". نفسه، 400/2. وقد ساق أغلب هذه الأحاديث النبوية لشرح الألفاظ، وتوضيح دلالاتها، بينما وظف شاهدا نحويا واحدا، استدل به على جواز كسر همزة " أمه" أو رفعها إذا سبقت بكسرة، فهذه الهمزة إما أن ترفع مراعاة للأصل أو تكسر تجنبا لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، والحديث هو: " أوصى امرأً بِإِمِّهِ" يجوز "بأُمِّهِ" ويجوز " بِإِمِّهِ". تقول: هذه أُمُّ زيد وإِمُّ زيد. وإذا ابتدأتها لم تكن إلا مرفوعة. ينظر معاني القرآن للفراء، 1/5-6. وربما كانت هناك فائدة في تخريج هذه الأحاديث، لكنني رأيت أن ذلك سيبعد البحث عن مساره.

يفعلوا شيئا جديدا، وهذا واضح في تراث الزمخشري وابن الشجري والأنباري ومن عاصرهم حتى القرن السادس للهجرة، بعد ذلك سيتغير الأمر في الأندلس منذ هذا القرن، لنجد النحاة يحتجون بالحديث النبوي في مختلف الظواهر اللغوية، وكان السهيلي وابن خروف و ابن مالك... وغيرهم يتهمون النحاة المتقدمين بقلة الاستقراء، ولذلك نجدهم يكثرون من الاحتجاج بالحديث النبوي، وهذا واضح في تراث المرادي، صاحب "الجنى الداني"، وابن هشام، صاحب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، وابن عقيل، صاحب الشرح المعروف للألفية، والسيوطي، صاحب "همع الهوامع"، وغيرهم من نحاة الأندلس الذين أكثروا من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، وجعلوه المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، مِمَّا مكنهم من توسيع دائرة الاحتجاج، لإرساء قواعد اللغة العربية وأصول النحو على دعائم ثابتة قوية. لكن ماذا عن الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الحديث النبوي الشريف؟.

قبل الإجابة عن هذا السؤال، لابد أن نشير أولا إلى قضية في غاية الأهمية، وهي الصلة الوثيقة بين القراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف من حيث التكامل بين المصدرين في العملية التفسيرية، إذ لا تعارض بين ما تقره القراءة القرآنية وبين ما يدل عليه الحديث النبوي الشريف، لأنه يمثل عنصرا تفسيريا داعما في تعزيز المعاني القرآنية وتطعيمها، مما يفضي إلى تبيان الدلالات والمقاصد والتوجيهات وتأكيد الأحكام، وغير ذلك. وعلى هذا الأساس، فإنه يمكن أن نحتج بالحديث الشريف في تبيان المعاني القرآنية، كما يمكن أن نحتج بالقراءات القرآنية في الحديث الشريف، باعتبارها مقياسا للكشف عن صحة معناه، لأن الأحاديث الشريفة ليست على مرتبة واحدة في الصحة[1]، وسنقدم نموذجا واحدا في هذه القضية - ويتعلق الأمر بالكشف عن بعض المعاني القرآنية الواردة في سورة الهمزة[2]- لإظهار العلاقة التكاملية بين المصدرين في التفسير من جهة، وإثبات حجية القراءات القرآنية وأثرها في تعدد الروايات التي تحكي وقائع نزول هذه السورة من جهة أخرى، ونشير بداية إلى أن افْتِتَاح السُّورَة (بالويل) في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾[3] مُشْعِرٌ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ لِتَوْبِيخٍ وَوَعِيدٍ، فَذَلِكَ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ مِثْلَ مَا تُفْتَتَحُ

[1]- أنواع الحديث: الصحيح، الحسن، الضعيف، المرفوع، الموقوف، المقطوع، المرسل، المقبول، المردود، الموضوع، المتروك، المدرج، المقلوب...وغير ذلك من الأقسام التي وضعها المحدثون استنادا إلى معايير وضوابط علوم الحديث: وصول الحديث، وطرق نقله، ومتنه وسنده، ومن أسند إليه، وقوته وضعفه، وناسخه ومنسوخه،... وغير ذلك.

[2]- سورة الهمزة، مكية بالاتفاق، عدد آياتها: 9 آيات، ترتيبها في المصحف: 104، قبلها سورة العصر، وبعدها سورة الفيل. سميت في بعض التفاسير «سُورَةَ الْهُمَزَةِ»، وفي بعضها «سُورَةَ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ». وَذَكَرَ الْفَيْرُوزَ آبَادِيُّ فِي «بَصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ» أَنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةَ الْحُطَمَةِ» لِوُقُوعِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِيهَا. ينظر التحرير والتنوير، 535/30.

[3]- سورة الهمزة، الآية: 1

أَشْعَارُ الْهِجَاءِ بِمَا يُؤْذِنُ بِالذَّمِّ وَالشَّتْمِ[1]، وقد تعددت الروايات المرتبطة بوقائع نزول هذه السورة، ومنها أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكانت عادته الغيبة والوقيعة. وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله ﷺ وغضه منه[2]. وقال السهيلي: هو أمية بن خلف الجمحي، كان يهمز النبي ﷺ[3]، وَكُلُّهُمْ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ، وأَهْلِ الثَّرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّة والازدهاء بِثَرَائِهِمْ وَسُؤْدَدِهِمْ. ويمكن القول بأنها نزلت في كل من اتصف بالأوصاف المذكورة فيها، لأن لفظة (كل) تفيد العموم، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فيكون الجزاء من جنس القول. وإذا عُدنا إلى المعاجم اللغوية العربية، نجد أن لفظة (الويل)، كَلِمَةٌ مِثْلَ وَيْحٍ، إِلَّا أَنها كَلِمَةُ عَذاب[4]، دالة على من وقع في هلكة وعذاب، وقيل: واد في جهنم[5]، واللفظة مرفوعة بالابتداء، والخبر (لكل همزة)، أي: لكل شخص همزة، فحُذِفَ الموْصُوفُ، وصَارَ الْوَصْفُ قَائِمًا مَقَامَهُ فَأُضِيفَ إِلَيْهِ (كُلِّ)، ولو وقعت لفظة (الويل) في غير القرآن الكريم، جاز فيها النصب، فنقول: ويلا للكافر، والمعنى: جعل الله له ويلا، والرفع أجود في العربية، لأنه قد ثبت له الويل[6]، والدعاء هنا على سبيل الوعيد بالعقاب، ولفظة (الهمز) تدل على: "الغِيبَة وَالْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ وَذِكْرُ عُيُوبِهِمْ؛ وَقَدْ هَمَزَ يَهْمِزُ، فَهُوَ هَمَّاز وهُمَزَةٌ لِلْمُبَالَغَةِ[7]، ولفظة (اللَّمْز)، كالغَمْزِ فِي الْوَجْهِ تَلْمِزُه بِفِيكَ بِكَلَامٍ خَفِيٍّ، أَي: يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، وَرَجُلٌ لُمَزَةٌ: يَعِيبُكَ فِي وَجْهِكَ، وَرَجُلٌ هُمَزَةٌ: يَعِيبُكَ بِالْغَيْبِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ ويَغُضُّهم، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمَا"[8]، وربما يفضي عدم التفريق بينهما إلى تقاربهما في المعنى، فنقول: الهمز واللمز والمَرْزُ واللَّقْسُ والنَّقْسُ والْعَيْبُ[9]، والهزم واللمز والطعن، واللهز[10]، فكل هذه المفردات تشير دلاليا إلى التحدث في أعراض الناس، واغتيابهم، فالهُمزة الطعان في الناس، واللُّمزة الطعان في الأنساب، وقيل: الهمز في الوجه واللمز في الخلف، وقيل: الهمز بالعين والشدق واليد، واللمز باللسان[11]، وقيل غير ذلك، والملاحظ أن اللفظتين:

---

[1]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 600/30.

[2]- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 795/4.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 540/10.

[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 737/11.

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 521/5.

[6]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 346/5.

[7]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 426/5.

[8]- نفسه، 406/5.

[9]- نفسه، 406/5.

[10]- روح المعاني، الألوسي، 460/15

[11]- نفسه، 460/15

بِوَزْنِ فُعَلَةٍ، صِيغَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ صُدُورِ الْفِعْلِ الْمُصَاغِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ صَارَ عَادَةً لِصَاحِبِهِ. [...]، وَأَصْلُهَا: أَنَّ صِيغَةَ فُعَلٍ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ تَرِدُ لِلْمُبَالَغَةِ فِي فَاعِلٍ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الرَّضِيُّ فِي «شَرْحِ الْكَافِيَةِ»[1]، فهذه الصيغة دالة على تمكن الوصف من الموصوف، ولذلك كان الويل جزاء لكل من يتحدث في أعراض الناس بالقليل أو الكثير.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾[2]، موطن الشاهد (جَمَعَ/عَدَّدَه)، فقد قرأ الجمهور لفظة (جَمَعَ) بتخفيف الميم، وقرأها ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ وَخَلَفٍ بِالتَّشْدِيدِ[3]، فأما القراءة بالتخفيف، فإنها سيقت على الأصل في الفعل، نقول: جَمَعَ، يَجْمَعُ، جَمْعاً، وقد وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾[4]، فدلت القراءة بالتخفيف على القرب والسرعة في الجمع. وأما القراءة بتشديد الميم، فقد جاءت على سبيل المبالغة للدلالة على التكثير الذي أفاد التهافت والتكلف في جمع المال بكثرة. وقرأ الجمهور لفظة (عَدَّدَهُ) بالتضعيف، والمعنى: أحصاه وحافظ على عدده، وأن لا ينتقص، فمنعه من الخيرات ونفقة البر، وقال مقاتل: المعنى استعده وذخره[5]، وقرأها الحسن بتخفيف الدالين، فقيل المعنى: جمع مالا وعددا من عشرة، وقيل: أراد عددا مشددا فحل التضعيف[6]، وبالعودة إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن "الْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَدِّ الَّذِي هُوَ الْإِحْصَاءُ. [...]. فَالْعَدُّ: إِحْصَاءُ الشَّيْءِ. تَقُولُ: عَدَدْتُ الشَّيْءَ، أَعُدُّهُ عَدًّا، فَأَنَا عَادٌّ، وَالشَّيْءُ مَعْدُودٌ. وَالْعَدِيدُ: الْكَثْرَةُ[7]، ويظهر أن هذه اللفظة تدل على ضبط المال بإحصاء عدده، والمحافظة على كثرته. وقد وردت لفظة (مَالاً) نكرة على وجهين:

- **الوجه الأول:** إما التفخيم والتكثير، وتقويه القراءة بالتشديد، وما ورد في سبب النزول، فقد روي أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف[8].

---

[1]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 536/30.

[2]- سورة الهمزة، الآية:2.

[3]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 538/30.

[4]- سورة يونس، الآية: 58.

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 521/5.

[6]- نفسه، 521/5.

[7]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 29/4.

[8]- الكشاف، الزمخشري، 795/4.

- **الوجه الثاني:** وإما للتحقير والتقليل، فمال الأخنس ومن على شاكلته من الله تعالى، وهو أقل وأحقر شيء ذكرا عند الله، إذا لم يُصرف في وجوه الخير والبر والإحسان.

والملاحظ أن كل هذه القراءات القرآنية تعضد ما ذكرته الروايات في سبب النزول عن الأشخاص المذكورين الذين عُرِفُوا بِهَمْزِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْزِهِمُ، والحرص على جمع الأموال بكثرة دون إنفاقها في وجوه الخير، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فقد روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: "«يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ»[1]. فالمراد بالكنز في الحديث الشريف، جمع المال وادخاره، وهو المال الذي لا يُنفق في سبيل الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾[2]، موطن الشاهد لفظة (يَحْسِبُ)، فقد قَرَأَها الْجُمْهُورُ بِكَسْرِ السِّينِ، وَقَرَأَها ابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَأَبُو جَعْفَرٍ بِفَتْحِ السِّينِ وَهُمَا لُغَتَانِ[3]، وقد استندت القراءتان إلى الروايات المنقولة عن النبي محمد ﷺ، فقد ورد في السنة عن جابر، قال: رأيت النبي يقرأ: (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) بفتح السين[4]، وفي رواية أخرى، أن النبي محمد ﷺ قرأ: (يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) بكسر السين[5]، وقال سيبويه فيما يتعلق بالجانب الصرفي بين الصيغتين: "وقد بنوا فَعِلَ على يَفْعِلُ في أحرف، كما قالوا: فَعُلَ يَفْعُلُ، فلزموا الضمة، وكذلك فَعَلُوا بالكسرة فشبه به. وذلك حَسِبَ يَحْسِبُ، ويَئِسَ يَيْئِسُ، ويَبِسَ يَيْبِسُ، ونَعِمَ يَنْعِمُ. [...] والفتح في هذه الأفعال جيد، وهو الأقيس"[6]، ويظهر من كلام سيبويه أن القراءة بالفتح، جاءت بلفظ المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن (فَعِلَ) بالكسر يأتي مضارعه على (يَفْعَلُ) بالفتح، وهو قياس مطرد في كلام العرب، وأن القراءة بالكسر، جاءت على طريق أن العرب تستعمل الكسر أو الفتح في مضارع أربعة أفعال: يحسب، وينعم، وييئس، وييبس، حتى صار الكسر فيها أفصح في كلامهم، والمعنى: أي يظن هذا الكافر المقصود في السورة الكريمة أن ماله سيُبقيه حيا، ويُخلده في الدنيا، من الفعل: أخْلده، فالهمزة لِلتَّعْدِيَةِ، والمعنى: يظن أن ماله يجعَلُهُ خَالِدًا، وفيه تعريض، بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة، ولذلك رد الله تعالى هذا الظن الكاذب في

---

[1]- حديث رواه البخاري في صحيحه، 56/6، رقم الحديث: 4659.

[2]- سورة الهمزة، الآية:3

[3]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 539/30.

[4]- حديث رواه ابن حبان في صحيحه، 240/14، رقم الحديث: 6332، والنسائي في سننه الكبرى، 344/10، رقم: 11634، وأبو داود في سننه، 35/4، رقم: 3599.

[5]- حديث خرَّجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين،281/2. رقم الحديث: 3013. وينظر أيضا: كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، ص: 181، وإعراب القراءات السبع وعللها، 103/1، والحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، 402/2-403.

[6]- الكتاب، سيبويه، 38/4-39.

قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾[1]. فقوله (كَلَّا)، ردع وزجر ورد لزعمه، وإِبْطَالٌ لِأَنْ يَكُونَ الْمَالُ مُخَلِّدًا لَهُ، ولذلك حسن الوقف عليه، ومعنى لفظة (لَيُنْبَذَنَّ)، أي: يُلْقَيَنَّ في نار جهنم، لأن النَّبْذَ: هو الْإِلْقَاءُ وَالطَّرْحُ، وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهِ فِي إِلْقَاءِ مَا يُكْرَهُ[2]، والحطمة صفة لنار جهنم على وزن فُعَلَة التي للمبالغة، فهي تحطم كل ما يُلقى فيها، وتكسره كسرا، واللام والنون في الفعل للتأكيد، وهو فعل وعيد للمستقبل، بُني على ما لم يُسَمَّ فاعلُه[3]، وروي عن الحسن، أنه قرأ (لَيُنْبَذانِّ فِي الْحُطَمَةِ)، والمعنى: لَيُنْبَذَنَّ هو وماله في الحطمة، وقرئت اللفظة أيضا (لَتَنْبُذُنَّ فِي الْحُطَمَةِ)، والمعنى: أنه لَيَنْبُذُ هو وجمعه في الحطمة[4]، وهي النار التي أعدها الله تعالى خصيصا لهؤلاء الكفار، ومن كان مثلهم، نار موقدة، يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾[5]، إِضَافَةُ نارُ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ لِلتَّرْوِيعِ بِهَا، وبِأَنَّهَا من الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ التي خلقها الله تعالى، وَ هي مَوْصوفَة بِ«مُوقَدَةٍ»، اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ: أَوْقَدَ النَّارَ، إِذَا أَشْعَلَهَا وَأَلْهَبَهَا، وموصوفة أيضا بكونها (تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ)، لشدة ألمها الذي يصل إلى القلوب، والفعل (تَطَّلِعُ)، للمستقبل، نقول: اطَّلَعَ- يَطَّلِعُ- اطِّلَاعًا، ووزنه: تَفْتَعِلُ، والأصل: تَطْتَلِعُ، فتحولت تاء الافتعال طاء، لأنها وقعت بعد الطاء، فأُدغم الطاء في الطاء، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الظاهرة الصوتية في المبحث المتعلق بالاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم الأصوات العربية.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾[6]، الضمير في لفظة (إِنَّهَا) عائد على النار ، وفي لفظة (عَلَيْهِم) عائد على هؤلاء الكفار الذين يعيبون الناس، ويتحدثون في أعراضهم، ويتباهون بجمع المال ظانين، أنه يُبقيهم خالدين في الحياة الدنيا. ويُلاحظ في السورة الكريمة عدول عن ضمير الغائب الدال على المفرد (عَدَّدَهُ، أَخْلَدَهُ) إلى ضمير الغائب الدال على الجماعة (عَلَيْهِم)، ويعضد هذا الضمير ما ذكره المفسرون في أسباب النزول. قال ابن عاشور: "يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الآية الكريمة صِفَةً ثَالِثَةً للنار بِدُونِ عَاطِفٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا وَتَأْكِيدُهَا بِ (إِنَّ) لِتَهْوِيلِ الْوَعِيدِ [...] وَمُوصَدَةٌ: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ أَوْصَدَ الْبَابَ، إِذَا أَغْلَقَهُ غَلْقًا مطبقا. وَيُقَالُ: آاصد بِهَمْزَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا أَصْلِيَّةٌ،

---

[1]- سورة الهمزة، الآية: 4.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 540/30.

[3]- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه، ص: 183.

[4]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، ص: 347/5

[5]- سورة الهمزة، الآيتان: 6-7.

[6]- سورة الهمزة، الآيتان: 8-9.

وَالْأُخْرَى هَمْزَةُ التَّعْدِيَةِ، وَيُقَالُ: أَصَدَ الْبَابَ فِعْلًا ثُلَاثِيًّا، وَلَا يُقَالُ: وَصَدَ بِالْوَاوِ بِمَعْنَى أَغْلَقَ."[1]، وقرأ الجمهور هذه اللفظة بِوَاوٍ بَعْدَ الْمِيمِ عَلَى تَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ، وَقَرَأَها أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبُ وَخَلَفٌ بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الْمِيمِ الْمَضْمُومَةِ[2]، ومعناها: إغلاق باب جهنم عليهم إغلاقا محكما للدلالة على شدة العذاب. وقرأ الجمهور لفظة (عَمَدٍ) بفتحتين، وقرأها حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَخَلَفٌ «عُمُدٍ» بِضَمَّتَيْنِ[3]، فأما قراءة الجمهور، فقد جاءت عَلَى أَنَّ اللفظة اسْمُ جَمْعٍ غير مستمر، [عَمَدَة]، كبقرة وبقر. وأما القراءة بالضم، فقد جاءت على جمع عِماد وعُمُد وعُمَد، والمعنى: وَالْعَمُودُ الممدد: الخَشَبَةُ الغَلِيظَةُ، المُسْتَطِيلَةُ الطَوِيلَةُ جِدًّا، [...]. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَقْوِيَةٌ لِتَمْثِيلِ شِدَّةِ الْإِغْلَاقِ عَلَيْهِمْ بِأَقْصَى مَا يَبْلُغُهُ مُتَعَارَفُ النَّاسِ مِنَ الْأَحْوَالِ[4].

وهكذا يظهر لنا جليا الأثر الكبير للقراءات القرآنية -في هذه السورة الكريمة- في تعدد الروايات والنصوص الموازية التي تحدثت عن جزاء من يعيبون الناس، ويطعنون في أعراضهم، ويسعون إلى جمع المال دون إنفاقه في سبيل الله، وهم يزعمون أنه يُخلدهم في هذه الحياة الدنيا، كلا، بل سيواجهون مصيرهم في نار جهنم التي تطلع على أفئدتهم، والعبرة في السورة الكريمة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، ولذلك يجب علينا أن نتجنب التحدث في أعراض الناس في واقعنا الاجتماعي، وأن نُحسن تدبير المال، وننفقه في سبيل الله قصد نيل الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم العقيدة:

1. أهمية القراءات القرآنية في علم العقيدة:

تتنوع النصوص القرآنية في موضوعاتها، فقد تتناول قضايا علمية أو تاريخية أو اجتماعية...، وعموما قضايا لها صلة بالوجود والكون والحياة والإنسان، لكن النصوص العقدية أكثرها خطورة، لأنها أساس التشريع، وهي التي ترتبط بأمور التوحيد، ومجمل القضايا التي لها صلة بالعقيدة، وتسمى الأحكام الناتجة عنها بأصول الدين، وهو العلم الذي يدافع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والنقلية للبرهنة على إثبات صحة تلك العقائد، ودفع شبهات المنحرفين. ويظهر أن التفسير في الفكر

[1]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 541/30.

[2]- من همز هذا اللفظ، وهو مذهب أبي عمرو وحمزة، أخذه من آصَدْتُ الباب، فاء الفعل همزة، ودخلت عليها ألف القطع، والأصل: أَأْصَدْتُ، والمصدر: آصَدَ- يُؤْصِدُ- إِيصَادًا، اسم الفاعل: مُؤْصِدٌ، واسم المفعول: مُؤْصَدٌ، ومن لم يهمز أخذه من: أَوْصَدَ- يُوصِدُ- إِيصَادًا، فاء الفعل واو، ولا يجوز همزه، نحو: أَوْقَدَ- يُوقِدُ. ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، 541/30، وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، ص: 186-187.

[3]-التحرير والتنوير، ابن عاشور، 542/30.

[4]- نفسه، 542/30.

الإسلامي، كان مرتبطا بمسائل العقيدة منذ نشأته، وقد نتج عن ذلك ظهور عدة مذاهب واتجاهات في فهم القرآن الكريم وتفسيره، ومنها: المعتزلة، والأشاعرة، والمتصوفة، والشيعة،... إلخ. وقد اختلفت هذه الفرق الكلامية في توجهاتها وأصولها المذهبية ومنطلقاتها الفكرية، لكنها اشتركت في مسألة إعمال القراءات القرآنية، وتوجيهها في العملية التفسيرية- بدرجات متفاوتة- كما وكيفا، وفق ما يتماشى مع توجهاتهم المذهبية، فتعددت الرؤى، واختلفت المواقف، استنادا إلى ما ذهبت إليه كل فرقة، ولا نريد هنا أن نخوض في التأويلات المتباينة، ولكن نريد الفهم الدقيق للنص القرآني، من منظور الاحتجاج بالقراءات القرآنية، الذي اتفق عليه جمهور المفسرين، ويؤيده التساند بين النصوص الموازية والمعينات الدلالية، لتكون للقراءة القرآنية ركيزة قوية، وتُسهم في توجيه المعنى النصي، ونفي التفسيرات المذهبية، ومزاعم الفرق الملحدة المنكرة للعقائد الإيمانية الصحيحة، وكل ذلك من أجل تنزيه العقيدة السليمة من الشوائب، والكشف عن المحظورات العقدية ودرئها، إذ من مفسري القرآن،" قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، وقوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به. فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام"[1]، وتقود مثل هذه الأخطاء المنهجية إلى فهم النصوص القرآنية فهما خاطئا، نتيجة البعد عن منطق السياق اللغوي والمقامي للنص القرآني، فيكون الفهم المستنبط بعيدا كل البعد عن مراد الله عز وجل.

وتتجلى أهمية القراءات القرآنية في علم العقيدة، في كونها من العلوم الرافدة لعلم التفسير في معرفة بعض مراد الله تعالى باستنباط الأحكام والحكم والتشريعات، ومعرفة مراتب الحجج والأدلة منها، وغير ذلك على وجه الصحة، وذلك ملحوظ في بعض التفاسير التي اهتمت بالقراءات القرآنية، وبرزت فيها أصلا من الأصول التي لا غنى للمفسر عنها، كجامع البيان، وروح المعاني، والكشاف، والمحرر الوجيز، والدر المصون، والبحر المحيط...، وغيرها من المصنفات التي تميزت بالسعة والشمول في القراءات القرآنية والنحو والبلاغة.

[1]- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ط 1490هـ/1980م، 33/1.

2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا العقدية:

أ. قضية التوحيد والوحدانية:

يعد التوحيد من أبرز الأصول عند المعتزلة، ويعني تنزيه الذات الإلهية عن المشابهة والمماثلة مع المخلوقات والمحدثات، حتى لا يكون هناك قديم غير الله. ومن الآيات القرآنية الدالة على توحيد الله، قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1]، فقد جاءت سورة الإخلاص مُصَرِّحَةً بِالتَّوْحِيدِ، وهي تعارض فكرة عبادة الْأَوْثَانِ، والذين اتخذوا مع الله آلهة، وغير ذَلِكَ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْمُخَالِفَةِ لِلتَّوْحِيدِ. موطن الشاهد في الآية الكريمة (كُفُؤًا)، فقد قَرَأَ: «كفؤا» بضم الكاف وهمز مسهل نافع والأعرج وأبو جعفر وشيبة، وقرأ بالهمز عاصم وأبو عمرو بخلاف عنه، وقرأ حمزة: «كفْؤًا» بالهمز وإسكان الفاء وروي عن نافع «كفا» بفتح الفاء وبغير همز. وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: «ولم يكن له كِفَاء أحد» ، بكسر الكاف وفتح الفاء، والمد"[2]، فإذا توسلنا بالمعاجم اللغوية العربية للبحث عن دلالة هذه المفردة، نجد أن "الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى التَّسَاوِي فِي الشَّيْئَيْنِ، وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْمَيْلِ وَالْإِمَالَةِ وَالِاعْوِجَاجِ، فَالْأَوَّلُ: كَافَأْتُ فُلَانًا، إِذَا قَابَلْتُهُ بِمِثْلِ صَنِيعِهِ. وَالْكُفْءُ: الْمِثْلُ. [...]، وَالتَّكَافُؤُ: التَّسَاوِي. [...]، وَالْكِفَاءُ: شُقَّتَانِ تُنْصَحُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، ثُمَّ يُرْدَحَانِ فِي مُؤَخَّرِ الْخِبَاءِ. وَأَمَّا الْآخَرُ فَقَوْلُهُمْ: أَكْفَأْتُ الشَّيْءَ، إِذَا أَمَلْتُهُ. وَلِذَلِكَ يُقَالُ أَكْفَأْتُ الْقَوْسَ، إِذَا أَمَلْتَ رَأْسَهَا وَلَمْ تَنْصِبْهَا حِينَ تَرْمِي عَنْهَا."[3]، واستنادا إلى الأصل الأول، فإن لفظة (كفؤا) في الآية الكريمة بمعنى: ليس له ضد ولا ند ولا شبيه، والكفأ والكفؤ والكفاء: المثل والنظير، إنما القراءة: [كُفُؤًا]، و[كُفْؤًا] جاءت على الأصل في بنية الكلمة، وهي مثل: رُسُل، ورُسْل، وكُتُب، وكُتْب. والكفء بمعنى: المثل والنظير.

وأما القراءة: [كُفُوا]، و[كُفْوا]، فإنها جاءت على سبيل الإبدال، حيث أبدلت الهمزة واوا للتخفيف، والعرب تقول: ليس لفلان كفو، أي لا مثل له، ولا نظير، فالآية الكريمة تقر أصلا من أصول العقيدة، وهو الإقرار بأن الله عز وجل لا نظير له، ولا مثيل، أي لا يشبهه، ولا يماثله أحد من الموجودات، فكل قراءة من هذه القراءات القرآنية تشهد على تنزيه الذات الإلهية عن المشابهة والمماثلة مع سائر المخلوقات.

---

[1]- سورة الإخلاص، الآية:4.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، 537/5.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ص:930.

ب. قضية خلق أفعال العباد:

وهي قضية كلامية، قُسِّم العلماء بموجبها إلى فريقين: فريق قال بأن جميع أفعال العباد ترجع إلى إرادة الإنسان واختياره، وفريق آخر، قال بأن جميع أفعال الناس من خلق الله. فظلت مسألة الفعل البشري متأرجحة بين الفعل والخلق من الله، وإرادة الإنسان واختياره. ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٧ ﴾[1]، فقد قرئ (وَلَكِنِ اللَّهُ قَتَلَهُمْ)، فمن شَدَّدَ نَصَبَ لنَصْبِ (لكنَّ) وَمَنْ خفف، أبطل عملها ورفع قولَه: (اللَّهُ) بالابتداءِ.[2]، فقراءة الجمهور بنصب اسم الجلالة (اللهَ) على أنه اسم (لكنَّ)، والخبر وقع جملة فعلية(قتلهم) للدلالة على أن فعل القتل وقع من الله عز وجل. وأما القراءة بتخفيف (لكن)، فعلى إبطال عملها، ورُفع اسم الجلالة (اللهُ)، على أنه مبتدأ، بمعنى: (بل الله قتلهم)، وقد وقع الخبر دائما جملة فعلية (قتلهم)، فدلت الجملة الاسمية على ثبوت القتل لله عز وجل. وهذا ينسجم مع الدلالة السياقية للآية الكريمة، إذ معنى الآية: أن النبي ﷺ في غزوة حنين، رمى الكفار، ولم يكن في قدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم، وإنه إذ رماهم بالتراب، قال:" شاهت الوجوه"[3]، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوصل ذلك الرمي إليهم، فَهُزِموا أمام المسلمين شر هزيمة. قال ابن تيمية: " فالرمي الذي أثبته له[أي للنبي ﷺ]، ليس هو الرمي الذي نفاه عنه، فإن هَذَا مُسْتَلْزِمٌ لِلْجَمْعِ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ، بَلْ نَفَى عَنْهُ الْإِيصَالَ وَالتَّبْلِيغَ وَأَثْبَتَ لَهُ الْحَذْفَ وَالْإِلْقَاءَ."[4]، ومادام الأمر كذلك، فإن الله تعالى هو الذي رَمَى السهم، وأَوْصَلَهُ بقدرته إِلَى الْعَدُوِّ إيصَالًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ، فقتلهم جميعا.

ومن هنا، يتبين لنا أن فعل العبد، ليس هو فعل الله تعالى، وأن القراءتين متوافقتان في الدلالة على أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي في رمي هؤلاء الكفار وقتلهم، ولذلك أضيف القتل في الآية الكريمة لله عز وجل، لأنه هو الذي تولى أمر نصر المسلمين في هذه الغزوة، ليظهر لهم معجزة من معجزاته.

ج. قضية صفة الكلام الإلهي:

لقد اختلف العلماء في صفة الكلام الإلهي، فذهب الجمهور (أهل السنة والجماعة) إلى أن كلام الله تعالى على الحقيقة، في حين ذهبت فرقة المعتزلة إلى أنه على المجاز، لأن الله تعالى منزه عن التشبيه

1- سورة الأنفال، الآية:17.

2- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 318/2.

3- حديث خرَّجه الإمام مسلم في صحيحه، 1402/3، رقم الحديث:1777.

4- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، 232/2.

والتجسيم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، فقد قرأ الجمهور برفع (آدَمُ) على أنه فاعل، ونصب (كلماتٍ) على أنها مفعول به. وقرأ ابن كثير: (فتلقى آدمَ من ربِّه كَلمَاتٌ)، بنصب (آدمَ) على أنه مفعول به مقدم، ورفع (كلماتٌ) على أنها فاعل مؤخر. وهي قراءة متواترة، فجعل الكلمات هي المتلقية آدم. وذلك، جائز في العربية، قال ابن جرير الطبري: "كل ما تلقاه الرجل فهو له مُتلقّ، وما لقيه فقد لَقيه، فصار للمتكلم أن يُوجه الفعل إلى أيهما شاء، ويخرج من الفعل أيهما أحب."[2]، فأما قراءة الجمهور، فهي دالة على أن آدم تلقى من ربه كلمات عفو ومغفرة، ويدل على ذلك صِيغَة (تَفَعَّلَ) منْ لَقِيَهُ وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى التَّكَلُّفِ والتطلب من أجل الحصول على أمر محبوب، وهذا بِخِلَافِ صيغة (فاعل/ لَاقَى) التي تدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْمُلَاقَى، بقصد أو بغير قصد، قد يكون مَحْبُوبًا أو مكروها. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾[3]، فَالتَّعْبِيرُ بصيغة (تَفَعَّلَ)، يؤذِنُ بِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَخَذَهَا آدَمُ من الله عز وجل، هي كلمات التوبة والمغفرة، فَعُلِمَ أَنَّهَا كَلِمَاتُ عَفْو ومغفرة ورضى....، بَعْدَ أَنْ أَهْبطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ اكْتِفَاءً بِذَلِكَ فِي الْعُقُوبَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا كَلِمَاتُ عَفْوٍ، أنه تعالى تاب عليه، ونلحظ ذلك في عَطْف الجملة القرآنية (فَتابَ عَلَيْهِ) على ما قبلها (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) بحرف الْفَاءِ. يبقى الإشكال المطروح إذن، هل أخذ آدم هذه الكلمات وحيا، أو من وراء حجاب، أو من طريق رسول ؟، فإذا كان الأخذ من طريق الوحي، فهذه مسألة لا خلاف فيها بين العلماء، إذ لم يختلفوا في كون الرسل والأنبياء يوحى إليهم، ولا شك أن آدم من الأنبياء، وسواء كان الأخذ بواسطة أو بغير واسطة، فهذا يدل دلالة قاطعة على حدوث فعل الكلام الإلهي على الحقيقة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٤٨﴾[4]، فهذه الآية الكريمة تثبت الوجوه الثلاثة التي يتم بها كلام الله مع البشر، وكلامه تعالى صدق وعدل، وليس مثل كلام البشر، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا تعارض بين القراءتين في إثبات فعل الكلام الإلهي على الحقيقة.

1- سورة البقرة، الآية:36.

2- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 542/1.

3- سورة الأنفال، الآية:15.

4- سورة الشورى، الآية:48.

د. قضية الرؤية الإلهية بين الإثبات والنفي:

تعد قضية الرؤية الإلهية من بين القضايا العقدية التي أثارت الجدل والخلاف بين مختلف الفرق الكلامية، وخاصة بين الأشاعرة والمعتزلة، فقد ذهبت فرقة الأشاعرة إلى إثبات رؤية الخالق سبحانه وتعالى، وهي رؤية حسية، في حين ذهبت فرقة المعتزلة إلى خلاف ذلك، إيمانا منهم بفكرة التنزيه للذات الإلهية عن المكان والتشبيه والتجسيم، ذلك أن الرؤية لا تجوز في اعتقادهم إلا في الأجسام المتحيزة في المكان، وفي جهة ما. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴿٢٠﴾﴾[1]، قَرَأَ الْجُمْهُورُ: ثَمَّ بِفَتْحِ الثَّاءِ وَحُمَيْدٌ الأعرج: ثُم بضم الثاء، حَرْف عَطْفٍ، وَجَوَابُ إِذَا عَلَى هَذَا مَحْذُوفٌ، أَيْ وَإِذَا رَمَيْتَ بِبَصَرِكَ رَأَيْتَ نَعِيمًا، وَالْمُلْكُ الْكَبِيرُ قِيلَ: النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[2]، وهذا المعنى يتوافق مع قراءة علي كرم الله وجهه، إذ قرأ "مَلِكاً كَبِيراً" بفتح الميم وكسر اللام هو الله[3]، ومعنى الآية: أن الرائي أينما وجه الرؤية، لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم الجنة، فيعيش فيها واسعا في رزقه، هنيئا مطمئنا، لأن هذا النعيم والملك الكبير لا زوال له. وهذا المعنى ينسجم مع قراءة «ثَم» بفتح الثاء، لأنه ظرف مكان أشير به إلى الجنة. أما قراءة "ثُم" بضم الثاء، فعلى سبيل العطف بين الجملتين، أي إن الرائي، أينما وقع بصره في الجنة، لا يرى إلا هذا الملك الكبير لله عز وجل. وجواب "إذا" محذوف، وتقديره: إذا رَمَيْتَ بِبَصَرِكَ رَأَيْتَ نَعِيمًا، وإذا تمكن الإنسان من رؤية هذا الملك الكبير في الجنة، فإن تلك الرؤية بمنزلة رؤية الله عز وجل، صاحب هذا الملك الكبير، وقد ذكر المفسرون: أن رؤية الملك الكبير: هو النظر إلى الله تعالى، وينسجم هذا المعنى مع قراءة علي كرم الله وجهه التي يُستفاد منها رؤية الله تعالى يوم القيامة. وتلتقي هذه القراءة، رغم شذوذها، بالحديث المشهور، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته."[4]، فهذا الحديث الشريف إثبات لرؤية الله تعالى يوم القيامة، مما يستلزم منا الإكثار من أعمال الخير في الدنيا، لنكون من الذين وعدهم الله برؤيته في الجنة.

خلاصة القول، فإننا نميل إلى صحة رؤية العباد المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة، وقد فتحت قراءة علي كرم الله وجهه المجال أمام الباحثين للاحتجاج بالقراءات الشاذة في مسائل العقيدة، إيمانا

[1]- سورة الإنسان، الآية:20.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 366/10.

[3]- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (ت: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1416 هـ، 416/6.

[4]- حديث أخرجه البخاري في صحيحه،127/9، رقم الحديث:7436.

منهم بأن القراءات القرآنية تعد منهجا تأويليا مفيدا في بناء المعنى، وذلك لما تحققه من تعدد الدلالات في فهم النص القرآني، واستكناه هذه الدلالات قصد معرفة الأحكام المتعلقة بالقضايا العقدية.

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم الفقه:

لقد كان التشريع من جملة المقاصد التي سعى التبليغ الإلهي إلى تحقيقها، إذ بين القرآن الكريم أن الله عز وجل شرع جملة من الأحكام التي أوجب على المسلم أن يلتزم بها قصد تنظيم حياته في واقعه، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ومن ثمة، يمكن القول: إن الحضارة الإسلامية هي حضارة فقه بامتياز، لقدرتها على استيعاب أحوال المسلمين في واقعهم الذي يتسم بالتغير والتجدد، ذلك أن الفقه بالمسائل الدينية المستجدة، قد أسهمت بشكل كبير في معرفة مختلف المتغيرات التي تواجه المسلم في حياته، فتطور الفقه لمسايرة مستجدات الواقع، بأن تشكلت الأصول التي يعتمدها الفقيه في استنباط الأحكام الشرعية. لكن المشكلة التي يواجهها الفقيه في عملية الاستنباط، هي عدم ورود الأدلة القطعية على جميع الأحكام الشرعية، لأن جل الأدلة ظنية، لحكمة إلهية تتمثل في التوسيع على المكلفين، وإذا كان الأمر كذلك، فقد تُعارض بعارض في الظاهر بحسب جلائها وخفائها، ولذلك يلجأ الفقيه إلى الترجيح قصد العمل بالأقوى. ولا شك أن الواقع اللغوي للقراءات القرآنية، له أثر كبير في تعدد الفهوم بين الفقهاء في المسألة الواحدة، ومن ثمة كان للاحتجاج بالقراءات القرآنية أثر كبير في استنباط الحكم الشرعي، وسنعرض في هذا المطلب، كيف يتلقى الفقهاء النصوص القرآنية، لنعرف طبيعة الخلاف الفقهي المبني على تأويل الدلالة النصية الممتزجة بالقضايا اللغوية والقرائن السياقية المرتبطة بأحوال الناس.

أ. بيان الحكم المتعلق بقضاء رمضان:

قد ترد قراءتان في آية واحدة، إحداهما مطلقة، والأخرى مقيدة، فتحمل القراءة المطلقة على المقيدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ أَيَّامٗا مَّعْدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٞ طَعَامُ مِسْكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرٗا فَهُوَ خَيْرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٞ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[1]. يبيّنُ هذا النص القرآني عذرين من الأعذار المبيحة للإفطار في شهر رمضان، وهما المرض والسفر، فإذا أفطر المريض والمسافر، فعليهما القضاء. وقد قرأ أبي بن كعب (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ

[1]- سورة البقرة، الآيتان: 182- 183.

أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ)[1]، وهي قراءة شاذة قيدت قضاء رمضان بالتتابع، وكان لهذه القراءة أثر بالغ في اختلاف الفقهاء في كيفية القضاء، هل يكون بالتتابع أم بغير التتابع؟ إذ نجد القراءة المتواترة أطلقت قضاء رمضان من غير تقييد، ولذلك اختلف الفقهاء على ثلاثة آراء، وهي:

- **الرأي الأول:** جواز القضاء متفرقا، والتتابع أفضل، وهو رأي الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والإمامية والزيدية...، وهم يرون أن المكلف مأمور بما كان عليه أيسر، وهو قضاء الأيام التي أفطر فيها من غير اشتراط التتابع، ولأن في إيجابه نفي اليسر، وإثبات العسر، وذلك غير مصرح به في الآية الكريمة.
- **الرأي الثاني:** وجوب التتابع من غير اشتراطه، وهو رأي ابن حزم، وقد روي عن عبد الله بن عمر وعلي وعائشة وعروة وابن الزبير... وبناء على هذا الرأي، فإذا قضى المكلف الأيام التي أفطر فيها متفرقة أجزأه ذلك.
- **الرأي الثالث:** اشتراط التتابع، وهو رأي بعض الإباضية، وإليه ذهب أطفيش من علمائهم. وبناء على هذا الرأي، فإن قضاء الأيام متفرقة، لم يجزئه ذلك، وعليه الاستئناف من جديد. وقد احتج الفريق الثاني والثالث بالقراءة الشاذة التي أقرت ضرورة القضاء بالتتابع.

والظاهر، والله أعلم، أن القول بجواز القضاء متفرقا يتماشى مع مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو أن الله تعالى يريد بعباده اليسر، ومن كمال اليسر، ترك الخيار للمكلف في القضاء بين التفريق والتتابع. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٤﴾[2].

خلاصة القول، فإن المكلف إذا أفطر في رمضان لعذر من الأعذار المبيحة للإفطار في شهر رمضان، فإنه مخير في القضاء بين التفريق والتتابع استنادا إلى مقاصد الشريعة الإسلامية التي تسعى إلى تحقيق التيسير للمكلفين في أداء الواجبات التعبدية.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 187/2.

[2]- سورة البقرة، الآية:184.

ب. بيان الحكم الشرعي المبهم:

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. قرأ الجمهور لفظة (فديةٌ) بالتنوين، وقرأ نافع وابن ذكوان (فديةُ طعامِ) بالإضافة، فأما وجه القراءة بغير الإضافة، فهو على سبيل تسمية الشيء الذي يفدي به الصيام فدية، ثم أبدل الطعام منها. وأما وجه القراءة بالإضافة (فديةُ طعامِ)، فهو على سبيل تسمية الطعام الذي يفدي به الصيام فدية، ثم أضيف إلى طعام، وهو بعضه، وهذا جائز في العربية، هو من باب إضافة البعض إلى الكل، مثل: هذا خاتمُ فضةٍ. ورُفع لفظ (فدية) في القراءتين معا بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: فعليه فدية، ونحوه. كما قرأ الجمهور لفظة (مَسَاكِينَ) بالتوحيد منونا مخفوضا بالإضافة. وقرأ نافع وابن عامر(مَسَاكِينَ) بالجمع[2]، فأما وجه القراءة بالجمع (مساكين)، أن هذا الجمع مناسب للجمع الذي قبله في قوله" وَعَلَى الَّذِينَ"، إذ الذي يلزم جميعهم، إذا أفطروا إطعام مساكين كُثُر، فالعلة واضحة، ولكن الحكم قد يكون مبهما عند بعض الناس، فلا يعلمون ما على كل واحد، إذا أفطر يوما. أما وجه القراءة بالإفراد (مِسْكِينٍ)، منونا مخفوضا بالإضافة، فإنها بينت أن المراد إطعام مسكين عن كل يوم أفطر فيه. فقد بينت هذه القراءة في الحقيقة الحكم الذي يبدو مبهما في القراءة بالجمع، فالقراءة بالإفراد تفيد الحكم الذي يجب على كل من أفطر يوما، فإذا قرئ بالجمع لم يقع البيان على ما يلزم عن كل يوم أفطره الواحد، وفي هذه المسألة قال مكي بن أبي طالب: "وإنما الجمع مبهم، أخبر فيه أن على الجماعة، إذا أفطروا طعام مساكين، فلا يدري ما على كل واحد أفطر يوما، من لفظ الجمع، فالتوحيد فيه بيان ذلك، وبه قرأ ابن عباس، وهو الاختيار لأن أكثر القراء عليه"[3]، وهكذا تتكامل القراءات القرآنية في توضيح المراد وبيان الحكم الشرعي، فقد تكون إحدى القراءتين بيانا للأخرى، فيُعرف الحكم الشرعي المراد من الآية القرآنية.

ج. ترجيح الحكم المختلف فيه:

قبل الترجيح بين القراءتين المتواترتين، ينبغي أن يجهد الفقيه نفسه في التوفيق بينهما ما أمكن، ويتحقق ذلك بإعمالهما في حالين مختلفين، أو تأويل إحداهما بما يوافق الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ

[1]- سورة البقرة، الآية:183.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 244/1.

[3]- نفسه، 245/1.

بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾﴾[1]، فقد قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص والكسائي ويعقوب (وأرجلَكم) بالنصب عطفا على(وجوهَكم). وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة وخلف (وأرجلِكم) بالكسر عطفا على (برؤوسِكم)[2]، وقرأ الحسن والأعمش: (وأرجلُكم) بالرفع، وهي قراءة شاذة.[3]، ولأجل التوفيق بين القراءتين المتواترتين، وإعمالهما معا، حملوا قراءة النصب على الغسل، وقراءة الخفض على المسح، فجاءت كل قراءة بحكم مستقل عن الآخر، ولذلك نشأ خلاف فقهي كبير بين العلماء، فتعددت الآراء، نذكر منها:

- **الرأي الأول:** ويرى وجوب غسل الرجلين في الوضوء، وهذا قول جماهير الفقهاء من السلف والخلف، وهو مذهب الأئمة الأربعة، بدليل أن الغسل منقول مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِعْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[4]، فالمعنى المستفاد من الآية الكريمة، هو: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير[5]، وقد اختلفوا في ترتيب غسل الأعضاء، فذهب بعض الفقهاء، ومنهم الشافعي (ت:204ه) إلى وجوب الترتيب في الوضوء، وحجتهم أن "الواو" في الآية الكريمة تفيد الترتيب[6]، ويعززون ذلك بقولهم: إن النبي ﷺ توضأ عمره كله مرتبا ترتيب القرآن الكريم، وفِعلُه هذا بيان مجمل كتاب الله تعالى، وبيان المجمل في الواجب واجب، في حين ذهب آخرون، ومنهم مالك وأبو حنيفة...، إلى عدم وجوب الترتيب[7]، وحجتهم: أن "الواو" لمطلق الجمع، ولذلك يرون أن ترتيب اللفظ في الظاهر، لا يراد به ترتيب

---

[1]- سورة المائدة، الآية:7.

[2]- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324ه)، ص:242.

[3]- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370ه)، تحقيق: ج. براجشتراسر، دار الهجرة- إيران، ط1، ص:131.

[4]- شرح السنة، أبو محمد بن مسعود البغوي الشافعي (ت: 516ه)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط2، 1403ه/1983م، 429/1.

[5]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 173/6.

[6]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 299/11.

[7]- نفسه، 299/11-300.

المعنى، لأنه لو قُصد ترتيب المعاني لما جاء مسح الرأس متداخلا مع الغسل، فاصلا بين الأعضاء المغسولة، وهذا دليل قاطع على أن الترتيب ليس واجبا، والمقصد من ذلك رفع الحرج، وإثبات التوسعة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فالآية الكريمة تخبرنا أن المراد حصول الطهارة بغسل هذه الأعضاء مرتبة أو غير مرتبة، ويعززون رأيهم بالأثر الذي ورد في السنة النبوية الشريفة، أن الرسول الكريم علَّم أعرابيا الصلاة، فقال له: «إنه لا تتمُّ صلاةُ أحد من الناس حتى يتوضأ، فيضع الوضوءَ - يعني مواضِعَه - ثم يكبِّر، ويحمد الله عزَّ وجلَّ، ويثني عليه، ثم يقرأ بما شاء من القرآن... »[2]، ويستفاد من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ، أخبر الرجل السائل أنه إذا وضع الوضوء مواضعه أجزأه، من غير إشارة منه ﷺ إلى الترتيب، وهذا دليل عندهم على أن كمال الطهارة يتحقق بالغسل من غير ترتيب أعضاء الوضوء.

وفي تقديرنا، والله أعلم، أن هذا التعدد في الفهم مقبول، لأنه استند إلى أدلة نقلية ولغوية مقنعة، وعليه، فإذا قلنا من حيث اللغة: "جاء زيد وعمرو"، يحتمل أن يكون ثمة ترتيب، على أن القادم أولا زيد، ثم تلاه عمرو، وربما لم يكن في العبارة ترتيب، فقد يكونان جاءا معا، أو جاء عمرو أولا، ثم زيد ثانيا. ومن هنا يمكن القول: إذا كان حرف "الواو" لمطلق الجمع في الأصل، فإنه لا يلغي الترتيب ولا يوجبه، فلا مشكلة في القول بوجوب الترتيب أو عدم وجوبه، مادام أن السنة النبوية بيَّنت كيفية الوضوء، وذكرت أن المراد من الآية الغسل.

- **الرأي الثاني:** الواجب في الوضوء مسح القدمين، و هو قول الإمامية وابن حزم (ت456هـ) الذي استعان بضروب القياس المنطقي، ليقر بأن الأرجل معطوفة على الرؤوس، وأن دلالة الآية توجب المسح، ولكنه يخلص إلى أن السنة هي التي أوجبت حكم الغسل، وليس النص القرآني، فيكون الخبر عنده زائدا على ما في الآية الكريمة[3]، فهذا الفريق يرى أن القراءة بالخفض (أرجلِكم) معطوفة على (برؤوسكم) المخفوضة، كما عطف الأيدي على الوجوه، فعطف المغسول على

[1]- سورة المائدة، الآية:7.

[2]- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين محمد بن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، ط1، 420/5. هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، 368/1. رقم الحديث: 881.

[3]- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: 456هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ، 302/1.

المغسول، وعطف الممسوح على الممسوح[1]، وحجتهم كذلك مجموعة من الأحاديث النبوية التي تقر بالمسح، ومنها: الحديث النبوي: عن عباد بن تميم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ، يتوضأ ويمسح الماء على رجليه[2]. لكن النقد الذي يمكن أن يوجَّه لهذا الفريق هو: أن أحاديث الغسل التي بلغت حد الاستفاضة، كان فيها وعيد شديد، لمن ترك غسل رجليه للمسح، ومما رُوي في ذلك أن النبي ﷺ، رأى قوما تلوح أعقابهم، لم تصبها الماء، فقال: "ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء"[3]. وقد قرأ علي كرم الله وجهه، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ وَإِبْرَاهِيمُ وَالضَّحَّاكُ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ بِالنَّصْبِ، وَكَانُوا يَرَوْنَ غَسْلَهَا وَاجِبًا.[4].

- **الرأي الثالث:** المسح والغسل واجبان جميعا، وهو رأي بعض الظاهرية، وقول الناصر للحق من الزيدية[5]، وحجة هذا الفريق العمل بالقراءتين معا (النصب والخفض)، مادام أن السنة النبوية أوردت أحاديث بالغسل وأحاديث بالمسح، فيصار إلى الجمع بينهما خروجا من الخلاف.
- **الرأي الرابع:** الواجب أحدهما (الغسل أو المسح) على التخيير، وهو رأي الحسن البصري. ونسب ابن العربي في– أحكام القرآن- والقرطبي في تفسيره هذا الرأي إلى ابن جرير الطبري الذي ذهب إلى أَنَّ فَرْضَهُمَا التَّخْيِيرُ بَيْنَ الْغَسْلِ وَالْمَسْحِ، وَجَعَلَ الْقِرَاءَتَيْنِ كَالرِّوَايَتَيْنِ[6]، وحجة هذا الرأي، أن القراءتين متواترتان، وقد ثبت كون كل واحدة منهما قرآنا، وقد تعذر الجمع بين الغسل والمسح، وهما واجبان معا، فَالْمَسْحُ وَاجِبٌ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْخَفْضِ، وَالْغَسْلُ وَاجِبٌ عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ، وَالْقِرَاءَتَانِ بِمَنْزِلَةِ آيَتَيْنِ. ولذلك يُخيَّر المكلف، إن شاء عمل بقراءة النصب فغسل، وإن شاء عمل بقراءة الخفض فمسح، وأيهما فعل يكون آتيا بالمفروض، فالواجب إذن، أحدهما على سبيل التخيير.

يمكن التوفيق بين القراءتين بتأويل إحداهما بما يوافق الأخرى، استنادا إلى معطيات النص القرآني وقواعد اللغة العربية والاستعمال، فتؤول قراءة الخفض بأن لفظ (أرجلِكم) معطوف على لفظ

---

[1]- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676 هـ)، دار الفكر، بدون طبعة، وبدون تاريخ، 418/1.

[2]- حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر أخبار رويت عن النبي ﷺ، 101/1، رقم الحديث:201.

[3]- حديث رواه البخاري في صحيحه، 44/1. رقم الحديث:165.

[4]- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ، 349/3.

[5]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 177/6.

[6]- أحكام القرآن، القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت: 543هـ)، 71/2. وينظر تفسير القرطبي، 92/6.

(رؤوسِكم) في اللفظ دون المعنى، إذ الخفض هنا للجوار، كما تقول العرب في جر الصفة على الجوار: "هَذَا جُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ"، بكسر خربٍ مع أنه صفة للجحر لا للضب[1]، ولكنها لما جاورت المجرور (ضب)، أخذت حكمه للمجاورة، فوقع الخفض لمجاورته الاسم المجرور، على أن المراد غسل الأرجل لا مسحها، والعرب قد تستعمل المسح بمعنى الغسل، فتقول: مسحت يدي بالماء، إذا غسلتها، وتمسحت بالماء، إذا اغتسلت، وتمسحت للصلاة، إذا كنتُ أريد الوضوء كاملا، فتسمي الوضوء كله مسحا[2]، فالمراد بالمسح في الآية هو الغسل الحقيقي بإصابة الماء.

بعد عرض هذه الأدلة الفقهية، يتبين لنا رجحان رأي جماهير علماء الأمة، وذلك لقوة أدلتهم، وحسن توفيقهم بين الأدلة، وتأويلهم ما يتعارض مع حكم الغسل، وبهذا يمكن القول: إن موقفهم فيه من الاحتياط والورع ما ينبغي أن يأخذ به المسلم في أداء شعائره التعبدية، إذ إن غسل الرجلين فيه المسح وزيادة، وتتحصل به الطهارة بإجماع علماء الأمة الإسلامية.

د. بيان الحكم المتعلق بحد السارق:

بين الله حد السارق والسارقة في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٤٠﴾[3]، وقد وردت فيها قراءات شاذة، وهي: قراءة عبد الله بن مسعود (والسارقونَ والسارقاتُ فاقطعوا أيمانهم)، وقراءة عِيسَى بْن عُمَرَ وَابْن أَبِي عَبْلَةَ: وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ بِالنَّصْبِ عَلَى الِاشْتِغَالِ[4]، وقراءة إبراهيم النخعي" وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ تُقْطَعُ أَيْمَانُهُمْ"[5]، فالملاحظ في القراءة المتواترة أن المراد من (ال) التعريف هو التعميم، فشمل الحكم كل سارق وسارقة، فكل من صدق عليه أنه سارق، تقطع يده سواء أكان ذكرا أو أنثى، وذلك من أجل ردع السارق حتى لا يعود إلى السرقة مرة أخرى. وقُدِّم السارق على السارقة في هذه القراءات، لأن السرقة في الرجال أكثر من النساء، لما يتطلب ذلك من جهد وقوة عند الرجل، وقدم لفظ (العزيز) على لفظ الحكيم، لأن الله تعالى له العزة، عزَّ فحكم، فهو عزيز في انتقامه، حكيم في شرائعه وأحكامه وتكاليفه، وقد ورد الأمر في الآية الكريمة (فاقطعوا) على سبيل الوجوب والإلزام، دون الإشارة إلى موضع القطع. هل الرسغ أم المرفق أم

[1]- الكتاب، سيبويه، 113/1.

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، (مسح)، 593/2.

[3]- سورة المائدة، الآية:40.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 246/4.

[5]- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1424هـ/2003م، 470/8. رقم الحديث:17247.

الذراع؟، لأن اليد في كلام العرب تطلق على ثلاثة معان: هي الكف فقط، الكف والذراع، الكف والذراع والعضد[1]، ثم هل اليد اليمنى أم اليد اليسرى؟. لقد حلت قراءة ابن مسعود بعض هذا الإشكال، وأضافت معنى، وهو قطع اليد اليمنى عند إقامة حد السرقة، ولا خلاف في ذلك بين الفقهاء، بيد أنهم اختلفوا في معاودة السرقة، أتقطع يمين السارق، ولا يعود عليه القطع، أم تقطع يده الأخرى، أو الرِّجل اليسرى، أم يحبس حتى يتوب؟، هذا مع العلم أن الله تعالى لم يذكر في الآية الكريمة قطع الرِّجل، وكلها أمور فتحت باب الاجتهاد بين العلماء والفقهاء، وإذا بحثنا في الأحاديث النبوية الشريفة التي تعالج هذا الموضوع، نجد تعدد الروايات التي تقر بقطع اليد، ونذكر منها: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "لعن الله السارق يسرق البيضة، فتقطع يده، ويسرق الحبل، فتقطع يده."[2]، وفي هذا دليل على قطع الأيدي من غير الرجل، وغير ذلك من الروايات الموافقة للنص القرآني في مراعاة الترتيب في قطع الأيدي، لكن هذا لا ينفي أن تكون العقوبة قاسية في حق السارق عند العودة إلى السرقة عدة مرات، فقد جاء في الأثر عن النسائي، أنه "أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سَلْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، قَالَ يُوسُفُ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلِصٍّ فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا سَرَقَ ثُمَّ قَالَ: «اقْتُلُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا سَرَقَ قَالَ: «اقْطَعُوا يَدَهُ» قَالَ: ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ رِجْلُهُ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ أَيْضًا الْخَامِسَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ بِهَذَا حِينَ قَالَ: «اقْتُلُوهُ»، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَقْتُلُوهُ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ يُحِبُّ الْإِمْرَةَ فَقَالَ: أَمِّرُونِي عَلَيْكُمْ فَأَمَّرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِذَا ضَرَبَ ضَرَبُوا حَتَّى قَتَلُوهُ."[3]، وقد حكم بذلك علي رضي الله عنه، و وافقه عمر وجمع من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا، قياسا على حكم قاطع الطريق الذي هو أعظم جرما من السارق في أخذ المال وإخافة الناس. فما موقف الرؤية المعاصرة في التفسير من قطع يد السارق؟.

لقد ذهب بعض العلماء المفسرين المعاصرين إلى ضرورة تجديد الشريعة وتطويرها، لتواكب مستجدات العصر، وذلك في حدود ما ظهر لهم من مقاصد وتقدير المصالح التي ينبغي رعايتها وتقديمها، فقد أشار محمد عابد الجابري (ت: 2010م) إلى أن قطع يد السارق كان- في وقته وظروفه- يحقق

---

[1]- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، 1431هـ/2010م، ص:227.

[2]- حديث رواه البخاري في صحيحه،161/8. رقم الحديث: 6799. ورواه مسلم في صحيحه،1314/3. رقم الحديث:1687.

[3]- حديث رواه النسائي في سننه الكبرى، 40/7، رقم الحديث: 7428.

المصلحة، ويلائمها تماما، لعدم وجود المؤسسات السجنية في شكلها الحالي، "وإذا فقطع يد السارق تدبير معقول تماما في مجتمع بدوي صحراوي يعيش أهله على الحل والترحال"[1]، ومعنى هذا الكلام عند الجابري أن قطع يد السارق، لم يعد يحقق المصلحة، لكن الأمر على خلاف ذلك، بل يحقق القصد والمصلحة بدرجة عالية، لأن عقوبة القطع تؤدي إلى زجر عدد واسع من الذين يسرقون قصد الاغتناء، وذلك من أجل تخفيض جرائم السرقة، وحماية المجتمع، والمحافظة على أموال الناس، فهذه العقوبة تحقق المصلحة الواسعة، إلا أنها عقوبة شديدة في حق أفراد المجتمع، لأنها تؤدي إلى خلق أفراد معاقين في المجتمع، غير قادرين على العمل والإنتاج، وأصبح بالإمكان اليوم استبدالها بغيرها من العقوبات.

خلاصة القول: إن القراءات القرآنية أثرت تأثيرا بينا في الفقه، وقد رأينا أثرها الواضح في بيان الحكم الشرعي، ومن ذلك بيان حكمين شرعيين في حالين مختلفين، وبيان ما أبهم في الحكم الشرعي، وترجيح لحكم اختلف فيه، وتقييد المطلق، ورفع الإيهام الحاصل من ظاهر اللفظ، والجمع بين بيان الحكم والإخبار عنه، وغير ذلك، مما يجعلنا نقر بأن القراءات القرآنية حجة في الأحكام الشرعية، ولم يختلف في حجيتها أحد إلا من ليس له علم راسخ فيها، وأن اختلافها اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تناقض وتضاد، إذ تكون القراءتان في آية واحدة بمنزلة آيتين، فتأتي إحداهما متممة للأخرى، أو لبيان أكثر من حكم في أحوال مختلفة، ولعل ذلك ميزة من ميزات أسرار النظم القرآني الذي تتنوع فيه الدلالة لحكمة إلهية، تراعي ظروف الناس وأحوالهم، وذلك ليأخذ الإنسان المسلم بما ينسجم وقدرته في أداء الواجبات الشرعية.

---

[1]- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، محمد عابد الجابري (ت: 2010م)، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م، بيروت، ص:175.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، وهي:

- إن البحث الصوتي كان مشتركا بين مجموعة من العلوم اللغوية، باعتباره المبحث الأساس في الدراسة اللغوية عامة.
- إن اهتمام علماء التجويد والقراءات بالظواهر الصوتية، كان منصبا على الجانب التطبيقي الخاص بكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم أداء جيدا قصد حمايته من اللحن والتصحيف، ولذلك شغلت مخارج الحروف اهتمامهم، فكان لهم فضل السبق في الدراسات الصوتية، رغم أن هذا الاهتمام لم يكن نابعا من منطلق معرفي أكاديمي محض، وإنما من منطلق عقدي شرعي، لأن العلم بكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم من الواجبات التعبدية.
- إن ظاهرة المماثلة الصوتية في اللغة العربية، تهدف إلى حدوث تناسب صوتي وانسجام بين أصوات الكلمة، تيسيرا لعملية النطق، واقتصادا في الجهد العضلي.
- إن للعلامات الإعرابية أثرا كبيرا في تفسير دلالات الكلمات القرآنية، حسب السياق الذي ترد فيه، ويتجلى ذلك في تعيين المعنى النحوي للجملة القرآنية؛ لأن الحركات إنما هي في الأصل للإعراب الذي لا يكون إلا بعامل.
- إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند علماء اللغة العربية، كان له أثر بالغ في اتجاه مصطلحات اللغة العربية نحو المرونة والليونة، مما أدى إلى الاتساع في مدلولاتها بما يفتح المجال أمام تعديلات للقاعدة اللغوية، ولذلك تمكن النحاة المتأخرون من تصحيح بعض الأساليب التي حكم عليها النحاة المتقدمون بالضعف.
- إن القراءات القرآنية خففت من حدة القياس، وعززت من جانب السماع والرواية؛ ذلك أنها تمثل نصوصا سماعية وشواهد جديدة، مكنت النحاة المتأخرين من تغيير بعض المسلمات اللغوية التي انتهى إليها النحاة المتقدمون.
- إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية مدخل بلاغي مهم في تفسير القرآن الكريم.
- إن تعدد القراءات القرآنية وتنوعها، مظهر من مظاهر تعدد وجوه الدلالة، مما يقر بالملموس الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

- إنه لا تفاضل بين القراءات القرآنية، فكلها من لغات العرب، وهي تسهم إسهاما كبيرا في إغناء الدلالة القرآنية وإثرائها، وهي كلها صواب وحق، واختلافها إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، وليس اختلاف تضاد وتعارض.
- إن كل قراءة بمثابة آية، وأن تعدد القراءات القرآنية بمنزلة تعدد الآيات القرآنية، فهي ضرب من ضروب البلاغة التي تبتدئ من الإيجاز والاختصار، لتنتهي بكمال الإعجاز.
- إن استثمار الآليات البلاغية في تغاير القراءات القرآنية، يعين على الفهم الدقيق للمعاني القرآنية من خلال الكشف عن بعض الأسرار والحكم واللطائف الربانية.
- إن القراءات القرآنية أسهمت بشكل كبير في إثراء الشعر في مستويات صوتية ونحوية وصرفية وبلاغية، مما يجعلنا نقر بأنها تمثل خزانا لغويا ثريا للشعراء في عملية الإبداع الشعري، إذ نجدهم يجيزون في نظم الشعر مختلف القواعد الصوتية والصرفية والنحوية التي أجازها القراء وعلماء اللغة العربية، وهذا يدل على أن القرآن الكريم أسهم في الحفاظ على مختلف اللغات التي كانت سائدة عند العرب، كما عمل على نشر بلاغته على نطاق واسع بين الشعراء والأدباء والنقاد.
- إن الشعر الجاهلي لم يرق إلى درجة الضبط والوثوق والتواتر الذي تم به نقل القرآن الكريم، فما أحوجنا- في تقديرنا- إلى أن نعتمد القرآن وقراءاته حجة وأداة في بناء القواعد اللغوية، لا أن ننطلق من الشعر للطعن في بعض القراءات القرآنية وتلحينها.
- إن القراءات القرآنية ترتقي إلى مستوى من التوثيق، مما لا سبيل إلى القدح فيها، فبعد اكتمال علم القراءات، ونضوج علم النحو، وجه ابن جني وجوه القراءات القرآنية الشاذة وفق قواعد اللغة العربية، وتبعه بعد ذلك النحاة، مما يقر بأن القراءات الشاذة حجة في الأحكام اللغوية، ولم يختلف في حجيتها أحد إلا من ليس له علم راسخ فيها.
- إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم الشرعية العربية، كان له أثر واضح في إظهار المعاني القرآنية، وتوسيع قضايا دلالية معينة، واستنباط الأحكام الشرعية، وغيرها من الحكم والتشريعات، كبيان حكمين شرعيين في حالين مختلفين، أو بيان ما أبهم في الحكم الشرعي، أو ترجيح لحكم اختلف فيه، أو تقييد المطلق، ورفع الإيهام الحاصل من ظاهر اللفظ، أو الجمع بين بيان الحكم والإخبار عنه، أو بيان أكثر من حكم في أحوال مختلفة. مما يبين أهمية علم القراءات القرآنية وتداخل مختلف العلوم والمعارف في إثراء العملية التفسيرية.

الباب الثاني:

أثر القراءات القرآنية في اتساع الدلالة في القصص القرآني

مدخل:

يرجع لفظ (الاتساع) في المعاجم اللغوية إلى المادة المعجمية (وَسِعَ) بفتح حرف السين وكسره، يقول ابن فارس:" الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ وَسُعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْغِنَى. وَاللَّهُ الْوَاسِعُ أَيِ الْغَنِيُّ. وَالْوُسْعُ: الْجِدَةُ وَالطَّاقَةُ. وَهُوَ يُنْفِقُ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهِ[1]. قَالَ اللہ تَعَالَى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[2]، أي لينفق على قدر طاقته وقدرته. وَأَوْسَعَ الرَّجُلُ: كَانَ ذَا سَعَةٍ. وَالْفَرَسُ الذَّرِيعُ الْخَطْوِ: وَسَاعٌ[3]. ويقال أيضا: هل تسع ذلك؟ أي هل تُطيقه؟. وتشير هذه المعطيات المعجمية إلى تعدد معاني هذه اللفظة، فمنها: الغنى والرزق وكثرة المال والجدة والطاقة والقدرة والامتداد[4]، يقال: اتسع النهار وغيره، أي: امتد وطال، وفرس وساع، إذا كان ذا سعة في سيره. الجواز[5]، (بالمعنى الشرعي)، لأن الجائز موسع غير مضيق، والواسع من أسماء الله الحسنى.

وبالنظر في المعاجم اللغوية العربية، نجد أن هذه المعاني كلها لا تبتعد عن معنى الجذر اللغوي (وسع)، فهي كلها خلاف الضيق والعسر، فالسعة تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك[6]. ففي (وسع) معنى الشمول والعموم والاطراد والانبساط والامتداد، ويتعدى ليشمل كل الأمور والأشياء المادية والمعنوية، وقد وردت هذه المادة اللغوية في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين موضعا بالمفردات، ترتبط معانيها بأصل معنى وسع المعجمي، (ضد الضيق والعسر).

أما الدلالة الاصطلاحية للاتساع في الكلام، فهي كثرة معاني الألفاظ وتعددها داخل التراكيب اللغوية، أو ما يطلق عليه بالاتساع الدلالي للمفردات، فهي توسع من حيز معانيها الممكنة لتتسع لأكثر من معنى، وقد عرف العلماء العرب المتقدمون اتساع المعنى في كلامهم، وكان حاضرا ومستقرا في وعيهم اللغوي، وإرثهم المعرفي بوصفه مصطلحا ذا مضمون واضح، وفصلوا القول فيه، فقد أشار سيبويه إلى الاتساع في عنوانين لبابين من أبواب كتابه، وهما: (باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الواو والسين وما يثلثهما، ص: 1091.
[2]- سورة الطلاق، الآية:7.
[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الواو والسين وما يثلثهما، ص: 1091.
[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، (وسع)، 925/3.
[5]- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، 96/3.
[6]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:538.

في الكلام والإيجاز والاختصار)[1]، و(باب ما يكون فيه المصدر حينا لسعة الكلام والاختصار)[2]، كما حضر الاتساع في كتابه من خلال معالجة بعض القضايا النحوية، مثل: إعمال الفعل واسم الفاعل في الظرف، والظرف المختص وغير المختص، ونيابة المصدر عن الظرف وعن المفعول، وغير ذلك[3]. قال سيبويه: "هذا بابٌ جرى مجرى الفاعل الذى يتعداه فعلُه إلى مفعولَيْنِ في اللفظ لا في المعنى، وذلك قولك: يا سارق الليل أهل الدار، و تقول على هذا الحد: سرقت الليلة أهلَ الدار، فتجْرِى الليلةَ على الفعل في سَعَةِ الكلام، (...). ومثلُ ما أُجْرِىَ مُجرى هذا في سَعة الكلام والاستخفافِ قوله عزّوجلّ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[4]، فالليلُ والنهار لا يَمكُرانِ، ولكنّ المكرَ فيهما. فإِنْ نوّنتَ فقلت: يا سارقاً الليلةَ أهلَ الدار، كان حدُّ الكلام أن يكونَ أهلُ الدار على سارقٍ منصوبا، ويَكون الليلةُ ظرفاً، لأنّ هذا موضعُ انفصالٍ. وإن شئت أجريته على الفعل على سَعة الكلام"[5]. يشير سيبويه هنا إلى إمكان انتقال ظرف الزمان من موقع نحوي إلى آخر، وقبوله لأن يعمل فيه الفعل واسم الفاعل مع احتفاظه بدلالته على الزمان على أن المسوغ لهذا الإمكان سعة الكلام، ففي المثال المقترح نجد اسم الفاعل (سارق) عمل في ظرف الزمان (الليلة)، فأصبح هذا الظرف من خلال إمكان الاتساع مفعولا مضافا غير أنه احتفظ بدلالته على الزمان، أي: إن وظيفته النحوية تغيرت من الظرفية الزمانية إلى المفعولية التي قبلت الإضافة، ويضيف سيبويه أن تنوين اسم الفاعل (سارقاً) في العبارة: (يا سارقاً الليلةَ أهلَ الدار) يجعلها قابلة لتوجيهين نحويين يختار المخاطب أحدهما، وجه يرد على الأصل، والآخر يرد على الاتساع في الكلام، فالأول تكون فيه لفظة (الليلة) ظرفا ولفظة (أهل) مفعولا لاسم الفاعل (سارق)، وفي هذا الوجه تحتفظ لفظة (الليلة) بوظيفتها النحوية الدالة على الزمان، وهي كذلك لأنها ظرف زمان، والوجه الثاني، تكون فيه لفظة (الليلة) مفعولا به ثانيا، ولفظة (أهل) مفعولا به أولا، وفي هذا الوجه تحولت لفظة (الليلة) من ظرف زمان إلى مفعول به مع بقاء دلالتها على الزمان، وغير ذلك من القضايا النحوية التي بحثها سيبويه بخصوص التضمين والحذف في الأداة والفعل أو تغيير المعنى النحوي للكلمة في التركيب.

---

[1] - الكتاب، سيبويه، 211/1.

[2]- نفسه، 222/1.

[3]- نفسه، 175/1-176.

[4]- سورة سبأ، الآية:33.

[5]- الكتاب، سيبويه، 175/1-176.

ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾[1]، إنما القصد أهل القرية، فاختُصر على سبيل الاتساع في الكلام، وعمل الفعل في لفظة (القرية)، فأصبحت مفعولا به، وهي في الأصل مضاف إليه، إذ التقدير: واسأل أهل القرية[2]. هكذا يتضح أن سيبويه لم يخصص في كتابه بابا للحديث عن مفهوم الاتساع، ولكن تناوله بوصفه مصطلحا واضح المفهوم عند العلماء، وإن كان يستعمل السعة والاتساع والتوسع بمعنى واحد، ثم إنه غالبا ما يربط الاتساع بالإيجاز والاختصار والتخفف والحذف لكثرة ذلك في كلام العرب مع علم المخاطب بقصد المتكلم.

ويعد ابن السراج (ت: 316هـ) أول لغوي يخصص للاتساع بابا مستقلا في كتابه الأصول، قال: "اعلم أن الاتساع ضربٌ من الحذف إلا أن الفرقَ بين هذا الباب والباب الذي قبلهُ، أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربهُ بإعرابه، وذلك الباب تحذف العاملَ فيه وتدعُ ما عَمِلَ فيه على حالهِ في الإعراب، وهذا البابُ العاملُ فيه بحاله، وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف، أو تجعل الظرف يقوم مقامَ الاسم[3]. فقد جاء هذا الباب بعد باب الإضمار مباشرة، وعقد موازنة بينهما، ليجعل الاتساع في نسق الإضمار وأضرابه، فهو ضرب من الحذف مشيرا إلى أنه ليس كل حذف اتساعا، وهو أكثر في لغة العرب من أن يحاط به، ومن ذلك استعمال الأضداد، فقد" أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد، ليدلوا على اتساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر، ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب"[4]، فإذا أوقعوا الكلمة على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع الذي عرف انتشارا كبيرا في كلامهم على مستوى التداول. كما عُرف الاتساع من طريق المجاز، فقيل: " إن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها، فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى

[1]- سورة يوسف، الآية:82.

[2]- يرى بعض العلماء المفسرين أنه لا حذف ولا إضمار في الآية الكريمة، ولا مجاز، ودليلهم أن (القرية والقرى) حيثما وجدت في القرآن الكريم، فإنها تدل على المكان المأهول. ينظر محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين (ت:1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 151/1.

[3]- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج (ت: 316هـ)، 255/2.

[4]- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم (ت: 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، (د. ط)، 1960م، ص:8 -9.

فهمه ارتياح وصبوة (...)، ولهذا كان المجاز عندهم منهلا موروداً"[1]. وتحدث ابن جني (ت: 392هـ) أيضا عن الاتساع في ثلاثة أبواب من كتابه " الخصائص"، هي: (شجاعة العربية) و (باب في فرق بين الحقيقة والمجاز) و(باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة)، وتعكس الرؤية اللغوية لهذا الرجل تأصيل عظمة اللغة العربية، وذلك من خلال رصد عوامل النمو والثراء فيها، والتي تتمثل في أمرين، وهما:

- **الأول**: إشارة ابن جني إلى أن شجاعة العربية تتمثل في توظيف المجازات والحذف والزيادة والتقديم والتأخير والتحريف والحمل على المعنى في التراكيب اللغوية، مما يجعل هذه التراكيب منفتحة على آفاق واسعة من المعاني، فقد تحدث عن الاتساع من خلال حديثه عن المجاز.

يقول:" وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه"[2]، وهي الضوابط الثلاثة التي بها يعرف المجاز من الحقيقة، فالاتساع وظيفة يؤديها المجاز إلى جانب التشبيه والتوكيد، ولذلك يرى ابن جني في نظام اللغة العربية الذي احتوته أبواب النحو إمكان لنموها وثرائها سماه (شجاعة العربية)، فقد اتسعت فكرة المجاز عنده حتى شملت أبوابا من النحو، كما شملت جانبا كبيرا من اللغة. كما درس ابن جني الاتساع بمعناه العام والشائع عند المتقدمين، فهو يوافق في هذه المعالجة ما ورد في كتاب سيبويه، كالاتساع الذي يتحقق من طريق الحذف والتقديم والتأخير وغير ذلك.

- **الثاني**: استعمال اللغة بين المتكلم والمتلقي، إذ يشير في أكثر من موضع إلى مراعاة المتكلم لمقتضى الحال، أو المقتضيات التي تدعو المتلقي إلى توجيه الكلام وفق مقاصد المتكلم، فهو يؤكد أن النظام اللغوي فيه اتساع، مما يستدعي مراعاة فهم المخاطب، إذ يقع الحذف في الكلام لكثرة استعماله أو لعلم المخاطب به، وذلك قصد الإيجاز.

يظهر لنا مما سبق، أن علماء اللغة العربية درسُوا الاتساع في المعنى بمفاهيم لغوية على مستوى النظام والأداء، مثل: الحذف والإيجاز والمجاز، فكانت شواهدهم اللغوية تندرج في باب المجاز ضمن الدرس البلاغي، وذلك لأن البلاغة نمت في حضن الدراسات اللغوية العربية، وقد عد عبد القاهر الجرجاني الاتساع والمجاز على طريق واحدة، فقال:" اعلم أنَّ طريقَ المجازِ والاتساع (...)، أنَّكَ ذكرتَ الكلمةَ وأنتَ لا تُريد معناها، ولكنْ تُريد معنىً ما هو رِدْفٌ له أو شبيهٌ، فتجوَّزْتَ بذلك في ذاتِ الكلمةِ وفي

[1]- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د.ت)، ص:10.

[2]- الخصائص، ابن جني، 442/2.

اللفظ نفسِه"[1]، وفضلا عن هذا فقد وضع النحاة إشارات إلى أن مظاهر الاتساع في الكلام داخل التراكيب اللغوية يمكن العثور عليها في أبواب النحو الكثيرة، لاسيما الحذف والتقديم والتأخير وغيرها، لذا فهذه الدراسة معنية باتساع الدلالة على سبيل ما يتحصل من معنى يحدده نظام تركيبي ما، وذلك بإعمال القراءات القرآنية والعلوم اللغوية العربية التي تسهم في الكشف عن المعنى وفق مقاصد المتكلم، إذ المقصدية في واقعها تمثل النص لما ترتب في ذهن منشئه من معان، ومن ثمة لا وجود للمعنى خارج التراكيب اللغوية، وقد سبق العلماء العرب إلى شرح هذه القضية التي تخص آلية إنتاج المعنى في النص، يقول عبد القاهر الجرجاني:" لا يتصور أنْ تَعرِفَ للفظ موضعاً، من غير أن تَعْرِف معناه، ولا أن تَتوخَّى في الألفاظ، من حيث هي ألفاظٌ، ترتيباً ونظماً، وأنَّك تَتوخَّى الترتيبَ في المعاني وتُعْمِل الفكْرَ هناك؛ فإذا تَمَّ لك ذلك أتْبَعْتَها الألفاظَ وقَفَوْتَ بها آثارها، وأنَّك إذا فرَغْتَ من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكْراً في ترتيب الألفاظ، بل تَجدُها تَترتَّب لك بحُكْم أنها خَدَمٌ للمعاني، وتابعةٌ لها ولاحِقةٌ بها، وأن العِلْم بمواقع المعاني في النفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالَّة عليها في النطق"[2]، وبهذا فإن المعنى لا يظهر في النص، إلا بجهد القارئ في التلقي والتأويل، هذا الجهد الذي يتجسد في توفره على ملكات عالية في الفهم والتأويل، مما سيمكنه من بلوغ المقاصد العميقة للنص، وهي النظرة التي كانت سائدة عند علماء اللغة والأدباء والنقاد في تحديدهم لمفهوم الاتساع، "وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل؛ فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ، وقوته، واتساع المعنى"[3]، فهذا التعريف يحدد مقومات الاتساع، وهي:

- **احتمال اللفظ**: أي خاصية تعدد دلالات الألفاظ، وهي خاصية تمتاز بها مفردات اللغة العربية، مما يضمن لها النمو والثراء (شجاعة العربية).
- **قوة اللفظ**: أي خلوه من ثغرة تمنع الاتساع، وهذا أمر يتعلق بالتركيب.
- **اتساع المعنى**: أي توفر إمكان الخروج من النص بأكثر من معنى، وهذا مقوم يتعلق بالوحدة النصية، وهي عند ابن رشيق القيرواني البيت الشعري، غير أن القول بأن النص الأدبي مفتوح لقراءات متعددة، يفضي إلى القول بأن هذا النص حمال أوجه، وهذا في الواقع يفتح بابا من الخطر، وهو فوضى التأويل في قراءة هذا النص الأدبي بعيدا عن الدلالة اللغوية والسياقية،

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 208.

[2]- نفسه، ص: 83.

[3]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت: 456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط3، 1963م، 93/2.

ولهذا عرّف ابن أبي الإصبع الاتساع قائلا: " أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه، وبحسب ما تحتمله ألفاظه"[1]، فهذا الكلام يفضي حقيقة إلى القول بتعدد المعاني للبيت الواحد، ولكن في إطار الدلالة اللغوية والسياقية، وفي حدود ما تحتمله الألفاظ، وليس الاتساع هو التأويل الفوضوي الذي يكون نتيجة الرؤى المتعددة الخاصة بأهواء القراء، ولهذا يمكن القول بأن اتساع المعنى شغل مساحة مهمة في التراث اللغوي العربي القديم، لذا نجد محور اشتغاله واسعا ممتدا في التركيب والمعجم والأصوات والصرف والبلاغة والدلالة والتداول والأدب والنقد، ومن ثمة يتسلل إلى شرايينها الدقيقة.

أما الأصل الثلاثي (دلّ)، فهو يدور حول معنيين: أحدهما الاهتداء إلى أمر، وبيان شيء وإيضاحه، والثاني: اضطراب في الشيء، قال ابن فارس:" الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ قَوْلُهُمْ: تَدَلْدَلَ الشَّيْءُ، إِذَا اضْطَرَبَ."[2]، فالمعنى الأول ينحصر في الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدل الناس ويهديهم. ومن المجاز: "الدال على الخير كفاعله"، ودلَّه على الصراط المستقيم، وتناصرت أدلة العقل وأدلة السمع، واستدل به عليه[3]. و الدليل اصطلاحا: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[4]، أي ما تلزم معرفته قصد الاستدلال به لمعرفة شيء آخر. والدلالة: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص"[5]، فهذا التعريف ، وإن كان ينبثق من عمل الأصوليين في دلالة اللفظ، فإنه لا يبعد كثيرا عن فهم علم اللسانيات للدلالة، وهي إقران الدال بالمدلول، أي إقران الصورة الصوتية الحسية بالتصور، فالدلالة مرتبطة بحالة التوظيف السياقي للفظ، ومعرفة ما يرتبط به من قرائن قصد إيضاح دلالته، وبيان مقصد توظيفه.

---

[1]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد، ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص:454.

[2]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب: دل، ص: 259/2-260.

[3]- أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م، 259/1.

[4]- التعريفات، الشريف الجرجاني، باب الدال، فصل اللام، ص:108.

[5]- نفسه، ص:108.

وعلى هذا الأساس فصل التفكير اللغوي والبلاغي القول في ارتباط الدلالة بالمناسبة بين اللفظ (الدال) والمعنى (المدلول)، باستحضار السياق والقرائن التي تساعدنا في تحديد المعنى وتوجيهه، إذ قد تتعدد معاني الكلمة الواحدة تبعا لتعدد سياقاتها في التراكيب اللغوية، كما اتجه البحث الدلالي إلى النظر في العلاقات الدلالية بين الكلمات داخل التركيب للكشف عن أنواع الدلالات من قبيل: الدلالة الصوتية، الدلالة الصرفية، الدلالة النحوية، الدلالة الاجتماعية، الدلالة النفسية، الدلالة الإيحائية،... ذلك أن المفردة القرآنية داخل النظم تمتاز بخصوبتها الدلالية، وتفتح مجالا واسعا للتعدد الدلالي، والغنى التأويلي، وذلك باستحضار قرينة السياق التي تمثل عاملا حاسما في تحديد تلك الدلالات مراعاة لقصد المتكلم، إذ القصد هو المحرك الأول للخطاب القرآني.

لقد وردت صيغة "دَلّ" في القرآن الكريم، وفي مواضع متعددة من القص القرآني، ومن ذلك قصة غواية الشيطان لآدم وزوجه في قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾﴾[1]، فقد حملت لفظة " دَلَّهُمَا" في الآية الكريمة معنى الإرشاد، أي: إن الشيطان أرشدهما إلى الأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فتكون إشارة الشيطان دال، والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه محتوى الإشارة أو المدلول. وفي قصة رضاعة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾[2]، نجد أن لفظة "أدلكم"، الواردة على لسان أخت موسى عليه السلام، أفادت معنى النصح والإرشاد، فلما لم يقبل موسى عليه السلام ثدي أحد من النساء، بصرت به أخته، فقالت للنساء في السوق، متظاهرة أنها لا تعرفه، هل أدلكم؟ أي: هل أنصحكم وأرشدكم. وفي قصة غواية إبليس لآدم في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[3]، أي: هل أرشدك إلى شجرة الخلد وملك لا يبلى؟. فالآية الكريمة تبين أن الفعل الدلالي يجمع بين طرفين في علاقة اتصال، أحدهما باث يحمل رسالة ذات دلالة، ومستقبل يتلقى الرسالة، ويستوعبها في ذهنه، فتتم عملية الاتصال البلاغي عبر قناة تواصلية سليمة.

---

[1]- سورة الأعراف، الآية:21.

[2]- سورة القصص، الآية:11.

[3]- سورة طه، الآية:117.

كان للنص القرآني أهمية بارزة في الكشف عن العلاقة الرمزية بين قطبي الفعل الدلالي (الدال والمدلول)، ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلَا ۝٤٥﴾[1]، نجد أن الله تعالى جعل الشمس دليلا على وجود الظل، ولولا الشمس ما عُرف الظل. وفي قصة عصا سليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلاَّ دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝١٤﴾[2]، فقد دلت الأرضة التي أكلت عصاه على موت سليمان عليه السلام، دون أن يعلم الجن، الذي سخره الله لخدمته، بموته – عليه السلام-، فهم يظنون أن سليمان عليه السلام مازال حيا، وبعد مدة طويلة، وجد أحد الجن عصاه ملقاة على الأرض، فرفعها، فإذا الأرضة قد أكلتها، فاستدل بذلك على موته، ولو كانوا يعلمون الغيب،- كما زعموا- ما مكثوا في الأعمال الشاقة هذه المدة الطويلة. وفي قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَّكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَےْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَۖ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُوناًۖ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾[3]، هكذا تُظهر الآية الكريمة العلاقة بين الدال والمدلول في نسق تواصلي دلالي بين الباث والمستقبل، فتكون لفظة "دلّ" في مجمل الآيات المذكورة إشارة إلى المعنى اللغوي الذي هو: الإرشاد والإعلام والإشارة والرمز.

لقد أسهم القرآن الكريم منذ ظهوره في تشكل العلوم كلها، فدعّم أصول اللغة العربية، وأثرى سماتها وخصائصها الإعرابية، وطبع نحوها وصرفها وأصواتها ومعجمها ودلالات الألفاظ بطابع خاص فريد ومتميز، فهو غاية في تخير الألفاظ المعبرة، ذات الظلال والإيحاءات الطريفة، وتخير الصيغ الصرفية، وآية في اللمحات النحوية الإعرابية، والأداء الصوتي بأجراس أصواته وبفواصله، ورسمه الذي ينطوي على أبعاد دلالية فريدة...، ولذلك كان محط اهتمام العلماء المسلمين منذ القديم، فدرسوا العلاقة بين اللفظ والمعنى في النص القرآني، وناقشوا دلالة اللفظ على المعنى المدلول قصد الكشف عن دلالاته السطحية والعميقة، فكان لهم دور الريادة في معرفة وجوه إعجازه الدلالي، وتحقق لهم ذلك من خلال الربط بين العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، وغيرها من العلوم الاجتماعية، كالفلسفة والمنطق

1- سورة الفرقان، الآية:45.

2- سورة سبأ، الآية:14.

3- سورة طه، الآية:40.

وعلم الاجتماع وعلم النفس...، وغيرها من العلوم الإنسانية في إطار نظرية تكامل العلوم والمعارف، وكل ذلك من أجل توسيع أفق الفهم، فكان مما اشتغلوا به في هذا المجال دراسة معاني الألفاظ، بل أفردوا لها مصنفات كثيرة[1]، باعتبارها فرعا من فروع فقه اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، فكان لهم- بهذا العمل الجليل- فضل السبق في إرساء دعائم علم الدلالة، ولذلك نجدهم - بمختلف تخصصاتهم- يربطون بحوثهم في موضوع الدلالة بفن البيان الذي يعنى بكيفية أداء المعنى وتوصيله بطرق دلالية متنوعة. قال الشافعي(ت: 204هـ): "والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعةِ الأصول، متشعبةِ الفروع: فأقلُّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة: أنها بيانٌ لمن خوطب بها ممن نزل القُرَآن بلسانه، متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدَّ تأكيدَ بيانٍ من بعض، ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب"[2]، فالبيان حسب هذا المفهوم، يتطلب العلم بلسان العرب، ويُقصد به الدلالة التي تتحقق بها عملية الفهم، وذلك بإخراج الشيء من حيز الخفاء إلى التجلي، فالبيان عنده جامع لأنواع مختلفة، متفقة في أن اسم البيان يقع عليها، ومختلفة في مراتبها، بعضها أبين من بعض، لأن من البيان ما يدرك معناه بكل سهولة، ومنه ما يحتاج إلى إعمال العقل والفكر قصد اكتشاف الدليل الذي يسهم في عملية الفهم، و كان هذا الأمر هو مسلك الأصوليين بعد الشافعي في فهم الخطاب الشرعي، ولا غرابة في ذلك، فهم أصحاب الدليل لضبط مقاصد الشارع.

كما نجد الجاحظ (ت: 255هـ) يشير إلى أن:" الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم. والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع."[3]، وعلى هذا الأساس، فإن البيان عند الجاحظ هو الإبانة والإفصاح والإبلاغ، وهو الدلالات على المعاني بأنواعها التي حصرها في خمسة

---

[1]- ألف العلماء المتقدمون مصنفات كثيرة في دراسة معاني الألفاظ، ومنها على سبيل المثال كتاب" المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ).

[2]- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د. عبد اللطيف الهميم، و د. ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1435هـ/2014م، ص:59-60.

[3]- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط3، 2009م، ص:60.

أشياء: اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال التي تسمى النصبة[1]، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، فهي وإن كانت صامتة في ظاهرها، فهي ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة البرهان بظاهر أحوالها[2]. واهتم الفارابي(ت: 339ه) أيضا بالألفاظ، وأعطاها عناية كبيرة، ولذلك صنفها تصنيفات عدة، ووضع لها علما سماه" علم الألفاظ"، ولم تكن دراسة الألفاظ عنده بمعزل عن الدلالة، فاللفظ ودلالته وجهان لعملة واحدة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وهذا ما أكده في قوله:" الألفاظ الدالة منها مفردة تدل على معان مفردة، ومنها مركبة تدل على معان مفردة... والألفاظ الدالة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم وكلمة (فعل) وأداة (حرف) وهذه الأجناس الثلاثة تشترك في أن كل واحد منها دال على معنى مفرد"[3]. ودرس ابن جني(ت: 392ه) أنواع الدلالة في الباب الذي أسماه" باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية" في كتابه الخصائص[4]، فالدلالة اللفظية مرتبطة بالمعنى الذي يفاد من حروف الكلمة للدلالة على حدث معين، كالفعل "ضرب" الذي يدل على الضرب دون غيره من الأحداث. والدلالة الصناعية مرتبطة بالمعنى الذي يفاد من صيغة اللفظ أو بنائه أو صورته التي برز عليها، كدلالة الفعل" قطّع" مثلا على التكثير، والدلالة المعنوية مرتبطة بالدلالة التي تفاد من جهة المعنى، لا من اللفظ نفسه، فالفعل مثلا يفيد بمعناه أن له فاعلا، فهذه دلالة لزومية أي يستلزمها ويستدعيها الحدث. ويوضح ابن خلدون (ت: 808ه)، الدلالة، قائلا:" واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلابد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة"[5]، فالخط دال على الكلمات اللفظية التي في الخيال، والألفاظ دالة على المعاني التي في النفس.

وازداد الاهتمام بالأبحاث الدلالية عند العلماء المحدثين، حيث توسعت مجالات البحث اللغوي بفضل تطور العلوم والمعارف الإنسانية، علم النفس، علم الاجتماع، علم المنطق، علوم الاتصال والإشارة...، ففي عصر النهضة مثلا، تأثرت الدراسات اللغوية بالبعد المنطقي العقلي، ونمثل لهذه الفترة برواد مدرسة "بورروبال" الذين يرون "أن اللغة ماهي إلا صورة للعقل، وأن النظام الذي يسود لغات البشر جميعا قوامه العقل والمنطق"[6]، ثم تطورت الأبحاث الدلالية بفضل ظهور النظريات اللسانية الحديثة، كدراسة الأبنية والتراكيب وربطها بالجانب الدلالي، ودراسة البنى المعجمية، والبنى الصوتية،

1- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، ص:61.

2- نفسه، ص:64.

3- العبارة (كتاب في المنطق)، الفارابي، تحقيق: محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب العرب، ط:1976م، ص:74.

4- الخصائص، ابن جني، 101/3.

5- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، الدار التونسية للنشر، ط: 1984م، 509/2.

6- محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، دراقي زبير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م، ص:25.

ووظيفة العلامات في الكشف عن المعنى، ومختلف نظريات تحليل الخطاب التي استفاد منها العلماء المتأخرون...، والبنى الدلالية، ضمن نسق محكم، يطلق عليه النحو الكلي عند تشومسكي، حيث تحول البحث اللغوي من العناية باللغة إلى العناية بالنحو، وهو تحول من تجميع العينات وتنظيمها، أو دراسة لغة خاصة، أو الخصائص العامة لكثير من اللغات، أو كل اللغات، إلى دراسة الأنساق التي توجد فعلا في الدماغ[1]، فكان البحث عن البنى العميقة للتراكيب اللغوية عبر ملاحظة البنى السطحية، أو افتراض قواعد دلالية على مستوى الذهن، تجعل متكلم اللغة قادرا على إنتاج ما لا يحصى من الجمل، وقادرا على فهمها، فتوسعت مجالات البحث اللغوي، وغدا البحث الدلالي ملتقى مختلف العلوم والمعارف الإنسانية لبناء المعنى، وتحقيق التواصل والإبلاغ.

وتعد القراءات القرآنية من هذا المنظور علما موجِّها للقواعد النحوية، مما أسهم بشكل كبير في الكشف عن تعدد الدلالات القرآنية، ولذلك اتجه العلماء المسلمون بمختلف تخصصاتهم إلى دراسة اللغة القرآنية في تراكيبها، وما يتعلق بدلالات المفردات القرآنية حسب السياق الذي ترد فيه، فكثرت الدراسات اللغوية التي اشتغلت بعلم الدلالة في القرآن الكريم قديما وحديثا، حيث توجه اهتمام الباحثين إلى دراسة علاقة اللفظ بالمعنى، وأقروا بوجود علاقة ضرورية بينهما، وهي شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان[2]، ويترتب على ذلك وجود صلة قوية بين اللفظ (الدال) وصورته في الذهن (المدلول)، غير أنه قد تكون للدال الواحد مدلولات متعددة حسب السياق وقصد المتكلم، ذلك أن اللغة القرآنية منفتحة على آفاق دلالية واسعة، لما تشير إليه من المعاني والإيحاءات التي يمكن أن نستشفها من خلال السياق في الآيات القرآنية، وهذا الأمر يقودنا إلى القول بأن المعنى في الخطاب القرآني، لا يقف عند الدلالات الصريحة والمباشرة التي تحملها الألفاظ داخل التراكيب القرآنية، وإنما يمتد ليشمل كل إيحاء وتلميح وتعريض...، وربما زادت هذه الإيحاءات في تقوية المعنى المباشر وتأدية الغرض وتوكيده، ف "رب تعريض لا يقاومه التصريح"[3]، ومعنى هذا أن اللغة القرآنية منفتحة على آفاق دلالية واسعة، وهي بهذا المعنى قابلة لتعدد الدلالات والمعاني، مما جعلها مجالا واسعا للتأويل، ومن ثمة فإن النص الذي تكثر تأويلاته لا يخلو من الغرابة، وهذا بخلاف النص الواضح الذي يؤدي معنى مباشرا وأحاديا، ومعلوم

---

[1]- اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، عبد القادر الفاسي الفهري، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1985م، ص:45.

[2]- علم الدلالة، عمر أحمد مختار، عالم الكتب، ط1، 1985م، ص:19.

[3]- الكشاف عن غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، 376/4.

أن ظاهرة الغرابة ظاهرة أسلوبية مرتبطة ارتباطا وثيقا ببنية الكلمة وتأليفها داخل الكلام، والمعنى الذي يمكن أن تدل عليه داخل النظم حسب السياق.

ومادام أن القرآن الكريم بقراءاته، هو نص للتدبر والفهم والعمل، ألفاظه قليلة، ومعانيه كثيرة، فهو لم يخل من ظاهرة الغرابة والإبهام[1]، ولذلك كان مجالا خصبا للاجتهاد والتأويل واتساع الدلالات، وقد درج العلماء المسلمون على دراسة الغرابة والإبهام من جهة اللفظ في غريب القرآن[2]، وغريب الحديث، فالمتأمل في العديد من المصنفات القديمة التي تناولت دراسة الغريب في القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال كتاب "الملاحن" لابن دريد(ت: 321هـ) يدرك كيف أبان عن تعدد المعاني للفظة الواحدة، مما يدل دلالة قاطعة أن دراسة الغريب في القرآن الكريم ليست قصرا على الدلالة الأولى، بل تستوعب دلالات متعددة، يمكن الكشف عنها بالبحث عن العلاقات القائمة بين المفردات أفقيا وعموديا، وحسب مقتضيات النظم القرآني والسياق. ويكفي أيضا أن نتأمل مناهج المفسرين في بعض التفاسير القرآنية، ومن ذلك المنهج الذي اتبعه الزمخشري في تفسيره" الكشاف"، لنُقر أن بعض الآيات القرآنية منفتحة على تعدد الدلالات، وذات أوجه متعددة المعاني، مما يجعلها قابلة للتأويلات المتعددة، وبهذا يمكن القول: إن القرآن الكريم بقراءاته، جمع في آن واحد بين جوانب الإبلاغ والتصريح، وبين مظاهر الإيحاء والتلميح.

---

[1]- يقصد بالإبهام في اللفظ القرآني ما خفيت دلالته، ويكون هذا الخفاء راجعا إلى نفس اللفظ أو لعارض، فتوقف فهم المراد منه على أمر خارجي، ولذلك قسم علماء القرآن اللفظ المبهم إلى أربعة أنواع، وهي: الخفى، والمشكل، والمجمل، والمتشابه، وهي ليست كلها في مرتبة واحدة من الخفاء، فأشدها خفاء هو المتشابه، ثم المجمل، ثم المشكل، ثم الخفى، فإن رجع الخفاء لعارض غير اللفظ، فهو (الخفى)، وإن رجع الخفاء لنفس اللفظ، وأمكن إدراك المراد منه بالعقل، فهو (المشكل)، وإن أمكن إدراك المراد منه بالنقل لا بالعقل، فهو (المجمل)، وإن لم يمكن إدراكه أصلا لا بالعقل ولا بالنقل، فهو (المتشابه)، فالخفاء في الخفى من غير الصيغة، وفي الأنواع الثلاثة الباقية بعارض من الصيغة، فهذه الأنواع الأربعة تقابل أنواع الواضح الأربعة، وهي: الظاهر، والنص، والمفسر، والمحكم، وكلها واضحة الدلالة، لكنها ليست في مرتبة واحدة من الوضوح وقوة الدلالة على المراد منها، فأقواها في الوضوح المحكم، ثم المفسر، ثم النص، ثم الظاهر، إلا أن الشافعي(ت: 204هـ) رحمة الله عليه، لم يفرق بين الظاهر والنص، فهما عنده اسمان لمسمى واحد، ثم جاء المتكلمون من بعده، ففرقوا بينهما، فالنص عندهم ما لا يقبل الاحتمال، والظاهر ما يقبل الاحتمال. ينظر مباحث أصولية في تقسيمات الألفاظ، محمد عبد العاطي محمد، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع: 1428هـ/2007م، ص: 249-255- 269.

[2]- تعاقبت مصنفات كثيرة في غريب القرآن، لمجموعة من العلماء، ومنهم: أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت:141هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي(ت:189هـ)، والنضر بن شميل (ت:203هـ)، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب(ت:206هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت:210هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت:224هـ). ولم يصل إلينا سوى كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء (ت:207هـ)، و"معاني القرآن" للأخفش الأوسط(ت:215هـ)، وتفسير "غريب القرآن وتأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة(ت:276هـ)، وتفسير غريب القرآن لأبي عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت:316هـ). وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الباحثين المتأخرين وهموا أن "مجاز القرآن" من كتب البلاغة، وليس من كتب التفسير، وهذا خطأ شائع. ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الأول، ص، ص: 176-404، والفهرست، ص، ص:166-169، والمعجم العربي نشأته وتطوره، لحسين نصار، دار مصر للطباعة، 1956م، ص:39-40.

إن البحث في الدلالات القرآنية رحلة في البحث عن المعنى في هذا النص الذي تعددت وجوه إعجازه، ذلك أن الله تعالى أحكمه نصا واحدا، ميسرا، فيه حكمه وأمره ومقصده، وأودع فيه أسرارا ليبقى شاهدا على عظمته، وسعة علمه، فأسلوبه متميز، يتسع لمعان كثيرة، بألفاظ قليلة، يحتاج معه القارئ إلى إمعان النظر والتأمل والتدبر للكشف عن بعض مراد الله عز وجل، ذلك أن اللغة القرآنية منفتحة على آفاق واسعة من الفهوم والتأويلات التي يجب أن يتعامل معها المتدبر في حدود ما يوافق مقاصد الشريعة الإسلامية، فقد أودع الله في كتابه العظيم سر تجدده، وصلاحية معانيه لكل زمان ومكان، وما يزال مصدرا فياضا للعلم والمعرفة، فهو لا يُخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يزيدنا إلا العلم واليقين، كلما أقبلنا على مدارسته بإعمال النظر والعقل.

واستنادا إلى ما سبق، فإننا سنجعل الباب الثاني في هذا البحث دراسة تطبيقية، نبين من خلالها أثر القراءات القرآنية في اتساع المعاني القرآنية في القصص القرآني، وذلك بالبحث عن دلالات اللفظ داخل سياقه في التراكيب القرآنية، إيمانا منا أن الاختلاف على مستوى الرسم والقراءة مدخل مهم للكشف عن تعدد الدلالات في القرآن الكريم، ولذلك ارتكزت مباحث الفصل الأول الموسوم بعنوان: " **تعدد القراءات القرآنية وعلاقته بتعدد المعاني القرآنية**" على دراسة علمية قوامها الكشف عن التعدد الدلالي والتأويلي في آي القصص القرآني من خلال مبحثين أساسين، **فالمبحث الأول:** يتعلق بالاختلاف في الرسم والقراءة وأثرهما في اتساع الدلالة في القصة القرآنية، وقد انتظمت مادته العلمية في **ثلاثة مطالب**، وهي:

1. **الحرف بين الحذف والإثبات في المفردة القرآنية.**
2. **الإبدال في الحروف.**
3. **الإبدال في الحركات.**

أما **المبحث الثاني:** فيتعلق باختلاف الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعنى، ويتكون كذلك من **ثلاثة مطالب**، وهي:

1. **الوقف والابتداء.**
2. **الفصل والوصل.**
3. **الحذف والذكر.**

أما **الفصل الثاني**، فيتعلق بالقراءات القرآنية وتساند مكونات اللغة في سورة المسد، ولذلك فإن مباحث هذا الفصل دراسة تطبيقية للكشف عن الاتساع في المعنى في هذه القصة القرآنية من خلال التكامل بين المكونات اللغوية وتعضيدها بالقراءات القرآنية، وأهمها: المكون الصوتي، والمكون المعجمي،

والمكون الصرفي، والمكون التركيبي (النحوي)، والمكون الدلالي (البلاغي)، والمكون التداولي، على اعتبار أن المناولة التساندية بين القراءات القرآنية ومكونات اللغة، ستمكننا من الكشف عن تعدد المعاني في هذه القصة القرآنية، وذلك في إطار نظرية التكامل بين العلوم اللغوية، وغيرها من المعارف الإنسانية التي بإمكانها أن تضيئ لنا السبيل للكشف عن الإشباع الدلالي في هذه القصة القرآنية، وعلى هذا الأساس فإن هذا الفصل سيسلط الضوء على آيات سورة المسد التي تضمنت تراكيب غنية بالدلالات قوامها، الصوت، والمعجم، والنحو، والصرف، والبلاغة...، وذلك بإعمال القراءات القرآنية وفق نسق بياني تتكامل فيه القراءات القرآنية والمكونات اللغوية: المكون الصوتي، والمكون المعجمي، والمكون الصرفي، والمكون النحوي، والمكون البلاغي، والمكون التداولي، للكشف عما تضمره الآيات القرآنية من مقاصد وغايات وأسرار وراء ظلال التراكيب في هذه القصة القرآنية.

الفصل الأول:

تعدد القراءات القرآنية وعلاقته بتعدد المعاني القرآنية

تمهيد:

يمتاز التعبير القرآني بخصوبة دلالية واسعة، ولذلك كرس العلماء المسلمون - بمختلف تخصصاتهم المعرفية- كل جهودهم في دراسة المفردات والجمل من جهة علاقة اللفظ بالمعنى، فاتسع نطاق البحث الدلالي، رغبة منهم في معرفة القواعد التي تتحكم في العلاقات بين المفردات القرآنية وتحولاتها الدلالية، وخاصة المفردات القرآنية القابلة لتعدد القراءات القرآنية عند علماء القراءات، فأسهم الاختلاف القرائي بشكل كبير في انفتاحها على آفاق دلالية واسعة، وقد كشفت آيات القصص القرآني- بعد تدبر عميق- عن تعدد الدلالات لأنساق التراكيب التي اختزلت معاني خفية، ولهذا يمكن القول بأن علم الدلالة نشأ في أحضان الدراسات اللغوية العربية من خلال البحث في العلاقات بين عناصر اللغة، لسبر أغوار النصوص، والكشف عن أسرار تراكيبها، وفهم بعض المعاني المقصودة، وخصوصا أن علماء القراءات القرآنية، اختلفوا في قراءة بعض المفردات القرآنية، فأدى هذا الاختلاف إلى تعدد الدلالات القرآنية، وبذلك لم يكن الاختلاف في القراءات القرآنية عند جمهور علماء المسلمين اختلاف تناقض وتضاد، وإنما هو اختلاف تنوع وتغاير، ذلك أن الاختلاف الحاصل بين القراء، إنما هو حاصل في الألفاظ المسموعة، وليس في المعاني المفهومة، وهو اختلاف ناتج عن اختلاف لهجات القبائل العربية، وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف العادات والطباع البشرية، وذلك باختلاف البيئات العربية، فقد تنفرد بيئة معينة ببعض الألفاظ التي قد لا تتوارد على لهجات بيئات أخرى، رغم أن هذه البيئات جميعها تنطوي داخل إطار لغة واحدة.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم أنزل رحمة للعالمين، وجاء مخاطبا عامة الناس، فلهذه الغاية تعددت القراءات القرآنية لتوائم جموع من يتلقون القرآن الكريم تيسيرا على الأمة الإسلامية وتهوينا عليها، وقد ورد التوقيف عن النبي ﷺ بهذا الضرب من الاختلاف، وأذن فيه الأمة الإسلامية، فكل ما صح عن النبي ﷺ، وجب قبوله، ولم يسع أَحَدًا مِنَ المسلمين رَدُّهُ، وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ، لذا يَجِبُ اتباع مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ القراءة لِأَجْلِ الْأُخْرَى لظَنّ التَعَارُض. وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِقَوْلِهِ: " لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ، يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ،

وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ"[1].

ومن هذا المنطلق يمكن أن نرجع السبب في اختلاف القراءات القرآنية إلى أمور منها:

- إن مرجع القراءات القرآنية إلى السنة والاتباع، استنادا إلى النقل الصحيح المتصل سنده بالرسول الأعظم محمد ﷺ، إذ الأصل في القراءة القرآنية التلقي والمشافهة، لا الرأي والاجتهاد، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر، أن القراء أجمعوا على ضم الميم من كلمة" مُكْث" في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[2]، مع أن اللغة تجوز في الميم الضم والكسر والفتح[3]، والرسم القرآني يحتمل هذه الوجوه الثلاثة، لكن إجماع القراء على ضم الميم دليل على أن القراءة سنة متبعة. وفي قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٨﴾﴾[4]، فقد "قرأ الجمهور « كَيْدُ سَاحِرٍ » برفع الكيد، وقرأ حمزة والكسائي « كَيْدُ سِحْر» ، وقرأت فرقة «كَيْدَ» بالنصب «سحر» وهذا على أن «ما» كافة و «كَيْدَ» منصوب ب صَنَعُوا، ورفع «كَيْدُ» على أن «ما» بمعنى الذي"[5]، فمن نصب كلمة" كيد"، إنما نصبها على أنها مفعول به للفعل" صنع" وجاز ذلك والرسم يحتملها، ولكن قراءة الجمهور بالرفع دليل على أن القراءة سنة متبعة.
- إن اختلاف الصحابة في أخذهم القراءات القرآنية عن رسول الله ﷺ مقبول شرعا، إذ منهم من أخذ القرآن الكريم عنه ﷺ بحرف واحد، ومنهم من أخذه بحرفين، ومنهم من زاد عن ذلك، ومن هنا نشأ الاختلاف بين القراء، فتعددت القراءات القرآنية.
- إن اختلاف المصاحف العثمانية ضرورة شرعية، ولذلك حرص الخليفة عثمان رضي الله عنه على أن يرسل مع كل مصحف مقرئا، يعلم الناس بما يوافق مصحفهم، فأقرأ كل واحد أهل إقليمه بما سمعه عن رسول الله ﷺ.

1- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 51/1.

2- سورة الإسراء، الآية:106.

3- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 491/3. (بتصرف).

4- سورة طه، الآية:68.

5- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 52/4.

ومن هذا المنطلق فإن الاختلاف في القراءات القرآنية، ليس اختلاف تضاد أو تناقض كما ذهبت إلى ذلك بعض الكتابات الاستشراقية، لاستحالة وقوع ذلك في القرآن الكريم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨١﴾﴾[1]، فالاختلاف بين علماء القراءات القرآنية، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، إذ يستحيل أن يقع في كلام الله عز وجل التناقض والتباين والاضطراب، فالقرآن الكريم آيات محكمات يصدق بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، إذ قد تزيد قراءة معان جديدة، لم تبينها القراءة الأخرى، فيكون تعدد القراءات القرآنية مدخلا في تكثير المعاني القرآنية واتساعها في تكامل من غير تناقض أو تباين، فيكون هذا المسلك سبيلا إلى تحقيق الإشباع الدلالي في القرآن الكريم.

لقد تناول العلماء المسلمون مسألة الاختلاف في القراءات القرآنية، فوجدوا هذه المسألة لا تخلو من ثلاثة أحوال، ذكرها ابن الجزري بشيء من التفصيل والبيان، قال رحمة الله عليه: "وَقَدْ تَدَبَّرْنَا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا فَوَجَدْنَاهَا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

- **الأول**: اخْتِلَافُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.
- **الثَّانِي**: اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ.
- **الثَّالِثُ**: اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ امْتِنَاعِ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَتَّفِقَانِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ لَا يَقْتَضِي التَّضَادَّ."[2].

يتضح من هذا الكلام أن مصطلح الاختلاف عند القراء، لا يعني التعارض والتباين، كما يحصل ذلك في اختلاف الفقهاء، وإلى هذا نبه الإمام ابن الجزري _رحمة الله عليه_ قائلا:" وَبِهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنَ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ، وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ"[3]، فالفرق واضح بين اختلاف القراء واختلاف الفقهاء، ذلك أن الأول اختلاف تنوع وتغاير، وكله حق وصواب نزل من عند الله عز وجل، ووجب الإيمان به، واتباع ما تضمنه من المعنى علما وعملا، بينما الثاني اختلاف اجتهادي، يحتمل الصواب والخطأ.

---

[1]- سورة النساء، الآية:81.

[2]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/49-50.

[3]- نفسه، 1/52.

وعلى هذا الأساس، فإن الاختلاف في القراءات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهذا ما أعطى للنص القرآني تميزه وسموه على سائر الكتب السماوية الأخرى والنصوص البشرية على حد سواء، لما يحققه تعدد القراءات القرآنية من الاتساع في المعاني القرآنية، إذ كل قراءة تزيد معنى جديدا، لم تبينه القراءة الأخرى، وهذا الأمر يشبه إلى حد كبير تكرار القصة القرآنية الواحدة في عدة مواضع من القرآن الكريم، بما يحقق التكامل في المعاني القرآنية، فكل آية أو واقعة تبين معنى جديدا، لم تبينه الآية أو الواقعة السابقة. ولعل في هذا التكرار ما يحقق لكل إنسان حظه من الاعتبار، ومن ذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام التي ذكرت في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقِىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾﴾[1]، وفي موضع آخر قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لاَ تَخَفِ اِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ اُلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾[2]، فقد يقول قائل: هل يعقل أن تكون العصا ثُعْبانًا مبينا في موضع، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ؟.

الجواب عن هذا السؤال، أن الجان في لغة العرب بمعنى: الْحَيَّاتُ الدِّقَاقُ[3]، فالجان هو الصغير من الحيات، وقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: الحَيَّاتُ كُلُّهَا ثُعْبانٌ، الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ والإناث والذُّكْرانُ.[4] وذكر أبو إسحاق الزجاج في تفسيره: أن خَلقَها خلقُ الثعبان واهتزازُها وحركتها وخفتُها كاهتزاز الجَانّ وخِفتِه[5]، فالآية الواردة في (سورة الأعراف) بينت شكلها وهيئتها وخلقتها، والآية الواردة في (سورة النمل) بينت حال تحركها واهتزازها، فكل آية أعطت معنى جديدا، لم تبينه الآية الأخرى، فلا تناقض بين الآيتين، إنما لكل آية معنى يقتضيه السياق والمضمون العام للسورة.

يظهر مما سبق أن اختلاف القراء في آيات القرآن الكريم عامة، والقصص القرآني خاصة، إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، وليس اختلاف تضاد وتناقض، فتكون كل قراءة بمقام آية، مما يفضي إلى تعدد المعاني القرآنية، وبهذا فإنه "لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَجِيءُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَى مَا يَحْتَمِلُ تِلْكَ الْوُجُوهِ مُرَادًا لِلَّهِ تَعَالَى، لِيَقْرَأَ الْقُرَّاءُ بِوُجُوهٍ، فَتَكْثُرَ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ الْمَعَانِي، فَيَكُونُ وُجُودُ الْوَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي مُخْتَلِفِ الْقِرَاءَاتِ مُجْزِئًا عَنْ آيَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَهَذَا نَظِيرُ التَّضْمِينِ فِي اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ، وَنَظِيرُ التَّوْرِيَةِ وَالتَّوْجِيهِ فِي

[1]- سورة الأعراف، الآية :106.

[2]- سورة النمل، الآية:10.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 55/3.

[4]- نفسه،236/1.

[5]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 88/4.

الْبَدِيعِ، وَنَظِيرُ مُسْتَتْبَعَاتِ التَّرَاكِيبِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي"[1]، فيكون بذلك المقصد الأسمى من تعدد القراءات القرآنية واختلافها تكثير المعاني واتساعها رحمة بالناس وتوسعة لهم، كما سلف الذكر في المحور المتعلق بمقاصد القراءات القرآنية من هذه الدراسة.

[1]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 55/1.

المبحث الأول: الرسم القرآني وعلاقته بالمعنى

يطلق الرسم في اللغة على الأثر، ومنه رسم الدار، أي: ما تبقى من آثارها لاصقا بالأرض. قال امرؤ القيس [من بحر الطويل]:

فتُوضِحَ فالْمِقراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها *** لما نَسَجَتْها من جنوبٍ وشَمْأَلِ[1].

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:" الراء والسين والميم أصلان: أحدهما الأثر، والآخر ضرب من السير. فالأول الرسم: أثر الشيء، ويقال: ترسمتُ الدار، أي نظرت إلى رسومها[...] والثوب المرسم: المخطط، ويقال: إن الترسم: أن تنظر أين تحفر..."[2]. فالرسم في اللغة الأثر سواء كان بالخط أو الكتابة أو الرشم...، والرسم هو تصوير حروف الكلمة كتابة، وكثيرا ما يطلق الرسم، ويراد به المرسوم بصيغة اسم المفعول، أعني الحروف نفسها، وهو المراد هنا، وينقسم الرسم إلى قياسي واصطلاحي، فالأول هو ضم الحروف إلى بعضها البعض بالخط أو هو" تصوير اللفظ بحروف هجائية"[3]، وليس بالضرورة أن يكون هناك تطابق بين المكتوب والمنطوق به... أما الثاني، فهو الرسم المتعارف عند الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، كتبة الوحي، حيث ثبتوا بهذا الرسم كلام الله تبارك وتعالى، فهو رسم يتعلق بالكيفية التي كتب بها الصحابة الكرام القرآن الكريم، وأكثر أصوله موافقة لأصول الرسم القياسي. ويعرف الرسم الاصطلاحي بالرسم العثماني، أو برسم الإمام، نظرا لشهرة المصاحف التي كتبت على عهد عثمان رضي الله عنه لدى جميع المسلمين. وهو رسم توقيفي يجب اتباعه في كتابة المصاحف، ولا يجوز مخالفته والعدول عنه إلى غيره... ذلك أن كتبة الوحي، كتبوا القرآن الكريم بهذا الرسم بين يدي الرسول ﷺ، وتحت إشرافه، فهو الرسم الذي كتب به القرآن الكريم في عهد الرسول محمد ﷺ، وفي عهدي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية. فالرسم القرآني" إنما هو توقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم [أي الصحابة رضي الله عنهم] أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، إلا من فتح الله عليه، ليفهم بعض مراده، فهو سر من الأسرار التي خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. [...] وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية، لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور، فإن لها

1- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، (ت545 م)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1425هـ /2004م، ص:22./ توضح والمقراة: موضعان، وقوله: لم يعف رسمه، أي لم يَنْمَحِ أثرها. والرسم ما لصق بالأرض من آثار الدار مثل البعر والرماد وغيرهما. والجمع أرسم ورسوم. المصدر نفسه، ص:22.

2- مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب الراء، باب: الراء والسين وما يثلهما، ص:403.

3- التعريفات، الشريف الجرجاني، باب الخاء، فصل الطاء، ص:103.

أسرارا عظيمة ومعاني كثيرة. وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئا من المعاني الإلهية التي أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفا بحرف"[1]، فالقرآن الكريم وحي تكفل الله عز وجل بحفظه وجمعه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى حافظ لكتابه المجيد من كل زيادة ونقص وتبديل وتغيير وتحريف... وجمعه بالطريقة التي ارتضاها له، فإذا ما حصل سقط في مرسومه من قبل كتبة الوحي، أقامه رسول الله ﷺ بوحي من الله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٦ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٧ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٨﴾[3]، وما دام الأمر كذلك، فإن رسم المصحف الشريف رسم أجمع عليه الصحابة والتابعون والعلماء المسلمون، ولم يثبت أن أحدا منهم حدثته نفسه أن يغير شيئا من مرسومه، أو يستبدل هذا الرسم برسم آخر...، ولذلك كان اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف أمرا ضروريا، حتى يبقى للقرآن الكريم قدسيته وجلاله، ولأن في الالتزام به اتحاد وجمع لشمل الأمة الإسلامية. ويظهر أن هذا الرسم الاصطلاحي مخالف للرسم القياسي الإملائي إما بحذف أو زيادة أو إبدال... إلى غير ذلك مما يدخل في قواعد رسم المصحف، لأسرار لا يعلمها إلا الله، ومن فتح عليه لمعرفة بعض هذه الأسرار، ولذلك تعد المفردة القرآنية معجزة في كتابتها ومعجزة في ترتيلها ومعجزة في بيانها، وإعجاز الرسم القرآني يظهر في تغير مبنى بعض المفردات القرآنية سواء بزيادة حروفها أو نقصها "نطقت هذه الحروف أم لم تنطق"، لتعطي آفاقا جديدة للمعاني، لم يكن من الممكن إدراكها لو لم يكن هناك تغيير عن الشكل المعتاد للكلمة، وعلى هذا الأساس، فإن ما ورد في القرآن الكريم من تغيير في مباني بعض المفردات يحقق أغراضا شريفة سامية على وجه يجعلنا نُقِرُّ أن الكتابة القرآنية تُوسع من آفاق المعنى، وما دام أن الرسم القرآني توقيفي من الله عز وجل بإجماع معظم العلماء المسلمين، فإن ما يطمئن له القلب، ويرتاح له الفكر هو أن الرسول محمد ﷺ أملى كتابة الرسم القرآني على كُتاب الوحي حسب الرسم الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام. فجاء مبنى المفردة القرآنية ليوحي بالمعاني المتجددة في كل عصر، وبما يقيض الله عز وجل على عباده المؤمنين من فهم وعلم في كل العصور، لأن معجزات القرآن الكريم تتجدد على الدوام، وعجائبه لا تنقضي...

[1]- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، 1/382-383.

[2]- سورة الحجر، الآية:9.

[3]- سورة القيامة، الآيات: 16-17-18.

وفي الحقيقة من يتأمل الرسم القرآني، يرى فيه من الإعجاز والكمال ما يجعله معظِّما لهذا الإعجاز، ذلك أن هذا الرسم يحمل في طياته أسرارا وحكما ربانية، لا يُدركها إلا من فتح الله عليه بعقل واع وقلب مستضيء، وقد بحث كثير من العلماء في أسرار هذا الرسم، ومنهم أبو العباس المراكشي[1] في كتابه: (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل)، وهو كتاب ممتع ومفيد، ذكر فيه ما يحمله الرسم القرآني في طياته من المعاني، حيث ربط بين تلك المعاني في الخفاء والتجلي، والوصل والفصل، مع حالتي الوجود المدركة وغير المدركة، يقول:" فإذا بطنت حروف في الخط، ولم تكتب، فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك، كما إذا وصلت فلمعنى موصول، وإذا حجزت فلمعنى مفصول، وإذا تغيرت بضرب من التغيير، دلت على تغير في المعنى في الوجود، يظهر في الإدراك بالتدبر"[2]. ومن ثمة، فإن محاولة إدراك وفهم أسرار الرسم القرآني، تستلزم التدبر والبحث عن العلاقة بين الآيات في الكتاب المسطور والآيات في الكون المشهود، أي البحث عن العلاقة بين المعاني القرآنية وأحوال الوجود... مع الإشارة إلى أن لهذه المعاني اعتبارين:

- **أولهما:** اعتبار من باب الوجود بالفعل.
- **وثانيهما:** اعتبار من باب الإدراك والعلم.

وبناء على هذين الاعتبارين، فلابد من إمعان النظر والتأمل والتدبر -بقلب واع وعقل مستنير- في الرسم القرآني، قصد إدراك بعض المعاني الخفية التي توحي إليها المفردة القرآنية بمبانيها وصيغها، وما تحمله من ضروب التغيير داخل النظم القرآني، ذلك أنها منفتحة على آفاق واسعة من المعاني المتكاملة التي تنسجم وتتناسب مع أحوال الوجود.

وسنحاول قدر المستطاع، وبتوفيق من الله – فيما سيأتي من المطالب - أن نتلمس بعض الأسرار واللطائف التي يحملها الرسم القرآني في علاقته بالقراءات القرآنية، لنكشف عن علاقته بالمعنى من خلال التغيير الذي يلحق بنية المفردات في مختلف التراكيب من القصص القرآني.

---

[1]- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي، (ت: 712هـ)، فهو مراكشي نسبة إلى مولده بمراكش المغرب، وابن البناء نسبة إلى مهنة أبيه، والعددي نسبة إلى تفوقه في علم العدد...ذكره صاحب كشف الظنون (حاجي خليفة (ت: 1067هـ).

[2]- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، تحقيق وتقديم: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ص:34.

المطلب الأول: الحرف بين الحذف والإثبات في المفردة القرآنية

1. القراءة بحذف الألف وإثباتها

تحذف الألف وتثبت في أول المفردة القرآنية أو وسطها أو آخرها لأغراض دلالية، لا يعيها إلا من فتح الله عليه بسعة الفهم في كتابه العزيز، فقد وردت كلمة (بسم) في القرآن الكريم بدون ألف الوصل ثلاث مرات" بخلاف فواصل السور"، كما وردت بألف الوصل أربع مرات. فما السر في حذف ألف الوصل في بعض الآيات القرآنية وإثباتها في بعضها الآخر عند القراء؟ وهل لهذا الحذف والإثبات أثر في دلالة هذه المفردة؟.

تدل هذه اللفظة في المعاجم اللغوية العربية على "العلو. يقال سموت، إذا علوت، وسما بصره: علا، [...] ويقال إن أصل "اسم" سِمْو، وهو من العلو، لأنه تنويه ودلالة على المعنى"[1]، الجواب- والله أعلم بأسرار كتابه المنزل- أنه حين نتدبر الحالات التي وردت فيها هذه اللفظة بدون ألف الوصل، نستشعر أسرارا ربانية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2]، حيث تطول فيها الباء عوضا عن الألف المحذوفة أو للتعظيم، فالجالب للباءِ معنى الابتِدَاء، كَأَنَّك قُلْتَ: بَدَأتُ بِاسْم اللَّه الرحمن الرحيم، إلا أَنَّهُ لم يُحْتَج لذكر " بَدأت " لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ، وسقَطت الألف من باسم اللَّه في اللفظ، وكان الأصلُ فيه: "باسم اللَّه"، بكتابة الألف، لأنها ألف وصل دخَلتْ، ليتَوَصلَ بِهَا إِلى النُطْقِ بالسَّاكِن، والدَّلِيل على ذلِكَ أَنَّك إِذَا صغرت الاسم قلت سُمَيٌّ والعرب تقول: هَذا اسم، وهذا اسم، وهذا سِمٌ[3]، ومعنى: قولنا (بسم الله)، أي: بالله تجري السفينة، وبه تستقر، [...]، والمعنى: أن الله جلَّ وعزَّ أمرهم أن يُسموا [الله] في وقت جريها، ووقت استقرارها[4]. قال ابن البناء المراكشي :" وكذلك حذفت الألف من (بسم الله) تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده، وأن عنه انفصلت الأسماء [...]، يدلك عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلها وأولها، ولذلك لم يتسم بهذا الاسم غير الله"[5]، ويرى أبو عمرو الداني أن هذا الحذف، إنما وقع لكثرة الاستعمال[6]. فهذه اللفظة تشير دلاليا إلى معنى الابتداء، أي: نبدأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، وجاء بعدها

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ص:490.

[2]- سورة هود، الآية:41.

[3]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 20/1.

[4]- نفسه، 37/3.

[5]- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، ص:67.

[6]- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص: 36.

اسم الجلالة ﴿اللّه﴾، وهو الذي نتوكل عليه، ونقصده في حركاتنا وسكناتنا، فلما أعدَّ نوح- عليه السلام- السفينة، قال للذين آمنوا معه، اذكروا اسم الله وقت سيرها وجريها، ووقت رسوها واستقرارها، لأن الله- سبحانه وتعالى- هو المجري للسفينة والمُرسي لها، وهو واسع المغفرة، رحيم بعباده المؤمنين، فناسب مبنى الكلمة في هذا السياق القرآني معنى السرعة في الاتصال والقرب بين العبد وربه قصد الإنقاذ من الغرق والهلاك، فلا فاصل ولا واسطة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِے عَنِّے فَإِنِّے قَرِيبٌ اجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِے وَلْيُومِنُواْ بِے لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1]. ونجد المعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾[2]، إذ ناسب هذا الحذف معنى السرعة في الطاعة والخضوع لله عز وجل، وكذلك فعلت ملكة بلقيس وقومها، لما وصلهم كتاب سليمان- عليه السلام- يدعوهم فيه إلى الإقبال السريع على توحيد الله عز وجل، وإثبات ألوهيته.

أما الآيات القرآنية التي ورد فيها إثبات ألف الوصل في الكلمة ﴿باسم﴾، كما في قوله تعالى: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِے خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾[4] فإن ظهور ألف الاسم مع (الرب) تنبيه على ظهور التسمية في الوجود أولا، ثم إن القصد من الآيتين الكريمتين هو الأمر بالقراءة والتسبيح على سبيل الوجوب والإلزام، وهما مما لا يتطلب السرعة، لأن القراءة في آيات الكون المشهود الموافقة لآيات الكتاب المسطور، والتسبيح، يتطلبان التمهل من أجل التأمل والتفكر والتدبر في ملكوت الله عز وجل قصد الارتقاء بالنفس والروح إلى مقام التجلي. ويتناسب رسم هذه اللفظة مع القراءات القرآنية في قول الناظم: [من بحر الرجز]

وَحَذْفُ بِسْمِ اللهِ عَنْهُمْ وَاضِحُ *** فِي هُودِ وَالنَّمْلِ وَفِي الْفَوَاتِحِ
وَطُولُ الْبَاءِ كَمَا عَنْهُمْ أَلِـف *** مُطَوَّلاً دَلَالَةً عَلَى الْأَلِـــفِ
وَقِيلَ طُولٌ لِكَيْ يَكُـــــونَا *** لَهُ مُعَظَّماً فَخُذْ تَبْيِينَــــا
وَبِاسْمِ رَبِّكَ جَمِيعاً أَثْبِتَـــا *** أَلِفَهَا وَالْبَاءُ قَصِّرْ يَا فَتَـــى[5].

---

[1]- سورة البقرة، الآية:185.

[2]- سورة النمل، الآية:30.

[3]- سورة العلق، الآية:1.

[4]- سورة الحاقة، الاية:52./ سورة الواقعة، الآيتان:77-99.

[5]- الرسم العثماني، قواعده وبدائع الإعجاز فيه –رواية ورش-، محمد بنعبد الوهاب، أفريقيا الشرق، المغرب، طبعة: 2010م، ص:152.

فقد وردت لفظة (تَاْيْـَٔسُواْ) بزيادة الألف في قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُّوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1]، فما علاقة هذه الزيادة بالمعنى في هذه الآية الكريمة؟.

يرى جلال الدين السيوطي رحمة الله عليه بخصوص هذه الزيادة أن الألف زيدت تنبيها على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظا[2]، وبذلك حققت هذه الزيادة في الآية الكريمة معنى، وهو أن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس الذي لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار.

وردت لفظة (نخاف)، (يخاف)، (خاف) وكل مشتقاتها في القرآن الكريم كله بالألف الصريحة إلا في مواضع قليلة بدون هذه الألف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفِ اِنَّكَ أَنتَ ٱلْاَعْلَىٰ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفِ اِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَ اَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفِ اِنَّكَ مِنَ ٱلْاَمِنِينَ﴾[6]، ذلك أن هذه اللفظة وردت في سياق طمأنة موسى عليه السلام، وعدم الخوف من العصا التي تحولت حية، فأنت يا موسى - عليه السلام- مكلف بالرسالة، والرسل لا يخافون، لأن الله معهم، فإننا سنعيدها إلى حالتها وهيئتها التي كانت عليها، وإنك من الآمنين، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قَال خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[7]، وفي سياق هذه الطمأنة، حذفت الألف للدلالة على السرعة في الالتصاق بالله عزوجل في هذا الموقف المرعِب، لأنه تعالى هو الملجأ الوحيد الذي يحقق الأمن والنجاة من أي ضرر أو مكروه.

[1]- سورة يوسف، الآية:87.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 266/1.

[3]- سورة طه، الآية:30.

[4]- سورة طه، الآية:67.

[5]- سورة النمل، الآية:10.

[6]- سورة القصص، الآية:31.

[7]- سورة طه، الآية:30.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[1]، فقد جاءت عبارة (أصحاب موسى) في القرآن الكريم مرة واحدة، في هذا الموضع، وفي هذا السياق بدون ألف لتأكيد هذا الالتصاق بالله عز وجل وبنبيه موسى عليه السلام في هذا الموقف العصيب. وفي غير هذا السياق، وردت عبارة (قوم موسى) ثلاث مرات في القرآن الكريم[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾[3]، فحذف الألف في لفظة (أَيُّهَ)، يوحي بسرعة تلبية دعاء القوم أن يكشف الله عنهم العذاب لكفرهم، وهو يدل على طلب فرعون من موسى عليه السلام أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب، ليكونوا مؤمنين، فلما كشف عنهم العذاب نكثوا بعهدهم. قال عنهم الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[4]. فالموقف موقف عذاب واقع بالقوم، وهم يبحثون عن منقذ لهم من هذا العذاب، فأسرعوا إلى موسى عليه السلام يطلبون منه أن يدعو ربه ليخلصهم من هذا العذاب الواقع بهم، فأنساهم هول الموقف وفزعه التفكير في أنه رسول الله، فقالوا: (أيه الساحر)، وجعلتهم المعجزات التي رأوها يظنون أنه ساحر، أنساهم هول الموقف أن ينادوه (رسول الله)، دعا موسى عليه السلام ربه، فكشف عنهم العذاب، وعادوا إلى كفرهم وضلالهم، فحق عليهم العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[5]، فقد وردت لفظة (الأبواب) في القرآن الكريم كله محذوفة الألف، ووضع موضعها ألف خنجرية دلالة عليها، وإذا أمعنا النظر، نجد أن هذا الحذف في هذه اللفظة دل على الدقة في الإحكام، فقد أحكمت امرأة العزيز الأبواب، لتُخفي معالم إرادتها، ولا يطلع عليها أحد. قال الزركشي:" غَلَّقَتْ فِيهِ التَّكْثِيرُ فِي الْعَمَلِ، فَيَدْخُلُ بِهِ أَيْضًا، مَا لَيْسَ بِمَحْسُوسٍ مِنْ

[1]- سورة الشعراء، الآية:61-62.

[2]- وردت عبارة (قوم موسى) ثلاث مرات في القرآن الكريم: مرتان في سورة الأعراف، الآيتان:147-159. ومرة واحدة في سورة القصص، الآية:76.

[3]- سورة الزخرف، الآية:48.

[4]- سورة الزخرف، الآية:49.

[5]- سورة يوسف، الآية :23.

أَبْوَابِ الِاعْتِصَامِ فَحُذِفَتِ الْأَلِفُ لِذَلِكَ"[1]، وهذا يدل على الإتقان والتماسك والتلاحم بين أجزاء الأبواب، لتكون قوية ومحكمة على ما فيها.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَاباً شَدِيداً اَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَاتِيَنِّے بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾[2]، نجد ألفا زائدة في لفظة ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾، ولا شك أن هذه الزيادة في المبنى، قد تدل على الزيادة في المعنى، فالألف الزائدة أفادت – والله أعلم- التمهل والتفكير بروية قبل اتخاذ قرار ذبح الهدهد...، والذي يدلنا على هذا المعنى قول سيدنا سليمان عليه السلام ﴿لَيَاتِيَنِّے بِسُلْطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾، أي أنه لن يذبحه إلا بعد تمهل وتفكر، فلربما جاءه بدليل واضح ظاهر، يبين عذره، وسبب غيابه، وهذا ما حدث بالفعل، إذ لما حضر الهدهد، جاء بنبأ يقين، حيث أخبر سيدنا سليمان عليه السلام بامرأة تحكم مملكة سبأ، وهي بلقيس وقومها الذين يسجدون للشمس من دون الله، فأرسل إليهم سيدنا سليمان عليه السلام فورا، يأمرهم بالدخول في الإسلام، وإقرار العبودية لله وحده لا شريك له، ونأخذ من هذه القصة القرآنية عبرة مرتبطة بمنهج الأنبياء والرسل في التبين والتثبت في الأمور قبل اتخاذ القرارات، فهم عليهم الصلوات والسلام يتخذون القرارات بروية وحكمة وعلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدَ ـاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْماً وَقَالَا اَ۬لْحَمْدُ لِلهِ اِ۬لذِے فَضَّلَنَا عَلَيٰ كَثِيرٖ مِّنْ عِبَادِهِ اِ۬لْمُومِنِينَ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءٗ يَبْكُونَ﴾[4]، فقد اتفق كُتاب المصاحف على حذف الألف بعد واو الجماعة في لفظة (جاءوا)، لتتغير القاعدة اللغوية عندما تنقلب أحوال الناس بأبشع الأعمال وأجرمها، إذ يوحي حذف هذه الألف من الكلمة بنقص وقع في الجماعة، حين عاد الإخوة بدون أخيهم يوسف عليه السلام، وهو حذف يوحي بأنه مجيئ ليس على وجهه الحقيقي، وأنه مجيئ كاذب وباطل، ومثل هذا الحذف في آيات الذكر الحكيم دليل على حدوث خلل أو نقص ما في تصرف العباد، كالكذب، والتزوير، والظلم، والخيانة، والزور...، وما إلى ذلك من القيم الذميمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَيٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۖ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُۥٓ أَنفُسُكُمُۥٓ أَمْراٗۖ فَصَبْرٞ جَمِيلٞۖ وَاللَّهُ اُ۬لْمُسْتَعَانُ عَلَيٰ مَا

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 393/1.
[2]- سورة النمل، الآية:21.
[3]- سورة النمل، الآية:15.
[4]- سورة يوسف، الآية:16.

تَصِفُونَ ﴿١٨﴾[1]، فقد قرأ الجمهور لفظة (كَذِبٍ) بالجر، على أنها وصف لدم عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، أَوْ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ: ذِي كَذِبٍ، لَمَّا كَانَ دَالًّا عَلَى الْكَذِبِ وُصِفَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ الْكَذِبُ صَادِرًا مِنْ غَيْرِهِ[2]، وأيُّ كذبٍ. أي: ما أشده من دم كذبٍ مضلل خادع ومُلبس، يبعث على التصديق. وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: كَذِبًا بِالنَّصْبِ، فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَأَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجْلِهِ[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَلذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ إِفْتَرِيٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ـاخَرُونَۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً ﴿٤﴾﴾[4]، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ وَرَدُوا ظُلْمًا كَمَا تَقُولُ: جِئْتُ الْمَكَانَ فَيَكُونُ جَاءَ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ قَالَهُ الْكِسَائِيُّ، وَيَجُوزُ أَنْ يُحْذَفَ الْجَارُّ أَيْ بِظُلْمٍ وَزُورٍ وَيَصِلَ الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ. [...] ، وَالزُّورُ أَنْ يَبْهَتُوهُ بِنِسْبَةِ مَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ إِلَيْهِ[5]. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوٓاْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ أَلنَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٥﴾﴾[6]، والمعنى أنهم أَرَوُا الْعُيُونَ بِالْحِيَلِ وَالتَّخَيُّلَاتِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ[7]، فالمجيئ في هذه الآيات الكريمة كاذب وباطل، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ أَلذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ اُنزِلَ عَلَيْنَا أَلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۖ لَقَدِ إِسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً ﴿٢١﴾﴾[8]، فقد حذفت الألف بعد واو الجماعة في لفظة "عَتَوْا" للدلالة على أن فعلهم باطل.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اُسْكُنَ اَنتَ وَزَوْجُكَ أَلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ اِلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ أَلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَزَلَّهُمَا أَلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا اَهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي اِلَارْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ اِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾[9]، موطن الشاهد (فَأَزَلَّهُمَا)، وهي قراءة الجمهور بغير الألف مع تشديد اللام، بينما قرأ الحسن وأبو رجاء وحمزة

[1]- سورة يوسف، الآية:18.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 250/6.

[3]- نفسه، 250/6.

[4]- سورة الفرقان، الآية:4.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 82/8.

[6]- سورة الأعراف، الآية:115.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 133/5.

[8]- سورة الفرقان، الآية:21.

[9]- سورة البقرة، الآيتان: 34- 35.

(فأزالهما) بألف مع تخفيف اللام، ومعنى الإزالة: التنحية[1]. فاللفظة في قراءة الجمهور مأخوذة من (الزَّلَل)، يقال: زَلَّ عَنْ مَكَانِهِ زَلِيلًا وَزَلًّا [...] وَالزَّلَّةُ: الْخَطَأُ، لِأَنَّ الْمُخْطِئَ زَلَّ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ[2]. فالهمزة في الفعل للتعدية، والمعنى: جعلهما زلا بإغوائه، وحملهما على أن زلا وحصلا في الزلة[3]، فدلت بذلك قراءة الجمهور على أن الشيطان أكسبهما الزلة والخطيئة، فزين لهما تناول ما حظر عليهما جنسه (الشجرة المحظورة). وأما القراءة بالألف مع تخفيف اللام، فهي مأخوذة من الفعل (زال)، يقال: زَالَ الشَّيْءُ زَوَالًا، وَزَالَتِ الشَّمْسُ عَنْ كَبِدِ السَّمَاءِ تَزُولُ. وَيُقَالُ أَزَلْتُهُ عَنِ الْمَكَانِ وَزَوَّلْتُهُ عَنْهُ[4]، فدلت هذه القراءة على أن الشيطان أخرجهما مما كانا فيه من راحة وسكينة ونعيم وطمأنينة في الجنة، وقد فاضل الطبري بين القراءتين، وجعل قراءة الجمهور أولى بالصواب، قائلا: "وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: "فأزلَّهما"، لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه. وذلك هو معنى قوله "فأزالهما". فلا وجه - إذْ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج - أن يقال: "فأزالهما الشيطانُ عنها، فأخرجهما مما كانا فيه" فيكون كقوله :"فأزالهما الشيطان عنها، فأزالهما مما كانا فيه[5]، فهو يرى في هذه القراءة تكرارا لا وجه له، ولذلك وصفها بوصف لا يليق بها، مع العلم أنها قراءة سبعية متواترة، وكل حرف مقروء به له دلالته الخاصة في النظم القرآني، وبذلك يمكن القول بأن الفاء ها هنا للتفصيل، فالإزالة مطلق التنحية، والفاء في لفظة (فأخرجهما) فصلت هذه الإزالة، أي أن الشيطان أخرجهما مما كانا فيه من نعيم في الجنة، فالتكرير في هذا الموضع مفيد، وظيفته تفخيم القصة وتعظيمها بألفاظ مختلفة لتقوية الدلالة واتساعها، وبهذا يمكن الجمع بين القراءتين على سبيل الاتساع في المعنى، فنقول، بأن وقوعهما في الزلة والخطيئة، هو السبب في إبعادهما وتنحيتهما عن الجنة.

وفي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾[6]، موطن الشاهد لفظة (يُخادِعون)، فقد قرأ الجمهور: يخادعون الله، مضارع خادع. وقرأ عبد الله وأبو حياة يخدعون الله، مضارع خدع لمجرد[7]، وأصل الخدْع: الإخفاء والإيهام، وبذلك سميت الخزانة

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 260/1.

[2]- مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (زل)، 4/3.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 260/1.

[4]- مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (زال)، 38/3.

[5]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 525/1.

[6] - سورة البقرة، الآية:8.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 91/1.

المخدع، [....]، فَمِنْهُ خَدَعْتُ الرَّجُلَ خَتَلْتُهُ. وَمِنْهُ: "«الْحَرْبُ خُدَعَةٌ»" وَ "خُدْعَةٌ "[1]، فالخدع: أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُخفيه، وخدعه، أي: أَراد بِهِ الْمَكْرُوهَ وَخَتَلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ[2]، واستنادا إلى الدلالة اللغوية لهذه المفردة، فإن قراءة الجمهور بإثبات الألف موافقة للرسم تحقيقا، وتدل على أن هؤلاء المنافقين يخادعون أولياء الله وأنبياءه، وذلك بإظهار خلاف ما يبطنون، فكأنهم لما أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، صار ذلك بمنزلة الخداع، فكانت النتيجة أنهم يخادعون أنفسهم بما يمنونها من الأباطيل والوعود الكاذبة. قال أبو عمرو : "ليس أحد يخدع نفسه، وإنما يخادعها"[3]. وأما القراءة بحذف الألف، فهي موافقة للرسم تقديرا، وتدل على أن الخدْع وقع من جانب واحد، ذلك أن أهل اللغة يرون أن فَعَل وفَاعَل بمعنى واحد، لأن المفاعلة قد تكون من واحد كقولهم: عاقبت المجرمَ، وعليه يكون المعنى هو أن الخدْع وقع منهم خاصة، ويرجع عليهم بالعذاب والعقاب، وهم لا يشعرون بذلك جهلا منهم، فلا تجوز المفاضلة بين القراءتين، لأنهما منقولتان إلينا بالتواتر، وهما معا في أعلى مراتب البيان إيجازا وإعجازا، بالإضافة إلى ما في هذا الأسلوب القرآني البديع من المشاكلة والمطابقة بين اللفظين، وبذلك يمكن القول على سبيل التوسع الدلالي بأن القراءة بالألف (يخادعون) تدل على ما يجده المنافقون في أنفسهم من اضطراب وضيق، ولذلك يخادعون أنفسهم ويغرونها بالأماني، وأنفسهم كذلك تخادعهم، بينما القراءة بغير الألف (يخدعون) بشارة للمؤمنين بأن عمل المنافقين سينقلب عليهم لا محالة.

قُرئت لفظة (ساحر) بإثبات الألف الصريحة الوسطية، كما قرئت بحذفها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اَ۬للَّهُ يَٰعِيسَى اَ۪بْنَ مَرْيَمَ اَ۟ذْكُرْ نِعْمَتِے عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذَ اَيَّدتُّكَ بِرُوحِ اِ۬لْقُدُسِ تُكَلِّمُ اُ۬لنَّاسَ فِے اِ۬لْمَهْدِ وَكَهْلاًۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ اَ۬لْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَيٰةَ وَالِانجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَ۬لطِّينِ كَهَيْـَٔةِ اِ۬لطَّيْرِ بِإِذْنِے فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَٰٓئِراَۢ بِإِذْنِےۖ وَتُبْرِۓ اُ۬لَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ بِإِذْنِےۖ وَإِذْ تُخْرِجُ اُ۬لْمَوْتَيٰ بِإِذْنِےۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمُۥٓ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٢)﴾[4]، فقد قرأ حمزة والكسائي "ساحر" بألف، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر "سحر" بغير ألف[5]. فالتغيير في رسم الكلمة بالزيادة أو النقصان، يتبعه تغيير في حركة المعنى، إذ القرآن الكريم معجز

---

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 161/2.

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 8 /63.

[3] - الشامل في القراءات العشر، لغة وتفسيرا، وأسرارا، عبد القادر محمد منصور، ص:27.

[4]- سورة المائدة، الآية:112.

[5]- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ، ص:249.

بنظمه ورسمه، ولذلك فإن زيادة الألف ونقصانها سر من الأسرار التي خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فالقراءة بالمصدر وما يترتب عليها من إسناد اسم الفاعل "مبين" إلى ضميره إسنادا مجازيا؛ لأن السحر لا يبين، ولكنه يبان، فهذه القراءة تُشعر بأن الانبهار كان بالسحر نفسه، حتى صار في أعينهم كأنه قائم بذاته؛ من شدة تأثيره، وحذفت الألف لتهون من شأن الساحر وعمله. أما القراءة باسم الفاعل (ساحر)، فهي تدل على ذات الساحر، وتشعر بأن الانبهار كان به، لكن مهما بلغ شأنه، فإنه لا يفلح الساحر حيث أتى. والواضح أن القراءة بالمصدر أقوى دلالة على التأثر والانجذاب والتجاوب، ولا شك أن التفاوت في قوة الدلالة راجع إلى تعدد نواحي الاستجابة عند الناس. ومن منظور آخر، قد يكون "في الكلام تقدير حذف مضاف، أي: إن هذا إلا ذو سحر، فيكون مثل القراءة بالألف [...] ويجوز أن يكون ساحر بمعنى سحر، لأن الاسم قد يقع موضع المصدر"[1]، فالملاحظ أن كل قراءة حققت معنى، فحصل التداخل الحسن بين القراءتين في اكتمال الصورة المحققة للمقصود.

2. القراءة بحذف حرف التاء من المفردة القرآنية

وردت لفظة (تستطع) بالرسم العادي للكلمة في الحوار بين الخضر وموسى- عليهما السلام- في سورة الكهف، و من ذلك قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[2]، ثم قام هذا العبد الصالح يسرد كافة الأحداث التي مرت بهما، مبينا الأسرار الخفية التي جعلته يعيب السفينة، ويقتل الغلام، ويقيم الجدار، وكان من الطبيعي أن تأتي كلمة (تستطع) برسمها العادي متمشية مع سرد العبد الصالح لهذه الأحداث، وبيان ذلك لموسى عليه السلام بحكمة وروية وتؤدة، كما في الحوار بينهما في سورة الكهف، غير أنه وردت في القرآن الكريم كلمة (تسطع) بالرسم غير العادي للكلمة، حيث حذفت تاء الافتعال من هذه الكلمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنَ اَمْرِےۖ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[3]، فما السر في حذف هذا الحرف من الكلمة؟.

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 367/1.

[2]- سورة الكهف، الآية:77.

[3]- سورة الكهف، الآية:81.

يظهر لي – والله أعلم- أن هذه اللفظة وردت، في هذا الموضع، في سياق عجلة سيدنا موسى عليه السلام، وعدم قدرته على الصبر، فقد كان -عليه السلام- متعجلا، وغير صبور أثناء مصاحبته للعبد الصالح ليتعلم منه رشدا...، فناسب مبنى هذه الكلمة معنى السرعة وعدم القدرة على تحمل الصبر.

وفي السورة نفسها، نجد حذف هذا الحرف من الكلمة نفسها في سياق الحديث عن السد الذي أقامه ذو القرنين، ليحجز عن القوم إفساد يأجوج ومأجوج، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَّظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً﴾[1]، فقد قرأ الجمهور (فما اسطاعوا) بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء. وقرأ حمزة وطلحة بإدغامها في الطاء وهو إدغام على غير حده. [...]. وقرأ الأعشى عن أبي بكر: فما اصطاعوا بالإبدال من السين صادا لأجل الطاء. وقرأ الأعمش: فما استطاعوا بالتاء من غير حذف[2]. فأما قراءة الجمهور (فَمَا اسْطاعُوا) بالتخفيف، فقد جاءت على سبيل حذف تاء الافتعال تخفيفا، تفاديا لتلاقي الحرفين: الطاء والتاء، لتقاربهما في المخرج، إذ أصل الكلمة: (استطاعوا)، فأجري عليها هذا التغيير من أجل ما تقدم. وأما قراءة حمزة وطلحة بتشديد الطاء بعد السين (فما اسطّاعوا)، فهي على سبيل إبدال (تاء) الافتعال (طاء)، وإدغامها في الطاء التي هي فاء الكلمة، لأنهما أختان. وأما قراءة الأعشى عن أبي بكر، فقد وقع فيها إبدال السين صادا لأجل الطاء نظرا لتقاربهما في المخرج، مثل: لفظة الصراط، فالحذف الذي وقع في قراءة الجمهور يوحي بعجلتهم في صعود السد والقفز من فوقه، بالرغم من صعوبة الأمر، لعلوه وارتفاعه وملاسته، فهم عرضة للانزلاق، الأمر الذي يتطلب السرعة في التسلق... بخلاف الجملة القرآنية: (وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً)، أي: "لثخنه وصلابته"[3]، فلم يقع حذف التاء في هذا السياق، لأن الأمر يستلزم زمنا وتراخيا في الوقت، مثلما يستلزم وقتا في النطق بالتاء، فلما كان صعود السد أيسر من نقبه، وأخف عملا، خُفِّف الفعل للعمل الخفيف، فوقع حذف التاء في صعوده، وطُوِّل الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الشديد الطويل، فوقع إثبات التاء في نقبه. فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب[4]. فكان مبنى الكلمة في كل سياق موحيا ومبينا للمعنى المقصود.

---

[1]- سورة الكهف، الآية:93.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 228/7.

[3]- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، 67/7.

[4]- ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 324/2-323. (بتصرف).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ امْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحاً وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَلْقَوِيُّ أَلْعَزِيزُ ﴿٦٥﴾ وَأَخَذَ أَلذِينَ ظَلَمُواْ أَلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِيٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[1]، فقد ورد الفعل (أخذ) بحذف حرف التاء في سورة هود، بينما تم إثباتها في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ أَلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنَ اَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ إِيتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ أَلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ أَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2]، فما السر في ذلك؟.

إذا تأملنا الآيتين الكريمتين من سورة هود، نجد أن الله تعالى ذكر (الخِزي)، وهو لفظ مذكر، فناسبه تذكير الفعل (أخذ)، والتذكير في العقوبات أشد بدليل قوله تعالى: ﴿اِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَلْقَوِيُّ أَلْعَزِيزُ﴾[3]، فذكر إنزال العقوبة لهم بالواو في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ أَلذِينَ ظَلَمُواْ أَلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِيٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[4] تأجيلا لهم في العقوبة بسبب ظلمهم، بخلاف ما في سورة الأعراف، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ أَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِے دِارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[5]، فقد جاء بالفاء للدلالة على سرعة إنزال العقوبة، وعدم المهلة في الإنظار[6]. فالسياق القرآني هنا بَيَّن أن قوم صالح عليه السلام عقروا ناقة الله، وعتوا عن أمر ربهم، وكذبوا صالحا عليه السلام الذي أراهم هذه الآية، فتحدوا نبيهم بتعجيل العقوبة لهم، إن كان حقيقة من المرسَلين، فاستجاب الله لهم، فناسبت الفاء الدالة على عدم الإمهال السرعةَ في العقاب بسبب ظلمهم.

3. القراءة بحذف الياء وإثباتها في آخر المفردات القرآنية:

يعد حذف الياء في النص القرآني أمرا صعبا في الكتابة القرآنية لعدة عوامل مرتبطة بحذف الياء، من جازم، والتقاء ساكن، وتنوين،...، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسيٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَيٰٓ أَن تُعَلِّمَنِۦ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[7]، فقد وردت كلمة (تُعَلِّمَنِ) ثلاث مرات في القرآن الكريم بحذف ياء المتكلم،

---

[1]- سورة هود، الآيتان: 65-66.

[2]- سورة الأعراف، الآيتان: 76-77.

[3]– سورة هود، الآية: 65.

[4]– سورة هود، الآية: 66.

[5]- سورة الأعراف، الآية: 77.

[6]- التعبير القرآني، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني (1)، الدكتور فاضل صالح السامرائي، (د.ط)، (د.ت)،ص: 83.

[7]- سورة الكهف، الآية:65.

مع وضع الكسرة دليلا عليها، لتوحي بسرعة النطق، وشدة الرغبة في التعلم، ولذلك جاء تعقيب العبد الصالح على قول موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1]، لأنه لاحظ شدة حرصه على التعلم الذي يحتاج صبرا وجهدا، وإلحاحه في الطلب الذي يدل على السرعة والعجلة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[2]، فقد وردت لفظة (أَتُمِدُّونَنِ) بحذف ياء المتكلم للدلالة على سرعة رفض هدايا بلقيس، فقد أنكر سيدنا سليمان ذلك، لأنه لا تُغريه ملذات الدنيا ومتاعها الفانية، وقد أتاه الله خيرا كثيرا، فقد أعطاه الملك، وسخر له الجن والإنس...، ولذلك لا يريد منهم الهَدايا، ولكن يريد لهم الهِداية والإيمان، فلا يشغله عليه السلام إلا نشر دين الله، لأن عطاء الله خير له من عطاء البشر. و من مواطن حذف الياء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[3]، حذفت الياء من لفظة (التَّنَادِ)، لأنه تناد في الآخرة، مختلف عن التنادي في الدنيا، ذلك أن حكم يوم القيامة هو حكم خاص، تختلف فيه كل الأمور المحسوسة التي عرفها الناس في الدنيا، فقد تبدلت الأرض والسماوات، وبرز الناس للحساب والجزاء، فاختلفت كل الموازين والمعهودات لشأن يوم عظيم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[4].

خلاصة القول، فإن الرسم القرآني أحد مظاهر الإعجاز القرآني، كما رأينا من خلال هذه الآيات القرآنية، إذ مبنى المفردة القرآنية داخل التركيب القرآني يوحي إلى تعدد المعاني والدلالات، مما يدل على أن وجوه الإعجاز القرآني متعددة ومتنوعة، فهو معجز في رسمه، لأن كل زيادة ونقصان في بعض كلماته، فلأجل غايات ولطائف وأسرار ربانية، لا يمكن أن يحققها إلا هذا الرسم، كما أنه معجز بأسلوبه ونظمه وألفاظه...، معجز في بنائه ودلالاته، معجز في تشريعاته وأحكامه وأخباره...، وهذا ما أراده الله تعالى لكتابه العزيز، فقد أعجز العرب، وقد بلغوا ذروة سامية في البيان والبلاغة والأدب، - حتى وصفوا برؤساء صناعة الخطب والبلاغة والشعر - فهذا عتبة بن أبي سفيان يصف كلامهم بقوله:" إن للعرب كلاما هو أرقّ من الهواء، وأعذب من الماء، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيّها، بكلمات مؤتلفات، إن فسّرت بغيرها عطلت، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت؛ فسهولة ألفاظهم توهمك أنها

---

[1]- سورة الكهف، الآية:66.

[2]- سورة النمل، الآية:37.

[3]- سورة غافر، الآية:32.

[4]- سورة طه، الآية:105.

ممكنة إذا سمعت، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت"[1]، ورغم ذلك تحداهم القرآن الكريم فيما نبغوا فيه، فوقف الإنس والجن أمام هذا التحدي مذهولين مع أنه مكتوب من نفس الحروف والكلمات التي ينظمون بها، إنه كتاب عظيم يستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

يمكن أن نستنتج من هذا المطلب مجموعة من النتائج أهمها:

- إن هناك فرقا بين قواعد الرسم القرآني وقواعد الرسم القياسي، الإملائي.
- إن الرسم القرآني جزء من ذاتية القرآن الكريم، ومظهر من مظاهر إعجازه.
- إن الرسم القرآني يحمل في طياته أسرارا ولطائف ربانية خفية، منها ما يمكن إدراكه، ومنها ما استأثر الله عز وجل بعلمه.
- إن هذه الإشارات الواردة في مرسوم القرآن الكريم، يمكن الركون إليها لمعرفة بعض المعاني والدلالات التي من شأنها أن تساعدنا في معرفة بعض المقاصد والأسرار الربانية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإبدال في الحروف وعلاقته بالمعنى

الإبدال في اللغة مصدر قولك: أبدلت كذا من كذا، إذا أقمته مقامه، والأصل فيه جعل شيء مكان شيء آخر، وهو عند المحققين من علماء اللغة، ظاهرة صوتية شائعة بين اللغات، تتحقق "بإقامة حرف مكان حرف آخر غيره لدفع الثقل، إما ضرورة، وإما صنعة واستحسانا"[2]، فالأصل في الإبدال حسب هذا التعريف أن يكون فيما تقارب وتدانى من الحروف سواء أكانت الضرورة شعرية أو صرفية، أو لأجل الصنعة والاستحسان اللذين يتحققان في المماثلة الصوتية بين الحروف والحركات، وقد يكون هذا الأمر قائما على تداخل اللغات واختلاف اللهجات نتيجة التطور الصوتي، فحينما تروي المعاجم للكلمة صورتين أو نطقين، فإن ذلك يمكن تفسيره على أن إحدى الصورتين أصل والأخرى فرع لها، أو تطور عنها، وهذا التطور محكوم بوجود علاقة صوتية بين الحرفين، المبدل والمبدل منه من قرب في الصنعة أو قرب في المخرج[3]، ويرى ابن جني (ت: 392هـ) أنه إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، فيكون من قبيل الإبدال، وإلا فهو من قبيل اختلاف اللهجات[4]. وقد ناقش اللغويون المحدثون هذا الحكم المبني على الأصالة والفرعية، فوجدوا أن أكثر صور الإبدال ضرب من التطور

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: 453هـ)، دار الجيل، بيروت، 684/3.

[2]- التعريفات، أبو الحسن الشريف الجرجاني، ص:13.

[3]- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1985م، ص:75.

[4] - الخصائص، ابن جني، 84/2.

الصوتي الذي يدخل في اختلاف اللهجات[1]، والغرض منه هو إرادة الخفة والمجانسة، لأنه يروم التقريب بين صوتين متجاورين، لكي لا يبذل الناطق جهدا في عملية النطق. وتنقسم الحروف باعتبار المبنى والمعنى إلى قسمين، وهما:

- **حروف المباني:** وهي ما كانت من بنية الكلمة، أي حروف الهجاء التي تتركب منها الكلمة.
- **حروف المعاني:** وهي التي تربط بين أجزاء الكلام، وتدل على معان، لكن هذه المعاني لا تظهر إلا إذا انضمت إلى غيرها.

1. **الإبدال بين حروف الكلمة في القراءات القرآنية:**

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾[2]،

موطن الشاهد في هذه الآية الكريمة: لفظة: ادكر: وهي بمعنى التذكر، إذ أصلها: اذتكر، ولكن التاء منها أبدل ذالا، وأدغمت الذال في الدال، فصارت اللفظة (ادَّكر)، وهي قراءة الجمهور. وقرأ الحسن: واذكر بإبدال التاء ذالا، وإدغام الذال فيها يجوز في اللغة، والأجود الدال[3]. ويظهر أن التاء حرف مهموس ضعيف في أصله، ويقرب من مخرج الدال الذي في أصله صوت شديد مجهور، ولذلك أدغم فيه إدغاما سهلا ليعمل اللسان عملا واحدا بالحروف القوية المتفقة في الصفة. قَالَ الْفَرَّاءَ: حَدَّثَنِي الْكِسَائِيُّ عَنْ إِسرائيل عَنْ أَبي إِسحاق عَنِ الأَسود قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ فَهَلْ مِنْ مُذّكِرٍ ومُدَّكِرٍ، فَقَالَ: أَقرأَني رسولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُدَّكِرٍ، بِالدَّالِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: ومُدَّكر فِي الأَصل مُذْتَكِر عَلَى مُفْتَعِل فَصُيِّرَتِ الذَّالُ وَتَاءُ الِافْتِعَالِ دَالًا مُشَدَّدَةً، قَالَ: وَبَعْضُ بَنِي أَسد يَقُولُ مُذَّكِر فَيَقْلِبُونَ الدَّالَ فَتَصِيرُ ذَالًا مُشَدَّدَةً[4]. وقد يكثر البدل حتى يتوهمه أهل اللغة أصلا، ومن ذلك قلبهم الذال دالا في "ادكر " وما تصرف منه نحو: يدكر ومدكر وادكار وغير ذلك: تدرجوا من هذا إلى غيره بأن قلبوها دالًا في غير بناء افتعل[5]، فالدكر بالدال، حكاه سيبويه[6]، والقياس: الذكر بالذال المعجمة، ولكن لما كثر تصرف الكلمة بالدال، وكثر جريانها على ألسنة الناس، صار ذلك أصلا كما في قول الشاعر ابن مُقْبِل: [من بحر البسيط]

---

[1] - من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص:75.

[2]- سورة يوسف، الآية :45.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 284/6. وينظر أيضا تهذيب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 78/3.

[4] - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مادة (دكر)، 290/4.

[5]- الخصائص، ابن جني، 352/1.

[6]- الكتاب، سيبويه، 477/4.

يَا لَيْتَ لِي سَلْوَةً يُشْفَى الْفُؤَادُ بِهَا *** مِنْ بَعْضِ مَا يَعْتَرِي قَلْبِي مِنَ الذِّكَرِ[1].

وقد يكون هذا البدل أيضا ناتجا عن الاختلاف في اللهجات، وذلك لتقارب الصوتين في الصفات، كما قالوا: لحم خَرادِل وخَراذِل[2]، والمعنى الجامع لهما أنهما مجهوران متقاربان[3]. ومن حيث المعنى، فقد أشار صاحب البحر المحيط إلى أن لفظة: أمة: تعني تذكر ما سبق له مع سيدنا يوسف عليه السلام بعد مدة طويلة[4]، فيكون الإدغام الذي وقع في اللفظة دليل على إعمال الشدة والقوة في التذكر، لأن هذا التذكر وقع بعد حين أو نسيان لمدة طويلة.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝﴾[5]، فقد قرأ جمهور القراء بكسر الغين ورفع التاء،[...] وقرأ بعضهم: غشاوة بالعين المهملة المكسورة والرفع من العشي، وهو شبه العمى في العين[6]. فلاشك أن هذا الإبدال بين الغين والعين من اختلاف اللهجات، وهو ناتج عن التقارب في المخرج والصفات، فهما حرفان من حروف الحلق، فالعين مجهور بين الشدة والرخاوة منفتح مستفل، والغين مجهور رخو منفتح مستعل[7]، وبالنظر في بعض المعاجم اللغوية العربية نجد أن الأصل اللغوي (غشى) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. يُقَالُ غَشَّيْتُ الشَّيْءَ أُغَشِّيهِ. وَالْغِشَاءُ: الْغِطَاءُ. وَالْغَاشِيَةُ: الْقِيَامَةُ، لِأَنَّهَا تَغْشَى الْخَلْقَ بِإِفْزَاعِهَا[8]، فالغشاء ما غطى الشيء وعلاه فغمره وستره، وبذلك يكون المعنى في القراءة بالغين (غشاوة) أن الله سبحانه وتعالى أخبر نبيه محمد ﷺ عن الذين كفروا من أحبار اليهود أنه ختم على قلوبهم، وطبع عليها، فلا يعقلون لله تعالى موعظة، [...] وأعلمه مع ذلك أنّ على أبصارهم غشاوةً عن أن يُبصروا سبيل الهُدَى، فيعلموا قُبْحَ ما

[1]- السلوة: النسيان. يعتري: يصيب. فالشاعر يتمنى أن ينسى قليلا فؤاده حتى يشفى مما به من آلام ذكر المحبوب. ينظر، سر صناعة الإعراب، لابن جني، 199/1.

[2] - خرادل/ خراذل: أي مقطَّع، جمع خردلة وخرذلة.

[3] - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، 280/1.

[4]- قرئت لفظة (أمة) بعدة قراءات، فتحت المجال واسعا أمام تعدد المعاني، فقد قرأ الأشهب العقيلي: بعد إمة بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل. وقال ابن عطية: بعد نعمة أنعم الله بها على يوسف في تقريب إطلاقه [...]الأمة النعمة، والحال الحسنة. وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وشبيل بن عزرة الضبعي، وربيعة بن عمرو: بعد أمه بفتح الهمزة، والميم مخففة، وهاء، وكذلك قرأ ابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، واختلف عنهم. وقرأ عكرمة وأيضا مجاهد، وشبيل بن عزرة: بعد أمه بسكون الميم، مصدر أمه على غير قياس. ينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 284/6.

[5] - سورة البقرة، الآية:6.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 1/81-82.

[7]- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ص: 135- 136.

[8]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 425/4.

هم عليه من الضلالة والرَّدَى[1]، وقد يراد من هذه الآية الكريمة تشبيه حال هؤلاء الذين كفروا به بحال الذي على بصره غشاوة، فلم يبصر الحق، والوصف بكون الغشاوة على أبصارهم بمنزلة العمى، لأنه في هذه الحالة لا يصح به إبصار. والله تعالى أعلم. وأما القراءة بالعين المهملة (عِشاوة، عُشاوة، عَشاوة)، وكذلك بالحركات الثلاث مع إسقاط الألف (عِشوة، عُشوة، عَشوة)، وكلها لغات، فإننا وجدنا في المعاجم اللغوية العربية أن لفظة (العشا) مقصور معناه: سوءُ البَصَرِ بالليلِ والنهارِ، يكونُ فِي الناسِ والدَّوابِّ والإِبلِ والطَّيرِ، وَقِيلَ: هُوَ ذَهابُ البَصَرِ؛ حَكَاهُ ثَعْلَبٍ، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَهَذَا لَا يصحُّ إِذَا تأَمَّلته، وَقِيلَ: هُوَ أَن لَا يُبْصِر بِاللَّيْلِ، وَقِيلَ: العَشَا يكونُ سُوءَ البصَرِ مِنْ غيرِ عَمًى، ويكونُ الَّذِي لَا يُبْصِرُ باللَّيْلِ ويُبْصِرُ بالنَّهارِ[2]، وبذلك يكون المعنى حسب هذه القراءة، عدم تمكنهم من رؤية الحق والهدى لسوء البصر أو الضعف الذي فيه، فإذا كان المانع من رؤية الحق والهدى في قراءة الجمهور سببا خارجيا، وهو الغطاء الذي على أبصارهم، فإن المانع في القراءة بالعين المهملة سبب داخلي ناشئ من العين نفسها، وهو ثابت ملازم للإنسان. وأما عن اختلاف المعنى في القراءة بالرفع والنصب، فسيأتي الحديث عنه في الإبدال بين الحركات الإعرابية إن شاء الله تعالى.

<u>النموذج الثالث</u>:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[3]، موطن الشاهد لفظة (ننجيك)، فقد قرأ الجمهور ننجِّيك بتشديد الجيم، وقرأ يعقوب: نُنجِيك مخففا مضارع أنجى. وقرأ أبي، وابن السميقع، ويزيد البربري: ننحيك بالحاء المهملة من التنحية[4]. فالملاحظ أن القراءة بالجيم يحتملها الرسم القرآني تحقيقا، والقراءة بالحاء المهملة يحتملها الرسم تقديرا، فالجيم مجهورة شديدة منفتحة مستفلة مقلقلة، [...] والحاء مهموسة رخوة منفتحة مستفلة[5]، ويدل الأصل الثلاثي (نجا) في المعاجم اللغوية على النجاة والنجوة من الأرض، وهي التي لا يعلوها سيل، [...] كأنه لما نجا من السيل، فكأنه الشيء الذي ينجو من شيء بذهاب عنه[6]، وبذلك يدل معنى القراءة بالجيم على النجاة بمعنى نُبْعدك ممَّا وقع فيه قومُك مِنْ قعر البحر وهو تهكُّم بهم، أو مِنْ

[1]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 266/1.

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 56/15.

[3]- سورة يونس، الآية: 92.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 103/6.

[5]- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ص، ص:115-117

[6]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 1015

ألقاه على نَجْوة أي: رَبْوة مرتفعة، أو مِن النجاة وهو التَّرْكُ أو من النجاء وهو العلامة[1]، وذلك ليكون آية لمن خلفه، وكلُّ هذه المعاني المذكورة لائقة بهذه القصة القرآنية.

وأما القراءة بالحاء المهملة (نُنَحِّيك)، فتدل على التنحية، وقد روي عن ابن مسعود أي: نلقيك بناحية مما يلي البحر، وقال كعب: رماه البحر إلى الساحل كأنه ثور[2]، ليراه بنو إسرائيل، فيعرفوا أنه قد مات، فالقراءتان تكشفان دلاليا عن حال فرعون، وهو ميت ملقى بساحل البحر عريانا، نجَّاه الله من الغرق، وألقاه بالساحل ليكون آية لمن خلفه، لأنه كان طاغيا، فاسدا في الأرض، عبده قومه مدعيا أنه إله، فبين الله أمره في هذه الآية الكريمة.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾[3]، فقد قرأ الجمهور ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾، وقرأ ابن مسعود "عَتَّى حِينٍ" استنادا إلى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4]، فالعرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج، كقولهم: بُحْثِر ما في القبور؛ أي: بعثر، وضبعت الخيل؛ أي: ضبحت[5] [...]، فعلى هذا يكون عتَّى وحتَّى؛..."[6]، فالقراءة بالحاء دالة على ما يفيده الجرس الصوتي للحاء، إذ لولا بحة الحاء، لكانت عينا، وإنما كانت ذات بحةٍ لهمسها وجهر العين[7]، فيكون المعنى: وضع سيدنا يوسف عليه في السجن على نحو فيه جفاء وإلحاف، حتى يحيف ويجور عليه الزمن، فيذهب عنه رغده وحسنه وجماله. وأما القراءة بالعين، فهي دالة على ما يفيده الجرس الصوتي للعين، إذ من خصائصه النطقية، أنه مجهور بين الشدة والرخاوة[8]، فيكون المعنى: إدخاله إلى السجن على نحو فيه تعنيت له، وحمل شديد عليه، حتى يفقد ذاكرته، فيصير في غيبة عن وعيه، ويصبح معتوها فاقدا عقله.

1- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، 266/6.

2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 103/6.

3- سورة يوسف، الآية: 35.

4- رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه سمع رجلًا يقرأ: "عَتَّى حِينٍ" فقال: مَن أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن، فجلعه عربيًّا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام. ينظر المحتسب لابن جني، ص:343/1.

5- ضبحت الخيل: أسمعت من أفواهها صوتًا ليس بصهيل ولا حمحمة، وَقِيلَ: تَضْبَحُ تَنْحِمُ، وَهُوَ صَوْتُ أنفاسها إِذا عَدَوْنَ. ينظر لسان العرب، لابن منظور، 523/2.

6- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، 343/1.

7- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني، 83/1.

8- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ص: 135.

النموذج الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٥﴾﴾[1]، يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه اصطفى طالوت ملكا في بني إسرائيل، وكان طالوت يومئذ أعلم رجل، وأجمله وأتمه، بما أعطاه الله من السعة في العلم والجسم، وهو الوصف الذي لا شيء أشرف منه، والفعل اصطفاه: بمعنى اختاره ملكا، وهو على وزن (افتعل) من الصفوة، فالأصل في هذه اللفظة (اصتفاه)، فأبدلت التاء طاء، لأنها وقعت بعد الصاد، ولأن التاء من مخرج الطاء، ومسوغ هذا الإبدال أن الصاد والطاء مطبقان، ولذلك أبدلوا الطاء من التاء، ليسهل النطق بما بعد الصاد.

موطن الشاهد لفظة (بسطة)، فقد قرأها بالسين، أبو عمرو، وابن كثير، وقرأها بالصاد نافع، وابن كثير، رواية النقاش، وزرعان، والشموني[2]، فالقراءة بالسين هي الأصل، وهي موافقة للرسم القرآني تحقيقا، نقول: بسط: والباسط من أسماء اللَّهِ تَعَالَى: الباسطُ، هُوَ الَّذِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ وَيُوَسِّعُهُ عَلَيْهِمْ بجُوده وَرَحْمَتِهِ ويبسُط الأَرواح فِي الأَجساد عِنْدَ الْحَيَاةِ. والبَسْطُ: نَقِيضُ القَبْضِ، بسَطَه يبسُطه بَسْطاً فانبسَط وبَسَّطَه فتبَسَّط، [...] والبَسْطةُ: الْفَضِيلَةُ[3]. قَالَ الزَّجَّاجُ: أَعلمهم اللَّهَ أنه اختاره، وأنه قد زيد في العلم والجسم بَسْطَةً، وأعلمهم أن الْعِلْمَ [هو] الَّذِي بِهِ يَجِبُ أَن يقَع الاخْتيارُ، ليس أن الله جل وعز: لا يُملِّك إلا ذا مال، وأَعلم أَن الزِّيَادَةَ فِي الْجِسْمِ مِمَّا يَهِيبُ به العَدُوُّ[4]. والبَسْطةُ: الزِّيَادَةُ. والبَصْطةُ، بِالصَّادِ: لُغَةٌ فِي البَسْطة[5]، إنما أُبدلت الصاد من السين التي هي الأصل في اللفظ، للموافقة بين الصاد والطاء التي بعدها في الاستعلاء والإطباق. والبَسْطةُ: السَّعةُ، وَفُلَانٌ بَسِيطُ الجِسْمِ وَالْبَاعِ. وامرأَة بَسْطةٌ: حسَنةُ الجسمِ سَهْلَتُه، وظَبْية بَسْطةٌ كَذَلِكَ[6]. وقيل: زاده الله بسطة في العلم والجسم أي: في العلم بالحروب، والظاهر علم الديانات والشرائع، وقيل: قد أوحي إليه ونبىء، وأما البسطة في الجسم فقيل:

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 245.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 576/2.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 258/7-260.

[4]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالزجاج، 215/1

[5]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 260/7.

[6]- نفسه، 260/7.

أريد بذلك معاني: الخير، والشجاعة، وقهر الأعداء، والظاهر أنه: الامتداد، والسعة في الجسم[1]، وكل هذه المعاني يحتملها سياق هذه المفردة داخل الآية الكريمة على سبيل الاتساع في المعنى.

2. **الإبدال بين حروف المعاني في القراءات القرآنية**

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اِ۬للَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اِ۬لسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلهِ اِ۬لذِے يُخْرِجُ اُ۬لْخَبْءَ فِے اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اَ۬للَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ اُ۬لْعَرْشِ اِ۬لْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[2]، موطن الشاهد ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾، فقد قرأ جمهور القراء بتشديد اللام من لفظ (أَلاَّ)، وقرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس عن يعقوب بتخفيف اللام، و قرأ الأعمش بقلب الهمزة هاء (هلا تسجدون)، بمعنى: ألا تسجدون؟ على الخطاب، وذلك في حرف عبد الله، و قرأ أُبَيّ (أَلاَ يسجدون)[3]، فوجه القراءة بالتشديد عند الجمهور أن لفظ (أَلاَّ)، أصله (أَنْ لاَ)، فأدغمت النون في اللام، والفعل (يَسْجُدُوا) منصوب ب "أَنْ"، و "أن" وما بعدها في موضع مفعول ﴿ يَهْتَدُونَ﴾، و(لَا) زائدة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِ۟سْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ اَ۬لسَّٰجِدِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذَ اَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِے مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١١﴾﴾[4]، أي ما منعك يا إبليس من السجود لآدم، فيكون المعنى على هذا الوجه: أنهم لا يهتدون إلى السجود لله عز وجل، ولا يعلمون أن ذلك واجب عليهم. وقد قدر العلماء لهذه القراءة وجوها من الإعراب، فتحت لنا آفاقا واسعة في الفهم، ومنها:

- **الوجه الأول**: جواز أن تكون "أَنْ" وما بعدها في تأويل مصدر وقع بدلا من قوله تعالى: ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وما بينهما جملة اعتراضية، كأنه قيل: وزين لهم الشيطان عدم السجود لله تعالى.
- **الوجه الثاني**: جواز أن تكون بدلا من ﴿ اِ۬لسَّبِيلِ﴾ على زيادة "لا"، والتقدير: فصدهم عن السجود لله تعالى.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 575/2.

[2]- سورة النمل، الآيات: 24-25-26.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 337/2.

[4]- سورة الأعراف، الآيتان: 10-11.

- **الوجه الثالث**: جواز أن تكون "أَنْ" وما بعدها مفعولا له، ومتعلقها ﴿ فَصَدَّهُمْ﴾، ويكون المعنى: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لله تعالى.
- **الوجه الرابع**: جواز أن يكون قوله تعالى: ﴿أَلاَّ يَسْجُدُواْ﴾ في محل نصب على أنه مفعول لأجله، والمعنى: زين لهم الشيطان أعمالهم من أجل أن يتركوا السجود لله تعالى.
- **الوجه الخامس**: جواز أن يكون المصدر المؤول من أن والفعل في محل رفع خبر مبتدأ محذوف، فيكون المعنى: دأبهم عدم السجود لله تعالى[1].

ويستحب في هذه القراءة أن يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. أما من قرأ بتخفيف اللام ﴿ أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾، فعلى سبيل أن (ألاَ) للاستفتاح، و "يا" قيل: حرف تنبيه، وجُمع بينه وبين الاستفتاح للتأكيد، وقيل: إن الياء حرف نداء والمنادى محذوف تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا، أي: افعلوا السجود[2]. قال الإمام الكسائي: " ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر[3]. وهنا يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ كاف[4]، والابتداء بقوله: ﴿ أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾. وللقارئ أن يقف ابتلاء أي امتحانا على (ألا)، ثم يبدأ (يَا اسْجُدُوا). وأيضا له أن يقف على (أَلَا يَا) ثم يبدأ بقوله: (أُسجدوا) بضم همزة الوصل[5]. والملاحظ أن التعبير القرآني تحول من الإخبار في القراءة بالتشديد إلى الأمر والاستفهام في القراءة بالتخفيف، ولا شك أن العدول من الخطاب إلى الغيبة، وتباين الأسلوب بين الإخبار والأمر والاستفهام ذو فوائد بلاغية كثيرة، فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يدرك أن لكل أسلوب مقاما يقتضيه. وعليه فإذا كانت القراءة بالتشديد ذم لبلقيس وقومها الذين يسجدون للشمس من دون الله، حيث زين لهم الشيطان أعمالهم، وصدهم عن السبيل، فتركوا السجود لله تعالى، فإن القراءة بالتخفيف أفادت الأمر بالسجود على سبيل الإلزام، والاستفهام دال على التوبيخ في قراءة الأعمش، فيتغير التعبير القرآني حسب طريقة أداء الآية القرآنية بنغمة معينة، تشعرنا بهذا الأمر أو الاستفهام، وهو ما يسمى عند علمائنا العرب بالتنغيم الذي يقوم في الكلام المنطوق مقام العلامات في الكلام

---

[1]- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد (ت: 370هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عيد مصطفى درويش، والدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى: 1412هـ/1991م، 238/2.

[2]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 307/5.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 186/13.

[4]- الوقف الكافي: وهو الذي يحسن القطع عليه، ويحسن الابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به معنى لا لفظا، فهو منقطع لفظا متصل معنى. ينظر النشر في القراءات، لابن الجزري، 228/1.

[5]- المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني، ص:429.

المكتوب، فكان لهم فضل السبق إلى دراسة هذا التلون في الأسلوب القرآني، مما جعلهم يأخذون بالفحوى واللوازم والدلالات البعيدة.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٦ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٧ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩٨ ۞﴿ثمن﴾ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٩٩ ﴾[1]، موطن الشاهد ﴿ أَوَ أَمِنَ ﴾، فقد قرأ الحرميان وابن عامر بإسكان الواو من "أوْ"، غير أن ورشا يلقي حركة الهمزة من "أمن" على الواو من "أو" على أصله، وقرأ الباقون بفتح الواو، وبهمزة بعدها[2]، فأما قراءة من فتح الواو من﴿ أَوَ ﴾، فعلى أنها واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام التي أفادت الإنكار، وما يقوي وجه هذه القراءة أن الحرف الذي قبله والذي بعده، وهو" الفاء" دخلت عليه همزة الاستفهام، فحمل وسط الكلام على ما قبله وما بعده للمشاكلة والمطابقة في اتفاق اللفظ في دخول همزة الاستفهام، وهو الاختيار، لأن عليه الجماعة[3]، فالمعنى على هذه القراءة، أفأمنوا مجموع العقوبتين: إتيان العذاب ليلا، وإتيانه ضحى. وأما قراءة من أسكن الواو، أنه جعل (أوْ) حرف عطف، فيكون المعنى في هذه القراءة على ثلاثة وجوه، وهي:

- **الوجه الأول:** دلالة حرف العطف (أوْ) على التقسيم والتنويع، فيكون المعنى: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات، إتيان العذاب ليلا أو إتيانه ضحى، وبذلك نلمح في الآيات الكريمات إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين.
- **الوجه الثاني:** دلالة حرف العطف (أوْ) على الإباحة والتخيير، فيكون المعنى: أفأمنوا هذه الضروب من العقوبات، أي: إن أمنتم ضربا منها، لم تأمنوا الضرب الآخر.

---

[1]- سورة الأعراف، الآيات:96-97-98-99.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 411/1.

[3]- نفسه، 412/1.

- **الوجه الثالث:** احتمال أن يكون حرف العطف (أوْ) بمعنى (أمْ) التي يعود مدلولها أيضا إلى معنى (بل) التي للإضراب، لا على أنه أبطل الأول، أي: للإضراب عن الأول، وعدم إبطال الثاني، وإنما جاء هذا ليبصروا ضلالتهم، فكأن المعنى: أأمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ عليهم[1].

وبإمعان النظر في القراءتين نلمح تنوع الدلالة تبعا لاختلاف حروف المعاني، فعلى قراءة الجمهور نجد أن الهمزة للاستفهام الإنكاري دخلت على واو العطف، فأفادت استواء هذه الضروب من العذاب. وأما القراءة بإسكان الواو، فقد أفادت الخبر بإتيان العذاب ليلا أو ضحى.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتُلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٤٧﴾﴾[2]، موطن الشاهد لفظة ﴿ إِنَّكَ﴾، فقد قرأ الجمهور بكسر الهمزة، وقرأ الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما على المنبر والكسائي بفتحها على معنى لأنك[3]، فأما وجه القراءة بالكسر، فإنها جاءت على سبيل الاستئناف المفيد للعلة، أو الاستئناف على جهة الحكاية، أي: محكي بالقول المقدر، أي: خذوه واعتلوه إلى الجحيم، وقولوا له ما كان يزعمه استهزاء وتقريعا على ما كان يدعيه في الدنيا من العزة والكرم، أو يقال له: من أنه عزيز كريم، فالمخاطب في الآية الكريمة هو أبو جهل اللعين، وقد روي أنه كان يدعي العزة والكرم في قومه، فخاطبه الله تعالى قائلا: ذق العذاب، إنك أنت العزيز الكريم، وهذا على سبيل التهكم والهزء لمن كان يتعزز ويتكرم على قومه[4]. فجاء التنزيل على حكاية ما كان يزعمه في الدنيا وما يقال له. وأما وجه القراءة بالفتح، فعلى سبيل تقدير لام التعليل، والمعنى: ذق الآن هذا العذاب، لأنك أنت العزيز الكريم إلى نفسك في دعواك، أما عندنا فلست عزيزا ولا كريما، فدل هذا التعبير القرآني على التعريض في التهكم والهزء بعلاقة الضدية، إذ المقصود عكس مدلوله، أي: أنت الذليل المهين، ولذلك جاء التأكيد للمعنى التهكمي[5].

يتضح لنا إذن، أن القراءة بكسرة الهمزة ﴿إِنَّكَ﴾ أفادت ما كان يزعمه أبو جهل في الدنيا، وما يقال له، فكان مآله العذاب والتوبيخ والتقريع، نتيجة لما كان يدعيه، ثم جاءت القراءة بفتح الهمزة

---

[1]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (ت377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، 55/4.

[2]- سورة الدخان، الآيات: 44-45-46-47.

[3]- روح المعاني، الألوسي، 132/13.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 408/9.

[5]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، 167/6.

لتدل على هذا العذاب قولا وفعلا، وتؤكد هذا المعنى التهكمي، فالعبرة المستفادة من الآية الكريمة: أن العزة والكرم لله سبحانه وتعالى.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1]، فالحرف ﴿لكن﴾[2] في الآية الكريمة وقع بين النفي والإثبات، إذ قرئ هذا الحرف بالتشديد، فيجب إعماله، وهي قراءة نافع وعاصم وابن كثير وأبي عمرو. وقرئ: بتخفيف النون ورفع ما بعدها بالابتداء والخبر، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي[3]. فأما وجه القراءة بتشديد النون وفتحها، على أنها عملت النصب في الاسم الذي بعدها (الشياطين) والرفع في الخبر (كفروا) الذي جاء جملة فعلية في محل رفع خبر لكن. قال الكسائي والفراء: الاختيار، التشديد إذا كان قبلها واو، والتخفيف إذا لم يكن معها واو، وذلك لأنها مخففة تكون عاطفة ولا تحتاج إلى واو معها[4]. فقد اختلف العلماء في كونها حرف عطف إذا كانت مسبوقة بواو، بالرغم من أن معناها دال على الاستدراك الذي يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين بعينه ك "بل"، فقد ذهب يونس إلى أنها ليست من حروف العطف لاجتماع الواو معها، واجتماع أداتي عطف ممتنع،

1- سورة البقرة، الآية: 101.

2- يكون الحرف (لكن) عند النحاة للاستدراك: وهو إبعاد معنى فرعي يخطر على البال عند فهم المعنى الأصلي لكلام مسموع أو مكتوب، ومثال ذلك قولنا: " هذا رجل غني"، فيتوهم السامع أنه محسن بسبب غناه، فنبادر بالقول لإزالة هذا الوهم: "هذا رجل غني، لكنه غير محسن"، ويعبر النحاة عن هذا الاستدراك الوارد في الجملة بقولهم: " تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه"، وهذا يقتضي أن يكون المعنى بعدها مخالفا للمعنى الفرعي الذي يفهم مما قبلها، ومغايرا له، فوجود هذا الحرف في الجملة ينبئ عن المغايرة والمخالفة بين معنى ما بعدها والمعنى الفرعي المفهوم مما قبلها، من غير حاجة إلى أداة نافية في أحدهما، وهو عند علماء الحجاج رابط حجاجي للاستدراك يربط بين حجتين، بحيث تكون الحجة الثانية التي بعد (لكن) أقوى من الحجة الأولى التي قبله، وهي الحجة الموجِّهة للقول الحجاجي.

3- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 1/523-524.

4- نفسه، 1/524.

فليست عاطفة، وهي في كل حال لا تقع إلا بين كلامين متضادين[1]. فالآية الكريمة تنزيه لسيدنا سليمان عَنِ الْكُفْرِ، وَ في ذَلِكَ دليل عَلَى أَنَّ اليهود السحرة نَسَبُوهُ إِلَى الْكُفْرِ وَالسِّحْرِ، فقد زَعَمُوا أَنَّ قِوَامَ مُلْكِهِ كَانَ بِالسِّحْرِ، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِنْهُ، لِأَنَّ كَوْنَهُ نبياً ينافي كونه ساحراً كافراً، فرد الله تعالى عليهم، بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[2]، مشيرا به إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِمَّنِ اتَّخَذَ السِّحْرَ حِرْفَةً لِنَفْسِهِ، وَيَنْسِبُهُ إِلَى سيدنا سُلَيْمَانَ. فالآية الكريمة تأكيد صريح على كفر هؤلاء الشياطين، لأنهم يعلمون الناس السحر، وهو اعْتِقَادُ إِلَهِيَّةِ الْكَوَاكِبِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهَا فِي إِظْهَارِ الْمُعْجِزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ....، فدلت الآية الكريمة على أن تعليم هذا النوع من السحر بمزلة الكفر[3]. وأما وجه القراءة بالتخفيف، فعلى سبيل إهمال عمل (لكنْ)، ورفع ما بعدها بالابتداء، وعلى هذا الوجه تصير حرف عطف لإفادة معنى الاستدراك، أنه تعالى نفى الكفر عن سيدنا سليمان، وأثبته بالجملة الإسمية مع تأكيد المعنى بالحرف (لكن) للشياطين من الجن والإنس، وعليه، فإنه لما سخر سيدنا سليمان الجن لخدمة ما يشاء، قد يُتوهم أنهم لا يكفرون، إذ هم في خدمة نبي من أنبياء الله، لكن منهم الشياطين فاستدرك الله تعالى أنهم كفروا. وقد تكون لفظة (الشياطين) دالة دلالة حقيقية على الإنس من اليهود الذين اتخذوا السحر حرفة، ونسبوها إلى سيدنا سليمان عليه السلام، فرد الله تعالى عليهم: بنفي الكفر عن سيدنا سليمان، وإثباته للشياطين الذين كفروا حقا، معللا سبب كفرهم، أنهم يعلمون السحر للناس. وعلى كل حال، فتعليم السحر للناس بمنزلة الكفر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

خلاصة القول، فإن القراءات القرآنية في علاقتها بحروف المعاني، أسهمت في اتساع المعنى بتنوع التعابير القرآنية، وإدراك ما تمتاز به اللغة القرآنية من روعة في الإيجاز والبيان، وما تؤديه من أسرار ولطائف تنبئ عن الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الإبدال في الحركات وعلاقته بالمعنى

يعد الإبدال بين الحركات في الكلمة العربية فرعا من فروع الإبدال اللغوي واتجاهاته. فالحركات العربية القصيرة لها دور بارز في الكلمة العربية، وذلك لما تنتجه من اختلاف في المعاني أو تنويع في المباني، فضلا عما تمتاز به من خصائص فسيولوجية وفيزيائية وإدراكية، فهي روح الكلام التي تمنحه الحيوية والنشاط، وهي وسيلة طيعة في يد المتكلم لكي يلون كلامه وفق مقتضيات الموقف الكلامي[4].

---

[1]- الكتاب، سيبويه، 216/1. وينظر أيضا "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، لابن هشام، 320/1.

[2]- سورة البقرة، الآية: 101.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 628/3.

[4]- علم الصوتيات، د. عبد الله ربيع، و د. عبد العزيز علام، المكتبة التوفيقية، ص: 159-160.

وقد آثرت أن ندرسَ هذه الظاهرة من خلال القراءات القرآنية باعتبارها تراثا غنيا بالمادة اللغوية بمكوناتها المختلفة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية...، ومع تعدد القراءات القرآنية لم يتطرق إلى القرآن الكريم تضاد ولا تناقض، بل كله يصدق بعضه بعضا، وما ذلك إلا برهان قاطع على صدق الرسالة المحمدية، وقد وجد المتخصصون في مجال القراءات القرآنية أن مدار الاختلاف فيها يدور في الراجح حول سبعة أوجه، فلاشك أن الاختلاف بين الحركات القصيرة يأتي في مقدمة هذه الأوجه؛ وهي ظاهرة لاشك أنها راجعة إلى تعدد لغات العرب، فنزل القرآن الكريم بكل هذه اللغات لمخاطبة الناس عامة.

1. الإبدال بين الحركات غير الإعرابية

أ.الإبدال بين الفتح والكسر

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴿٩٩﴾﴾[1]، موطن الشاهد لفظة ﴿يَحْسِبُونَ﴾، فقد قرأ الجمهور بالكسر، وهو لغة أهل الحجاز، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين على الأصل، كعَلَم يعلَم، وهو لغة تميم[2]، فالحجة لمن كسر، أن العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال، وهي: يحسب، ينعم، ييئس، وييبس حتى صار الكسر فيها أفصح. قال سيبويه: " وقد بنوا فَعِلَ على يَفْعِلُ في أحرف، كما قالوا: فَعُلَ يَفْعُلُ، فلزموا الضمة، وكذلك فعلوا بالكسرة فشُبه به. وذلك حَسِب يحسِب، ويَئِس يَيئِس، ويَبِس يَيْبِسُ، ونَعِمَ يَنْعِمُ. [...]، والفتح في هذه الأفعال جيد، وهو أقيس[3]. وأما حجة من قرأ بالفتح، فإنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء الفعل الماضي، لأن فَعِل بالكسر، يأتي مضارعه على وزن (يَفْعَلُ) بالفتح، وهو قياس مطرد. إذن فالوجهان جائزان في مضارع (حَسِب) بكسر السين، والفتح، إلا أن الفتح فصيح استعمالا وقياسا، والكسر فصيح استعمالا، شاذ قياسا، ولكنه أفصح لكثرة استعماله. قال أبو علي الفارسي:" ولكنه [أي: الكسر] حسن لمجيئ السمع به، وإن كان شاذا عن القياس"[4]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، هو: كيف يكون الكسر شاذا، وقد وقع في القرآن

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 99.

[2]- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة:1427هـ/2006م، ص:212.

[3]- الكتاب، سيبويه، 4/38-39.

[4]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، 2/403.

الكريم الذي هو أفصح كلام؟. ربما أن شذوذ الكسر في هذا اللفظ غير مخل بفصاحته، ذلك أن علماءنا الأفاضل، قالوا: اعلم أن الكلام في الاطراد والشذوذُ على أربعة أضرب: مُطَّرِد في القياس والاستعمال جميعا وهذا هو الغاية المطلوبة، [...]. ومُطَّرِد في القياس شاذٌّ في الاستعمال [...]. والثالث: المُطَّرِد في الاستعمال الشَّاذ في القياس [...]. والرابع: الشاذ في القياس والاستعمال جميعا [...][1]، فلاشك أن هذا النوع الرابع مردود في كلام البشر، لأنه مخل بالفصاحة، بينما القرآن الكريم أنزل على ما كان متداولا في لغات العرب على سبيل القياس أو الاستعمال، ولذلك فالفتح في الفعل المضارع (يحسَبون) في الآية الكريمة هو القياس على ما أوجبته القاعدة اللغوية من وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع، وهذا دليل قاطع على أن قبيلة تميم نطقت بالقياس استنادا إلى القاعدة اللغوية، وهو النطق الذي ذاع وانتشر في اللغة العربية، وهذا ما يفسر أن أبناء اللغة العربية التي اعتمدت لهجة قريش، نطقت كثيرا على سجية قبائل أخرى، وخاصة قبيلة تميم.

يرى صبحي صالح أن اللهجة التميمية كانت أكثر اتصالا باللغة العربية من غيرها من اللهجات، قال:" إن في المصادر القديمة والمعجمات اللغوية ما يشير إلى أن كثيرًا من قواعد اللهجة التميمية أقوى قياسًا من بعض القواعد القرشية، بل فيها ما يكاد الباحث يستنتج منه باطمئنان أن لهجة تميم كانت في كثير من مفرداتها وتراكيبها هي التي ينطق بها غالبًا أبناء اللغة العربية"[2]، إذن فالقراءة بالكسر فصيحة في الاستعمال، والقراءة بالفتح فصيحة في القياس والاستعمال، ذلك أن الذين قرؤوا بالفتح أئمة مشهورون في اللغة والنحو والإقراء والصلاح والورع والدين. وبالعودة إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن المادة اللغوية (حسب): حَسَبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حَسْبًا وَحُسْبَانًا. قال الله تعالى:﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾[3]. وَمِنْ قِيَاسِ الْبَابِ الْحِسْبَانُ الظَّنُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدِّ بِتَغْيِيرِ الْحَرَكَةِ وَالتَّصْرِيفِ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ حَسِبْتُهُ كَذَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ فِي الَّذِي أَعُدُّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ. ومن هذا الباب قولهم: [...] الْحِسْبَةُ: احْتِسَابُكَ الْأَجْرَ، وَفُلَانٌ حَسَنُ الْحِسْبَةِ بِالْأَمْرِ، إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّدْبِيرِ؛ وَلَيْسَ مِنَ احْتِسَابِ الْأَجْرِ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّدْبِيرِ لِلْأَمْرِ كَانَ عَالِمًا بِعِدَادِ كُلِّ شَيْءٍ

[1]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1418هـ/1998م، 181-182/1.

[2]- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط:11، 1379هـ/1960م، ص:72-73. وينظر الخصائص، لابن جني، 125/1-126.

[3]- سورة الرحمن، الآية: 3.

وَمَوْضِعِهِ مِنَ الرَّأْيِ وَالصَّوَابِ. وَالْقِيَاسُ كُلُّهُ وَاحِدٌ[1]، ولذلك فإن لهذا اللفظ دلالة حسية ومعنوية في المعاجم اللغوية، ولو وقع التفريق بين العد والظن بتغيير الحركة والتصريف، فالمعنى واحد، لأن من يحسن التدبير للأمر، يكون عالما بعداد كل شيء في موضعه، فيكون المعنى حسب القراءتين أن الله تعالى أخبر عن هؤلاء الكفار بضلال سعيهم في الحياة الدنيا، فهم يأتون بأعمال، ويظنون أنها طاعات، وهي في حقيقتها مآثم وذنوب، فيظنون بذلك أنهم أحسنوا صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات الله، فحبطت أعمالهم، وكان جزاؤهم الخسران في الدنيا والآخرة.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]، موطن الشاهد ﴿نَعَمۡۚ﴾، فقد قرأ الجمهور هذه اللفظة بفتح النون والعين. وقرأها ابن وثاب والأعمش والكسائي بفتح النون وكسر العين[3]. والقراءة بفتح العين وكسرها في هذه اللفظة لغتان لمعنى واحد، فقد قيل: إن الكسر لغة كنانة وهذيل، والفتح لغة بقية العرب، وهو الأفصح[4]. وقرئ: نحم، بإبدال عينها حاء. حكاها النضر بن شميل، وبها قرأ ابن مسعود[5]. وقد ذكر النحاة وأهل اللغة أن لفظة "نَعَم" لجواب الاستفهام الداخل على الإيجاب، و" بلى" لجواب الاستفهام الداخل على النفي، ولم يحك سيبويه الكسر، وقال: «نعم» عدة وتصديق تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول: نعم[6]. وأما من قرأ بكسر العين، أراد أن يفرق بين " نَعَم" الذي هو جواب وبين "نَعِم" الذي هو اسم للإبل والبقر والغنم، وقد روي عن عمر إنكار "نَعَم" بفتح العين في الجواب، وقال: قل نَعِم[7]، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه سأل رجلا شيئا، فقال: (نَعَم)، فقال: قل (نَعِم)، إنما النَّعَم الإبل[8]. ومما يدعو للعجب أن نجد من يطعن في القراءة

---

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 59/2.

[2]- سورة الأعراف، الآية: 43.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 5/55-56.

[4]- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو القاسم النُّوَيْري (ت:857هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ/ 2003م، 2/329-330.

[5]- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن (ت:749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ص: 506.

[6] - الكتاب، سيبويه، 4/234.

[7]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 1/ 406-407.

[8]- حجة القراءات، عبد الرحمان بن محمد أبو زرعة (ت:403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص: 283.

بالكسر، قال أبو حاتم: ليس الكسر بمعروف[1]، وقال أبو عبيد: "ولم نر العرب يعرفون ما رووه عن عمر، ونراه مُولَّدا"[2]، مع العلم أنها لغة صحيحة لكنانة وهذيل، وهما من القبائل العربية التي يحتج بكلامها[3]، فالكسر لغة ثابتة ومؤيدة بالقراءة القرآنية المتواترة، وهي حجة، ولا مجال فيها لرأي أو قول، إنما اختير الفتح لخفته[4]، فيكون المعنى في القراءة بالفتح أن (نَعَم) جواب يدخل على الإيجاب، وهذا الجواب له وجهان، وهما:

- **الوجه الأول**: إذا كان بمعنى العدة، وذلك إذا استفهمت عن موجب، لإثبات وجود الشيء، كقولنا: هل كان أسامة حاضرا في المعركة؟، فيجاب: نعم.
- **الوجه الثاني**: إذا كان بمعنى التصديق، وذلك إذا أخبرت عما وقع، ومع ورود الاستفهام ب (هل) في الآية الكريمة، فإن المطلوب هو معرفة النسبة ليس غير، وذلك لأن أداة الاستفهام (هل) لا تكون إلا لطلب التصديق، فيكون الجواب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، ولذلك وقع الجواب في الآية الكريمة، بنعم لأن الاستفهام داخل على الإيجاب في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّاۖ﴾[5]، ويبين السياق القرآني أن السؤال من المؤمنين، فأجاب الكافرون: نعم. وأما القراءة بكسر العين (نَعِم)، فهي لغة فصيحة، وقد وقعت هذه المفردة في الآية الكريمة حرف جواب، قاله أصحاب الجنة. والمعنى: قد وجدنا ذلك حقا، وهذه القراءة متواترة في القرآن الكريم، وحسبنا سندا تواترها، ويمكن أن تأتي هذه القراءة لتفرق بين (نَعَم) الذي هو حرف جواب وبين (نَعَم) الذي هو اسم للإبل والبقر والغنم، فالآية الكريمة إخبار من الله عز وجل عن حال أصحاب الجنة وأصحاب النار، لما نادى المؤمنون الكافرين، وسألوهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قالوا: نعم وجدنا ذلك حقا، وعُبر عن معان مستقبلة بصيغة الماضي، وهذا حسن فيما يحقق وقوعه، وهذا النداء من أهل الجنة لأهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب، وهو بأن يشرفوا عليهم، ويخلق الإدراك في الأسماع والأبصار[6]، ومعنى (أنْ) في الآية الكريمة يحتمل وجهين، وهما:

---

[1] - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 273/3.

[2]- نفسه، 326/5.

[3]- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص:112.

[4]- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت:370ه)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الرسالة، ط1، 1421ه/2000م، ص:154-155.

[5]- سورة الأعراف، الآية: 43.

[6]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 402/2-403.

- **الوجه الأول:** بيان وتفسير لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى أي: قد وجدنا.
- **الوجه الثاني:** جواز أن تكون (أنَّ) الشديدة، وخُففت، والمعنى: أنه قد وجدنا[1].

وأما القراءة بالإبدال بين العين والحاء (نعم، نحم)، فذلك على سبيل التقارب بين الحرفين في المخرج، كما رأينا في المطلب المتعلق بالإبدال بين الصوامت.

<u>النموذج الثالث:</u>

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، موطن الشاهد ﴿تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾، فقد قرأ الجمهور: تسع وتسعون، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، وزيد بن علي: بفتحها. وقرأ الجمهور: نعجة، بفتح النون والحسن، وابن هرمز: بكسر النون، وهي لغة لبعض بني تميم.[3] والثابت عند أهل اللغة أن التبادل بين الكسر والفتح على صوت التاء في لفظتي (تسع وتسعون) لغتان لمعنى واحد. قال ابن جني:" قد كثر عنهم مجيء الفَعل والفِعل على المعنى الواحد، نحو البَزْر والبِزْر[4]، والنَّفْط والنِّفْط، والسَّكْر والسِّكْر، والحَبْر والحِبْر، والسَّبْر والسِّبْر[5]. فلا ينكر -على ذلك- "التَّسْع" بمعنى التِّسْع، لاسيما وهي تجاور العشرة، بفتح الفاء[6]، فليس لاختلاف الحركات أي تأثير في اختلاف الدلالة، وإنما هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف اللغات. وذكر الزمخشري أيضا أن هذا من اختلاف اللغات، نَحْوُ نَطْعٍ وَنِطْعٍ، وَلَقْوَةٍ وَلِقْوَةٍ[7]، والمعنى: أن الله تعالى بين في هذه الآية الكريمة سبب الخصومة بين الرجلين، وقد ذكر المفسرون عدة أقوال بخصوص هذه القصة القرآنية، فهناك من ذهب إلى القول بأن هَذَيْنِ الْخَصْمَيْنِ كَانَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وزَعَمُوا أَنَّ ذِكْرِ النِّعَاجِ جاء على الرمز و التَّمْثِيل، [...]. قَالَ اللَّيْثُ: النَّعْجَةُ الْأُنْثَى مِنَ الضَّأْنِ وَالْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَالشَّاةِ الْجَبَلِيَّةِ، وَالْجَمْعُ النَّعَجَاتُ، وَالْعَرَبُ جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِجَعْلِ النَّعْجَةِ وَالظَّبْيَةِ كِنَايَةً عَنِ الْمَرْأَةِ[8]، لكن الذي يظهر لنا في هذه النازلة، هو إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها، وهي أنثى الضأن، فلا ضرورة تدعو إلى الكناية بها عن المرأة، لأن الإخبار صادر في القصة من الملائكة على سبيل التصوير، فمثلوا بقصة رجل له نعجة، ولخليطه تسع وتسعون،

---

[1]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 2/260-261.

[2]- سورة ص، الآية:22.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 9/148.

[4]- البَزر والبِزر: كل حب يُبذر للنبات. لسان العرب لابن منظور (بزر)، 1/274.

[5]- السَّبْر والسِّبْر: الأصل واللون والهيئة والمنظر. ينظر لسان العرب (سبر)، 3/1920.

[6]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، 2/231.

[7]- الكشاف عن غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، 4/83

[8]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 26/384.

فأراد صاحبه تتمة المائة، فطمع في نعجة خليطه، وأراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة كي يبلغ مراده[1]، أي: أراد أن يضم نعجة شريكه إلى نعاجه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴿٢٣﴾﴾[2]، فلفظة الخلطاء دالة على معنى الشركة، وهذا التصوير والتمثيل أبلغ في المقصود وأدل على المراد. - والله تعالى أعلم-.

ب. الإبدال بين الفتح والضم

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴿٦٥﴾﴾[3]، موطن الشاهد لفظة ﴿رُشْداً﴾، فقد قرأها الجمهور بضم الراء وإسكان الشين، وقرأها أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشين[4]، وقد سئل أبو عمرو عن ذلك؟. فقال: الرُّشْد: هو الصلاح، والرَّشَد: هو العلم. وموسى عليه السلام، إنما طلب من الخضر عليه السلام العلم، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴿٦﴾﴾[5]، فقد أجمعَ القراء عَلَى الضم، لأن الرُّشد هاهنا بمعنى الصلاح، أي: الطريقة المستقيمة التي تثقون معها بأنهم يحفظون أموالهم[6]. وقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴿١٠﴾﴾[7]، والمعنى، أي: أرشدنا إلى ما يقرب منك، ويزلف عندك[8]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 149/9.

[2]- سورة ص، الآية: 23.

[3]- سورة الكهف، الآية: 65.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 205/7.

[5]- سورة النساء، الآية:6

[6]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 12/1.

[7]- سورة الكهف، الآية: 10.

[8]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 205/3.

تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ اِنِّے فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً اِلَّآ أَنْ يَّشَآءَ أَللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسِيٰٓ أَنْ يَّهْدِيَنِ رَبِّے لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً ﴿٢٤﴾﴾[1]، أي قل: عسى أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة، ما يكون أقرب من الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف[2]، فقد أجمعوا على القراءة بالفتح في الآيتين الكريمتين، لأن الرَّشَد ها هنا هو طلب العلم، وَلَكِن يرى أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ فِي الرُّشْدِ وَالرَّشَدِ، لُغَتَانِ كَالْبُخْلِ وَالْبَخَلِ وَالسُّقْمِ وَالسَّقَمِ وَالْحُزْنِ وَالْحَزَنِ[3]، وعلى هذا الأساس يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الِاتِّفَاقُ عَلَى فَتْحِ الْحَرْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ تحقيقا لِلْمُنَاسِبَةِ بين رُءُوسِ الْآيِ، وَمُوَازَنَتِهَا لِمَا قَبْلُ: (عوجا وحسنا وأبدا وولدا وكذبا وأسفا)، وَلِمَا بَعْدُ نَحْوَ: (عَجَبًا وَعَدَدًا وَأَحَدًا)، بِخِلَافِ الثَّالِثِ فَإِنَّهُ وَقَعَ قَبْلَهُ (عِلْمًا)، وَبَعْدَهُ (صَبْرًا) فَمَنْ لجأ إلى التسكين، فَلأجل المُنَاسِبَةِ أَيْضًا، وَمَنْ لجأ إلى الفَتحَ فَلأجل الإلْحَاق بِالنَّظِيرِ، والمعنى: أن تعلمني أمرا ذا رُشد، وعلما ذا رَشَد مما عُلِّمْته. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ إِنْ يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ أَلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ أَلَايَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ أَلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ أَللَّهُ أَلذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ أَلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[4]، موطن الشاهد ﴿قَرْحٌ﴾، فقد قرأ الجمهور بفتح القاف، وقرأ حمزة وأبو بكر والكسائي بضم القاف (قُرْح) [...]، وهما لغتان، كالضَّعْف والضُّعْف، والكَرْه والكُرْه[5]، وقد جاء في المعاجم اللغوية أن الْقَاف وَالرَّاء وَالْحَاء ثَلَاثَةُ أُصُولٍ صَحِيحَةٍ: أَحَدُهَا يَدُلُّ عَلَى أَلَمٍ بِجِرَاحٍ أَوْ مَا أَشْبَهَهَا، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَوْبٍ، وَالْآخَرُ عَلَى اسْتِنْبَاطِ شَيْءٍ. فَالْأَوَّلُ الْقَرْحُ: قَرْحُ الْجِلْدِ يُجْرَحُ. وَالْقَرْحُ: مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنْ قُرُوحٍ تُؤْلِمُهُ. [...]. يُقَالُ قَرَحَهُ، إِذَا جَرَحَهُ، وَالْقَرِيحُ: الْجَرِيحُ. وَالْقَرِحُ: الَّذِي خَرَجَتْ بِهِ الْقُرُوحُ[6]، فالقراءة بالفتح أفادت معنى: الجَرْح والجراحة بعينها. أما القراءة بالضم، فقد دلت على الألم الذي يحس به الإنسان بعد إصابته بالجَرح أو الجراحة. قال الفراء (ت: 207هـ):" وكأن القُرح ألم الجراحات، وكأن القَرح الجراح بأعيانها"[7]، ويشهد لهذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِے إِبْتِغَآءِ اِ۬لْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا

1- سورة الكهف، الآية: 24.

2- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 211/3.

3- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 312/2.

4- سورة آل عمران، الآية: 140.

5- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 309/1-310.

6- مقاييس اللغة، ابن فارس، 82/5.

7- معاني القرآن، الفراء (ت: 207هـ)، 234/1.

تَالَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٣﴾﴾[1]، فقد أفادت القراءة بالضم معنى الألم كما صرحت بذلك الآية الكريمة، وبقيت قراءة الفتح على أصل الجَرح.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[3]، موطن الشاهد ﴿ٱلرُّعْبَ/رُعْبًا﴾، فقد قرأ الجمهور هذه اللفظة بضم الراء وإسكان العين، وقرأها ابن عامر والكسائي بضم العين حيث وقع[4]، وقرئ (رَعْبا) (رُعُبا) منصوب على التمييز[5]. والرُّعْبُ والرُّعُبُ: الفَزَع والخَوْفُ. رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً؛ فَهُوَ مَرْعُوبٌ ورَعِيبٌ، أي: أَفْزَعَه[6]، فلاشك أن هذا الإبدال في الحركات من لغات العرب، نحو: الحُزْن والحَزَن والسُّقْم والسَّقَم، ومن قرأ بإسكان العين مع فتح الراء، فإنه عمد إلى التخفيف مثل: شَعْر وشَعَر، ونَهْر ونَهَر، واللغات الثلاث بمعنى الفزع أو الخوف، فالآية الكريمة من سورة آل عمران، تخبرنا بالنصر الذي حققه المسلمون على الكفار، فقد ألقى الله تعالى في قلوبهم الفزع والخوف يوم أحد، فانهزموا إلى مكة من غير سبب من المسلمين، ولهم إذ ذاك القوة والغلبة. وقيل: ذهبوا إلى مكة، فلما كانوا ببعض الطريق قالوا: ما صنعنا شيئا، قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون، ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا[7]، بينما الآية الكريمة من سورة الكهف تقرير لحالة الخوف التي ستملأ صدر من اطلع على أهل الكهف، والسبب ما ألقاه الله تعالى عليهم من الهيبة، وهم في كهفهم، وأن شعورهم وأظفارهم إن كانت قد طالت، فهي لم تطل إلى حد ينكره من يراه، واختار بعض المفسرين أن الله تعالى لم يغير حالهم وهيئتهم أصلا، ليكون ذلك آية بينة[8]، ونرجح هذا التفسير، لأنهم لما استيقظوا،

1- سورة النساء، الآية: 103.

2- سورة آل عمران، الآية: 151.

3- سورة الكهف، الآية: 18.

4- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 312/1.

5- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 209/3.

6- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 420/1.

7- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 376/3.

8- روح المعاني، الألوسي، 217/8.

ونظر بعضهم إلى بعض، لم يعرفوا كم لبثوا في الكهف. قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً اَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمُۥٓ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى اَلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرَ اَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَاتِكُم بِرِزْقٖ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمُۥٓ أَحَداً ﴿١٩﴾﴾[1]، قالوا: "لبثنا يوما أو بعض يوم"، وهذا للشك، ثم رجعوا إلى إيمانهم وأدبهم مع الله تعالى بعد البعث، ومما يدل على عدم تغير حالهم وهيئتهم، أنهم أرسلوا أحدهم إلى المدينة ليجلب لهم الطعام.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّے مَسَّنِيَ اَلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤٠﴾﴾[2]، موطن الشاهد (نُصْب)، فقد قرأ الجمهور هذه اللفظة بضم النون وسكون الصاد، [...]، وقرأها أبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص، والجعفي عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع: بضمتين [نُصُب]، وقرأها زيد بن علي، والحسن، والسدي وابن أبي عبلة، ويعقوب، والجحدري: بفتحتين [نَصَب]، وقرأها أبو حيوة، ويعقوب في رواية، وهبيرة عن حفص: بفتح النون وسكون الصاد [نَصْب][3]، فقراءة الجمهور جاءت بمعنى: التعب، وكذلك من قرأ بفتح النون والصاد، أو أنه جمع نَصَب، كوَثَن ووُثْن، فالنُّصْب والنَّصَب التعب، وذلك مثل بُخْل وبَخَل، وأنصبني كذا أي: أتعبني وأزعجني[4]. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَيٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً ﴿٦١﴾﴾[5]، فالنَّصَب هنا بمعنى: التعب والمشقة. وقال النابغة الذبياني: [من بحر الطويل]

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ *** وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءَ الْكَوَاكِبِ[6].

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 19.

[2]- سورة ص، الآية: 40.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 161/9-162.

[4]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: 547.

[5]- سورة الكهف، الآية: 61.

[6]- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت:276هـ)، دار الحديث- القاهرة، 1423هـ،67/1. ومعنى قول الشاعر: كليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصب أي: دعيني وهمي، من وكله للشيء أي: أسلمه له، وأميمة: اسم امرأة تصغير أم، وناصب صفة لهم أي: هم ذوو نصب أو ناصب صاحبه. ومعنى: بطيء الكواكب أي: بطيء غروب كواكبه، فقد توهَّم الشاعر في هذه البيت الشعري أن ليله بطيء الكواكب، وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم.

وقال الزمخشري: النُّصْب والنَّصْب: كالرُّشْد والرَّشْد، والنَّصَب: على أصل المصدر، والنُّصُب: تثقيل نصب، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة[1]. فالآية الكريمة تشير إلى ما لقيه سيدنا أيوب عليه السلام من المشقة والعذاب والألم في مرضه، وما كان يقاسيه فيه من أنواع الوصب. وأما من قرأ [بِنُصُب]، فيحتمل أن تكون الضمة الثانية للإتباع، وقد يكون ذلك علامة على ثقل تعبه، وشدة مرضه. وذكر ابن عطية أن هذه القراءات كلها لغات، بمعنى واحد، وهو المشقة، وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء[2]، ومن ذلك قول الإمام الشافعي (ت: 204هـ) رحمة الله عليه:[من بحر البسيط]

سَافِرْ تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُصاحِبُهُ *** وَانصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ في النَصَبِ[3].

النموذج الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٨٩﴾﴾[4]، موطن الشاهد ﴿ٱلسَّدَّيْنِ﴾، قرأ الجمهور هذه اللفظة بضم السين، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتحها، وافقهم ابن محيصن واليزيدي، لغتان بمعنى واحد، وقيل: المضموم لما خلقه الله تعالى، والمفتوح لما عمله الناس[5]، فالقراءة بالضم دالة على كل شيء من خلق الله كالجبال والشعاب والأودية مما تراه العين، والقراءة بالفتح دالة على ما بناه الإنسان، وإن كان الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل. قال ابن فارس: السِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى رَدْمِ شَيْءٍ وَمُلَاءَمَتِهِ، مِنْ ذَلِكَ سَدَدْتُ الثُّلْمَةَ سَدًّا، وَكُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ سَدٌّ[6]. والسُّد والسَّد: الجبلُ، والحاجز. [...]. وأرضٌ بها سَدَدَةٌ، وهي أودية فيها حجارةٌ وصخور، يبقى الماء فيها زماناً، الواحد سُدٌّ بالضم، مثل جحر وجحرة. ويقال أيضا: جاءنا جراد سُدٌّ بالضم، إذا سَدَّ الأُفُقَ من كثرته[7]، واستنادا إلى هذا المعنى اللغوي، فالسُّد والسَّد لغتان بمعنى واحد، وهو الحاجز في هذه الآية الكريمة، وهناك من فرق دلاليا بين القراءتين، فقد رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أنه قَالَ: كل شيء من فعل الله - جل ذكره- كالجبال والشعاب، فهو "سُد" بالضم،

---

[1]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، 97/4.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 507/4.

[3]-جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، تحقيق وتصحيح لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، 490/2. ورد صدر هذا البيت الشعري في رواية أخرى كالآتي: "سافِر تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُفارِقُهُ". ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، مكتبة الآداب، ط:17، 1426هـ/2005م، 322/2.

[4]- سورة الكهف، الآية: 89.

[5]- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي، 372/1.

[6]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 66/3.

[7]- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، 486/2.

وما بناه الآدميون، فَهُوَ سَدٌّ، بِالْفَتْحِ [...]، وقال اليزيدي: السَّد بالفتح الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّد بالضم في العين[1]، وقيل: السَّد، الجبل والحاجز، وقيل: سلة من قُضْبانٍ،[...] وَالْجمع: سِدَادٌ وسُدُود. وَقَالَ اللَّيث السُّدُود: السِّلَال تُتَّخذ من قُضْبان لَهَا أَطْبَاق، والواحدة سَدَّةٌ. [...]، والسُّدُّ بالضمّ: السحاب لكونه يحجز بين السماء والأرض[...]، والسُّدُّ بالضمّ: الظل، [...]، والسُّد أيضا: الوادي داءٌ فِي الأَنف يَسُدُّه، يأْخذ بالكَظَمِ، ويَمنَع نَسِيمَ الرِّيحِ، كالسُّدَادِ بالضّمّ أَيضاً، مثل العُطَاس والصُّدَاع. والسُّدُّ بالضمّ أيضا، ذهَابُ البَصر[2]. وقيل: السَّد بالفتح يراد به المصدر، والضم يراد به الاسم كالغُرْفة والغَرْفة[3]، وقيل: ما كان مسدودا خلقة، فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس، فهو سَدٌّ[4]، وعلى هذا الأساس، فإن القراءة بالضم دليل على أن السُّد هو خلق من مخلوقات الله تعالى، إذ الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لجميع المخلوقات في هذا الكون. والقراءة بالفتح دليل على أن السَّدَّ من عمل ذي القرنين، فهو الفاعل المجازي.

يظهر لنا من خلال عقد مقابلة دلالية لطيفة بين ذي القرنين وصاحب الجنتين في سورة الكهف، أن ذا القرنين نموذج المؤمن الواعي بسنن الله تعالى وطبائع الأشياء، فهو مقر برحمة الله وبنعمته عليه، ولم يغتر ببناء هذا السد العظيم، بل نسب الفضل لله عز وجل، وفوَّض إليه الأمر، مؤمنا إيمانا جازما أن هذا السد رغم ضخامته ومتانته، فهو معرَّض للهدم والزوال متى جاء وعد الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٤ ﴾[5]، بينما صاحب الجنتين نموذج لانطماس البصيرة والاستعلاء والغرور، حتى وصل به الكبر إلى الادعاء أن جنته في الدنيا باقية، ولن يطالها الفناء والزوال. قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٥ ﴾[6]، فلم يؤمن بحقيقة الفناء التي تطال كل الموجودات في هذا الكون، ولعل مجيئ المثل في قوله تعالى: ﴿ وَاضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 546/2.

[2]- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، 180/8-181-182-183.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 547/2.

[4]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق المعروف بالزجاج، 236/3.

[5]- سورة الكهف، الآية: 94.

[6]- سورة الكهف، الآية :35.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ۝﴾[1]، دليل على ضرورة تذكر زوال الحياة الدنيا وفنائها، ودعوة إلى الحذر من القيم الدنيوية الزائفة الفانية، والتعلق بالقيم الحميدة التي ستنفع الإنسان في الآخرة.

ج. الإبدال بين الفتح والكسر والضم

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رُبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ۝﴾[2]، موطن الشاهد (رُبْوَة)، فقد قرأ الجمهور ربوة بضم الراء وهي لغة قريش، والحسن وأبو عبد الرحمن وعاصم وابن عامر بفتحها، وأبو إسحاق السبيعي بكسرها وابن أبي إسحاق رُباوة بضم الراء بالألف، وزيد بن علي والأشهب العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح بفتحها وبالألف (رَباوة). وقرىء بكسرها وبالألف (رِباوة)[3]، وبهذا يمكن القول بأن تبادل الضم والفتح والكسر على صوت الراء لغات لمعنى واحد، قال ابن فارس: الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ وَكَذَلِكَ الْمَهْمُوزُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ. تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو، إِذَا زَادَ. وَرَبَا الرَّابِيَةَ يَرْبُوهَا، إِذَا عَلَاهَا. وَرَبَا: أَصَابَهُ الرَّبْوُ، وَالرَّبْوُ: عُلُوُّ النَّفَسِ. [...] وَالرَّبْوَةُ وَالرُّبْوَةُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ. وَيُقَالُ أَرْبَتِ الْحِنْطَةُ: زَكَتْ، وَهِيَ تُرْبِي. وَالرِّبْوَةُ بِمَعْنَى الرَّبْوَةِ أَيْضًا[4]. فالرُّبوة والرَّبوة والرِّبوة بمعنى المكان المرتفع، وأشهر هذه اللغات لغة الضم، لأنها الأكثر في اللغة[5]. قال الأخفش: ويُختار الضم في ربوة، لأنه لا يكاد يُسمع في الجمع إلا الرُّبا، وأصله من ربا الشيء زاد وارتفع[6]، ويقوي هذا الاختيار أن جمع هذه الكلمة يأتي بضم الراء، ولا يكاد يُسمع غيره، فالرابية بالياء والربوة بالواو، إنما هو لارتفاع أجزائها عن صفحة المكان التي هي بها[7]. ومعنى: ربوة ذات قرار في الآية الكريمة، أي مستوية يمكن القرار فيها للحرث والغراسة، والمعنى أنها من البقاع الطيبة. وعن قتادة: ذات ثمار وماء[8]، ولأجل ذلك اتخذها ساكنوها بقعة للعيش والاستقرار.

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 44.

[2]- سورة المؤمنون، الآية: 51.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 7/ 565-566.

[4]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 483/2.

[5]- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، 226/1.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 651/2.

[7]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، 2/ 385-386.

[8]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 566/7.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[1]، موطن الشاهد (جِذْوَة)، فقد قَرَأَ الجمهور هذه اللفظة بكسر الجيم، وقرأها عَاصِم (جَذوة) بِالْفَتْح، وَقَرَأَ حَمْزَة (جُذوة) بِالضَّمِّ[2]، وهي كذلك ثَلَاث لُغَات، جاء في الصحاح أن: الجَذْوَةُ والجُذْوَةُ والجِذْوَةُ: الجمرةُ الملتهبة، والجمع جِذىً وجُذىً وجَذىً[3]. وذكر ابن منظور أن: الجَذْوَة عُودٌ غَلِيظٌ يَكُونُ أَحدُ رأْسَيْه جَمْرَةً والشهابُ دُونَهَا فِي الدِّقَّةِ. [...]. وجِذْوَة مِنَ النَّارِ وجِذًى وَهُوَ الْعُودُ الْغَلِيظُ يُؤْخَذُ فِيهِ نَارٌ[4]. فالجَذوة والجُذوة والجِذوة ثلاث لغات لمعنى واحد، وهو العود الذي في رأسه نار بلهب أو من غير لهب. ويقع في هذه اللفظة الإبدال بين الذال والثاء، فيقال: الجَثْوَة والجِثْوَة والجُثْوَة: لُغَةٌ فِي الجَذْوة والجِذْوة والجُذْوة[5]. ومعنى الآية الكريمة: أن موسى عليه السلام أبصر من جانب الطور نارا، فقال عليه السلام لأهله، امكثوا هنا لَعلي أعلم لما أُوقدت تلك النار أو آتيكم منها بجمرة ملتهبة.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾[6]، موطن الشاهد (بِمَلْكِنَا)، فقد قرأ زيد بن علي ونافع وعاصم وأبو جعفر وشيبة وابن سعدان بفتح الميم، وقرأ عمر رضي الله عنه بمَلَكنا بفتح الميم واللام وحقيقته بسلطاننا[7]، وقرأ الأخوان (حمزة والكسائي) والحسن والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وقعنب بمُلكنا بضم الميم، وقرأ الباقون بكسرها[8]، وهي كلها لغات في مصدر [ملك] يقال: مَلَكَ، يَمْلِكُ، مَلكا ومُلكا ومِلكا، بالحركات الثلاث في الميم، إلا أن "المُلك" بالضم مصدر من قولهم: ملك بيّن المُلك، و"المِلك" بالكسر مصدر من

[1]- سورة القصص، الآية: 29.

[2]- حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة عبد الرحمان بن محمد (ت:403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص: 543.

[3]- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مادة (جذو)، 2300/6.

[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 138/14.

[5]- نفسه، 133/14.

[6]- سورة طه، الآية: 86.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 368/7.

[8]- نفسه، 368/7.

قولهم: هو مالك بيّن الملك، و"المَلك" بالفتح لغة في مصدر "مالك". وهذا المصدر مضاف إلى الفاعل في جميع الوجوه، وهو النون والألف، والمفعول محذوف، وتقديره: ما أخلفنا موعدنا بملكنا الصواب، لكن أخلفنا بخطيئتنا[1]، وعلى هذا الأساس، يمكن أن نفرق دلاليا بين هذه القراءات، فنقول:

- إن القراءة بفتح الميم جاءت على سبيل أن هذه اللفظة مصدر من [مَلَكَ، يَمْلِكُ، مَلكا، أي: مَلك أمره، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، بل غلبتنا أنفسنا. والله تعالى أعلم.
- إن القراءة بضم الميم أفادت معنى: الأمر والقدرة والسلطان، أي: لم يكن لنا مُلك وقدرة وسلطان، فنخلف موعدك بسلطانه، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه ما فعله السامري[2]. فالموعد هنا: الوعد بالثبات على الدين، وليس المعنى أن لهم ملكا، وإنما ليست لهم القدرة، ليخلفوا موعده، وهذا شبيه بقول الشاعر ذي الرمة في وصف الناقة: [من بحر البسيط]

لَا تُشْتَكَى سَقْطَة مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ *** بِهَا المَفَاوِزُ حَتَّى ظَهْرُهَا حَدِبُ[3].

أي: لا يكون منها سقطة فتشتكي، فأصل المُلك في القراءة بالضم، هو: السلطان والقدرة، أي: لم يكن لنا سلطان، فنخلف موعدك.

- إن القراءة بكسر الميم أفادت معنى: المِلك، أي: اسم لكل ما يملكه الرجل، تقول: هذا البستان مِلكي. قال أهل اللغة: المِلك ما حوته اليد سواء كان هذا المِلك ماديا أو معنويا، والمعنى: ما أخلفناه بقوتنا، أي: بما ملكناه.

واستنادا إلى ما سبق، فأصل المُلك بضم الميم، السلطان والقدرة، أي: لم يكن لنا ملك، فنخلف موعدك بسلطانه. والمَلْك بفتح الميم، مصدر من مَلك، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وقفنا له، بل غلبتنا أنفسنا. والمِلك بكسر الميم يكثر استعماله فيما تحوزه اليد وتحويه، ولكنه يستعمل أيضا في الأمور التي يبرمها الإنسان. قال الزجاج: فأصل الملك السلطان والقدرة، والمِلْك ما حَوَتْهُ اليَدُ، والمَلْك المصدَرُ[4]. والحق أن هذه المعاني متقاربة عند أهل اللغة، لأن هذا الأصل الصحيح يدل على قوة

---

[1]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 571/2.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 368/7.

[3]- ورد البيت الشعري في " تهذيب معاني القرآن وإعرابه" للزجاج، 372/3، و"الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسمين الحلبي، 90/8. والسقطة بمعنى: العثرة والذلة، لسان العرب (سقط)، 2038/3. والمفازة: واحدة المفاوز، وهي المهلكة، فتفاءلوا بالسلامة والفوز، وسميت بذلك لأنها مهلكة من فَوَّز أي: هلك، وقيل: سميت تفاؤلا من الفوز والنجاة، لسان العرب، (فوز)، 3484/4. والحدب: خروج الظهر، ودخول البطن، لسان العرب، (حدب)، 794/2.

[4]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالزجاج، 271/3.

في الشيء وَصِحَّةٍ، [...]. ثم قيل: مَلَكَ الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا. وَالِاسْمُ الْمِلْكُ، لِأَنَّ يَدَهُ فِيهِ قَوِيَّةٌ صَحِيحَةٌ[1]، وتقول: هذا مِلك يميني ومَلكها ومُلكها، أي: ما أملكه[2].

2. الإبدال بين الحركات الإعرابية وأثره في توجيه الدلالة:

سنحاول في هذا المحور الكشف عن أصالة الإعراب في اللغة العربية من منظور القراءات القرآنية، وذلك بإبراز وظيفة الحركات الإعرابية في الدلالة على اتساع المعاني النحوية في التراكيب القرآنية، ونحن رأينا في هذه الدراسة أن نزول القرآن الكريم كان له أثر بالغ في نشأة علوم العربية كالأصوات والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم العربية، وتشير كل الدراسات القرآنية إلى أن "القرآن الكريم قد نقل نقلا أمينا، [...]، وكانت قراءاته وما يرجع منها إلى الحركات الإعرابية يدل أيضا على أن لغة القرآن الكريم كانت معربة على الطريقة المتوارثة في تاريخ هذه اللغة"[3]، وهذا دليل على أن الإعراب سمة مميزة للغة العربية قبل الإسلام، وأنه تطور في العصر الإسلامي بفضل جهود أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وتلميذه أبي الأسود الدؤلي بحسب ما تحكيه الروايات عن خاصية الإعراب في اللغة العربية، فالحركات الإعرابية نقاط توضع على الحرف بلون يخالف لون أحرف الكلمات، وهي: الفتح والضم والكسر[4]، والسكون انتفاء حركة، يلزم المتكلم الوقوف عليه برهة من الزمن، فالإعراب سمة للإبانة عما خفي، وإدراك لأمن اللبس في فهم المعنى، ولذلك قيل: لولا الإعراب لاختلطت المعاني، والتبست، ولم يفترق بعضها عن بعض[5]، فالفائدة من وضع حركات الإعراب، هو صون كتاب الله تعالى من التحريف والتصحيف واللحن[6]، وكل ذلك لأجل توثيق النص القرآني لحفظه من الخطأ في قراءاته، ومعرفة إعرابه وتركيب جمله لغرض الفهم والبيان، إذ من الواجب على كل من عرف أنه مخاطب بالقرآن الكريم، أن يتقدم فيتعلم اللسان العربي الذي به أنزل كتاب الله تعالى، فلا سبيل للفهم دون معرفة الإعراب، وتمييز الخطأ من الصواب، فالباحث عن المعاني يجدها تختبئ وراء هذه الحركات الإعرابية التي تظهر في آخر الكلمة داخل التركيب بسبب عامل معنوي أو لفظي، وتكون معينة على تبين المعنى المراد، فالحركات الإعرابية عموما لها قيمة بيانية كبيرة في توجيه دلالة المعنى والتوسع في الكلام، ومن ذلك ما أورده الكسائي قائلا: "اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند الرشيد،

---

[1]- مقاييس اللغة، ابن فارس، باب الميم واللام وما يثلثهما، (ملك)، ص:393.

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، (ملك)، 4276/6.

[3]- أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق، ط، 2011م، ص:132.

[4]- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: حسن، دار الفكر- دمشق، ط2، ص:4.

[5]- النحو الوافي، عباس حسن (ت: 139هـ)، دار المعارف، ط.15، 74/1.

[6]- التوجيه النحوي لوجوه القراءات القرآنية المشكلة في كتاب سيبويه، د. سليمان يوسف خاطر، مكتبة الرشد، ط1، 2009م، ص: 67.

فجعل أبو يوسف يذم النحو، ويقول: وما النحو؟، فأردت أن أعلمه فضل النحو، فقلت: ما تقول في رجل قال لرجل: أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ!، وقال آخر: أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ!، أيهما كنتَ تأخذ به؟. قال: آخذهما جميعا!، فقال الرشيد: أخطأتَ – وكان له علم بالعربية- فاستحيى، وقال: كيف ذلك؟. فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ بالنصب، فلا يؤخذ؛ لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾[1]، ولولا أن المنون مستقبل ما جاز فيه غدا. فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح النحو والعربية[2]، فهذه الرواية العجيبة أظهرت لنا أهمية العلامة الإعرابية في ضبط المعنى داخل التركيب، ومن ذلك أيضا قول الشاعر عتبان الحروري: [من بحر الطويل]

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَابْنُهُ *** وَعَمْرُو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ

فَمِنَّا حُصَيْنُ وَالْبُطَيْنُ وَقُعْنُــبُ *** وَمِنَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيـــــبُ.

فإنه لما بلغ الشعر هشاماً، وظفر به قال له: أنت القائل: ومنا أميرُ المؤمنين شبيب؟ - فقال: لم أقل كذا وإنما قلتُ: ومنا أميرَ المؤمنين شبيب، فتخلص بفتح الراء بعد ضمها[3]. فالشاهد (أميرَ المؤمنين)، أي: يا أَميرَ المؤمنين، بنصب اللفظة على سبيل النداء المضاف، فإبدال الحركة من الرفع إلى النصب أدى إلى اختلاف المعنى، فالقراءة بالرفع تعني إسناد إمارة المؤمنين لشبيب الخارجي الذي قتله الحجاج من قبل، وحركة الرفع كادت أن تؤدي بالشاعر إلى القتل. وأما القراءة بالنصب، فإنها جعلت إمارة المؤمنين لهشام، فيكون نصب (أَمِيرَ) على أنه منادى مضاف قُدِّرَ فيه حرف النداء، أي: (وَمِنَّا- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- شَبِيبُ)، وتكون جملة النداء معترضة بين مبتدأ مؤخر (شَبِيبُ) وخبر مقدم وقع شبه الجملة بالجار والمجرور(مِنَّا)، فيكون المعنى على هذا الوجه، عطف (شبيب) على المذكورين في المصدر فقط، وذلك على سبيل الإخبار بأن شَبِيبًا من قوم الشاعر، لا أنه أمير، والإقرار بأن هِشَامًا أمير المؤمنين، ويظهر واضحا أن الفرق بين المعنيين كبير جدا، فالعدول من الرفع إلى النصب كان سببا في نجاة الشاعر من هذا الموقف الخطير، وهذا يعني أن لكل حركة إعرابية معنى يظهر داخل التركيب، ولاشك أن الاختلاف في

---

[1]- سورة الكهف، الآية: 24.

[2]- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، دار النشر، فرانتش ستاينر بألمانيا، 1964م، ص: 285.

[3] - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، ابن أبي الإصبع العدواني، (ت: 654هـ)، ص: 249-250.

حركات الإعراب في القراءات القرآنية يدخل ضمن الأوجه السبعة التي ذكرها كثير من العلماء في تفسير الحديث: " أنزل القرآن على سبعة أحرف". قال ابن قتيبة: الوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب"[1]، والذي يعنينا في هذا المطلب هو اختلاف الحركات بتغير المعنى لا الصورة، سواء كانت الحركة حركة بناء أم حركة إعراب، وسنشتغل على بعض الآيات القرآنية من القصص القرآني لإظهار أثر الإبدال بين الحركات الإعرابية في القراءات القرآنية في اتساع المعاني القرآنية.

أ. الإبدال بين الرفع والنصب:

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾[2]، موطن الشاهد لفظة (غِشَاوَةٌ)، فقد قرأها الجمهور بكسر الغين ورفع التاء[3]، وقرأ عاصم فيما روى المفضل الضبي عنه «غِشَاوَةً» بالنصب[4]، فأما القراءة بالرفع، فعلى سبيل أن الواو للاستئناف، ويكون ما بعده جملة اسمية مستأنفة، فاللفظة (غِشَاوَةٌ) مبتدأ مؤخر لخبر مقدم ورد في الآية الكريمة شبه الجملة بالجار والمجرور (على أبصارهم)، والتقدير: (غشاوةٌ على أبصارِهم)، واستنادا إلى هذا التوجيه النحوي يكون الوقف على لفظة «سمعهم» ويُبتدأ بما بعده[5]، ويمكن الوقوف على لفظة «قلوبهم»، ويكون تكرير حرف الجر (على) لإفادة التأكيد أو للإشعار بتغاير الختمين، وهو أن ختم القلوب غير ختم الأسماع[6]، وقد فرّق النحويون بين: «مررت بزيد وعمرو» وبين: «مررت بزيد وبعمرو» ، فقالوا: في الأول هو مرورٌ واحدٌ، وفي الثاني هما مروران، والتعليل بالتأكيد يشمل الإعرابين[7]. يرى أبو حيان الأندلسي أن القراءة بالرفع، جاءت على سبيل أن الجملة: "ابتدائية ليشمل الكلام الإسنادين: إسناد الجملة الفعلية وإسناد الجملة الابتدائية، فيكون ذلك آكد، لأن الفعلية تدل على التجدد والحدوث، والاسمية تدل على الثبوت. وكان تقديم الفعلية أولى، لأن فيها أن ذلك قد وقعل، وفرغ منه، وتقديم

---

[1]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت:276هـ)، 31/1.

[2] - سورة البقرة، الآية:6.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 81/1.

[4]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 88/1.

[5]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 111/1.

[6]- نفسه، 111/1. (بتصرف).

[7]- نفسه، 111/1.

المجرور الذي هو (على أبصارهم) مصحح لجواز الابتداء بالنكرة، مع أن فيه مطابقة بالجملة قبله، لأنه تقدم فيها الجزء المحكوم به."[1]، فالتعبير بالجملة الاسمية يفيد الثبوت لهذا الوصف، بخلاف التعبير بالجملة الفعلية الذي يفيد الحدوث والتجدد. أما القراءة بالنصب، فيرى أغلب المفسرين أنه على ثلاثة أوجه، وهي:

- **الوجه الأول:** يكون على سبيل إضمار فعلٍ مقدر، فيكون المعنى: وجَعَلَ على أبصارهم غشاوةً، وقد صُرِّح بهذا العامل في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].
- **الوجه الثاني:** ويكون فيه النصبُ على سبيل إسقاط حرف الجر، ويكون «وعلى أبصارهم» معطوفاً على ما قبله، والتقدير: ختم الله على قلوبهم وعلى سَمْعهم وعلى أبصارهم بغشاوة، ثم حُذِفَ حرفُ الجر، فانتصب ما بعده، ولكنه غير مقيس، كقول الشاعر جرير: [من بحر الوافر]

تَمُرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجوا *** كلامُكُمُ عليَّ إذاً حَرامُ[3].

أي: تَمُرُّون بالدِّيار، أو على الديار، لأن المرور يتعدى بهما، فتم إسقاط حرف الجر، وانتصب ما بعده.

- **الوجه الثالث:** أن تكونَ لفظة «غِشاوةً» من باب وضع الاسم موضع المصدر الذي يشترك مع الفعل (خَتَمَ) في المعنى، لأنَّ الخَتْمَ والتَغْشيَة يشتركانِ في معنى السِّتر، فكأنه قيل: «وخَتَم تغشيةً» على سبيل التأكيد، فهو من باب «قَعَدْتُ جلوساً»، وتكونُ قلوبُهم وسمعُهم وأبصارُهم مختوماً عليها مُغَشَّاةً[4].

<u>النموذج الثاني:</u>

قال الله تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[5]، فقد قرأ الجمهور (خاويةً) بالنصب، وقرئت «خاويةٌ» بالرفع، وذلك على الابتداء المضمر أي «هي خاويةٌ»، أو على الخبر عن تلك،

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 81/1.

[2]- سورة الجاثية، الآية: 23.

[3]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 111/1-112. والبيت من قصيدة لجرير هجا بها الأخطل النصراني. ومطلعها:

مَتى كَانَ الْخيام بِذِي طلوح *** سقيت الْغَيْث أيتها الْخيام.

[4]- نفسه، 112/1. (بتصرف).

[5]- سورة النمل، الآيتان: 53- 54.

وبيوتهم بدل أو على خبر ثان[1]. فأما القراءة بالنصب، فإنها جارية على كون اللفظة وقعت في الآية الكريمة حالا لبيوتهم، والعامل فيها ما " تلك" من معنى الإشارة، وتقديره: أشير إليها خاويةً، أي: وقد صارت مخربة خاوية، كما ترونها على هذه الحال. وأما القراءة بالرفع، فقد ذكر لها النحاة خمسة أوجه، وهي:

- **الوجه الأول**: أن يكون " بيوتهم" بدلا من " تلك"، ولفظة (خاويةٌ) خبرا للفظة (بيوتهم).
- **الوجه الثاني**: أن تكون لفظة (خاويةٌ) خبرا ثانيا.
- **الوجه الثالث**: أن تكون اللفظة (خاويةٌ) مرفوعة بتقدير مبتدأ، والتقدير: هي خاويةٌ.
- **الوجه الرابع**: أن تكون اللفظة (خاويةٌ) بدلا من "بيوتهم".
- **الوجه الخامس**: أن تكون لفظة (بيوتهم) عطف بيان على اسم الإشارة (تلك)، ولفظة (خاويةٌ) خبر (تلك)[2].

وفي تقديرنا– والله أعلم- أن اللفظة (خاويةٌ) وقعت في هذه القراءة خبرا لبيوت هؤلاء الظالمين، إذ يتضح جليا أن المعنى ورد على سبيل الإخبار، وذلك بإعمال السياق والمناسبة بين هذه الآية الكريمة وما قبلها، فكانت عاقبة مكرهم أن دمرهم الله تعالى، وجعل بيوتهم مخربة خاوية بما ظلموا، ليكون هذا الخراب والدمار آية وعبرة لقوم يعلمون.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[3]، فقد قرأ الجمهور «أفحكمَ» بنصب الميم على إعمال فعل ما يلي الاستفهام الذي عمل في المقدم عليه، وقرأ يحيى بن وثاب والسلمي وأبو رجاء والأعرج «أفحكمُ» برفع الميم، [...]، وقرأ الأعمش وسليمان بن مهران «أفحكم» بفتح الحاء والكاف والميم وهو اسم جنس، وجاز إضافة اسم الجنس[4]. فأما القراءة بالنصب، فإنها تتجه إلى أن يكون التقدير : أفحكم الجاهلية حكم يبغون؟، فيكون المعنى: أيعدلون عن حكمك، فيبغون حكم الجاهلية؟، وفي هذا السياق ذكر النحاس: أن الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء

1- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 265/4.

2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 86/7.

3- سورة المائدة، الآية: 52.

4- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 202/2- 203. وينظر أيضا المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، لابن جني، 213/1.

الأغنياء، فضارعوا الجاهلية بهذا الفعل[1]. وأما القراءة بالرفع، فهي على وجه وقوع اللفظ مبتدأ لخبر وقع في الآية الكريمة جملة فعلية (يبغون)، وعلى هذا يكون عائد المبتدأ محذوف، تقديره: يبغونه، قال ابن جني في توجيه هذه القراءة: " ألا ترى أنك تقول: زيد ضربته، فيختار الرفع، فإذا جاءت همزة الاستفهام اخترت النصب، فقلت: أزيدًا ضربته، فنصبته بفعل مضمر يكون هذا الظاهر تفسيرًا له. [...]، وإن شئت لم تجعل قوله "يبغون" خبرًا؛ بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف[2]، فكأنه قال: أفحكمُ الجاهلية حُكْمٌ يبغونه؟، ثم حذف الموصوف الذي هو (حُكْمٌ)، وأقيمت الجملة التي هي صفته مقامه؛ أعني: جملة يبغون، فوقع حَذْف الموصوف هنا لدلالة الصفة عليه. وأما القراءة بفتح الحاء والكاف والميم، فأمرها ظاهر في الإعراب كذلك، غير أن "حَكَمًا" هنا ليس مقصودًا به قصد حاكم بعينه؛ وإنما هو بمعنى الشّياع والجنس؛ أي: أفحكامَ الجاهلية يبغون؟، وجاز للمضاف أن يقع جنسًا[3].

ب. الإبدال بين النصب والجر

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾[4]، فقد قرأ نافع وعاصم (لؤلؤاً) بالنصب، والباقون بالخفض[5]. فأما القراءة بالنصب، ففيها أربعةُ أوجهٍ عند النحاة والمفسرين، وهي:

- **الوجه الأول**: أنّه منصوبٌ بإضمار فعلٍ تقديرُه: ويُؤْتَوْن لُؤْلؤاً[6]، أو يحلون لؤلؤاً، جاء في لسان العرب: أن هذا الفعل تعدى إلى مفعولين، لأَنه فِي مَعْنَى يَلْبَسُون[7]. وَفِي رواية عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ نُبَيْطٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ: كُنْتُ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَأُخْتَايَ، فَكَانَ يُحَلِّينا الذَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ"[8].
- **الوجه الثاني**: أنَّه منصوبٌ نَسَقاً على موضع «مِنْ أساور»، وهذا كتخريجِهم «وأرجُلَكُمْ» بالنصب عطفاً على محلِّ «برؤوسكم» [في سورة المائدة: الآية: 6]، ولأن (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) بمعنى: «يَلْبَسون أساور»، كما ورد في لسان العرب، فَحُمِل هذا عليه.

---

[1]- إعراب القرآن، النحاس، 24/2.

[2]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، ابن جني، 211/1-212.

[3]- نفسه، 213/1.

[4]- سورة الحج، الآية: 21.

[5]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 253/8.

[6]- نفسه، 253/8.

[7]- لسان العرب، ابن منظور، 195/14.

[8]- حديث رواه البيهقي في السنن الكبرى، 238/4، رقم الحديث: 7561.

- **الوجه الثالث**: أنه عطفٌ على «أساور»؛ لأنَّ «مِنْ» مزيدةٌ، فيها كما تقدَّم تقريرُه.
- **الوجه الرابع**: أنه معطوفٌ على ذلك المفعولِ المحذوفِ. والتقديرُ: يُحَلَّوْن فيها الملبوسَ مِنْ أساور ولؤلؤاً. فلفظة «لؤلؤاً» عطفٌ على الملبوس[1].

وأما القراءة بالجر، فهي على وجهَيْن، أحدُهما: عطفُه على «أساور»، فيكون اللؤلؤ في غير الأساور. والثاني: عَطْفُه على «مِنْ ذهبٍ»، لأنَّ السِّوارَ يُتَّخَذُ من اللؤلؤ أيضاً، يُنْظَمُ بعضُه إلى بعضٍ[2].

<u>النموذج الثاني:</u>

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٣ ﴾[3]، فقد قرأ الجمهور: سواء، بالجر على الصفة. وقرأ الحسن: سواء، بالنصب[4]. فأما قراءة الجمهور بالجر، فهي جارية على سبيل أن اللفظة (سواءٍ) وصف لِما قبلها (كلمةٍ)، والمعنى: تعالوا إلى كلمة سوية حقة عادلة، يكون أمرها فاصلا بيننا وبينكم. وأما القراءة بالنصب، فقد ذكر النحاة والمفسرون أن هذه اللفظة منصوبة على وجهين:

- **الوجه الأول**: النصب على المصدرية، بمعنى استوت استواء، فتكون لفظة: سواء، بمعنى استواء، والمصدر يحتاج إلى إضمار عامل، وإلى تأويل: سواء، بمعنى: استواء، والأشهر استعمال: سواء، بمعنى اسم الفاعل، أي: مستو.
- **الوجه الثاني**: النصب على الحال من: كلمةٍ، وإن كان صاحب الحال نكرة، وقد أجاز ذلك سيبويه وقاسه، والحال والصفة متلاقيان من حيث المعنى[5]، والمعنى: تعالوا إلى كلمة مستوية وعادلة بيننا وبينكم، ولا شك أن هذه الكلمة مفسرة في الآية الكريمة، وهي: عبادة الله تعالى، وعدم الشرك به، أي: إخلاص العبادة لله تعالى، وتطبيق كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قولا وعملا.

---

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 253/8.

[2]- نفسه، 254/8.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 63.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 194/3.

[5]- نفسه، 194/3.

ج. الإبدال بين الرفع والنصب والجر

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠١﴾﴾[1]، فقد قرأ الجمهور لفظة (الجِنَّ) بالنصب، وقرأها أبو حيوة ويزيد بن قطيب بالرفع، وقرأها شعيب بن أبي حمزة: بخفض النون، وقرئت أيضا على الإضافة التي للتبيين[2]. فأما القراءة بالنصب، فقد ذكر اللغويون والنحاة والمفسرون أن اللفظة وقعت منصوبة على المفعولية، فهي مفعول أول، والتقدير: جعلوا الجن شركاء لله، قال الزمخشري، فإن قلت : فما فائدة التقديم هنا؟، قلت : فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك، من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك، ولذلك قدم اسم الله على الشركاء[3]، وأجاز الحوفي أن يكون (شركاء) المفعول الأول و(الجن) المفعول الثاني، كما هو ترتيب النظم، فأسلوب التقديم والتأخير في هذا النظم القرآني له أثر واضح في تأسيس دلالات جديدة، يستدل عليها سياق الكلام في الآية الكريمة، قال عبد القاهر الجرجاني:" ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسنا وروعة ومأخذا من القلوب أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت، فقلت: وجعلوا الجن شركاء لله[4]، فتقديم الشركاء يفيد معنى آخر، إضافة إلى أنهم جعلوا الجن شركاء لله، وهذا المعنى هو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجن، ولا من غير الجن، ثم إن الجن المقصود من سياق الآية الكريمة، لا مطلق الشركاء، وقدم المفعول الثاني على المفعول الأول، لأنه محل تعجيب وإنكار، فصار لذلك أهم، وذكره أسبق، وتقديم المجرور على المفعول في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾[5] للاهتمام والتعجيب من خطل عقولهم، إذ يجعلون لله شركاء من مخلوقاته[6]، ومنهم من يرى أن اللفظة وقعت بدلا من شركاء، أو النصب على إضمار فعل جواب لسؤال مقدر، وتؤيد القراءة بالرفع هذا المعنى، فهي جارية على تقديرهم الجن جوابا لمن قال: من الذي جعلوه شريكا؟ فقيل له: هم الجن ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والانتقاص لمن جعلوه شريكا لله[7]. أما القراءة بالجر مع

---

[1]- سورة الأنعام، الآية: 101.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 602/4-603.

[3]- الكشاف، الزمخشري، 52/2

[4]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 286.

[5]- سورة الأنعام، الآية: 101

[6]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 406/7.

[7]- الكشاف، الزمخشري، 52/2. (بتصرف).

الإضافة والوصل، فهي على سبيل أن المعنى أشركوهم في عبادته، لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله[1]، فيكون المعنى: أن شركاء الإنس جعلوا لله شركاء الجن، فصاروا هم والجن إخوانا، فقد خاضوا في عوالم الجن، ليتخذوا الجن شركاء لله، فهم مع الجن سواء في الشرك بالله تعالى.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[2]، فقد قرأ الجمهور لفظة (بديعُ) برفع العين[...]، وقرأ المنصور «بديعِ» بالجر،[...]. وقرأ أبو صالح الشامي «بديعَ» نصباً[3]، فأما القراءة بالرفع، فهي جارية على ثلاثة أوجه، وهي:

- **الوجه الأول:** أن اللفظة خبر لمبتدإ محذوفٍ، تقديره: هو بديعُ، فيكون الوقفُ على قوله «والأرض»، وهي جملة مستقلة بنفسها.
- **الوجه الثاني:** أن اللفظة فاعلٌ بقوله «تعالى»، أي: تعالى بديع السماوات، وتكون هذه الجملةُ الفعليةُ معطوفةٌ على الفعلِ المقدَّرِ قبلَها، وهو الناصبُ لسبحان، فإنَّ «سبحان» يلزم إضمار ناصبِها.
- **الوجه الثالث:** أن اللفظة مبتدأ، وخبرُه ما بعده من قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾[4].

والملاحظ أن هذه اللفظة وقعت في الآية الكريمة صفة مشبهة باسم الفاعل، فجاءت على وزن فعيل، بمعنى: مُفعِل، واستنادا إلى هذه العلامة الصرفية، فإنها من باب إضافة اسم الفاعل لمنصوبه تقديرا، أو من باب إضافة الصفة المشبهة إلى منصوبها الذي كانَ فاعلاً في الأصلِ، والأصل: بديعٌ سماواتُه، أي بَدُعَتْ لمجيئها على شكلٍ فائقٍ حسنٍ غريبٍ، ثم شُبِّهَتْ هذه الصفةُ باسمِ الفاعلِ فَنَصَبَتْ ما كانَ فاعلاً ثم أُضِيفَتْ إليه تخفيفاً[5]، وتعني هذه اللفظة في معاجم اللغة العربية، ابتداء الشيء لا عن سابق مثال، يقال: أَبْدَعْتُ الشَّيْءَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، إِذَا ابْتَدَأْتُهُ لَا عَنْ سَابِقِ مِثَالٍ[6]، واستنادا إلى هذا المعنى اللغوي، الابتداع والاختراع والإنشاء عن غير سابق مثال، يكون المراد، أن الله تعالى مبدع السماوات والأرض، والبديع، اسم من أسماء الله الحسنى، وهو

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 4/602-603.

[2]- سورة الأنعام، الآية: 102.

[3]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 5/87-88.

[4]- نفسه، 5/88.

[5]- نفسه، 2/85.

[6]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 1/209.

مبدعُ السَّمَاوَاتِ والأرض وخالقها، لا عن سابق مثال، فإذا أراد أن يكون شيء، يقول له كن فيكون، فدل هذا المعنى على طواعية المبدع، وسرعة تكوينه في الخلق والإبداع. أما القراءة بالجر، فهي بدل من الضمير له. قال الزمخشري: «رداً على قوله وجعلوا لله أو على سبحانه» كذا قاله، ولم يُبَيِّنْ على أيِّ وجهٍ من وجوهِ الإعراب هو، وكذا الشيخُ [يقصد شيخه أبا حيان الأندلسي] حكاه عنه ومرَّ عليه، ويريد بالردّ كونَه تابعاً إمَّا: لله، أو للضمير المجرور في «سبحانه»، وتبعيَّتُه له على كونه بدلاً من «لله» أو من الهاء في «سبحانه»، ويجوز أن يكون نعتاً لله على أن تكون إضافةُ «بديع» محضةً[1]، ويحتمل أن يكون أصل القراءة بالرفع عند الجمهور الإتباع بالجرَّ على البدل ثم قطع التابع رفعاً. وأما القراءة بالنصب، فهي جارية على المدح، وهي تؤيد القراءةَ بالجر. والله تعالى أعلم.

نخلص من خلال تتبعنا لظاهرة الإبدال بين الحروف والحركات بجميع صوره في القراءات القرآنية إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- إن الدراسة الصوتية للقراءات القرآنية جزء أصيل من دراسة المعنى، فقد وجدنا الكلمة الواحدة تحتمل أكثر من معنى حسب سياق ورودها في التراكيب القرآنية، وذلك تبعا لعملية الإبدال بين الأصوات والحركات في القراءات القرآنية، فكان للاختلافات الصوتية الناتجة عن اختلاف وجوه القراءات القرآنية أثر واضح في اتساع المعنى.
- إن القراءات القرآنية جميعها تتكامل وتتعاضد فيما بينها وفق نسق بياني تتكامل فيه المعاني، وتتسع فيه الدلالة، غير أن ذلك يتطلب من الباحث الإلمام الواسع بعلوم اللغة العربية التي تمكنه من التوجيه السديد، والفهم السليم للنص القرآني قصد الكشف عن مقاصده وأبعاده الدلالية الآسرة للألباب والنفوس بما فيها من جمال الأسلوب، وثراء المضمون، ولطافة المعنى، وروعة البيان.
- إن للقراءات القرآنية تأثيرها القوي في مجال الدراسات اللغوية عامة، والدرس الصوتي خاصة، فهي تعد مصدرا أصيلا في دراسة مختلف الظواهر الصوتية والنحوية والصرفية...، فهي ثروة غنية تجمعت فيها مختلف لغات العرب، وهي على نسق واحد من الفصاحة، وأن واقعها اللغوي لا

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 88/5. وينظر أيضا اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1419هـ/ 1998م، 339/8.

يعترف بالحدود الفاصلة بين هذه اللغات العربية، فبالرغم من كون العرب يمثلون قبائل عدة، فهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، كما قال ابن جني:" فقد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره، وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرًا منتشرين، وخَلقًا عظيمًا في أرض الله غير متحجرين، ولا متضاغطين، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يَجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ [صاحبه]، ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مُهمّ أمره. فهذا هذا"[1].

- لا يجوز رد القراءة القرآنية أو الطعن فيها، بناء على مخالفة القاعدة اللغوية، بل الأجدر أن تكون القراءة القرآنية الأصل الذي تبنى عليه القاعدة اللغوية، وعلى هذا الأساس، فإن إثبات اللغة بالاحتجاج بالقراءة القرآنية أولى من إثباتها ببيت شعري منحول أو مجهول قائله.

[1]- الخصائص، ابن جني، باب في العربي يسمع لغة غيره، أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها؟، 403/1.

المبحث الثاني: تباين الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعنى

تعد الكلمة العنصر الأساس في تشكيل الأسلوب، ذلك أن المفردة الفصيحة الواقعة في مكانها المناسب داخل النظم، تحقق المعنى المراد، فأي نقد يمكن أن يوجه إلى التعبير البشري، تكون الكلمة عرضة لأن ينظر إليها، على أنها السبب الأساس في هذا النقد، فهي أصغر الوحدات ذات المعنى في تأليف الكلام، وتتمتع باستقلالها الذاتي في المعجم، ولهذا حظيت الكلمات باهتمام الأدباء والنقاد والشعراء، لأنها تمثل أصل الدقة في التعبير، والبيان في المعنى، والصدق في الدلالة، فإذا وقعت في موضعها المناسب في تأليف الكلام، دلت على المعنى المراد. والكلمة بنية صوتية مرتبطة بالمعنى، فهي تتشكل من هذين المكونين: الصوت والمعنى، فالمكون الأول يتعلق بالأوصاف الصوتية كالجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة...[1]، وهي الأوصاف الجمالية التي يتفاضل بها الشعراء والأدباء في عملية إنتاج النص الأدبي. أما المكون الثاني، فيرتبط بالمعنى، وذلك بأن يكون اللفظ حسنا أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، وقد اتجه التفكير النقدي والبلاغي قديما إلى هذين المكونين، باعتبارهما من عناصر العمل الأدبي الجيد. فقد روي عن النابغة الذبياني[2] أنه أدلى بنقود وجيهة حيال بيت حسان بن ثابت[3] في قوله: [من بحر الطويل]

لَنَا الْجَفَنَاتُ الغرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءَ وَابْنِي مُحَـــرِّقٍ *** فَأكْرِمْ بِنَا خالاً وَأكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا[4].

فالشاعر، في هذين البيتين، يفتخر بأمجاد قومه في الجود والبطولة، ويعبر عن ذلك ببذل الطعام للضيوف، وقدرتهم على سفك الدماء في المعارك، غير أن النابغة الذبياني عاب عليه ترك المبالغة -

---

[1]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، باب في اللفظ والمعنى،124/1.

[2]- النابغة الذبياني شاعر كبير، سمي بالنابغة لنبوغه في الأدب والشعر، كان النابغة تُضرب له قبة بسوق عكاظ، فيأتيه الشعراء، ويعرضون عليه أشعارهم قصد المدارسة والتقويم، اتصل بملك الحيرة عمرو بن هند ومدحه، ثم تقرب إلى الأمراء الغساسنة، وقال في مدحهم شعرا كثيرا، عاش إلى جنب النعمان أبو قابوس المنذر الرابع عيشة الملوك إلى أن حدثت فجوة بينهما، فهرب من الحيرة عام 587هـ خوفا على حياته بعد أن أحس برغبة الملك في قتله، وتوجه إلى الغساسنة، فأكرموا وفادته، وعاش بينهم عزيزا مكرما إلى أن عاود الرحيل إلى الحيرة، ومنها إلى قومه حيث توفي نحو عام 604 هـ. ينظر الشامل في تراجم الشعراء والأدباء والنقاد، لحسن أحمد بريش، منشورات مكتبة الفجر- طنجة، ط1، 1421هـ/2000م، ص: 96-97.

[3]- هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى، كنيته أبو الوليد، وقيل: أبو عبد الرحمن قدم المدينة وأسلم، وله من العمر ستون سنة، أو إحدى وستون، فهو من المخضرمين. وكان رسول الله ينصب له منبرا في المسجد يقوم عليه، ينافح عن الإسلام والمسلمين، وكان ذلك على قريش أشد من رشق النيل، له ديوان شعر مطبوع، وأكثر شعره في سيرة ابن هشام. ينظر إلى ترجمته

[4]- البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي (ت: 584هـ)، ت: الدكتور أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي- الإدارة العامة للثقافة، باب التفريط، ص:146.

والقصة مشهورة- فقال له لما سمع شعره: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك[1]، وفي رواية قال له: ما صنعت شيئا؛ قلّلت أمركم؛ فقلت: جفنات وأسياف[2]. قال الصولى[3]: فانظر إلى هذا النقد الجليل الذى يدلّ عليه نقاء كلام النابغة، وديباجة شعره؛ قال له: أقللت أسيافك؛ لأنه قال: «وأسيافنا» وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف. والجفنات لأدنى العدد، والكثير جفان. وقال: فخرت بمن ولدت؛ لأنه قال: ولدنا بنى العنقاء وابنى محرّق؛ فترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه. قال: ويروى أنّ النابغة قال له: أقللت أسيافك ولمّعت جفانك. يريد قوله: لنا الجفنات الغرّ. والغرّة لمعة بياض في الجفنة؛ فكأن النابغة عاب هذه الجفان، وذهب إلى أنه لو قال: لنا الجفنات البيض؛ فجعلها بيضا كان أحسن، فلعمرى إنه أحسن فى الجفان إلا أنّ الغرّ أجلّ لفظا من البيض.[4]، فالملاحظ أن مآخذ الشاعر حسان بن ثابت في هذين البيتين كثيرة، فالجفنات ما دون العشر، فقلل العدد، ولو قال: "الجفان" لكان أكثر، وقال: " يلمعن"، واللمع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قال: "يشرقن" لكان أكثر؛ لأن الإشراق أدوم من اللمعان. قال أبو عبيد الله المرزبانى (ت: 384هـ) رحمة الله عليه: وقال قوم ممن أنكر هذا البيت في قوله: يلمعن بالضّحى، ولم يقل بالدّجى، وفى قوله: وأسيافنا يقطرن، ولم يقل يجرين؛ لأن الجرى أكثر من القطر.[5]، فلو قال: "بالدجى" لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف أكثر طروقًا بالليل، وقال: "وأسيافنا"، والأسياف ما دون العشر، فقلل العدد، ولو قال: "سيوفنا" لكان أكثر، وقال: "يقطرن" فدلل على قلة القتل، ولو قال: "يجرين" لكان أكثر لانصاب الدم، وفخر بمن ولد، ولم يفتخر بمن ولدوه.

يظهر من هذا التعليق، وحسب رأي النابغة الذبياني، أن السبب في عدم تفضيل شعر حسان بن ثابت، يرجع إلى عدم اختيار الكلمات ذات الشحنة الدلالية القوية التي تناسب مقام الفخر بالجود والكرم والبطولة، فلاشك إذن أن النابغة الذبياني تحسس مواطن الضعف في شعر حسان من خلال

---

[1]- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله المرزباني (ت: 384هـ)، 69/1.

[2]- نفسه، 69/1.

[3]- أبو بكر الصولي عالم بفنون الآداب والشعر، حسن المعرفة بآداب الملوك والخلفاء، حاذق بتصنيف الكتب، كان حسن العقيدة، وذا نسب، لأن جده صول وأهله، كانوا ملوك جرجان، أخذ عن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد وأبي العيناء، وروى عنه المرزباني وغيره، برع في فنون الشعر من مدح وغزل... توفي سنة 335هـ، وقيل: سنة 336هـ في خلافة المطيع أبي الفضل بن المقتدر بالله تعالى. ينظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: الدكتور رياض مصطفى عثمان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1435هـ/2014م، ص: 171-172.

[4]- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله المرزباني، 70/1.

[5]- نفسه، 70/1.

تذوقه الخاص[1] لمعاني المفردات داخل النظم، لأن جيد الشعر عنده، هو ما كان مؤتلف اللفظ بالمعنى، قريب الفهم، بعيد المقصد، إذ المعاني تتجسد وجودا في أربعة مواضع: الأول وجودها في أنفسها، والثاني وجودها في أفهام المتصورين لها، والثالث وجودها في الألفاظ التي تدل عليها، والرابع وجودها في الخط الذي هو أشكال تلك الألفاظ.[2]، فيما جعل عبد القاهر الجرجاني المعاني قائمة في النفس والعقل، إذ المعاني ينشئها المتكلم في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض[3]، وبهذا التصور فإن الألفاظ تفقد دلالاتها، إذا قيلت خارج التأليف، ودون أن يكون هناك قصد في فكر المنشئ، ولما كانت الألفاظ أوعية للمعاني، وأن هذه الأخيرة مطلوبة في الواقع من جهة دلالات الألفاظ، فإننا لا نلتمسها إلا من جهة مواقع الألفاظ في النظم السليم الذي يضمن لها القوة والصدق والصحة، وإصابة الغرض المقصود. وإذا كان هذا في كلام الناس، فهو في كلام الله تعالى المتناهي في البلاغة أكثر تحققا، ذلك أن المفردات القرآنية درر، تمتاز بجمال موقعها، وأصالتها في موضعها، واتساع دلالاتها، وتناسبها الكامل مع المعاني...، والذي يعنينا من هذا كله، هو إظهار اتساع الدلالة في المفردة القرآنية داخل النظم القرآني، وتبيان أثر ذلك في تعدد المعاني القرآنية وتكاملها، ولعل هذا التوسع الدلالي، هو ما يجعل التعبير الواحد في القرآن الكريم ذا فوائد متعددة، تتصل بأسرار ومقاصد كثيرة تبرهن على الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم، ومن ذلك الوقف والابتداء، والفصل والوصل، والحذف والذكر... وغيرها من الأساليب البلاغية التي تفتح آفاقا واسعة في الغنى والثراء الدلالي.

المطلب الأول: الوقف والابتداء

تعد معرفة الوقف والابتداء بابا مهما في فهم القرآن الكريم، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة المعاني القرآنية، ولا استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة فواصل القرآن الكريم، ولذلك حظي علم الوقف والابتداء باهتمام العلماء العرب المسلمين، فقد قال ابن الأنباري (ت: 577هـ): "من تمام معرفة إعراب

---

[1]- هناك من النقاد من يرى الصواب في شعر حسان، قال أبو قدامة: إنه أراد بقوله: الغر، المشهورات، وقال: بالضحى؛ لأنه لا يلمع فيه إلا العظيم اللامع الساطع النور، والدجى يلمع فيه يسير النور كاليراع والحباحب وغيره، وأما أسياف وجفنات فإنه وضع القليل موضع الكثير، [...]. وقوله: يقطرن دما هو المعروف والمألوف، ولو قال: يجرين لخرج عن العادة، وينوب قطر عن جرى، كما مسح سوق الإبل عن أعناقها. ينظر البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي (ت: 584هـ)، باب التفريط، ص:146.

[2]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،1402هـ/1982م، باب: الكلام في المعاني مفردة، ص:235.

[3]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ)، ص:543.

القرآن ومعانيه وغريبه: معرفة الوقف والابتداء فيه"[1]، ولذلك حرصوا على تعلمه ومعرفته في القرآن الكريم، بل أيضا في كلامهم شعرا ونثرا، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه قال لرجل بيده ثوب: أتبيع هَذَا الثَّوْب؟. فَقَالَ: لَا عافاك الله، فَقَالَ: لقد علمْتُم لَو تتعلمون هلا قلت: لَا وعافاك الله"[2]، وإنما صحح له أبو بكر الصديق كلامه، لأن جوابه دعاء عليه، والكلام المصحَّح دعاء له، وبهذا يتضح أن الوقف والابتداء لهما علاقة وطيدة بالمعنى في النصوص البشرية عامة، والنص القرآني خاصة الذي هو نورنا في العلم والعمل، ولذلك فإن معرفة مقاطع الكلام، إنما تكون بعد معرفة المعنى، ولذلك خصصنا هذا المطلب لدراسة اختلاف الوقف والابتداء في القصة القرآنية تبعا لاختلاف القراءات القرآنية وأثر ذلك في تعدد المعاني القرآنية، وسيظهر ذلك واضحا - إن شاء الله- من خلال النماذج التي اخترناها لبيان أثر القراءات القرآنية في إظهار المعنى.

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

فالوقف على قوله: (لُوط) وقف لازم، والابتداء بقوله: (وقال إني مهاجر إلى ربي)، لأنه لو وُصل لتوهم السامع أن القول من قول لوط عليه السلام، وليس كذلك، بل إن هذه الجملة من قول إبراهيم عليه السلام، وهي عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ)، فَضَمِيرُ قالَ عَائِدٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، أَيْ أَعْلَنَ أَنَّهُ مُهَاجِرٌ دِيَارَ قَوْمِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أمره بمفارقة ديار أَهْلِ الْكُفْرِ[4]، تحكي التفاسير القرآنية أن لوطًا عليه السلام بادر إلى الإيمان بكل ما جاء به سيدنا إبراهيم، والتصديق برسالته، والاقتصار على ذكر لوط يدل على أنه وحده هو الذي استجاب لدعوته، ولما بقي قومه على الكفر، ورأوا الآية الكبرى – وهي نجاته من النار – ولم يؤمنوا، أعلن أنه مهاجر ديار أهل الكفر استجابة لأمر ربه، فقال الله تعالى حكاية عنه:

---

[1]- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ابن الأنباري، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مجمع اللغة العربية – بدمشق سنة: 1390هـ/1971م، 108/1.

2- درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي، أبو محمد الحريري البصري (ت: 516هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى،1418هـ/1998م، ص:30.

[3]- سورة العنكبوت، الآية: 25.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 238/20.

﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾[1]، استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا كان من إبراهيم عليه السلام؟...، قال: إني مهاجر إلى ربي. فعُلِمَ بذلك أن معرفة الوقف والابتداء أصل كبير في معرفة المعنى الذي به يظهر الإعجاز اللغوي والدلالي في القرآن الكريم، ويحصل القصد الذي من أجله أنزل الله كتابه المبين.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴿٣٨﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾[2]، موطن الشاهد (وَلِتُصْنَعَ)، فقد قرأ الجمهور هذه المفردة بكسر لام كي وضم التاء ونصب الفعل، وقرأ الحسن وأبو نهيك بفتح التاء ونصب العين، وقرأ شيبة وأبو جعفر في رواية بإسكان اللام والعين وضم التاء فعل أمر، وعن أبي جعفر كذلك إلا أنه كسر اللام[3]، فالوقف في قراءة الجمهور على قوله (عَيْنِيٓ) وقف حسن على سبيل الإخبار، إذ المعنى تام ،أي: لتُرَبَّى ويُحسن إليك، وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به[4]. [...]، وكذلك لمن قرأ بسكون اللام والجزم على سبيل الإنشاء الذي أفاد الأمر في معنى الخبر[5]، وتأويله أن الله عز وجل جعل صنيعه محروسا تحت مراقبته وعنايته، فلو وصله لصار «إذ» ظرفًا «لتصنع»، وليس بظرف له[6]، وأما من قرأ بفتح التاء ونصب العين، أي: لتعمل أنت يا موسى بمرأى مني، فلا يوقف على «عيني»[7]، لأن المعنى غير تام.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 20/237-238، وينظر أيضا تفسير القرآن العظيم، 3/409، وفتح القدير، 4/199، والتفسير الكبير، 24/379، وروح المعاني، 20/152.

[2]- سورة طه، الآيتان: 38- 39.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 7/332.

[4]- نفسه، 7/332.

[5]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (ت: 1270هـ)، 8/504.

[6]- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الأشموني أحمد بن عبد الكريم المصري الشافعي (المتوفى: نحو 1100هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر، عام النشر: 2008م، 2/20.

[7]- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الأشموني أحمد بن عبد الكريم، 2/20.

يَرْزُقُ مَنْ يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾[1]، اختلف القراء في الوقف باختلاف القراءات القرآنية في ﴿وَكَفَلَهَا﴾، فقد قرأ باقي السبعة بتخفيف الفاء، وقرأ الكوفيون: وكفَّلها، بتشديدها. وقرأ أبي: وأكفلها، ومجاهد: فتقبلها بسكون اللام، ربها، بالنصب على النداء، و: أنبتها، بكسر الباء وسكون التاء، وكفِّلْها، بكسر الفاء مشددة وسكون اللام على الدعاء من أم مريم لمريم. وقرأ عبد الله المزني: وكفلها، بكسر الفاء وهي لغة[2]، فمن قرأ بتخفيف الفاء سواء بالفتح أو الكسر، وقف على كلمة ﴿حَسَنا﴾، لأن ما بعدها منقطع، إذ إن الله عز وجل بعد أن أنبت السيدة مريم عليها السلام نباتا حسنا، وسوى خلقها، أسند فعل الكفالة والقيام بها إلى زكرياء عليه السلام، ودليل تولية هذه الكفالة قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾[3]، فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم تنازعوا في كفالتها، وتشاجروا في الدين؛ حتى رموا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، واستهموا بها على كفالة مريم، فخرج قلم زكرياء بإذن الله وقدرته، فكفلها زكريا، فالفعل مسند إليه، وتحول الإخبار عن الله في قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً ﴾ إلى الإخبار عن زكرياء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّآء﴾، صار كأنه استئناف كلام، ولذلك حسن الوقف على كلمة ﴿حَسَنا﴾، والابتداء بما بعدها. وأما من قرأ ﴿وَكَفَلَهَا﴾ بتشديد الفاء، فليس بوقف، لأن الله تعالى هو من تولى كل شؤون السيدة مريم، فالأفعال مسندة إلى الله عز وجل: تقبَّلها الله، وأنبتها نباتا حسنا، وكفَّلها زكرياء، أي: ألزمه الله كفالتها، ويسَّر له تولية شؤون السيدة مريم، وقدَّر عليه هذه الكفالة، فتكون كلمة (زكرياء) مفعول ثان للفعل (كفَّلها)، لأن صيغة (فعَّل) تتعدى إلى مفعولين، فقد اتفق علماء الصرف أن هذه الصيغة تدل على ملازمة الشيء للشيء، وتستخدم لتوليد معان جديدة، ومنها: التكثير ما يدل على كثرة تعهد زكرياء وتفقده لأحوال السيدة مريم. وأما قراءة أُبَيّ (وأكفلها)، فالفعل على صيغة (أفعل) التي تفيد معان كثيرة، ومنها: التعدية، والمعنى: أن الله تعالى أسند لسيدنا زكرياء مهمة الإنْفاق عَلَى مريم وَالاهْتمام بِإِصْلَاحِ كل ما يتعلق بشؤون حياتها، ولذلك فإن الوقف يحسن أيضا على كلمة ﴿حَسَنا﴾. وقرأ مجاهد: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها، ... وَأَنْبَتَهَا، ... وَكَفَّلَهَا عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ فِي الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ، وَنَصْبِ (رَبُّها)[4]، فتحول

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 37.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 121/3.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 44.

[4]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 206/8.

التعبير القرآني من الإخبار إلى الأمر الذي أفاد الدعاء، وكَأَنَّ أم مريم كَانَتْ تَدْعُو اللَّهَ فَقَالَتْ: اقْبَلْهَا يَا رَبَّهَا، وَأَنْبِتْهَا يَا رَبَّهَا، وَاجْعَلْ زَكَرِياء كَافِلًا لَهَا، ولما كانت هذه الجمل الإنشائية على نسق واحد، تم فيه العطف بين الجمل، فجاز الوقف عند نهاية كل جملة.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تَسْـَٔلْ عَنَ اَصْحَٰبِ اِ۬لْجَحِيمِ ﴿١١٨﴾﴾[1]، فقد قرأ الجمهور: «تُسْأَلُ» مبنياً للمفعول مع رفعِ الفعلِ على النفي. وقُرِئ شاذاً: «تَسْأَلُ» مبنياً للفاعل مرفوعاً أيضاً، [...]. وقرأ نافع «تسْأَلْ» على النهي[2]، فقد دلت قراءة الجمهور، بضم التاء ورفع اللام على وجهين، وهما:

- **الوجه الأول:** رفع الفعل على معنى غير مسؤول، أي: إنك يا محمد ﷺ لست مؤاخذا بأفعال أصحاب الجحيم، ولن تُسألَ عنهم، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَيٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اَ۬للَّهَ يَهْدِے مَنْ يَّشَآءُ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ اَ۬لذِے نَعِدُهُمُۥٓ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ اَ۬لْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا اَ۬لْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[4]، فيكون المعنى: أنك يا محمد ﷺ قد بلغتهم الرسالة، فلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، فَلَا تَأْسَفْ وَلَا تَغْتَمَّ لِكُفْرِهِمْ وَمَصِيرِهِمْ إِلَى الْعَذَابِ، كما يقوي هذا المعنى قراءة ابن مسعود (ولن تُسْأَلَ)، أي: لن تسأل عن أعمالهم، فمَصِيرهُمْ إلى الجحيم، ومعصيتهم لا تضرك، ولست بمسؤول عن كفر من كفر بعد التبشير والإنذار، وبهذا المعنى، فإن الكلام مستأنف، وهو منقطع عما قبله، ويكفي الوقف على كلمة: ﴿ نَذِيرا ﴾.
- **الوجه الثاني:** رفع الفعل على معنى غير سائل، أي: إنا أرسلناك يا محمد بالحق بشيرا ونذيرا، غير سائل عنهم، لأن علم الله بكفرهم بعد إنذارهم يُغني عن السؤال عنهم. وقد وقع الكلام في الآية الكريمة في موضع الحال بعطفه على قوله: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾، فالكلام متعلق بما قبله من جهة اللفظ والمعنى، وعلى هذا يكون الوصل، ولا يوقف على كلمة: ﴿ نَذِيرا ﴾. وَفِي الْآيَةِ الكريمة دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ أَحَدًا لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِ غَيْرِهِ، وَلَا يُؤَاخَذُ بِمَا اقترفه سِوَاهُ، فجرى التعبير القرآني في

[1]- سورة البقرة، الآية: 118.

[2]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 2/92-93.

[3]- سورة البقرة، الآية: 271.

[4]- سورة الرعد، الآية: 41.

القراءتين بالبناء للفاعل والبناء للمفعول على الخبر الذي أفاد النفي، وظيفته طمأنة فؤاد الرسول محمد ﷺ بعدم السؤال عن أصحاب الجحيم، وعدم مؤاخذته بأفعالهم. وأما قراءة نافع التي جاءت على سبيل الإنشاء الذي أفاد النهي الحقيقي في الظاهر (لا تسألْ)، وقد يكون كذلك، إذ نُهي الرسول محمد ﷺ أن يسأل عن أحوال الكفار، ذلك أنهم بلغوا غاية العذاب، وأن مصيرهم إلى الجحيم، ويُقوي هذا المعنى سبب نزول هذه الآية الكريمة، فقد روي أن النبي ﷺ قال: "لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ؟[1]"، فنهاه الله عن السؤال عن أصحاب الجحيم. ويرى المفسرون أن هذا الأثر ضعيف الإسناد، لا يعوَّل عليه، وأقروا أن سياق الآية يقطع بأنها في كفار أهل الكتاب، فلا وجود لقرائن في الآية الكريمة تومئ لأبويه ﷺ بشيء من هذا القبيل. وقد علل أبو حيان الأندلسي ذلك بقوله: " أن سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، الذين جحدوا نبوته، وكفروا عنادا، وأصروا على كفرهم. وكذلك جاء بعده: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾[2] إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول، ويكون من تلوين الخطاب وهو بعيد"[3]، وبهذا فإنه يحتمل أن يخرج هذا النهي عن معناه الحقيقي ليفيد تعظيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب، فالصيغة جزم بلا الناهية، إيذانا بعظمة عقوبة الكفار وتهويلا لها.

وبالعودة إلى التأمل في الآية الكريمة نجد أن المشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير فرضت وجها بلاغيا لقراءتها بالإخبار، لكن سرعان ما تغايرت هذه العلة في قراءتها بالنهي الذي حُمل تارة على حقيقته باعتبار سبب نزول الآية الكريمة، وحُمل تارة أخرى على معنى تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب.

النموذج الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[4]، موطن الشاهد كلمة (قُتِلَ)، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (قُتِلَ) بغير الألف مبنيا للمفعول. وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم (قَاتَلَ)، فأما القراءة بالبناء للمفعول، فإنها ناسبت ما وقع في غزوة أحد، إذ صاح صائح:" قتل محمد ﷺ"، فلما

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 28/4.
[2]- سورة البقرة، الآية: 119.
[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 589/1.
[4]- سورة آل عمران، الآية: 146.

تراجع المقاتلون، كان اعتذارهم أن قالوا: " سمعنا قتل محمد ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِلرُّسُلُۖ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۖ وَمَن يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ أَللَّهَ شَيْـٔاًۖ وَسَيَجْزِے اِللَّهُ اُلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1]، ثم قال بعد ذلك ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِےٓءٍ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي جموع كثير، فما ضعفوا، ولكن قاتلوا وصبروا. وعليه فإن يحسن الوقف على كلمة (قُتِلَ)، ويكون تأويل الآية: " وكم نبي قُتل قبل محمد ﷺ، ومعه ربيون كثير، فما وهنوا بعد قتله"، فلو وقع الوصل لكان (ربيون) مقتولين أيضا. وأما قراءة من قرأ (قاتل) مبنيا للفاعل بإسناد القتل للربيين، فإنها ناسبت قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ ﴾، كأنه قال: كم من نبي قاتل معه ربيون، فما جبنوا عن قتال عدوهم. واستنادا إلى هذا المعنى، لا يجوز الوقف على (قاتل) تجنبا لفساد المعنى بالفصل بين الفعل وفاعله، وتجنبا للفصل بين الفاعل وجميع الأوصاف المتعلقة به: فما وهنوا، وما ضعفوا، وما استكانوا، ولذلك حَسن الوقف على قوله تعالى: (فما استكانوا) لذكر جميع هذه الأوصاف المتعلقة بالفاعل.

النموذج السادس:

ومن آثار اختلاف القراءات القرآنية في الآية الواحدة، الاختلاف في الوقوف بتغاير الحركة الإعرابية، وأثر ذلك في اتساع المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى اَبْنُ مَرْيَمَۖ قَوْلُ اُ۬لْحَقِّ اِ۬لذِے فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2]، فقد قرأ الجمهور (قولُ) برفع اللام، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (قولَ) بنصبها، وقرأ طلحةُ والأعمش «قالَ الحقُّ» جعلا (قالَ) «فعلاً ماضياً»، والحقّ «فاعلا مرفوعا» [3]، فلا شك أن الاختلاف في الحركة الإعرابية له أثر على الوقف والمعنى، فالقراءة بالرفع سلكت مسلكا نحويا خاصا، وهو أن كلمة (قولُ): خبر لمبتدأ محذوف، يمكن تقديره حسب السياق : ذلك قول الحق، أو ذلك الكلام قول الحق، أو هو قول الحق، يراد به عيسى بن مريم، وليس ابن الله كما زعمت النصارى، وفي هذه القراءة يكون الوقف على المبتدأ المضمر.

أما التوجيه النحوي لقراءة النصب، فالنحاة يرون أن نصب كلمة (قولَ) على وجهين، وهما:

- **الوجه الأول**: النصب على أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، وعامله محذوف وجوبا، وتقديره: أقول قول الحق، إذا قُصد بالحق معنى الصدق، أي: أن هذا الإخبار عن عيسى بن مريم

[1]- سورة آل عمران، الآية: 144.

[2]- سورة مريم، الآية: 33.

[3]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 7/598-599.

ثابت صدق، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾[1]، موطن الشاهد في الآية الكريمة: وعد الصدق، أي: الموعود الصدق.

- **الوجه الثاني:** النصب على سبيل المدح، إذا أريد بكلمة (الحق) اسم من أسماء الله الحسنى، فإن نصب كلمة (قول) جاء على سبيل المدح، وهي مفعول لفعل محذوف، تقديره: أمدح قول الحق، أي: قول الله، وهو عيسى بن مريم. وفي هذه القراءة لا يصح الوقف على ما قبل (قول)، ولا يصح الابتداء به لأنه مصدر يتعلق بما قبله لدلالته عليه[2]. والتقدير: أقول قول الحق. وأما قراءة من قرأ (قالَ الحقُّ)، بلفظ الفعل الماضي ورفع كلمة (الحق)، فهي موافقة لرسم المصحف تقديرا، وذلك باعتبار الألف أصل الواو في المصدر، فهذه القراءة القائمة على إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي (قال الحق)، بمعنى قال الله: وقوله تعالى حق صدق. ويظهر من خلال السياق أن الكلام متعلق بما قبله لدلالته عليه.

يظهر لنا من خلال ما تقدَّم أثر اختلاف القراءات القرآنية على الوقف والابتداء من ناحية المعنى، وما لذلك من صلة وطيدة بعلم التفسير والبيان، واستنباط الأحكام الشرعية والعقدية، ولذلك أشار الأئمة – رحمة الله عليهم- إلى أنه "لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون الفاعل، ولا على الفاعل دون المفعول، ولا على المبتدأ دون الخبر، ولا على نحو كان وأخواتها دون أسمائها، ولا على النعت دون المنعوت، ولا على المعطوف عليه دون المعطوف، ولا على القسم دون جوابه، ولا على حرف دون ما دخل عليه"[3]، وكل ذلك من أجل أن نتمكن من الفهم الصحيح الذي يساعدنا في استنباط المعاني القرآنية الموافقة لمقاصد الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: الفصل والوصل

رأينا أن الفصل والوصل أصلان كبيران في الوقف، ما يعني أن بيئتهما الأصلية هو مجال القراءات القرآنية، لينتقلا بعد ذلك إلى علم البلاغة، غير أن البلاغيين قصروا اهتمامهم في باب الوصل بين

1- سورة الأحقاف، الآية: 15.

2- المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد (ت: 444هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 1422هـ/2000م، 27/1.

3- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 230/1–231.

الجمل على حرف العطف (الواو)، لما يستلزمه هذا الحرف من دقة وقوة كبيرة في إدراك المعنى، أما معاني حروف العطف الأخرى، فهي معروفة عندهم، كالفاء التي تفيد العطف والتعقيب، و(ثم) التي تفيد العطف مع التراخي، و(أو) التي من معانيها التخيير، الإباحة، التسوية... وغير ذلك مما هو معروف في كتب النحو والبلاغة، ونظرا لأهمية هذه الروابط في تفسير القرآن الكريم، قال فخر الدين الرازي: " أَكْثَر لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ وَالرَّوَابِطِ"[1]، ولذلك يمكن القول: إن القراء والمفسرين كان لهم فضل السبق في الكشف عن مواطن الفصل والوصل في القرآن الكريم، فقد يكون الفصل أو الوصل حسب القراءة القرآنية؛ وما ينجم عن ذلك من أثر في بناء المعاني القرآنية، ذلك أن دلالات الروابط في التراكيب القرآنية لها علاقة وطيدة بالمعنى، مما يفضي إلى تنوع الاعتبارات المعنوية التي يقصدها المتكلم، ولذلك كانت الحاجة ماسة إلى معرفة مواضع العطف بين الجمل، ومواضع ترك ذلك العطف لأسرار بلاغية يقصدها منشئ الخطاب، وعظمت هذه الحاجة عند دارسي الإعجاز القرآني الذين يتابعون المعاني القرآنية التي تكمن أسرارها في الصلات بين الآيات القرآنية، ومن النماذج الدالة على الفصل والوصل في القراءات القرآنية، ما يأتي:

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ إِنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾﴾[2]، فقد اختلف القراء بين الياء والنون في لفظة (وَيُعَلِّمُهُ)، فَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم (وَيُعَلِّمُهُ) بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ (ونُعلمه) بالنُّون[3]، فالقراءة بالياء دالة على أن الواو عاطفة، وما بعدها معطوف على قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾[4]، وأما من قرأ بنون العظمة على سبيل الالتفات، فالأرجح أن تكون الواو

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 110/10.

[2]- سورة آل عمران، الآية: 48.

[3]- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط2، 1400هـ، ص: 206.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 45.

للاستئناف، على أن ما بعدها كلام مبتدأ أو مستأنف[1]. فالاختلاف بين القراء في الآية الكريمة، نتج عنه أن (الواو) في هذا التعبير القرآني، إما للعطف عند من قرأ بالياء، وهم أصحاب الوصل، وإما أن تكون للاستئناف عند من قرأ بالنون، وهم أصحاب الفصل، وإن كان الاستئناف في هذا المقام، لا يعني انقطاع الصلة بين ما قبل الاستئناف وما بعده، وإنما هو ابتداء جزئي وثيق الصلة بما قبله، ورد على سبيل التطييب لقلب مريم – عليها السلام- ، وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة، لما علمت أنها تلد من غير زوج[2]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[3]، فالواو في هذا السياق يشعرنا بلطيفة عجيبة، وهي أن ما قبلها إشارة إلى القدرة الربانية على الإنجاب، والرد على عجب مريم، واستبعادها أن تنجب ولدا، وما بعدها تخفيف للحيرة، وتبشير بالمولود، فالواو رابطة للمعاني، وإن لم تكن عاطفة، إذ الاستئناف بالواو في هذا المقام، ليس انقطاعا عما قبله، وإنما هو ابتداء حمل معنى جديدا له صلة قوية بما قبله.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]، فقد قرأ ابن كثير: (قال موسى) بغير واو على سبيل الفصل، وقرأ باقي السبعة: بالواو على سبيل الوصل[5]، فأما قراءة الجمهور، فهي دالة على تعلق ما بعد الواو بما قبله في المعنى، وذلك أن هذا العطف فيه إشارة للناظر ليميز بين قول أتباع فرعون الوارد في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[6]، وقول سيدنا موسى عليه السلام الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، فوقع العطف بين القولين، ليوازن الناظر بينهما، فيميز الحق من

---

[1]- روح المعاني، الألوسي، 166/3.

[2]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود، 237/1.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 47.

[4]- سورة القصص، الآيتان: 36-37.

[5] - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 306/8.

[6]- سورة القصص، الآية: 36

الباطل، وليتوصل إلى أن ما قاله أتباع فرعون هو الباطل، وما قاله موسى عليه السلام هو الحق والهدى. وأما قراءة ابن كثير بغير الواو، (قال موسى)، فلأن الجملة استئنافية وقعت جوابا عن سؤال مقدر في النفس، وهو: ماذا كان جواب موسى على جحود هؤلاء الكفار المنكرين لآيات الله ومعجزاته؟، فالجواب قدمه موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَاقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ومعلوم أن الجواب لا يكون معطوفا بالواو، ولا غيرها من الروابط، مأتى الجواب مفصول غير معطوف، ولا تعني القراءة بالفصل عند ابن كثير غياب الصلة المعنوية بين القولين، نعم كل قول مستقل بمعناه، ولكن بينهما تكامل في إنتاج الدلالة العامة، وهي: بيان الطرف الذي هو على الباطل (أتباع فرعون)، والطرف الذي هو على الحق والهدى (موسى عليه السلام)، فالقطع مع نهاية قول أتباع فرعون، وهو الذي أثار السؤال في النفس، ليعقبه الاستئناف، وهو قول موسى عليه السلام الذي كان بمنزلة الجواب، وهو ضرب من الأسلوب في غاية الدقة والإيجاز، وفي منتهى البلاغة، ولأن ترك العطف في هذا المقام، فيه إغناء السامع عن السؤال، وذلك بذكر الجواب الذي يجذبه إلى اتباع الحق والنفور من الباطل.

<u>النموذج الثالث:</u>

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[1]، كلام وارد على لسان امرأة العزيز، تشهد لسيدنا يوسف عليه السلام بالبراءة والنزاهة، وأنه على الحق، وهي على الباطل، ولما انتهى كلامها، أعقبه الله كلام سيدنا يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[2]، للدلالة على التبين على البراءة وعلى الحق، وليعلم العزيز صدق سيدنا يوسف عليه السلام، أنه لم يخنه في غيابه، وظاهر ما بين الآيتين من فصل، إذ كل آية مستقلة بمعناها، ولكن بينهما تكامل في إنتاج المعنى العام: بيان الطرف الخائن، الذي هو على الباطل (امرأة العزيز) والطرف الصادق الأمين، الذي هو على الحق (يوسف عليه السلام).

---

[1]- سورة يوسف، الآيتان: 51-52.

[2]- سورة يوسف، الآية: 52.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]، فقد قرأ نافع وابن عامر والكسائي: (ولباسَ التقوى) نصبا، وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة: (ولباسُ التقوى) رفعا[2]، وقرأ عبد الله وأُبَيُّ: ولباسُ التقوى خيرٌ بإسقاط اسم الإشارة (ذلك) من الآية الكريمة، فهو مبتدأ وخبر[3]. فالقراءة بالنصب على سبيل العطف لما قبله للمشاركة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه، وبهذا العطف يكون لباس التقوى من جملة ما أنزل الله عز وجل، فتكون الواو في هذا السياق عاطفة، ويكون اللباس المنزل ثلاثة: لباس يستر العورة، والريش، ولباس التقوى، فالكلام متصل بعضه ببعض، والمعنى: وأنزلنا عليكم لباسا يستر الجسم ويزينه، ولباس التقوى؛ وهو اللباس المعنوي الذي يتمثل في الطاعة والعمل الصالح، وكل أعمال الخير والبر والإحسان التي تستر النفوس، وتحفظها من الوقوع في الآثام والشرور. وأما القراءة بالرفع، فهي على سبيل الابتداء، فتكون الواو حينئذ استئنافية، ويكون (لباس التقوى) خارجا عن متابعة ما قبله في الإعراب، أي: منقطع مما قبله، وقد أشير إليه للدلالة على العلم به، وأن له حكما خاصا، فهو خير من اللباس الحسي الذي يستر جسم الإنسان ويزينه، هو لباس التقوى، ذلك اللباس المعنوي كالعمل الصالح الذي يستر النفس، ويحفظها من الوقوع في الآثام والشرور والذنوب، فكل قراءة جعلت لحرف الواو دلالة محددة في نسق بياني تتكامل فيه المعاني القرآنية.

النموذج الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[4]، فقد قَرَأَ ابْن عَامر وَحده ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ بِغَيْر وَاو، وَكَذَلِكَ فِي مصاحف أهل الشَّام، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْوَاو، وَكَذَلِكَ فِي مصاحف أهل الْمَدِينَة وَمَكَّة

---

[1]- سورة الأعراف، الآية: 25.

[2]- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص: 280.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 31/5.

[4]- سورة البقرة، الآيات: 113-114-115.

والكوفة وَالْبَصْرَة[1]، فأما القراءة بحذف الواو، فقد جاءت على سبيل الاستئناف البياني، فقد نزلت الآية الكريمة في اليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، وفي نصارى نجران الذين قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله[2]، وكأن السامع لما سمع الافتراءات الكاذبة لهذه الفرق الثلاثة تسنى له أن يقول: لقد أسمعتنا من مساويهم عجبا، فهل انتهت مساويهم أم لهم مساوٍ أخرى؛ لأن ما سمعناه مؤذن بأنها مساوٍ لا تصدر إلا عن فطرة خبيثة، فيقال لهم: بل إن افتراءهم على الله ممتد، ذلك أنهم قالوا ما هو أشنع وأفظع، قالوا اتخذ الله ولدا"[3]، وبإعمال المناسبة بين هذه الآية الكريمة وما قبلها، نجد أن هؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولدا، هم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيه اسمه، فتم الاستغناء عن الواو بهذه الملابسة المعنوية، ثم إن الضمير في (قالوا) عائد على هؤلاء الفرق الثلاثة من غير تخصيص، لأن كل فرقة جعلت لله ولدا، وبذلك نلحظ في الآية الكريمة معنى الربط بهذا الضمير الذي ناب عن العطف بالواو. والله تعالى أعلم.

وأما القراءة بإثبات الواو، فهي على سبيل العطف الذي جاز أن يكون عند المفسرين من باب عطف القصة على القصة، وذلك لم يحتج إلى تأويل كما قال الشهاب في حاشيته[4]، أو من باب عطف الآية على ما قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[5]، فقد استحسن المفسرون عطفها على الجملة التي قبلها[6]، أو من باب العطف على مفهوم قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى

[1]- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص: 169. وقد اتفق القراء على حذف الواو من موضع سورة يونس، وهو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة يونس، الآيتان: 67-68.

[2]- روح المعاني، الألوسي، 364/1.

[3]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 683/1.

[4]- عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت، 226/2.

[5]- سورة البقرة، الآية: 112.

[6]- عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد، 226/2.

ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٣﴾﴾[1]، دون لفظه للاختلاف بين الجملتين خبرا وإنشاء، فهذه الجملة اسمية إنشائية استفهامية، وتلك جملة فعلية خبرية، وعليه يمكن أن تُؤوّل بجملة فعلية خبرية، فيكون المعنى: ظلم الذين منعوا مساجد الله ظلما عظيما، وقالوا أيضاً اتخذ الله ولداً، فإنّ الاستفهام ليس مقصوداً لذاته[2].

يظهر مما سبق، أن القراءتين متكاملتان من حيث المعنى، فالقراءة بالوصل أفادت أن افتراء هؤلاء الفِرق على الله بما لا يليق بذاته، لون آخر من جرائمهم الفظيعة، والقراءة بالفصل استئناف بياني للدلالة على أقوالهم الذميمة الممتدة التي وصلت ذروتها في الشناعة والفظاعة، وهي نسبة الولد إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

النموذج السادس:

قال الله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[3]، فقد قرأ نافع ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «يقولُ» بغير واو العطف وبرفع اللام، وكذلك ثبت في مصاحف المدينة ومكة والشام. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم «ويقولُ» بإثبات الواو، وكذلك ثبت في مصاحف الكوفيين. وقال الطبري كذلك هي في مصاحف أهل الشرق. وقرأ أبو عمرو وحده «ويقولَ» بإثبات الواو وبنصب اللام. قال أبو علي الفارسي: وروى علي بن نصر عن أبي عمرو النصب والرفع في اللام[4]، فأما القراءة بإثبات الواو مع الرفع، ففي تخريجها وجهان، وهما:

- **الوجه الأول**: أنه بمنزلة عطف جملة على جملة، فالوصل ظاهر، لأن الواو حينئذ وقعت عطفا على معنى﴿ نَٰدِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾، ولأن أصله: يندمون، ولكنه عبر بالاسم إعلاما بدوام ندم المنافقين وبشارة دوام الظهور لهذا الدين الإسلامي

[1]- سورة البقرة، الآية: 113.

[2]- روح المعاني، الألوسي 364/1.

[3]- سورة المائدة، الآيتان: 54-55.

[4]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 206/2.

على كل دين، أو العطف على قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ ﴾[1]، استنادا إلى تفسير البقاعي[2].

- **الوجه الثاني**: فهو على سبيل كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال طائفة المنافقين، وعليه، فالواو استئنافية، إعلاما بدوام ندم المنافقين وبشارة دوام الظهور لهذا الدين الإسلامي على كل دين، فإثبات الواو للعطف أو للاستئناف في هذا المقام حسن فصيح.

وأما من قرأ ﴿يَقُولُ﴾ بغير الواو، فإن ذلك جاء على سبيل جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر في النفس، وكأنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾، فسأل سائل: وماذا قال المؤمنون حينئذ؟ فأجيب بقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾، ويسمى هذا الأسلوب عند علماء البلاغة ب " شبه كمال الاتصال"، على اعتبار أن مأتى الجواب يكون مفصولا لغرض هذا الاستئناف الذي سيق جوابا لسؤال السائل المفترض. وأما وجه قراءة البصريين ﴿وَ يَقُولَ﴾ بالواو مع النصب، فإنه على سبيل العطف على قوله تعالى: ﴿ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾، وقيل عطفا على قوله تعالى: ﴿أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، باعتبار المعنى، كأنه قيل: فعسى أن يأتيَ الله بالفتح، ويقولَ الذين آمنوا[3]، والعامل في النصب (أنْ)، والعطف على (يُصبحوا) أوجه؛ لأن هذا القول، إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين، لا عند إتيان الفتح فقط، والمعنى: ويقول الذين آمنوا مخاطِبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتَهم، ويُظهرون لهم غاية المحبة، وعدمَ المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخَيْبة رجائِهم، وانعكاسِ تقديرهم بوقوع ضدّ ما كانوا يترقبونه ويتعللون به، تعجيباً للمخاطَبين من حالهم وتعريضاً بهم[4]، ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾، أي يقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم، واغتباطا بما منَّ الله عليهم به من التوفيق في الإخلاص، مشيرين إلى المنافقين تنبيها وإنكارا ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الحقيرون ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ

1- سورة المائدة، الآية: 54.

2- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 482/2.

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 49/3.

4- نفسه، 49/3.

جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ﴾، فالاستفهامُ هنا للتقرير وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أحبَطَ أعمالَهم! فما أخسرَهم! والمعنى: بطلت أعمالهم التي عمِلوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعياً بليغاً[1]، ويجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود في حق المنافقين حيث قاسموهم على النصرة، وفي هذا الخسران، بشارة للرسول محمد ﷺ والمؤمنين، أنهم بإذن الله، سينتصرون على المنافقين، ولذلك جاءت الآية الكريمة بالنصب لإفادة هذه البشارة.

النموذج السابع:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[2]، فقد قرأ ابن عامر﴿وَمَا كُنَّا﴾ بغير واو،[...]، وقوى هذا الحذف أنها في مصحف أهل الشام بغير واو، وقرأ الباقون بالواو،[...]، وكذلك هي بالواو في سائر المصاحف غير مصحف أهل الشام[3]، فقراءة إثبات الواو جاءت على سبيل عطف الجملة على الجملة، فالعلاقة المعنوية واضحة بين الجملتين، وصف حال أصحاب الجنة، وهم في النعيم، تجري من تحتهم الأنهار، حامدين الله على هذا الفضل العظيم، وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله، فالجملة الثانية موضحة ومفسرة لما قبلها، قال أبو البقاء: (وما كنا) الواو للحال ويجوز أن تكون مستأنفة،[...]، والذي تقتضيه أصول العربية أن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي، أو لضللنا لأن (لولا) للتعليق، فهي في ذلك كأدوات الشرط[4]، وإثبات الواو فيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى، ثم إن هذا الحرف يُشعر بحسن أحوال أصحاب الجنة بفضل العناية والهداية الربانية، مما يستوجب حمد المنعم سبحانه. وأما قراءة حذف الواو، فإنها توحي بالربط المعنوي بين الجملتين، فهما متصلتان في المعنى، ويرى الزمخشري أن ترك الواو جار مجرى التفسير والتوضيح، على أن الجملة الثانية موضحة للأولى، لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ، فكان لنا لطفاً وتنبيهاً على الاهتداء، فاهتدينا، يقولون ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا، وتلذذاً بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً[5]، ويحتمل ترك الواو أن يكون هذا التعبير

---

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 50/3.

[2]- سورة الأعراف، الآية: 42.

[3]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 408/1.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 54/5.

[5]- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، 105/2.

القرآني جاريا على الاستئناف البياني، فتكون الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، بمثابة جواب عن سؤال مقدر، كأنْ يسأل سائل: ما سبب الحمد؟، وكأنه ينبهنا إلى استشعار حال الفريقين، ذلك أن المقام مقام حوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، ووقوع الجملة الثانية بمنزلة البيان للأولى، أو بمنزلة الجواب على ما قد تثيره الأولى من سؤال، هو في ذاته ربط معنوي قوي، يغني عن الرابط الظاهر بالواو؛ إذ لا يُعطف البيان على المبيّن، كما لا يُعطف الجواب على السؤال. يظهر مما سبق أن لكل قراءة مع ما يستتبعها من ربط، سواء كان ظاهرا أو معنويا، أثرا ودلالة في بيان المعنى، فالقراءتان متكاملتان دلاليا، إذ يُشعر إثبات الواو بالنعمة والرضا لأهل الجنة، كما يؤشر على حمد الله على هذا الفضل العظيم، بينما حذفها يُلفتنا على سبيل البيان أو الاستئناف البياني المعلل إلى استشعار سرور هم وغبطتهم بهذا الفوز العظيم الذي تحقق لهم بتوفيق من الله وهدايته.

يظهر لنا من خلال تدبر هذه الآيات القرآنية أن الفصل والوصل في القراءات القرآنية آليتان بلاغيتان مهمتان في وضوح الدلالة، وبناء المعاني القرآنية، ولذلك لا غرابة في جواب الفارسي (من أهل الفرس) لما سُئِل: "ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل[1]، فجعل البلاغة كلها متوقفة على معرفة مواطن الفصل والوصل في الخطاب.

المطلب الثالث: الحذف والذكر

يأتي الكلام على أصله، وتحكمه قاعدة مهمة عند علماء العربية، تعرف بأصل الوضع، وهو وجود طرفين، هما المسند والمسند إليه، ودونهما يعد فضلة أو قيدا، ومن ثمة يمكن معرفة المحذوف من خلال تقديره في الكلام جريا على أصله في العربية، وذلك باستحضار القرينة اللفظية أو العقلية أو السياق، وتكمن القيمة البلاغية للحذف في الإيجاز واختصار الكلام، فضلا عن أسرار بلاغية أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال، فالحذف، "باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ"[2]، والتعبير القرآني تعبير مقصود، فكل كلمة، بل كل حرف، إنما وُضع لغرض وقصد بلاغي، ومن النماذج الدالة على الحذف في القراءات القرآنية، ما يأتي:

[1]- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت:255هـ)، تحقيق: موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2009م، 68/1.

[2]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ)، ص:146.

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـنجِى ٱلْمُومِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]، موطن الشاهد ﴿نُـنجِى﴾، فقد قرأ أبو بكر وابن عامر بِنون واحدة، وتشديد الجيم، وقرأ الباقون بِنونين والتخفيف[2]، فأما القراءة بِنونين، فهي الأصل، وسُكنت الياء لاستثقال الضم على الأصول، وانتصب (المؤمنين) بوقوع الفعل عليهم، فالفعل مخبر به عن الله عز وجل، وهو المنجي من كل ضر[3]. وأما القراءة بنون واحدة، فقد جاءت على سبيل حذف إحدى النونين لاجتماعهما، كما تحذف إحدى التاءين لاجتماعهما، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اِ۬للَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْۖ﴾[4]، فالأصل (ولا تتفرقوا)، ويشهد لذلك أن عاصما يقرأ (نُجِّي) بإسكان الياء، ولو كان فعلا ماضيا لكان مبنيا على الفتح[5]، وما يؤكد هذا الحذف أن بعض القراءات الأُخر حذفت فيها النون الثانية، كقراءة ابن كثير، وأهل مكة، وخارجة عن أبي عمرو، قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَّقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِالْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾[6]، أراد (وَنُنَزِّلُ المَلَائِكَة)، إلا أنه وقع حذف النون الثانية التي هي فاء فعل (نَزَّلَ) لاجتماع المثلين، ومثل هذا قراءة (نُجِّي المؤمنين)، أراد: نُنَجِّي، فوقع حذف النون الثانية، وإن كانت أصلا كما ذكرنا، لاجتماع المثلين، وعلى هذا التوجيه اللغوي، يكون هذا الحذف مقبولا، فضلا عن كون هذه القراءة قراءة متواترة، ولها هذا الوجه في العربية، ولذلك استحسنها أبو عبيد قائلا: " هذه القراءة أحب إلي؛ لأنا لا نعلم المصاحف في الأمصار كلها كتبت إلا بنون واحدة، ثم رأيتها في مصحف عثمان بن عفان أيضا بنون واحد، وقال: إنما قرأها عاصم كذلك اتباعا للخط[7]، وبهذا التعليل اللغوي تجتمع لهذه القراءة ثلاثة شروط، وهي: موافقة العربية، ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصحة سندها، ولذلك رد علي

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية:87.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 578/2.

[3]- نفسه،579/2.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 103.

[5]- إعراب القرآن، للنحاس، 56/3. (بتصرف).

[6]- سورة الفرقان، الآية: 25.

[7]- إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة (ت:665هـ)، دار الكتب العلمية، 599/1.

النوري الصفاقسي على المعترضين[1] على هذه القراءة قائلا: "وجعلها بعض النحويين لحنا، وليس الأمر كذلك؛ فإنها قراءة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين ..."[2].

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَيٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلَا لَهُۥ شِرْكاً فِيمَآ ءَاتَيٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[3]، موطن الشاهد ﴿شِرْكاً﴾، فقد قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم «شِرْكاً» بكسر الشين وتسكين الراء وتنوين الكاف. وقرأ الباقون بضمِّ الشين وفتح الراء ومدِّ الكافِ مهموزةً من غير تنوين (على وزن فعلاء)، جمع شريك[4]، فأما القراءة بضم الشين ومده، فهي جمع شريك، فدلت الكلمة في التعبير القرآني على معنى الذم، دون تقدير حذف المضاف. وأما القراءة بكسر الشين، فقد جاءت على سبيل أن الكلمة مصدر، وقُدر حذف المضاف، والمعنى: جعلا له ذا شرك أو ذوي شرك، أي: أنهم جعلوا لله شركاء، فالآية جاءت في سياق الذم بدلالة قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، وما بعده، فهذه القراءة جارية على الاتساع في الكلام مع الاختصار، إنما أراد ذوي شرك، فاختصر، وعمل الفعل النصب في المصدر (شِرْكاً)، كما كان عاملا في (ذوي) لو كان هاهنا، والواقع أن هذا الإيجاز بالحذف جعل هذا التعبير القرآني في منتهى البلاغة.

النموذج الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾﴾[5]، فقد اتفق النحاة والمفسرون على أن المحذوف في هذه الآية الكريمة، هو فعل القول بالتحديد، ولذلك قدروا الفعل (قال) في الآية الكريمة لإظهار المعنى المقصود، وهو ذو وجهان:

- **الوجه الأول**: وفيه قولان، أحدُهما - وهو الظاهرُ – أنَّ قوله تعالى (وَإِسْمَاعِيلُ) عطفٌ على(إبراهيم)، فيكونُ فاعلاً مشاركاً له في الرفعِ، ويكونُ قولُه تعالى: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) في محلِّ نَصْب بإضمار القولِ، ذلك

---

[1]- ذكر السمين الحلبي في تفسيره بعض النحويين المعترضين على قراءة ابن عامر وأبي بكر، كالفراء الذي يعد أول من فتح باب الطعن فيها، وتبعه أبو منصور الأزهري وأبو إسحاق الزجاج وأبو علي الفارسي...، وغيرهم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 193/8.

[2]- غيث النفع في القراءات السبع، أبو الحسن النوري الصفاقسي (ت: 1118هـ)، ص: 403-404.

[3]- سورة الأعراف، الآية:190.

[4]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 535/5.

[5]- سورة البقرة، الآية: 126.

القولُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ منهما أي: يَرْفَعان ويقولان: ربَّنَا تقبَّلْ، ويؤيِّد هذا المعنى قراءةُ عبد الله بإظهار فعلِ القولِ، فقد قرأ: «يقولان: ربَّنا تقبَّلْ مِنَّا، أي: قائِلِين ذلك»[1].

والآخر، يجوز فيه ألاَّ يكونَ هذا القولُ حالاً، بل هو جملةٌ معطوفةٌ على ما قبلها، ويكونُ هو العامل في (إذ) قبله، والتقديرُ: يقولان ربَّنا تقبَّلْ إذ يرفعان أي: وقتَ رَفْعِهما[2]، وقد ذكر أبو حيان في تفسيره أن إسماعيل عليه السلام كان يناوله الحجارة والطين حتى كمل الجدار[3].

- **الوجه الثاني**: وهو أن الواو في الآية الكريمة واو الحالِ، وإسماعيلُ مبتدأٌ، وخبرهُ قولٌ محذوفٌ هو العاملُ في قولِه: (ربَّنا تَقبَّلْ)، فيكونُ إبراهيم، هو الرافع، وإسماعيلُ، هو الداعي فقط، فقد روي أن إسماعيلَ كان حينئذٍ طفلاً صغيراً، وَرَوْوه عن علي عليه السلام. والتقديرُ: وإذ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت حالَ كونِ إسماعيل يقول: ربَّنا تقبَّلْ منا. وفي المجيء بلفظِ الربِّ تنبيهٌ بذِكْرِ هذه الصفةِ على التربية والإصلاح[4]، وعلى أي حال يمكن القول: إن حذف فعل القول في الآيات القرآنية، هو خاصية قرآنية، وأن تقدير هذا الفعل في العملية التفسيرية، هو مسلك مهم في تحقيق الفهم والبيان.

النموذج الرابع:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٨﴾﴾[5]، فقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (قالوا سلاما قال سلام) بألف في لفظة (السلام)، وقرأ حمزة والكسائي: (قالوا سلاما قال سِلْم) بكسر السين وتسكين اللام[6]، فأما قراءة من قرأ (سَلَامٌ)، فذلك على معنى التسليم، وهو التحية، ويقويه السلام الأول ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾، وفي نصبه وجهان، وهما:

- **الوجه الأول**: أن هذا اللفظ وقع مفعولا به، ويراد به أنهم قالوا هذا اللفظ بعينه، وجاز ذلك لأنه يتضمَّن معنى الكلام، كما يمكن أن يراد به أنهم قالوا معنى هذا اللفظ.

---

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 114/2. (بتصرف)
[2]- نفسه، 114/2. (بتصرف)
[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 270/3.
[4]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 114/2. (بتصرف)
[5]- سورة هود، الآية: 68.
[6]- الحجة للقراءات السبعة، أبو علي الفارسي، 359/4.

- **الوجه الثاني**: أن يكون اللفظ منصوباً على المصدر بفعل محذوف، وذلك الفعل في محل نصب بالقول، تقديرُه: قالوا: سَلَّمْنا سلاماً، وهو من باب ما ناب فيه المصدرُ عن العامل فيه، وهو واجبُ الإضمار[1]، وسلامٌ رُفع على إضمار (عليكم سلامٌ) أو (سلامٌ عليكم)، والابتداء بالنكرة هنا لها مسوّغ، وهو كون المبتدأ وقع دعاء لهم، والمعنى ها هنا أنك ابتدأت شيئا جديدا، فكان وجه الرفع أرجح، لأن المعنى اقتضى ذلك، وهذا ما أشار إليه سيبويه في الكتاب، واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنى عليه شيئا هو هو، [...]، فأما الذي يُبنى عليه شيء هو هو فإن المبنى عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء[2]، فلما سلَّمت الملائكة على سيدنا إبراهيم عليه السلام، حياهم بأحسن من تحيتهم، ولأن رد التحية بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات والاستقرار أبلغ في التعبير عن المراد، ولذلك كان الوجه الرفع؛ لأن المعنى قد استقر في الذهن قبل أن يصبح كلاما. وأما قراءة من قرأ (سِلْمٌ)، فهي على معنى السلامة والصلح، أي: أن أمري سِلْمٌ، ولست مريدا غير السلامة والصلح، وكأن الملائكة لما سلموا عليه، كان ذلك دليلا على براءتهم مما توقعه سيدنا إبراهيم في نفسه، من أنهم عدو يريدون به شرا، وحينئذ قال لهم: نحن متسالمون آمنون إذ سلمتم علينا. وإذا عدنا إلى المعاجم اللغوية العربية نجد أن السلم ضد الحرب، يَقال: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فكأَنه عَلَامَةُ المُسالَمَةِ وأَنه لَا حَرْب هُنَالِكَ[3]، واحتمال تفسير السلم ضد الحرب، قوي جدا، ذلك أن الملائكة لما امتنعوا عن تناول الطعام، خاف منهم سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ لا يمتنع أحد إلا لأمر مريب مخيف إبداء للتحدي والعداوة، ولذلك خاف أكثر لما دخلوا عليه بغير إذن، وكانوا مُنكَّرين، فلما سلموا عليه، أجاب: سِلْمٌ، ويجوز أن يكون اللفظ لغة كقول الشاعر: [من بحر الطويل]

وَقَفْنا فَقُلْنا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ *** فَمَا كَانَ إلاَّ وَمْؤُها بالحَوَاجِبِ[4].

فالإشارة بالحواجب دلالة على قبول السّلم والمسالمة وَالسّلم الصُّلح والسلام.

---

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 351/6.

[2]- الكتاب، سيبويه، 127/2.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، 289/12.

[4]- شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري البغدادي (ت: 616هـ)، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة- بيروت، 50/3. وفي رواية نسب هذا البيت للشاعر ذي الرمة، وورد كالآتي: وَقَفْنا فقُلْنا إِيهِ عن أمّ سالِمٍ *** وما بالُ تَكْلِيم الدِّيار البَلاقِعِ. ينظر "التذكرة الحمدونية"، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت:562هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1417هـ، 185/6.

النموذج الخامس:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1]، فقد قرأ الجمهور (أساطيرُ) بالرفع، وقرئ شاذا (أساطيرَ) بالنصب[2]، فأما قراءة العامة بالرفع، فقد جاءت على سبيل كون اللفظ خبرا لمبتدأ مضمر (محذوف)، أي: المنزَّلُ أساطيرٌ، أو المذكورُ أساطيرُ، وذلك على سبيل التهكُّم والسخرية، لأن التصديق بالإنزال ينافي أساطير، وهم يعتقدون أنه ما نزل شيء ولا أن ثم منزل[3]، إنما جعلوه منزلا على سبيل الاستهزاء، لأنهم لا يؤمنون بذلك. وأما القراءة الشاذة بالنصب فهي على تقدير: أَنْزَلَ أساطيرَ[4]، فوقع اللفظ مفعولا به لفعل محذوف تقديره (أنزلَ)، وذلك على سبيل التهكُّم والسخرية والاستهزاءِ، ويحتمل أن يكون هذا القول (قيل، قالوا) في الآية الكريمة، هو كلام موجه من بعضهم لبعض، أو قول المسلمين لهم.

النموذج السادس:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5]، فقد قرأ الجمهور «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ» بالرفع ممنوع من الصرف وابن وثاب، والأعمش، وبكر بن حبيب: مصروفا، وهي قراءة ابن وثاب[6]، وقرأ الحسن «وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْناهُمْ» بالنصب، وهو وجه[7]، وَقرئ أيضا بالرفع والنَّصْبِ مُنَوَّنًا وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ، وَالرَّفْعُ أَفْصَحُ لِوُقُوعِهِ بَعْدَ حَرْفِ الِابْتِدَاءِ، وَقُرِئَ بِضَمِّ الثَّاءِ (ثُمود)[8]، فالقراءة باختيار الرفع جاءت على سبيل كون اللفظ (ثمودُ) وقع مبتدأ لخبر وقع في الآية جملة فعلية (فَهَدَيْناهُمْ)، وذلك لأنَّ «أمَّا» لا يليها إلا المبتدأُ، ولذلك يمنع النحاة حَمْل الاسم بعدها على إضمارِ فعلٍ، وهذا مذهب جميع النحويين[9]، والمعنى: وأما عن شأن قوم ثمود، فقد بَيَّنَّا لَهُمْ طريق الهُدَى وطَريق الضَّلَالَةِ، فاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى. وأما القراءة

---

[1]- سورة النحل، الآية: 24.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 6/519-520.

[3]- نفسه، 6/519.

[4]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 7/207.

[5]- سورة فصلت، الآية: 16.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 9/296.

[7]- معاني القرآن، الفراء، 3/14. (بتصرف).

[8]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 27/553.

[9]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، 4/383.

بالنصب، فهي على إضمار فعل يفسره (فَهَدَيْناهُمْ)؛ لأنَّ «أمَّا» كما رأينا في قراءة الرفع، لا يليها إلاَّ المبتدأُ فلا يجوزُ فيما بعدها الاشتغالُ إلاَّ في قليلٍ كهذه القراءةِ، وإذا قَدَّرْتَ الفعلَ الناصبَ فقدِّرْه بعد الاسمِ المنصوبِ أي: وأمَّا ثمودَ هَدَيْناهم فهَدَيْناهم قالوا: لأنها لا يَليها الأفعالُ[1]، إلا أن (أمَّا) فيها معنى الشرط، والتقدير: مهما يكن من شيء، فهدينا ثمود هديناهم[2]. وأما القراءة بالرفع والنصب منونا، فهي جارية على أن لفظ (ثمودٌ، ثَمُودًا) غير ممنوع من الصرف، والمعنى: وأما عن شأن ثمودٍ، فاعلم أن ثمودًا كانوا قوما طغاة، ومع ذلك أمهلناهم، فهديناهم، فاستحبوا العمى، أي: آثروا الضلالة على الهدى، فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[3]، وأما القراءة بضم الثاء (ثُمود)، فهي لغة من لغات العرب.

النموذج السابع:

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[4]، فقد قرأ الجمهور(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)، وقرأ أُبَيٌّ، والأشهب، وعيسى بن عمر: فصبرا جميلا بنصبهما، وكذا هي في مصحف أُبَي، ومصحف أنس بن مالك. وروي كذلك عن الكسائي. ونصبه على المصدر الخبري أي: فاصبر صبرا جميلا[5]. فأما القراءة بالرفع، فهي قراءة العامة، وقد وقع فيها حذف المسند إليه، لما في هذا الحذف من تكثير الفائدة، والمعنى: فشأني أو حالي صبر جميل، أو فصبر جميل أولى بي، أو فليكن مني صبر جميل في هذا الموقف الشديد، وليكن مني صبر جميل، والله المستعان، وهنا ندرك جيدا قول عبد القاهر الجرجاني: "الصمت عن الإفادة أزيد عن الإفادة"[6]. وأما القراءة بالنصب، فقد أفادت التأكيد على الصبر بالمصدر النائب عن الفعل، والمعنى: فإني أصبر صبرا جميلا، أي: لأصبرنَّ صبرا جميلا، ويمكن أن يكون النصب في هذه القراءة جاريا على التقدير

---

[1]- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 520/9.

[2]- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، بغداد، 1975م، 641/2.

[3]- سورة الأعراف، الآية: 146.

[4]- سورة يوسف، الآية:18.

[5]- قيل عن قراءة الكسائي أنها ضعيفة عند سيبويه، ولا يكون النصب أكثر وأجود إلا مع الأمر، كأن يخاطب يعقوب عليه السلام نفسه قائلا: فاصبري يا نفس صبرا جميلا. ينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 251/6. وينظر الكتاب، لسيبويه،321/1.

[6]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، 163/1.

أن يعقوب عليه السلام رجع إلى مخاطبة نفسه، فكأنه قال: فاصبري يا نفس صبرا جميلا[1]، لأن النصب لا يكون أكثر وأجود إلا في الأمر، ومثل ذلك قول الشاعر محمود سامي البارودي (1839م- 1904م)، وهو في المنفى بجزيرة "سرنديب" يتشوق إلى وطنه مصر: [من بحر البسيط]

يَا قَلْبُ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُ قَدَرٌ*** يَجْرِي عَلَى المَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلَاقِ[2].

وقول الشاعر في مخاطبة ناقته: [من بحر الرجز]

يَشْكو إلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى *** صَبرٌ جَمِيل فكِلانا مُبْتَلَى[3].

يرى سيبويه أن النصبَ هنا أكثر وأجود في مثل هذا؛ لأن الشاعر يأمر جمله بالصبر في تحمل مشاق السفر، فكأنه أراد أن يقول في الشطر الثاني من البيت الشعري: اصبر يا جملُ صبرا جميلا، فكلانا مبتلى بمشاق السفر، وغير ذلك من مواطن الحذف في القرآن الكريم، وهو كثير في القصص القرآني، يطوي كثيرا من التفاصيل التي ليس لها مدخل أساس في تحقيق الغرض من القصة القرآنية، ولذلك نجد أحداثا كثيرة مطوية في القصة الواحدة، بحيث تتصل الأحداث المعروضة فيما بينها في لباقة وحسن التخلص، دون الشعور بأي فجوات، وفي تماسك وبناء بديع، يحدث أثرا في نفسية المتلقي.

1- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 251/6.

2- سرنديب: جزيرة بجنوب الهند، نُفي إليها الشاعر لمدة سبعة عشر عاما، والبيت مأخوذ من ديوان الشاعر محمود سامي البارودي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م، ص:372.

3- الكتاب، سيبويه،321/1.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- إن الرسم القرآني أحد مظاهر الإعجاز القرآني، كما رأينا من خلال مجموعة من الآيات القرآنية، إذ مبنى المفردة القرآنية داخل التركيب القرآني يوحي إلى تعدد المعاني والدلالات، مما يدل على أن وجوه الإعجاز القرآني متعددة ومتنوعة، فالمفردة القرآنية معجز ة في رسمها، لأن كل زيادة أو نقصان في حروفها، فلأجل غايات ولطائف وأسرار ربانية، لا يمكن أن يحققها إلا هذا الرسم، فالقرآن الكريم معجز بأسلوبه ونظمه وألفاظه... معجز في بنائه ودلالاته، معجز في تشريعه وأخباره...، فقد أعجز العرب، وهم أصحاب البيان والبلاغة والأدب، ورغم ذلك تحداهم القرآن الكريم فيما نبغوا فيه، فوقف الإنس والجن أمام هذا التحدي مذهولين مع أنه مكتوب من نفس الحروف والكلمات التي ينظمون بها، إنه كتاب عظيم يستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. أن هناك فرقا بين قواعد الرسم القرآني وقواعد الرسم القياسي/ الإملائي.
- إن الرسم القرآني جزء من ذاتية القرآن الكريم، ومظهر من مظاهر إعجازه.
- إن الرسم القرآني يحمل في طياته أسرارا ولطائف ربانية خفية، منها ما يمكن إدراكه، ومنها ما استأثر الله عز وجل بعلمه.
- إن هذه الإشارات الإملائية الواردة في مرسوم القرآن الكريم، يمكن الركون إليها لمعرفة بعض المعاني والدلالات التي من شأنها أن تساعدنا في النفاذ إلى بعض الأسرار الربانية في القرآن الكريم.
- إن القراءات القرآنية في علاقتها بحروف المعاني، أسهمت في تنوع التعابير القرآنية، وإدراك ما في اللغة القرآنية من روعة في الإيجاز والبيان، وما تؤديه من أسرار ولطائف تنبئ عن الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم.
- إن الدراسة الصوتية للقراءات القرآنية جزء أصيل من دراسة المعنى، فقد وجدنا أن الكلمة الواحدة تحتمل أكثر من معنى حسب سياق ورودها في التراكيب القرآنية، وذلك تبعا لعملية الإبدال بين الأصوات والحركات في القراءات القرآنية، فكان للاختلافات الصوتية الناتجة عن اختلاف وجوه القراءات القرآنية أثر واضح في اتساع المعنى.
- إن القراءات القرآنية جميعها تتكامل وتتعاضد فيما بينها وفق نسق بياني تتكامل فيه المعاني، وتتسع فيه الدلالة، غير أن ذلك يتطلب من الباحث الإلمام الواسع بعلوم اللغة العربية التي

تمكنه من التوجيه السديد، والفهم السليم للنص القرآني قصد الكشف عن مقاصده وأبعاده الدلالية الآسرة للألباب والنفوس بما فيها من جمال الأسلوب، وثراء المضمون، ولطافة المعنى، وروعة البيان.

- إن للقراءات القرآنية تأثيرها القوي في مجال الدراسات اللغوية عامة، والدرس الصوتي خاصة، فهي مصدر أصيل في دراسة مختلف الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية...، وأن واقعها اللغوي لا يعترف بالحدود الفاصلة بين لغات العرب.
- لا يجوز رد القراءة القرآنية أو الطعن فيها، بناء على مخالفة القاعدة اللغوية، بل الأجدر أن تكون القراءة القرآنية الأصل الذي تبنى عليه القاعدة اللغوية، وعلى هذا الأساس، فإن إثبات اللغة بالاحتجاج بالقراءة القرآنية أولى من إثباتها ببيت شعري منحول أو مجهول قائله.
- إن اختلاف القراءات القرآنية يؤثر تأثيرا بيّنا على الوقف والابتداء من ناحية المعنى، وما لذلك من صلة وطيدة بتعدد المعاني القرآنية في عملية التفسير والبيان.
- إن الفصل والوصل في القراءات القرآنية آليتان بلاغيتان مهمتان في وضوح الدلالة، وبناء المعاني القرآنية، ولذلك لا غرابة إذا قلنا إن الكشف عن المعنى في أي خطاب متوقف على معرفة مواطن الفصل والوصل.
- إن مواطن الحذف في القرآن الكريم كثير في القصص القرآني، وهو آلية بلاغية تطوي كثيرا من التفاصيل في القصة القرآنية، ذلك أننا نجد أحداثا كثيرة مطوية في القصة الواحدة، فتتصل الأحداث المعروضة فيما بينها في تماسك وبناء بديع، يحدث أثرا في نفسية المتلقي.

الفصل الثاني:

القراءات القرآنية وتساند مكونات اللغة في القصة القرآنية

تمهيد:

نسعى في هذا الفصل التطبيقي إلى البحث عن المعاني والمقاصد الكامنة في النص القرآني بإعمال التساند بين القراءات القرآنية و مكونات اللغة العربية، ومختلف العلوم والمعارف التي من شأنها أن تفتح لنا آفاقا واسعة في الفهم، وتدلنا على بعض المعاني والمقاصد في القرآن الكريم، وتوحي كلمة التّساند في الاصطلاح، في مجال تفسير القرآن الكريم خاصّة، إلى احتياج العلوم اللّغوية لبعضها البعض، واحتياجها أيضا إلى علوم ومعارف أخرى في إطار نظرية تكامل العلوم والمعارف من أجل إنتاج خطاب تفسيري بليغ، قادر على إيصال المعنى للمتلقّي في أحسن صورة وأجودها، ومما يدلّ على ذلك، الصّيغة الصّرفية لهذه المفردة (تفاعل) التي تدلّ على المشاركة، فالعلوم اللّغوية تتشارك في فعل الطّلب، فالنّحو مثلا يطلب الصّرف، حيث إن هناك بعض القضايا النحويّة لا يتم فهمها إلا بالدراسة الصّرفية للمفردات، فالوظيفة التّركيبيّة لأسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر، لا تُفهم بالشّكل المطلوب قبل الدّراسة الصّرفية لهذه الأبنية، وكذلك تطالب النّحو والبلاغة، حيث تجمع بينهما علاقة تأثير وتأثّر، فباجتماعهما يغوص الدّارس ويتعمّق في أبحر اللّغة العربية، ولعلّ أبرز من زاوج بين هذين العلمين الزّمخشري في تفسيره " الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"، وكذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، ومن أوجه الاحتياج و التّساند بين العلوم أيضا، تطالب النّحو والدّلالة، فالجملة العربية مرتّبة ترتيبا هندسيّا خاصّا، يوحي بدلالة الجملة النّاتجة عن نوع من التّفاعل بين العناصر النّحوية والعناصر الدّلالية، "فكما يمدّ العنصر النّحوي العنصر الدّلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الّذي يساعد على تميّزه وتحديده، يمدّ العنصر الدّلالي العنصر النّحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتميّزه، إذ يوجد بين العنصرين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري دائم[1]، ونجد تداخلا كبيرا بين هذه المصطلحات: التساند والتكامل والتطالب والتعاضد أو التعضيد...، فقد وظف الدّكتور مولاي علي سليماني مصطلح التّطالب في تحليله لشرح الإفراني لتوشيح ابن سهل، حيث حاول في بحثه أن يبين أثر التّطالب بين مكونات اللّغة في بناء المعنى من خلال جهود الإفراني في تحليل الخطاب الشعري، وذلك على ضوء كتابه (المسلك السّهل في شرح توشيح ابن سهل)، كما وظف مصطلح التساند والتعزيز والتعاضد أو التعضيد في بحوث أخرى[2]، فالملاحظ أن مصطلح

---

[1] - النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق للنشر، ص: 113.

[2]- ينظر كتاب نحو قراءة تأويلية موسعة للخطاب: مناولات تطالبية في نماذج من الخطاب القرآني والحديثي والشعري، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1442ه/2021م، فقد استعمل التساند في بحث بعنوان: التساند في موضوع: (التحليل بالتساند في بغية الرائد وأثره في بناء المعنى، شرح القاضي عياض لحديث أم زرع أنموذجا)، ص:155-178، واستعمل التعاضد في بحث بعنوان: (فاعلية القراءة

التساند مرادف نسبيا لمصطلحات التطالب والتعاضد والتكامل...، أي تكامل علم اللغة وسياقات ورودها لاستنباط المعرفة الصّحيحة، وذلك باستدعاء كل من العقل والنّقل في علاقة انسجام وتوافق، كما وظف الدكتور محمد بازي مصطلح التساند، وعرفه في كتابه: "صناعة الخطاب"، وهو يقصد به «تبادل العون و المساندة في عملية بلوغ المعنى بين العناصر المعتمدة في الفهم؛ فاللغة مثلا تسند التخريج النحوي أو البلاغي، والاشتقاق يسند اللغة والنحو، والنصوص الموازية تسند الدلالة، والمثل يدعم المعنى(...)، إنه تساند يتأسس لحظة الاشتغال بالتأويل بين الدوائر السياقية، وهو تساند تتحقق فيه الملاءمة والانسجام بين العناصر والمستويات[1]» ، وعرفه المعنى نفسه في كتابه: "التأويلية العربية "بقوله هو: "تبادل العون والمساندة في عملية بلوغ المعنى بين العناصر المعتمدة في الفهم، فاللّغة مثلا تسند التّخريج النّحوي أو البلاغي، والاشتقاق يسند اللّغة والنّحو، والنّصوص الموازية تسند الدّلالة والمثل يسند المعنى"[2]، وفي تقديرنا فإن هذه المصطلحات ضاربة بجذورها في عمق الثقافة العربية الإسلامية عامة، والخطاب التفسيري خاصة، إذ كان معمولا بها عند أغلب المفسرين، فلكي يكون الخطاب التّفسيري ناجحا وبليغا هادفا وقادرا على إيصال المعنى للمتلقّي في أجود صوره، لابدّ أولا: أن يحصل عند المفسر إلمام واسع بعلوم اللغة العربية، ثم يُعمل التساند ثانيا: بين المكونات اللّغوية الدّاخلية والموازيات الخارجية من علوم ومعارف، ليكون قادرا على النفاذ إلى عمق النص القرآني، لذا فإن التساند المقصود في عنوان هذا الفصل، لن يكون سوى محاولة البحث عن المعاني القرآنية، وذلك بإعمال التساند بين القراءات القرآنية ومكونات اللغة العربية: (المكون الصوتي، والمكون المعجمي، والمكون الصرفي، والمكون النحوي، والمكون البلاغي، والمكون التداولي،...)، لما لذلك من أثر في اتساع الدلالة في القرآن الكريم، فالتساند بين المكونات اللغوية يفيدنا في النهوض بالمعنى وإقامته، وانفتاحه على موجهات خارجية، أو كما سماها الدكتور محمد بازي (بالبنيات السياقية)، من مناسبة وحديث وشواهد شعرية...، وغيرها من العلوم والمعارف التي تتضافر فيما بينها في بناء المعنى، وخاصة أن العلاقة بين بعض العلوم، ليست علاقة تكامل فحسب، وإنما هي علاقة تلازم، ومثال ذلك العلاقة القوية بين العلوم اللغوية العربية وعلوم الشريعة؛ لأن الأحكام الفقهية تنبني على الدلالات اللغوية للكلمات داخل التراكيب في اللسان العربي، "فلا سبيل لإعمال الدليل في الوصول إلى الحكم الشرعي إلا إذا سبقته دراية

بالتعاضد في حديث أم زرع، ص: 179-200، كما استعمل التطالب في بحث بعنوان: (تطالب المطالب وتشابك المسائل في شرح الإفراني لتوشيح ابن سهل، ص: 203-226.

[1]- صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، محمد بازي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 1436هـ/2015م، ص: 67

[2]- التأويلية العربية، محمد بازي، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، السنة: 2010 م، ص: 348.

لغوية في فكر المستدل، ومن شواهد التداخل اللغوي في أوساط الدلائل الشرعية، تفريق الأصوليين في دلالات الكتاب والسنة، بين ما كان منهما لفظا مشتركا في معانيه، وما كان منهما مستقل المعنى، فجعلوا دلالة الأول ظنية؛ لاحتمال إرادة معنى دون معنى، وجعلوا دلالة الثاني قطعية؛ للقطع في لسان العرب بعدم احتمال إرادة معنى آخر، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على اعتبارهم للسان العربي، وما أثر عنه من المعاني واستقر"[1]، وقد اعتبر العلماء المتقدمون هذه العلاقة التلازمية بين العلوم اللغوية العربية والعلوم الشرعية أساسا متينا في شرح المفردات في الخطاب القرآني، وبيان مدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[2]، فاللغة العربية جامعة لعلوم شتى منها: التصريف الذي به تعرف الأبنية والصيغ، [...]، وعلم النحو الذي يساعد على فهم المعنى في التراكيب اللغوية، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، وعلم الاشتقاق الذي به يعرف أصل اشتقاق اللفظة، وعلم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن الكريم، وبه يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، وعلوم البلاغة الثلاثة [...] التي بها يعرف القصد من مراد الشارع، ويدرك إعجاز القرآن الكريم[3]، وهذا ما يستدعي ضرورة الإلمام بهذه العلوم اللغوية قصد إعمال المناولة التساندية في قراءة النصوص البشرية عامة، والنص القرآني خاصة، وهي السبيل لبلوغ المعنى، ومادام أن النص القرآني ذو طبيعة لغوية و نصية، فإن تفسيره وتأويله يتمان بالاحتكام إلى جملة هذه العلوم اللغوية وغير اللغوية، فالعلوم اللغوية متماسكة أشد التماسك، ومترابطة أقوى الترابط، فلا يحصل للمفسر كثير الفائدة في بلوغ مرامي النص القرآني ومقاصده بدون استثمار التساند بين علوم اللغة العربية، وغيرها من العلوم والمعارف الإنسانية، وذلك ليكون النظر في النص القرآني أكثر ضبطا وانسجاما مع مقاصده، فالخطاب التفسيري خطاب متشابك العناصر، ومتساند المكونات اللغوية وغير اللغوية، فرغم فاعلية المكونات اللغوية (النصية) في بناء المعنى، إلاّ أنها تبقى غير كافية في الإحاطة بالمعنى، ما لم تستند أو تعزز بموجِّهات خارجية جديرة بتعضيدها ومساندتها قصد النفاذ إلى مقاصد النص القرآني، أي: تطالب البنى النصية فيما بينها أولاً، وانفتاحها على البنى السياقية لمساندة المعنى ثانياً، وهي الفكرة التي دعا إليها الدكتور محمد بازي في قوله: "التّطالب بين الجزئيات النصية، وما يتعلق بها من سجلات خارجية، له أثر كبير في المعنى تأكيداً

---

[1]- اللغة العربية في نظر الأصوليين، البشير محمد عبد الله، دبي: إدارة البحوث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، سنة:2008م، ص:56.

[2]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 877/4.

[3]- نفسه، 877/4-878.

وتوسيعاً أو تدعيماً أو تعزيزاً، وليس الشكل الذي توجد عليه خطابات التفسير العاملة إلا نتاجاً تتفاعل فيه قوة المعنى في بنيات النص بقوة المعنى في سياقاته أو موازياته الخارجية، ومن ثمة تصبح صناعة خطاب التفسير فعلا معرفيا تتناغم فيه الخلفيات المعرفية ومعطيات النص، تناغما تشارك في تشكيله كل المعارف والعلوم التي أنتجها العقل العربي."[1]، ويظهر من هذا الكلام، أنّ صناعة الخطاب التفسيري تقتضي معرفة موسعة بآليات تأويلية مختلفة نصية وسياقية، تتعاون فيما بينها وتتساند لتحقيق كفاية تأويلية بليغة، وقد نصَّ عليها المفسّرون وعلماء القرآن كذلك، وسمّاها الدكتور محمد بازي "بالنصوص الموازية"[2]، ما يعني أن المناولة التساندية رؤية عربية أصيلة، وهي في الحقيقة مناولة عربية قديمة جديدة تروم فهم النص القرآني والكشف عن مقاصده، فهي قديمة من جهة أننا نجد أثرها في التفاسير القرآنية عند بعض المفسرين الذين طبقوها دون التصريح بها، وجديدة من جهة كونها استمدت أسسها من اللسانيات الحديثة، وخاصة لسانيات النص التي حاولت أن تدرس الخطاب دراسة علمية عميقة وشمولية، وذلك بالاستعانة ببنيته الداخلية والبنى السياقية التي من شأنها أن تساعدنا في استنباط المعاني المضمرة، وإن كان هذا الفرع اللساني ما يزال- في نظر بعض الباحثين- عاجزا عن سبر أغوار النصوص، وهذا يرجع بالأساس إلى الغموض الذي يكتنف ماهية علم اللسانيات في ذاته عند معظم علماء اللسانيات الذين أثاروا عدة أسئلة خلافية، ومنها: "هل علم اللسانيات هو علم وصفي محض أو يجب أن يكون كذلك؟ وهل يدخل في مجال مهامه أيضا التقسيم المؤسسي علميا للنصوص والنقد اللغوي؟ وهل يجيز القيام بأحكام معيارية؟"[3]، وغيرها من الأسئلة التي أثارها هذا العلم بين الباحثين في سبيل الكشف عن إمكاناته في القراءة والتفسير، هذا مع العلم أن اللسانيات بفروعها ومناهجها الحديثة نشأت بناء على التراكم الفكري والمعرفي الذي أنتجه العقل البشري في علوم كثيرة سابقة عنها، ولذلك يرى جورج مونان أن أصول اللسانيات تضرب في عمق التاريخ الفكري والمعرفي الإنساني، إن اللسانيات الحديثة لم تنبثق فجأة في القرن التاسع عشر، كما تنفجر العاصفة في سماء صافية، لقد مهدت لظهورها آراء سابقة في اللغة، على الأقل منذ مصر القديمة[4]، واستنادا إلى هذه الرؤية فإن هناك من الباحثين من يرى بأن اللسانيات الحديثة لا تشكل سوى جزء خاص من التفكير اللغوي الممتد عبر

[1]- صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، جلال الدين محمد بازي، ص: 67.

[2]- نفسه، ص: 69.

[3]- لسانيات النص، عرض تأسيسي، كرستين أدمتسين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009م، ص: 70.

[4]- في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط:2010م، ص: 95-96.

التاريخ، والحضارات الإنسانية الكبرى[1]، وهذا ما جعل اللسانيات تستثمر العلوم والمعارف الإنسانية في دراسة الخطاب عامة، والخطاب القرآني خاصة، وصفا وقراءة وتفسيرا.

وعلى أي حال، فإننا سنحاول في هذا الفصل أن نستثمر إمكانات لسانيات النص في قراءة النص القرآني، لصياغة " أنموذج تحليلي يستخرج أعماق النص، ويكشف قيمه الجمالية، بل ليُكتشف به مزيد من المزايا الجمالية التي تنطوي عليها اللغة العربية ذاتها"[2]، وقد نبه كثير من علماء العربية إلى أهمية الدراسات القرآنية في تصحيح استعمال المفردات في اللغة العربية، قال الجاحظ: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. [...]، والعامة، وأكثر الخاصة، لا يفصلون بين ذكر المطر، وبين ذكر الغيث.[...] والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال"[3]، وهذا ما يستدعي أهمية العلم بألفاظ القرآن الكريم، فكل لفظ وُضع في النظم القرآني وضعا مقصودا، تحقيقا للمعاني التي يريدها الله عز وجل.

وعلى هذا الأساس، فإن التصور الذي نتبناه في هذا البحث هو استثمار تساند القراءات القرآنية والمكونات اللغوية وغير اللغوية من أجل الكشف عن اتساع المعنى في القرآن الكريم، إذ سنُعمل هذه المكونات مجتمعة داخل البنية اللغوية بشكل منظم ومنسق، ذلك أن "العلاقة القائمة بين المستويات اللغوية هي علاقة منظمة ومنسقة، وبهذا نستطيع أن ندرك أن نظام المعنى في الجملة العربية يخضع لنهايات الكلمات، تلك النهايات المتعلقة بظاهرة الإعراب، التي تمتاز بها اللغة العربية دون سواها، هذه الظاهرة تترجمها وحدات وعناصر لغوية، تعمل بواسطتها من الناحية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والسياقية؛ لتنصهر كلها في حقل علمي ومعرفي واحد، هو الحقل الدلالي"[4]، ويتطلب هذا التصور أن يكون مفسر النص القرآني متسلحا بجملة من العلوم والمعارف اللغوية وغير اللغوية التي من شأنها أن تساعده في التعامل مع النص القرآني، دراسة وتفسيرا وتأويلا، قصد النفاذ إلى أسراره

---

[1]– "تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف"، محمد إسماعيلي علوي، مجلة تجسير، المجلد الثالث، العدد1، 2021م، ص: 29.

[2]- في لسانيات النص وتحليل الخطاب: نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بودرع عبد الرحمن، مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، ص:12.

[3]- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو الجاحظ، 20/1.

[4]- التفاعل الدلالي بين المستويات اللسانية، صفية مطهري، مجلة التراث العربي، العدد:112 (ذو الحجة 1429هـ/ كانون الأول 2008م)، ص: 261.

ومقاصده، وننبه القارئ إلى أن عرض هذه المكونات اللغوية في استقلالها وانفصالها، لايعني عدم التكامل فيما بينها في سبيل الكشف عن دلالات جديدة، وإنما هو فصل إجرائي.

المبحث الأول: تساند القراءات القرآنية والمكون الصوتي

يعد المكون الصوتي[1] المدخل الأساس الذي يبنى عليه باقي المكونات اللغوية، وقد تنبه العلماء القدامى إلى أن الأصوات المنطوقة باللغة العربية، لها خصوصية متفردة في اللفظ المنطوق، وأن الحركات أبعاض الحروف، وهي تمثلات لما في نفس المتكلم من معان، وليست مجرد علامات لغوية اعتباطية كما في التصور اللساني الحديث[2]، و في تقديرنا ليس الأمر كذلك، وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بالأصوات في كتاب الله عز وجل، فهي دالة وحاملة للمعنى في القرآن الكريم، وهي "سر من أسرار الله تعالى، والعلم بها أشرف العلوم المخزونة عند الله"[3]، وإذا كنا نؤمن بالعلاقة القائمة بين أصوات اللغة العربية والمعنى في القرآن الكريم، فإن استثمارها في التحليل اللساني لقراءة النص القرآني، سيسهم بشكل كبير في توجيه المعنى، والكشف عن بعض مراد الله تعالى.

تتضح للمتأمل في القرآن الكريم معالم الظاهرة الصوتية في كثير من السور، قد يطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتتبع القصص القرآني في سوره، فتلك قضية لا يتسع لها مثل هذا الفصل، ولكن سنقدم فقط بعض النماذج لإظهار علاقة الأصوات بالمعنى في القرآن الكريم، مع التركيز على سورة المسد لإظهار أثر تساند القراءات القرآنية ومكونات اللغة في اتساع المعنى، فكل من تأمَّل كتاب الله تعالى، يجد أن تكرار الأصوات في القرآن الكريم له علاقة وطيدة بالمعنى في جميع سور القرآن الكريم، ومن ذلك تكرار صوت القاف في سورة (ق)، وفي سورة الفلق[4]، فمن الخصائص النطقية لهذا الصوت: الجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة...، فهو صوت شديد انفجاري يخرج من الحلق، فإذا تأملنا معاني السورتين الكريمتين، نجد تناسبا جميلا بين الشدة والقوة والمضمون العام للسورة، فسورة (ق) "مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْقَافِيَةِ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ ذِكْرِ الْخَلْقِ، وَتَكْرَارِ الْقَوْلِ، وَمُرَاجَعَتِهِ مِرَارًا، وَالْقُرْبِ مِنِ ابْنِ آدَمَ، وَتَلَقِّي الْمَلَكَيْنِ، وَقَوْلِ الْعَتِيدِ، وَذِكْرِ الرَّقِيبِ، وَذِكْرِ السَّابِقِ وَالْقَرِينِ وَالْإِلْقَاءِ فِي جَهَنَّمَ، وَالتَّقَدُّمِ بِالْوَعْدِ، وَذِكْرِ الْمُتَّقِينَ، وَذِكْرِ الْقَلْبِ، وَالْقَرْنِ، وَالتَّنْقِيبِ فِي الْبِلَادِ، وَذِكْرِ الْقَتْلِ مَرَّتَيْنِ، وَتَشَقُّقِ الْأَرْضِ، وَإِلْقَاءِ

---

[1]- يتشكل المكون الصوتي في اللسانيات من عنصرين، وهما: الفونيم: وهو أصغر وحدة غير دالة، والمورفيم: وهو أصغر وحدة دالة، وهذان العنصران، هما ما يشكل الكلمة التي تحمل معنى محددا.

[2]- يرى فرديناند دي سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول، هي علاقة اعتباطية.

[3]- رسائل ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي، المعروف بابن عربي، دار الكتب العلمية – بيروت، 2001م، ص: 83.

[4]- سورة (ق) سورة مكية، عدد آياتها: 45 آية، ترتيبها في المصحف 50، قبلها سورة الحجرات، وبعدها سورة الذاريات، ورد حرف القاف في مجموعها 65 مرة. جاء فِي «الْإِتْقَانِ»، أَنَّهَا تُسَمَّى سُورَةَ الْبَاسِقَاتِ. ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، 273/26. وسورة الفلق سورة مكية، عدد آياتها: 5 آيات، ترتيبها في المصحف 113، قبلها سورة الإخلاص، وبعدها سورة الناس، ورد حرف القاف في مجموعها 6 مرات. تسمى هي وسورة الناس «بالْمُعَوِّذَتَيْنِ»، وعَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: سُورَةَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ». ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، 623/30.

الرَّوَاسِي فِيهَا، وَبُسُوقِ النَّخْلِ، وَالرِّزْقِ، وَذِكْرِ الْقَوْمِ، وَخَوْفِ الْوَعِيدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَسِرٌّ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَعَانِي السُّورَةِ مُنَاسِبٌ لِمَا فِي حَرْفِ الْقَافِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْجَهْرِ وَالْقَلْقَلَةِ وَالِانْفِتَاحِ"[1]، فهذه المعاني الواردة في السورة الكريمة متناسبة مع الخصائص الصوتية المذكورة لصوت القاف، كما نجد هذه القوة والشدة في سورة الفلق، فالمعنى العام للسورة دال على أن اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ. فَقَالَ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾[2]. وَجَعَلَ خَاتِمَةَ ذَلِكَ الحسد، تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِهِ، وَكَثْرَةِ ضَرَرِهِ، وَالْحَاسِدُ عَدُوُّ نِعْمَةِ اللَّهِ[3]، فهي سورة تدور في فلك السحر والحسد وكل الشرور التي يمكن أن تصيب الإنسان، ولذلك أمرنا الله أن نتعوذ من شر ما خلق، فوقع العدول عن (من) إلى (ما)، هذا المد الصوتي الناتج عن حرف اللين، فيه عموم تقييدي وصفي، لا عموم إطلاقي، والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، فعمومها من هذا الوجه، وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله تعالى، فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض، والخير كله حصل على أيديهم، فالاستعاذة من: (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) تعم شر كل مخلوق فيه شر، وكل شر في الدنيا والآخرة، وشر شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، وشر النار والهواء، وغير ذلك"[4]، فهذا المد الصوتي الذي فيه العمق والطول على مستوى اللفظ يعكس عمقا على مستوى الدلالة والمعنى، فناسب هذا المد ما في صوت القاف من العمق، ثم إن صوت القاف وقع وسط لفظة (العُقَد) في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾[5]، وتدل هذه اللفظة في معناها المعجمي على شد وشدة وثوق[6]، أي الشد وإحكام الربط للشيء، وكذلك السحر يكون بربط العقدة في وسط الحبل، كما يكون النفث وسط العقدة، فالملاحظ إذن أن الشدة والقوة والعمق التي في صوت القاف هي الموجهة للمعنى العام للسورة الكريمة.

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 169/1.

[2]- سورة الفلق، الآية:2.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، 259/20-260.

[4]- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 215/2.

[5]- سورة الفلق، الآية:4.

[6]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 147/2.

وإذا أمعنا النظر في سورة الناس[1]، نجد أيضا تناسبا بين صوت السين والمضمون العام لهذه السورة الكريمة، فصوت السين من حروف الصفير الثلاثة، وهي: الصاد والسين والزاي، ويمتاز عنها بالهمس والرخاوة والاستفال، والهمس صوت خفي[2]، ويؤيد هذا المعنى المعجمي ما نجده في معاجم اللغة العربية، قال ابن فارس:" الْهَاءُ وَالْمِيمُ وَالسِّينُ يَدُلُّ عَلَى خَفَاءِ صَوْتٍ وَحِسٍّ. مِنْهُ الْهَمْسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ. وَهَمْسُ الْأَقْدَامِ أَخْفَى مَا يَكُونُ مِنْ وَطْءِ الْقَدَمِ"[3]، وكذلك النطق بصوت السين يكون فيه الهمس، "فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموسا"[4]، وعليه فإن هذه الخصائص النطقية لصوت السين، هي الموجه للمعنى العام لهذه السورة الكريمة، فالله تعالى يأمرنا بالتعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، فجمع في هذه السورة الكريمة بين الربوبية والملك والألوهية، وهو القادر على مواجهة الشرور الصادرة عن أي مخلوق سواء كان إنسيا أو جنيا أو حيوانا، أو ريحا أو صاعقة...، أو أي نوع كان من أنواع البلاء، فإذا تعوذنا بالله تعالى ذهب ذلك الشر، وعاش الإنسان في أمن وسلام، والملاحظ في واقعنا الاجتماعي أن بعض الناس الذين يُقدمون على فعل الشر دليل على ضعفهم، فهم لا يفعلون ذلك الشر إلا في الستر والخفاء، إذ الشر ليس من طبيعة الشخصية الإنسانية السوية، وإنما هو من عمل الشيطان الذي يحدِّث النفس البشرية في سر وخفاء، فيوسوس في صدور الناس، والصدور هي الأمكنة الخفية العميقة التي يطبعها الشيطان بالشر، وجاء في السورة الكريمة وصف الشيطان بالخناس على سبيل أنه كثير الاختفاء، قال ابن فارس: الْخَاءُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْفَاءٍ وَتَسَتُّرٍ. قَالُوا: الْخَنْسُ الذَّهَابُ فِي خِفْيَةٍ. يُقَالُ خَنِسْتُ عَنْهُ. وَأَخْنَسْتُ عَنْهُ حَقَّهُ. وَالْخُنَّسُ: النُّجُومُ تَخْنِسُ فِي الْمَغِيبِ. وَقَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَخْفَى نَهَارًا وَتَطْلُعُ لَيْلًا. وَالْخَنَّاسُ فِي صِفَةِ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهُ يَخْنِسُ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى[5]، فالملاحظ إذن أن المفردات التي ورد فيها صوت السين كلها تحمل دلالة الستر والخفاء، وهذا المعنى يتناسب مع الخصائص النطقية لصوت السين. والله تعالى أعلم.

---

[1]- سورة الناس سورة مكية، عدد آياتها: 6 آيات، ترتيبها في المصحف 114، قبلها سورة الفلق، ورد حرف السين في مجموعها 9 مرات. تسمى هي وسورة الفلق «بالْمُعَوِّذَتَيْنِ»، وَعَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» «سُورَةَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، 631/30.

[2]- أصوات الصفير عند ابن الجزري ثلاثة، وهي: الصاد والسين والزاي، ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 1/200-201.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 66/6.

[4]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 202/1.

[5]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 223/2.

وفي سورة المسد[1]، نجد تناسبا بديعا بين الخصائص النطقية لصوت الباء والمضمون العام للسورة الكريمة، فالباء من الأصوات الشفوية، يتصف بالجهر والشدة والقوة، وتعكس هذه الخصائص النطقية ما في قلب أبي لهب من غلظة وقسوة، فقد خسر خسارا شديدا، وألزمه الله خسرانا وهلاكا، لأنه لم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان[2]، فإذا أمعنا النظر في المفردات التي تضمنت صوت الباء في هذه السورة الكريمة، سنجد أنها وردت في سياق القوة والشدة، وأنها تناسبت تناسبا بديعا مع المضمون العام للسورة، فلفظة (تبت) في المعاجم اللغوية العربية من أصل: "تبب: التَّبُّ: الخَسارُ. والتَّبابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ"[3]، والواقع يكشف لنا عن الأضرار المادية والمعنوية للخسران والهلاك في الدنيا والآخرة، وما يشكلانه من شدة وقوة على الإنسان المهلوك، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ۝ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾[4]، وهذه الآية القرآنية نفسها توزع مضمونها على دلالتين: دلالة الشدة التي نستشعرها في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ ﴾، ودلالة الرقة واللين التي نستشعرها في سياق الإيمان بالله والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ۝ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾، ثم إن الإدغام الذي في لفظة (تَبَّتْ) علامة على هذه القوة والشدة. والظاهر أن التب دعاء، وتبَّ: إخبار بحصول ذلك، [...]، ويدل عليه قراءة عبد الله: وقد تبَّ[5]. و (أبو لهب) كنيته التي تدل على حُسْنِه وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، لكنها وردت في السورة الكريمة في سياق الذم لشدة خبثه، فوافقت حالته كنيته، ليكون هذا الرجل الشرير بين لهب في داخله التصق بها كناية، ولهب خارجه في الآخرة، لأنه

[1]- سورة المسد سورة مكية بالاتفاق، عدد آياتها: 5 آيات، ترتيبها في المصحف 111، قبلها سورة النصر، وبعدها سورة الإخلاص، ورد حرف الباء في مجموعها 9 مرات. سُميت في أكثر المصاحف «سُورَةَ تَبَّتْ»، وفي بعض المصاحف والتفاسير «سُورَةَ الْمَسَدِ»، وَسَمَّاهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ «سُورَةَ أَبِي لَهَبٍ» عَلَى تَقْدِيرِ: سُورَةِ ذِكْرِ أَبِي لَهَبٍ، وَعَنْوَنَهَا أَبُو حَيَّانَ فِي «تَفْسِيرِهِ» «سُورَةَ اللَّهَبِ»، وَعَنْوَنَهَا ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي «أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» «سُورَةَ مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ»، وَهُوَ عُنْوَانٌ وَلَيْسَ بِاسْمٍ، وَعُدَّتِ السَّادِسَةَ مِنَ السُّوَرِ نُزُولًا، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّكْوِيرِ، ورُوِيَ أَنَّ نُزُولَهَا كَانَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ. ينظر التحرير والتنوير، لابن عاشور، 599/30. وجاء في فضلها عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة». ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي (ت685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى: 1418 هـ، 346/5.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 565/10.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 226/1.

[4]- سورة العصر، الآيات:1-2-3.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 566/10.

في الدنيا من أهل النار، ومآله في الآخرة إلى نار ذات لهَب، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾[1]. وقد قرأ ابن كثير بإسكان الهاء (لهْب)، وقرأ الباقون بالفتح، وهما لغتان، وإنما يكون هذا فيما كان حرف الحلق فيه عين الفعل أو لامه في هذا الوزن[2]، ويتفق القراء على الفتح، ولهذا الاتفاق ما يبرره، وهو أن المشهور في كنيته فتح الهاء[3]، وأن الفتحة دالة على حركة لَهَب النار وقوة اضطرابها، ليشتد سُعارها في حق هذا الرجل الشرير، فضلا عن التناسب الصوتي بين الفواصل. وسواء كانت القراءة بالفتح أو الإسكان، فإن أبا لهب يبقى رهينا بين لهَب في الدنيا ولهَب في الآخرة. وأما لفظة (الحطب)، فإنه يقال في اللغة: حَطَبْتُ أَحْطِبُ حَطْبًا وحطَبا، [...]، واحْتَطَبَ احْتِطاباً: جَمَع الحَطَبَ[4]، ولا يكون هذا الجمع إلا بعد شدة جهد ومشقة. وفي لفظة (حبل) وقع صوت الباء في الوسط للدلالة على أن حزمة الحطب، لا يتأتى حملها إلا إذا تم إحكامها بشدة من الوسط. ونشير إلى أن ذكر (الحطب) في السورة الكريمة يتوافق مع ما تحكيه الروايات المتعددة عن امرأة أبي لهب، وهي: أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان، ومنها: أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةً مِنَ الشَّوْكِ وَالْحَسَكِ وَالسَّعْدَانِ، فَتَنْشُرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5]. فَذُمَّتْ بِذَلِكَ وَسُمِّيَتْ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، تَحْسِيسًا لِحَالِهَا، وَتَحْقِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ اللواتي يمارسن هذه الحرفة، لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ. وَلَقَدْ عَيَّرَ بَعْضُ النَّاسِ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ بِحَمَّالَةِ الْحَطَبِ، فَقَالَ: [من بحر البسيط المجزوء]

مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي *** أَمْ مَا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَـــبِ

غَرْسَاءُ شَاذِخَةٌ فِي الْمَجْدِ سَامِيَةٌ *** كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ[6].

ويُلاحظ في السورة الكريمة كثرة المدود الصوتية من قبيل: يدا - أبي لهب - ما أغنى - ماله - ما كسب - سيصلى - نارا - ذات - حمالة - جيدها، وهي امتدادات صوتية تؤشر على الاتساع النطقي والدلالي لبيان عمق الخسارة التي حلت بأبي لهب وامرأته في الدنيا والآخرة، وعليه فإن كل هذه المعاني متناسبة مع الشدة والقوة التي في صوت الباء. والله تعالى أعلم.

---

[1]- سورة المسد، الآية: 3.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 839/2.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 566/10.

[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 322/1.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.

[6]- نفسه، 568/10.

يظهر لنا في هذه السورة الكريمة تناسب الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات، فقد انتهت فواصل الآيات الكريمات بحرف الباء إلا الآية الأخيرة، فإنها انتهت بحرف الدال، وهو صوت يتفق مع صوت الباء في الجهر والشدة، ويتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء مارا بالحنجرة، فينحبس فترة قصيرة جدا، لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا محكما، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمع صوت انفجاري[1]، هو صوت الدال الذي يتميز عند علماء القراءات والتجويد بصفتين، وهما: الاستفالة والانفتاح، ولولا التسفل والانفتاح اللذان في الدال لصارت طاء، وإنما سميت مستفلة، لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها[2]، بل يستفل إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخرجها[3]، وإذا وقعت الدال ساكنة اكتسبت صفة القلقلة، ووجب بيانها وشدتها وجهرها، فإن كان سكونها لازما، وأتى بعدها حرف من حروف المعجم لاسيما النون، فلابد من قلقلتها وإظهارها لئلا تخفى عند النون، لسكونها واشتراكها في الجهر[4].

يتضح لنا من خلال هذه السمات الصوتية لمخرج الدال مدى توافقه مع صوت الباء في الجهر والشدة والقوة، وتقاربهما في المخرج، فيتحقق بذلك التناسب بين فواصل الآيات باستحضار التماثل الحاصل بين الصوتين، ويعد هذا التناسب من الخصائص التي تميز القرآن الكريم من كل كلام بليغ، ذلك أن كلام الله تعالى جمع بين الوفاء بحق المعنى وحق الصياغة وتناسب الفواصل الجامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام، فلا يجوز أن يقال إن القرآن الكريم يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل وحده، ولا لبلاغة المعنى وحدها، بل الذي يليق بكماله وجلاله أن يقال: إنه يختار ما يختار من ذلك، لأنه الأبلغ في موضعه، والأوفق في نسقه[5]، فالبلاغة القرآنية جمعت في آن واحد بين بيان المعاني، وما تقتضيه تلك المعاني من إيقاعات وأجراس في نسق بياني بديع، نجد فيه تلازما جميلا بين بلاغة الإقناع وبلاغة الإمتاع معا، ولذلك ربط الرماني القيمة الصوتية للفواصل بحسن إفهام المعاني، قائلا: "الفواصل حروف متشابهة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"[6]، فلا يخفى إذن

1- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992م، ص:48.

2- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاصر- بيروت، ص: 144.

3- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار- الأردن، ط3، 1996م، ص: 124.

4- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ص: 122.

5- التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، 1992م، ص: 369.

6- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص: 97.

ما لهذه الفواصل من أهمية بارزة، صوتيا ودلاليا، في تبيان شدة الخسارة والهلاك لأبي لهب وامرأته في الدنيا والآخرة، كما لا تخفى جماليتها التي تمثلت في المناسبة بين المعنى والإيقاع، بلغة مركزة، وأسلوب بديع جميل، فإذا تأملنا توزيع الأصوات وطريقة تأليفها في السورة الكريمة نجد تناسبا بديعا بين المقاطع الصوتية والمعاني في التراكيب القرآنية، فنتذوق حلاوة هذا التناسب الجميل الذي حقق للسورة الكريمة وظيفة جمالية ودلالية في آن واحد، وعليه؛ فإننا نجد كثرة المقاطع الصوتية المقفلة التي بلغ عددها 26 مقطعا، وهي متناسبة دلاليا مع مآل أبي لهب الذي خسر في الدنيا والآخرة ومآل حمالة الحطب التي ماتت مخنوقة، فكان لهذه المقاطع الصوتية أثر واضح في التناسب بين المعنى وحلاوة الإيقاع، بأسلوب مؤثر، وذلك لأن القرآن الكريم في المرحلة المكية كان خطابا إنذاريا مؤثرا في العاطفة والشعور والوجدان.

المبحث الثاني: تساند القراءات القرآنية والمكون المعجمي

لقد اهتم العلماء المسلمون منذ وقت مبكر بشرح مفردات القرآن الكريم تسهيلا لفهمه واستيعابا لمعانيه، لأن الناس ليسوا على درجة واحدة في فهم كتاب الله تعالى، وخصوصا بعد اتساع الفتح الإسلامي، ولذلك كانت الحاجة ملحة إلى التأليف في شرح ألفاظ القرآن الكريم وتحقيقها، فصار هذا العمل المعجمي ضروريا في فهم الخطاب القرآني والعلوم الشرعية على السواء، فتعددت مصنفات معاني القرآن التي اهتمت بالغريب، لأن أول ما يحتاج إليه من علوم القرآن هو العلم بألفاظه الذي يعيننا على فهم المراد من كلام الله عز وجل. قال الراغب الأصفهاني (ت: 502ه) رحمة الله عليه: " أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة."[1]، ولهذه الغاية احتل التأليف المعجمي في ألفاظ القرآن الكريم مكانة متميزة في المكتبة التفسيرية العربية، وذلك لأن شرح ألفاظ القرآن الكريم مدخل مهم للفهم الصحيح وبناء المعاني القرآنية، ومادام الأمر كذلك، فإننا سنحاول في هذا المبحث أن نتتبع بعض ألفاظ سورة المسد في التفاسير القرآنية من الناحية المعجمية والدلالية، لنكشف عن دلالاتها ومكامن الجمالية في استعمالها حسب السياق القرآني، ونذكر من ذلك لفظة (اليد) في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾[2]، فإِسْنَادُ الْهَلَاكِ إِلَى الْيَدَيْنِ، قد يكون إما من جهة الحقيقة، لأَنَّ الْعَمَلَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِاليدين، وهو في الحقيقة لصاحبهما، وإما من جهة المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، ذكر الجزء (اليدان)، وإرادة الكل (النفس)، وإما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من اللزوم في الجملة القرآنية، وهكذا تتضح لنا الجمالية في هذا الاستعمال من خلال الجمع بين المعنى المعجمي والمعاني المجازية، مما جعل هذا التعبير القرآني مفتوحا على الثراء اللغوي الذي يُفضي إلى تعدد المعاني القرآنية التي تتلاءم مع السياق وإعجاز النص القرآني.

---

[1]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت:502ه)، ص:6.

[2]- سورة المسد، الآية: 1.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1]، نجد أن لفظتي (المال) و(الكسب) يتسعان في السورة الكريمة لدلالات متعددة، فإذا نظرنا في بعض التفاسير القرآنية والنصوص الحديثية، نجد تعدد المعاني، ومنها:

- ماله يعني: رأس المال، وما كسب يعني: الأرباح.
- ماله يعني: الماشية، وما كسب يعني: نسلها ونتاجها.
- ماله يعني: المال الموروث من أبيه، وما كسب يعني: المال الذي كسبه بنفسه.
- ماله يعني: كل ما في ملكه من أموال، وما كسب يعني: عمله الخبيث وعداوته للإسلام.
- ماله يعني: ثروته، وما كسب يعني ولده، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَما كَسَبَ وَلَدُهُ.[2]، وَفِي الْحَدِيثِ الشريف: « إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، ووَلَدُه مِنْ كَسْبِهِ»[3]، و روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أي الكسب أطيب؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ»[4]، وقد يعني الكسب عرض الدنيا من عقار ونحوه، أو كل ما أتعب فيه الإنسان نفسه، ولم يجئه عفوا لا بميراث ولا بهبة... ، وقد يكون المراد بالكسب ولده، كما ورد في الحديث الشريف، فقد رُوي من أن" أولاد أبي لهب اختصموا عند ابن عباس، فتنازعوا وتدافعوا، فقام ابن عباس ليحجز بينهم، فدفعه أحدهم، فوقع على فراشه، وكان قد كف بصره، فغضب وصاح: أخرجوا عني الكسب الخبيث[5]، فكل هذه المعاني المستنبطة تمثل إحالة إلى خارج النص القرآني، وإذا أضفنا إليها قراءة الأعمش وأبي بن كعب: «وَمَا اكْتَسَبَ»[6]، فهذا الفعل بتاء الافتعال يدل على التصرف أو التسبب والاجتهاد في جمع المال، قال ابن منظور:" كسب: الكَسْبُ: طَلَبُ الرِّزْقِ، وأَصلُه الْجَمْعُ. كَسَبَ يَكْسِبُ كَسْباً، وتَكَسَّبَ واكْتَسَب. [...]، واكْتَسَب: تَصَرَّفَ واجْتَهَدَ"[7]، أي: تصرف واجتهد في جمع المال.

1- سورة المسد، الآية: 2.

2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.

3- حديث رواه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب (في الرجل يأكل من مال ولده)، 288/3. رقم الحديث:3528.

4- حديث صحيح، رواه أحمد في مسنده، 179/40. رقم الحديث:24148.

5- المحرر الوجيز، ابن عطية، 534/5.

6- نفسه، 534/5.

7- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 716/1.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ ۝٤ ﴾[1]، نجد أن لفظتي (المرأة) و(الْحَطَب) تنفتحان في هذا التعبير القرآني على تعدد التأويلات، فقد فرَّق المفسرون بين لفظتي (المرأة) و(الزوج)، وتساءلوا عن سبب استعمال لفظة (المرأة) في السورة الكريمة دون استعمال الزوج، وهو عدول معجمي يكشف عن سر إعجاز هذه السورة الكريمة على المستوى المعجمي والدلالي، إذ إن هذا الاستعمال المعجمي يناسب حال حمالة الحطب التي برأها الله تعالى من صفة الزوج، لأن الزواج أمر شرعي يقتضيه الدين الإسلامي الذي أهانته بسبب أعمالها الذميمة المعادية للإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر كذلك، فقد برأها الله تعالى من هذه الصفة، كما برأ امرأة نوح وامرأة لوط في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١ ﴾[2]، فالسياق القرآني هنا يبين أن امرأة نوح وامرأة لوط فاسدتان بجوار رجلين صالحين، فكان جزاؤهما دخول نار جهنّم، بخلاف امرأة فرعون التي مثلت نموذجا للمرأة الصالحة المؤمنة بجوار رجل كافر فاسد في الأرض، وهذا يدلّ على أن كل اختلال بين الرجل والمرأة يؤكد دقة اخيار الله سبحانه وتعالى للفظ الأنسب للمقام الأنسب.
قال السهيلي رحمة الله عليه (ت: 581هـ): "وَانْظُرْ كَيْفَ قَالَ: وَامْرَأَتُهُ، وَلَمْ يَقُلْ: وَزَوْجُهُ؛ لِأَنّهَا لَيْسَتْ بِزَوْجٍ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلِأَنّ التّزْوِيجَ حِلْيَةٌ شَرْعِيّةٌ، وَهُوَ مِنْ أَمْرِ الدّينِ يُجَرّدُهَا مِنْ هَذِهِ الصّفَةِ، كَمَا جَرّدَ مِنْهَا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ"[3]، ويتناسب هذا الاستعمال القرآني مع قراءة من قرأ على التصغير: وَمُرَيْئَتُهُ، وَمُرَيَّتُهُ، تَحْسِيسًا لِحَالِهَا وَتَحْقِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ اللواتي يمارسن هذه الحرفة، لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ والجدة[4]، ويدعم هذا المعنى قراءة عاصم والحسن والأعرج وابن محيصن: «حمالةَ» بالنصب[5] على سبيل الحال، أي: تصلى النار مقولا لها حمالة أو حال كونها حمالة، وإما على سبيل الذم والشتم تحقيرا لها، أي: تصلى النار – أعني أو أذم- حمالة

[1]- سورة المسد، الآية: 4.

[2]- سورة التحريم، الآيتان: 10-11.

[3]- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، 3/185-186.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/567. (بتصرف).

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 5/535.

الحطب، بناء على أن الإضافة غير حقيقية للاستقبال[1]. وسنرى باقي القراءات القرآنية التي اجتمعت في لفظة (حَمَّالَةُ) في المكون النحوي للكشف عن أثرها في اتساع المعنى.

أما لفظة (الحطب)، فقد أَوَّلَها المفسرون تأويلات مختلفة استنادا إلى تعدد الروايات المتعلقة بأسباب النزول، ومنها: أن امرأة أبي لهب كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةً مِنَ الشَّوْكِ وَالْحَسَكِ وَالسَّعْدَانِ، فَتَنْشُرُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رسول الله ﷺ[2]، فذمت بذلك، وسميت حمالة الحطب، فحُمِلت اللفظة في هذا السياق على سبيل الحقيقة، ويمكن أن تُحمل على سبيل الاستعارة أو على سبيل الكناية للدلالة على المشي بين الناس بالنميمة قصد زرع الفتنة بينهم، فشُبهت النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، فاستعير (الحطب) في موضع (النميمة) على سبيل الاستعارة، فقال: [حَمَّالَةَ] وَلَمْ يَقُلْ [رَاوِيَةَ] فَيُلَاحَظُ الْمَعْنَى[3]. وقد كانت كذلك، قال ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ[4]، وَيُقَالُ لِمن يفعل ذلك: يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَ النَّاسِ، أَيْ يُوقِدُ بَيْنَهُمْ نار الفتنة، وَيُورِثُ الشَّرَّ، فيكون الحطب هنا في هذا السياق مستعارا للنميمة، وتكون النميمة الكلام الذي تحمله للناس لتحرق به بيوتهم، وتنشر الفتنة بينهم. قال السهيلي: "وذُكر أنها كانت تحمل الشوك، وتطرحه في طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- [...]، فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب، والحطب لا يكون إلا في حبل، من ثم جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل"[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾[6]، فالآية الكريمة إخبار عن حال هذه المرأة الشريرة في نار جهنم، وقيل: إن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالخنق بالحبل،[...]. نعم ذُكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب[7]. لكن السؤال الذي يثير انتباهنا في هذه الآية الكريمة، هو لماذا وظف السياق القرآني لفظة (الجِيد) دون لفظة (العُنق)؟، مع العلم أن لفظة (العُنق) ذكرها القرآن الكريم في مواطن كثيرة في سياق الوعيد والعذاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي

[1]- روح المعاني، الألوسي، 687/30.
[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.
[3]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 438/3.
[4]- نفسه، 567/10-568.
[5]- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: 581هـ)، 304/3.
[6]- سورة المسد، الآية: 5.
[7]- روح المعاني، الألوسي، 501/15.

ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾[1]، فقد وردت لفظة (أَعْنَاقِهِمْ) في الآيات الكريمة في سياق العذاب، ووردت لفظة (الْجِيد) في سورة المسد كذلك في سياق الوعيد والعذاب، مع العلم أن هذه اللفظة ذكرها كثير من الشعراء في سياق المدح للدلالة على حسن المرأة وجمالها، قال الشاعر امرؤ القيس: [من بحر الطويل]

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ *** إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ[2].

فلاشك أن السياق القرآني استعمل هذه اللفظة في سورة المسد لغرض التهكم بأم جميل، ولذلك "قُدِّمَ الْخَبَرُ مِنْ قَوْلِهِ: (فِي جِيدِهَا) لِلِاهْتِمَامِ بِوَصْفِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْفَظِيعَةِ الَّتِي عُوِّضَتْ فِيهَا بِحَبْلٍ فِي جِيدِهَا عَنِ الْعِقْدِ الَّذِي كَانَتْ تُحَلِّي بِهِ جِيدَهَا فِي الدُّنْيَا، فتربط بِهِ، إِذْ قد كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا مِنْ أَهْلِ الثَّرَاءِ وَسَادَةِ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ[3]، فالجيد موضع القلادة التي تتزين بها المرأة، ولم يكن لهذه المرأة إلا ذلك الحبل في عنقها، فذكر الجيد لما قام الحبل مقام الحلى، وذِكْره في السورة الكريمة من باب التهكم والسخرية والبشارة بالسوء، ولم يذكر السياق القرآني لفظة (حبل) في قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾[4]، بل اكتُفي بدلالته العقلية، لأنه من لوازم الاحتطاب.

أما لفظة (المسد)، فقد قدَّم المفسرون بشأنها عدة تأويلات، منها: المسد هو الليف، وقيل: هو شجر باليمن تُصنع منه الحبال، وعليه؛ فالمسد هو الحبل المفتول، وقيل: هذا الكلام استعارة والمراد سلسلة من حديد في جهنم ذرعها سبعون ذراعا، ونحو هذا من العبارات، وقال قتادة: حبل من مسد، قلادة من ودع، قال ابن المسيب: كان لها قلادة فاخرة فقالت: لأنفقنها على عداوة محمد. قال القاضي أبو محمد: فإنما عبر عن قلادتها بهذا التعبير على جهة التفاؤل لها، وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث[5]، وذهب السهيلي إلى أن المسد شَجَرٌ يُدَقّ كَمَا يُدَقّ الْكَتّانُ فَتُفْتَلُ مِنْهُ حِبَالٌ[6]، فهو هنا حبل البئر، وقد

[1]- سورة غافر، الآيات: 70-71-72

[2]- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي (ت: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1425هـ/2004م، ص: 43.

[3]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 607/30.

[4]- سورة المسد، الآية: 4.

[5]- المحرر الوجيز، ابن عطية، 535/5. (بتصرف)

[6]-الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، 182/3.

جاء في صفة جهنم[1]، أي: حبل الدلو، وقد تعارف العرب على هذا المعنى في كلامهم وأشعارهم. قال النابغة الذبياني (604-535م): [من بحر البسيط]

مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النّحْضِ بَازِلُهَا *** لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ[2].

يظهر لنا أن لفظة (المسد) استعملت في هذا التعبير القرآني استعمالا مجازيا، لتكون في مقابلة العقد، ويكون الجيد في مقابلة الدلو، للدلالة على احتقار هذه المرأة بسبب ما كانت تقترفه من أعمال ذميمة في حق الرسول ﷺ. ويرى ابن قتيبة (ت:276ه) رحمة الله عليه أن المقصود بالمسد هو السلسلة المذكورة في سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[3]، كذلك قال ابن عباس، فيجوز أن يكون سماها مسدا، وإن كانت حديدا أو نارا أو ما شاء الله أن تكون، بالضفر والفتل[4].

يمكن القول: إن السياق القرآني ينتقي المفردات ذات البعد الإيحائي والدلالي قصد تقريب المعاني من أفهام الناس، فقد رأينا في هذه السورة الكريمة كيف تجاوز المفسرون الدلالات الحقيقية للمفردات إلى الكشف في عمق النص القرآني من خلال استحضار الدلالات المجازية التي تنفتح على إمكانات دلالية واسعة، نستشعر من خلالها جمالية الدقة في اختيار البدائل المعجمية التي تراعي السياق القرآني في تناغم وانسجام مع المكون البلاغي الذي جعل التعبير القرآني ثريا وغنيا بالدلالات، فقد استندت المفردات في تراكيبها اللغوية إلى النصوص الموازية والمعطيات البيانية التي تسمح بورود اللفظ إما على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز، وهما من المكونات البلاغية التي تمتلك قوة كبيرة في توجيه الدلالة، مما جعل السورة الكريمة مفتوحة على تعدد القراءات التأويلية التي تراعي السياق القرآني للحفاظ على مضمونها العام.

1- نفسه، 184/3.

2- شرح مفردات البيت الشعري: الْقَعْوُ: ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب، فإن كان من حديد فهو خُطاف، وإن دارت على حبل، فذلك الحبل يسمى الدَّرْك. وقوله: مقذوفة يقول: مرمية باللحم. والدَّخِيس: الذي قد رَكِبَ بعضه بعضاً. والنَّحْضُ: اللحم. وبازلها: نابها، ومعنى بزل، وفطر، واحد: وهو أن ينشق الناب. ينظر الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ص:577-578.

3- سورة الحاقة، الآية: 32.

4- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص: 162.

المبحث الثالث: تساند القراءات القرآنية والمكون الصرفي

إذا كان المدخل اللغوي مستوى من مستويات فهم القرآن الكريم، وذلك من خلال تحقيق الألفاظ من حيث معانيها في اللغة، فإن علم التصريف وعلم النحو من أبرز الأعمدة التي تقوم عليها صناعة الخطاب التفسيري، فقد أولى المفسرون عناية كبيرة للتحليل النحوي في العملية التفسيرية قصد الكشف عن المعاني القرآنية، فإذا كان المكون اللغوي يعنى "شَرْحُ مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ وَمَدْلُولَاتِهَا بِحَسَبِ الْوَضْعِ"[1]، وذلك بتحقيق الألفاظ من حيث معانيها في اللغة؛ فإنه من الواجب أن يكون المفسر ملما بالتصريف والنحو، فالأول: يعنى بأصول الكلمات ومصادرها، ويهتم بالأبنية والصيغ، وذلك بالبحث عن قواعد أبنية الكلمة العربية وأحوالها وأوزانها وتتبع سبل اشتقاقها، وهو العلم الذي لا يمكن أن يستغني عنه طالب العلم في إدراك المعنى، ويكفي أن نقول في فضله أن جزءا كبيرا من اللغة يتوقف عليه، لأن كثيرا من ألفاظ اللغة العربية تؤخذ بالقياس، ولا يُتوصل إلى القياس إلا بعلم الصرف، ولهذا كان محل عناية المفسرين على مر العصور، لأهميته في معرفة صيغ الكلمات وأبنيتها وعلاقتها بإنتاج الدلالة، والثاني: يبحث في التركيب من جهة إفادة المعاني، وذلك بالنظر في قواعد إعراب الكلمة داخل التركيب، وتحديد أساليب تكوين الجمل والخصائص التي تكتسبها الكلمة سواء كانت خصائص نحوية كالفاعلية والمفعولية أو التقديم والتأخير....، وذلك "لِأَنَّ الْمَعْنَى يَتَغَيَّرُ وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْإِعْرَابِ"[2]، ومن ثمة كانت حاجة علم التفسير إلى العلوم اللغوية حاجة ضرورية، ومن أمعن النظر في كتب التفسير، يجدها مليئة بالنصوص الدالة على ذلك، ومنها قول الزركشي: " فأما الذي تعرفه العرب، فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة و الإعراب... وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر تعلمه ليتوصل إلى معرفة الحكم"[3]، فهما علمان متلازمان، لا ينفصلان في صناعة الخطاب التفسيري، وذلك لأهميتهما وفضلهما في الكشف عن المعنى، وهذا مظهر من مظاهر التساند بين العلوم اللغوية في القراءة والفهم والتأويل، إذ لا يحل لأحد أن يفسر شيئا من كتاب الله عز وجل دون الإلمام بمكونات اللغة من صرف ونحو ومعجم وبلاغة...، وسنحاول في هذا المبحث الكشف عن بعض الظواهر الصرفية والنحوية المبثوثة في سورة المسد، لتبيان وظيفتها في بناء المعاني القرآنية.

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 213/4.

[2]- نفسه، 213/4.

[3]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي،2/ 164-165.

ففي قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝﴾[1]، ففي هاتين الآيتين الكريمتين بين الله تعالى خسران أبي لهب بصيغة الماضي دون المضارع: تبَّت وَتَبَّ/ ما أغنى عنه ماله/ ما كسب، فما السر في ذلك؟، فلا شك أن دلالة الماضي تختلف عن دلالة المضارع، فالماضي يدل على الثبات والدوام، بخلاف المضارع الذي يدل على التجدد، فقد ورد التعبير بالماضي، لأنه آكِدٌ لهول الخسارة التي حلت بأبي لهب، قال فخر الدين الرازي في سياق تفسير الآية الأولى من هذه السورة فيما معناه : أن التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ الْمَاضِي آكِدٌ للمعنى[2]، فالتعبير بالماضي هنا دلالة على تأكيد هذه الخسارة وتحققها، وقد حصلت بالفعل، ويؤيد هذا المعنى: قراءة ابن مسعود: وَقَدْ تَبَّ[3]، إخبار بحصول هذه الخسارة حقيقة، فلا ماله يغنيه عنها، ولا مما كسب، وقد رأينا- في المبحث المتعلق بتساند القراءات القرآنية والمكون المعجمي- أن لفظتي: المال والكسب في السورة الكريمة تتسعان لدلالات متعددة، وإذا أضفنا إلى هذه المعاني قراءة عبد الله والأعمش وأبي بن كعب: "وَمَا اكْتَسَبَ بِتَاءِ الِافْتِعَالِ."[4]، نجد أن هذا الفعل على وزن (افتعل)، ويدل في معاجم اللغة العربية على التصرف أو التسبب والاجتهاد في جمع المال[5]، فالإبدال بين الصيغتين في القراءات القرآنية، يتسع لأشكال متعددة من الكسب المادي والمعنوي، فالكَسْبُ: "ما يتحرّاه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظّ، كَكَسْبِ المال، وقد يستعمل فيما يظنّ الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرّة. والكَسْبُ يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدّى إلى مفعولين، فيقال: كَسَبْتُ فلانا كذا، والِاكْتِسَابُ لا يقال إلّا فيما استفدته لنفسك، فكلّ اكْتِسَابٍ كسب، وليس كلّ كَسْبٍ اكتسابا"[6]، وقد وقع التعبير بصيغة المثنى في لفظة (يدا)، لأن العمل أكثر ما يكون باليدين في جمع الثروات والأموال، فوقع إسناد الهلاك لليدين، وهو في الحقيقة للنفس على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية (ذكر الجزء وإرادة الكل)، ورغم هذا الثراء المعجمي والدلالي للفظتي: المال والكسب، فإن النتيجة التي كانت لأبي لهب، هي الخسران المفضي إلى الهلاك قولا وعملا.

1- سورة المسد، الآيتان: 1-2.

2- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 352/32.

3- الكشاف، أبو القاسم الزمخشري، 814/4.

4- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10. وينظر المحرر الوجيز، لابن عطية، 534/5.

5- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 716/1.

6- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:475-476.

وفي قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[1]، عدول عن التعبير بالفعل الماضي إلى التعبير بالفعل المضارع، إذ لَمَّا أَخْبَرَ الله تَعَالَى عَنْ حَالِ أَبِي لَهَبٍ فِي الْمَاضِي بثبات الخسران والهلاك في مَاله وَكَسْبه في الدنيا، أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، بِأَنَّهُ سَيَصْلَى نَارًا ذات لهب. فالسين للاستقبال وإن تراخى الزمان، وهو وعيد كائن إنجازه لا محالة[2]. فأفاد التعبير بالمضارع تجدد هذا الخسران والهلاك، وهو أنه سَيَصْلَى نارا في الآخرة، سواء في قراءة الجمهور بإضافة الفعل إلى فاعله، وهو مضمر في الفعل الذي تعدى إلى مفعول واحد (نارًا)، والمعنى: أنه يصير إلى النار، من الفعل: صَلَى، يَصْلَى، فهو صَالٍ، يُصْلَى فِي النَّارِ أَي: يُلْزَم النارَ. [...]، والصِّلاءُ، بالمدِّ والكَسْرِ: الشِّواءُ لأَنَّه يُصْلَى بالنَّارِ. [...]، وصَلَّيْتُه وصَلَيْتُ لَهُ: مَحَلْتُ بِهِ وأَوْقَعْتُه فِي هَلَكَةٍ من ذلك"[3]، واستنادا إلى هذا المعنى اللغوي، فإن أبا لهب يُلزم النار، ويقاسي حرها، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي هذا الفعل بالبناء للمجهول: سَيُصَلَّى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام[4]، فهذا الفعل من (صَلَّى، يُصَلِّي، تَصْلِيَةً)، وبهذا التشديد، أضيف إلى المفعول، ولم يسم فاعله، وتعدى إلى مفعولين: الأول مضمر في (يُصَلَّى)، قام مقام الفاعل، والثاني(نارًا)، والزيادة التي في الفعل زيادة في المعنى، فهي دالة على التكرير، لأن صيغة (فعَّل) تفيد ذلك عند علماء الصرف، والمعنى: أن الملائكة يكررون تَصْلِيَتَهُ بِحَرِّ النار، وسواء قرئ هذا الفعل بالبناء للمعلوم أو البناء للمجهول، فإن هذه الآية القرآنية أفادت الإخبار الصريح، بأنه من أهل النار، واستنادا إلى ما تحكيه الروايات عنه، فقد كان كذلك، لأنه مات على كفره.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾[5]، موطن الشاهد في الآية الكريمة، (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) نجد التعبير بصيغة (فَعَّال) للدلالة على المبالغة التي أفادت التكثير، وحكم صيغة (فَعَّال) كاسم الفاعل[6]، لأنها جاءت في الآية الكريمة بمعنى (فاعلة)، وتبين أيضا صيغة اسم الفاعل في قراءة من قرأ (حَامِلَةُ الْحَطَبِ) معنى دقيقا، وهو كون هذه الصيغة الصرفية دلت على حدث سيقع في المستقبل مع إفادة تأكيد وقوعه، فهي إذن حاملة للحطب بكثرة في الدنيا والآخرة، سواء على سبيل الحقيقة أو المجاز، فالحقيقة هو الحطب المعروف في الواقع، ويقال أيضا على سبيل المجاز: فلان يحطب على فلان

---

[1]- سورة المسد، الآية: 3.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.

[3]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 465/14-467-468.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/ 567.

[5]- سورة المسد، الآية: 4.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.

إذا وشى عليه[1]، ومشى بالنميمة قصد نشر الفتنة بين الناس، وقد كانت امرأة أبي لهب كذلك، استنادا إلى الرواية التي ذكرناها في المكون المعجمي، وما يعضد هذا المعنى في الإبدال بين الصيغتين الصرفيتين قراءة أبي قلابة: «حاملة» الميم بعد الألف[2]، أي: القراءة باسم الفاعل للدلالة على أنها حاملة الحطب بكثرة، وقرئ: وَمُرَيْئَتُهُ/ وَمُرَيَّتُهُ عَلَى التَّصْغِيرِ فِيهِمَا بِالْهَمْزِ وَبِإِبْدَالِهَا يَاءً وَإِدْغَامِ يَاءِ التَّصْغِيرِ فِيهَا[3]، تَحْسِيسًا لِحَالِهَا وَتَحْقِيرًا لَهَا بِصُورَةِ بَعْضِ الْحَطَّابَاتِ اللواتي يمارسن هذه الحرفة، لِتَمْتَعِضَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَمْتَعِضَ بَعْلُهَا، وَهُمَا فِي بَيْتِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَفِي مَنْصِبِ الثَّرْوَةِ، ويدعم هذا المعنى قراءة عاصم والحسن والأعرج وابن محيصن: «حمالةَ» بالنصب[4] على سبيل الحال، أي: تصلى النار مقولا لها حمالة أو حال كونها حمالة، وإما على سبيل الذم والشتم تحقيرا لها، أي: تصلى النار – أعني أو أذم- حمالة الحطب، بناء على أن الإضافة غير حقيقية للاستقبال[5]. وسنرى باقي القراءات القرآنية التي اجتمعت في لفظة (حَمَّالَةُ) في المكون النحوي للكشف عن أثرها في اتساع المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ ۝﴾[6]، نلاحظ بشكل واضح أثر التعريف والتنكير في الكشف عن الدلالة في هذه الآية الكريمة، فإذا كان علماء الصرف قد درسوا في مصنفاتهم باب النكرة والمعرفة، فإن لهذا الباب امتدادات في علمي النحو والبلاغة، وإذا كان التعريف في استعمالاته تحديدا وبيانا للدلالة، فإن التنكير كذلك قادر على إثراء الدلالة، متجاوزا المتعارف عليه، ومرد ذلك إلى موقع اللفظة داخل التركيب، وما توحي إليه من المعاني، ولذلك اهتم علماء العربية بثنائية التعريف والتنكير في الأسلوب العربي، فقالوا بضرورة تعريف المسند إليه، إذ بدون تعريفه لا يمكن أن يعتد بما يحكم عليه، ولأن الهدف من التعريف هو أن يكون الشيء المتحدث عنه محددا بين المتكلم والسامع، فيدور حوله الكلام، لإفادة المخاطب بالمعنى الذي تضمنه ذلك الكلام، ولذا فإن فكرة تعريف المسند إليه تتجاوز الأثر النحوي إلى إبراز الأثر الدلالي بمستوياته الإبداعية[7]. وسنتناول المعرفة والنكرة في هذه الآية الكريمة لغرض توضيح استعمالهما الفني في هذا التعبير القرآني، وأثرهما في إنتاج المعنى، ومن ذلك: الضمير في لفظة (جيدها)، فاللفظة معرفة بالإضافة، ولهذا الضمير (ها) فائدة كبيرة في الربط المحكم

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 565/10.
[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 535/5.
[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10.
[4]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 535/5.
[5]- روح المعاني، الألوسي، 687/30.
[6]- سورة المسد، الآية: 5.
[7]- في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، سعد أبو الرضا، دار المعارف، الإسكندرية،1987م، ص: 153.

بين المفردات في التعبير القرآني، فضلا عن وظيفته في الإيجاز، إذ لابد من الضمير المتصل في اللغة العربية من مرجع يعود إليه، "وذلك لأنك لا تضمر الاسم إلا بعد تقدم ذكره، ومعرفة المخاطب على من يعود ومن يعني"[1]، فهذا الكلام يبين أنه لا إضمار في الكلام إلا بعد الإظهار، تفاديا للبس والغموض، واستنادا إلى هذه القاعدة، فالضمير المتصل في لفظة (جيدها) يعود إلى امرأة أبي لهب، وذلك لغرض الإيجاز، ومن الضمائر المتصلة الواردة في هذه السورة الكريمة: (ما أغنى عنه ماله، وامرأته)، فالضمير المتصل في هذه المفردات، يحيل على اسم قبله، وهو أبو لهب لغرض الإيجاز الذي يمتاز به التعبير القرآني، وقد عطف قوله (وامرأته) على المضمر المرفوع دون أن يؤكد الضمير بسبب الحائل الذي ناب مناب التوكيد[2]، وبهذا يكون المعنى: سيصلى أبو لهب النار هو وامرأته المذمومة حمالة الحطب. ولا يخفى ما للتنكير من أثر فني في إثراء الدلالة، وخصوصا تنكير المسند إليه (حَبْلٌ)، لكونه وقع في الآية الكريمة مبتدأ مؤخرا، مسبوقا بخبر وقع شبه جملة بالجار والمجرور (في جيدها)، وهي نكرة مخصوصة، مقيدة بوصف (من مسد)، فإذا نظرنا إلى هذه اللفظة من جهة دلالتها الحقيقية، كونها حمالة الحطب في الدنيا، فاللفظة معرفة يراد بها الماضي، وإذا نظرنا من جهة دلالتها المجازية، كونها استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها لآخرتها، فاللفظة نكرة يراد بها الاستقبال[3]، كما أن تنكير لفظة (نارا) في قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۝ ﴾[4]، له دلالة على تفخيم شأن هذه النار على وجوه، منها: التوكيد والتهديد والتهويل، وهي مخصوصة، مقيدة بوصف، كونها ذات لهب. وسنتوسع في هذه القضية في أثناء مدارستنا للتقديم والتأخير في المكون البلاغي، إذ إنه من الصعوبة وضع الحدود الفاصلة بين المكونات اللغوية، فالتفاعل بينها يعكس في الحقيقة واقع اللغة بوصفها بنية مركبة ومعقدة، فلا يمكن أن نحدد المعاني إلا في إطار هذا التفاعل بينها، فالأسرار المعجمية كما رأينا تتحرك بين قطبي الحقيقة والمجاز، والأسرار الصوتية لا تنكشف إلا في الصيغ اللفظية والتراكيب اللغوية التي تبين عن أسرارها الدلالية والتداولية، فهي في تفاعل منظم ومنسق، يكشف عن المعاني العميقة في النص القرآني.

---

[1]- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي (ت: 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، 56/3.

[2]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 535/5.

[3]- نفسه، 535/5.

[4]- سورة المسد، الآية: 3.

المبحث الرابع: تساند القراءات القرآنية والمكون التركيبي (النحوي)

لقد كان علماء العرب المتقدمون يوظفون النحو وعلم المعاني في دراسة النص، فكان منهجهم يمزج بين هذين العلمين، ولاسيما عبد القاهر الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز". لكن العلماء الذين جاؤوا بعده جعلوا علم المعاني من علوم البلاغة، ولذا نرى ضرورة إعادة اللحمة بينهما، لأهميتهما معا في الكشف عن المعاني داخل التراكيب اللغوية، واستنادا إلى هذه الرؤية، فإن الدرس اللساني الحديث[1] يتجه إلى إعادة إعمال النحو إلى جانب علوم أخرى، مثل: الأصوات والصرف والدلالة وعلوم البلاغة...، وغيرها من العلوم، قصد الوصول إلى المعاني، وفي هذا السياق يقول الشاطبي عن سيبويه:" وَإِنْ تَكَلَّمَ فِي النَّحْوِ، فَقَدْ نَبَّهَ فِي كَلَامِهِ عَلَى مَقَاصِدِ الْعَرَبِ، وَأَنْحَاءِ تَصَرُّفَاتِهَا فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى بَيَانِ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولَ مَنْصُوبٌ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ يُبَيِّنُ فِي كُلِّ بَابٍ مَا يَلِيقُ بِهِ، حَتَّى إِنَّهُ احْتَوَى عَلَى عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَوُجُوهِ تَصَرُّفَاتِ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي"[2]، وبهذا التصور الشمولي لعلم النحو، يكتمل الفهم في دراسة النص القرآني، وتكون للأداء الفني إمكانات عالية في صياغة تراكيب قادرة على تحريك المعنى في أكثر من اتجاه، والقرآن الكريم في بيانه المعجز ينحى هذا الأسلوب بصورة واضحة، إذ نجد التعبير القرآني الواحد ينفتح على آفاق واسعة من الفهم بالموازاة مع مقاصد الشريعة الإسلامية. وسنحاول قدر الإمكان أن ندرس سورة المسد دراسة تركيبية- نحوية للكشف عن بعض مراد الله تعالى.

تصدرت السورة الكريمة بالفعل الماضي (تَبَّتْ)، ويدل الفعل الماضي عند النحاة على الثبات والدوام، ورأينا في معاجم اللغة العربية أن هذه المفردة، تدل على الخسران والهلاك، نقول: تَبًّا لِلْكَافِرِ، أَيْ هَلَاكًا لَهُ[3]، وتَبّاً لَهُ، عَلَى الدُّعاءِ، نُصِبَ لأَنه مَصْدَرٌ مَحْمُولٌ عَلَى فِعْلِه، كَمَا تَقُولُ سَقْياً لِفُلَانٍ، مَعْنَاهُ سُقِيَ فُلَانٌ سَقْياً، وَلَمْ يُجْعَلِ اسْمًا مُسْنَداً إِلَى مَا قَبْلَهُ. وتَبّاً تَبيباً، عَلَى المُبالَغَةِ. وتَبَّ تَباباً وتَبَّبَه: قَالَ لَهُ تَبّاً، كَمَا يُقَالُ جَدَّعَه وعَقَّره. تَقُولُ تَبّاً لِفُلَانٍ، وَنَصْبُهُ عَلَى الْمَصْدَرِ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، أَي أَلْزَمه اللهُ خُسْراناً وهَلاكاً. وتَبَّتْ يَداه تَبّاً وتَباباً: خَسِرتَا. قال ابن دريد: وكأَنَّ التَّبَّ المَصْدرُ، والتَّباب الاسْمُ. وتَبَّتْ يَداهُ: أي ضلتا وخسرتا.[...]، والتَّبَبُ والتَّبابُ والتَّتْبِيبُ: الهَلاكُ"[4]، والملاحظ أن التعبير بالفعل الماضي أفاد ثبات

---

[1]- يتبنى هذا التصور في الدرس اللساني الحديث جماعة من الدارسين، ومنهم: إبراهيم مصطفى، مصطفى جواد، أحمد عبد الستار الجواري، تمام حسان، مهدي المخزومي، أحمد مطلوب...، وغيرهم الذين يرون ضرورة إعادة اللحمة بين علم النحو وعلم المعاني.

[2]- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1997م، 54/5.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، 341/1.

[4]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، 226/1.

الخسران والهلاك ودوامهما لأبي لهب بكل أحواله وأشكاله، وقد تكررت هذه اللفظة مرتين (تَبَّتْ وتَبَّ) للدلالة على تأكيد هذا الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة، أي: أنه واقع لا محالة، وبين الجملتين الفعليتين (واو) العطف، ما يعني أن المعطوفين معا يشتركان في الفعل نفسه والحكم نفسه، وهو هنا الخسران والهلاك فما أشد هذا الخسران!، لأنه حكم من الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1]، الحرف (ما) في قوله تعالى: (ما أَغْنَى) يجوز أن يكون نفيا، وأن يكون استفهاما، فإذا كان نفيا، يكون المعنى: لا يغنيه ماله، ولا كسبه. قال ابن عاشور في سياق تفسير هذه الآية الكريمة،" اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ لِلِانْتِقَالِ مِنْ إِنْشَاءِ الشَّتْمِ وَالتَّوْبِيخِ إِلَى الْإِعْلَامِ بِأَنَّهُ آيِسٌ مِنَ النَّجَاةِ مِنْ هَذَا التَّبَاتِ، وَلَا يُغْنِيهِ مَالُهُ، وَلَا كَسْبُهُ، أَيْ لَا يُغْنِي عَنْهُ ذَلِكَ فِي دَفْعِ شَيْءٍ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ"[2]، أي لا يغنيه ماله بعد أن حكم الله عليه بالخسران والهلاك. وبتوجيه دلالة الحرف (ما) للاستفهام، يكون هذا الاستفهام على وجه التقرير والإنكار، فيكون المعنى: ما الذي أغناه ماله عنه؟. أما قوله تعالى: (وَمَا كَسَبَ)، فيحتمل أن تكون (ما) موصولة، بمعنى: (الذي كسب)، وما المصدرية (كَسْبُه)، والاستفهام، والمعنى: وَأَيُّ شَيْءٍ كَسَبَ؟ أَيْ لَمْ يَكْسِبْ شَيْئًا. ويرى ابن قيم الجوزية الفرق واضحا بين (ما) و(الذي): " الفرق بينهما أن (ما) اسم مبهم في غاية الإبهام، حتى أنها تقع على كل شيء، وتقع على ما ليس بشيء، ألا تراك تقول إن الله يعلم ما كان، وما لم يكن، لفرط إبهامها لم يجز الإخبار عنها، حتى توصل بما يوضحها، وكل ما وصلت به، يجوز أن يكون صلة ل (الذي)، فهو يوافق (الذي) في هذا الحكم، ويخالفها في إبهامها، فلا تكون نعتا لما قبلها، ولا منعوتة، لأن صلتها بعينها، غير النعت، وأيضا فلو نعتت بنعت زائد على الصلة، لارتفع إبهامها، وفي ارتفاع الإبهام منها جملة بطلان حقيقتها، وإخراجها عن أصل موضوعها"[3]، فالاسم (ما) في غاية الإبهام، ولأن الموصولات ضرب من الإبهام، فهو يوافق (الذي) في الصلة، ويخالفه في الإبهام، و(ما) في هذا السياق القرآني، فيه عموم تقييدي وصفي، لا عموم إطلاقي، أي: كل ما كان من كسب أبي لهب. ثم إن المصدرية من أقسام (ما) الموصولة، وذلك أنها إذا دخلت على الفعل كان معها في تأويل المصدر[4]، فيكون المعنى: لا يغني عنه مالُه وكَسْبُهُ. ويرى أبو حيان أن (ما) في قوله: (وَمَا كَسَبَ) موصولة، ويجوز أن تكون مصدرية، فإذا كانت (ما) الأولى في قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ) استفهاما، يجوز أن تكون (ما) الثانية في قوله: (وَمَا كَسَبَ)

---

[1]- سورة المسد، الآية:2.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 603/30.

[3]- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، 131/1.

[4]- نفسه، 142/1.

استفهاما أيضا، أي: وأي شيء كسب؟[1]، وفي تقديرنا – والله أعلم- لا يوجد ما يلزم اشتراط حمل الجملة الأولى على الاستفهام، لكي تُحمل الجملة الثانية عليه كذلك، إذ يمكن حمل الجملة الأولى على النفي على سبيل الإخبار، والجملة الثانية على الاستفهام على سبيل الإنشاء، فيكون المعنى: لم يغن عنه ماله. وهل كسب شيئا؟، فتكون الجملة الاستفهامية تقريرا لزيادة تأكيد الجملة الخبرية الأولى، كما يمكن حمل الجملة الأولى على الاستفهام، فيكون المعنى: ما الذي أغناه ماله عنه؟ وحمل الجملة الثانية على النفي، فيكون المعنى: ما كسب منفعة. كما يجوز حمل الجملتين معا على النفي على سبيل الإخبار، فيكون المعنى: ما أغنى عنه ماله، وما كسب شيئا. أو على الاستفهام، فيكون المعنى: ماذا أغناه عنه ماله؟ وأي شيء كسب؟، ولا شك أن هذا الحمل له أثر كبير في اتساع المعنى، مما جعل هذا التعبير القرآني منفتحا على تعدد المعاني، إذ وقع الجمع بين النفي الذي يستدعي امتلاك الخبر، والاستفهام الذي يفيد التوبيخ والإنكار، فلم يكتسب أبو لهب إلا المال غير النافع والأعمال السيئة، بدليل أن ما يمتلكه واقع تحت النفي القاطع الذي يصور لنا أبا لهب في الخسران المبين سواء في الدنيا أو الآخرة. فلننظر إلى أبي لهب سواء من جهة النفي أو الاستفهام في هذا التعبير القرآني، فإنه واقع في الخسران المبين، ليصدق عليه قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ۝ ﴾[2]، جملة فعلية أشارت إلى الهلاك في المستقبل بواسطة حرف السين الدال على الاستقبال، مع تضمن الجملة معنى الحدوث والتجدد التي تحملها دلالة الفعل المضارع، فبعد أن أخبر الله تعالى عن حال هذا الرجل الشرير في الماضي بالخسران في ماله وكسبه، أخبر عن حاله في المستقبل، بأنه سيصلى نارا ذات لهب، وفي كل هذا إشارة إلى استكمال أطوار العذاب، فقد أخبره الله تعالى بزوال الخير والنعم في الدنيا، وحصول العذاب الأبدي في الآخرة.

وفي قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةُ اُ۬لْحَطَبِ ۝﴾[3]، نجد أن هذه الآية الكريمة، تتسع لمعان كثيرة من خلال تعدد القراءات القرآنية وتعدد التوجيهات النحوية، ومن هذه المعاني:

- أن الواو في الآية الكريمة حرف عطف، فتكون (امْرَأَتُهُ) معطوفة على الضمير المرفوع في (سَيَصْلَى) الذي يرجع إلى أبي لهب، هذا الحرف الذي يفيد الاشتراك في الحكم بين المتعاطفين علامة على ارتباط عذابها بعذاب زوجها، فدل هذا الارتباط النحوي على الاشتراك في العذاب، ليكون مصيرهما معا، عذاب جهنم.

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 567/10. وينظر أيضا روح المعاني، للألوسي، 498/15.

[2]- سورة المسد، الآية:3.

[3]- سورة المسد، الآية:4.

- أن الواو في الآية الكريمة للاستئناف، فيكون العدول عن التعبير بالجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام، لتكون لفظة (امْرَأَتُهُ) مرفوعة على الابتداء، ولفظة (حَمَّالَةَ) منصوبة على الذم، وخبرها (في جيدها حبل من مسد)، فدل هذا الاستئناف النحوي على مواجهتها نوعا مخصوصا من العذاب الذي يناسب أفعالها الذميمة المعادية للرسول ﷺ والإسلام.

وإذا نظرنا من جهة تعدد القراءات القرآنية التي اجتمعت في لفظة (حَمَّالَةُ)، نجد أنها تفتح لنا آفاقا واسعة في الفهم، فقد قرأ الجمهور: «حمالةُ» بالرفع، وقرأ عاصم: «حمالةَ» بالنصب على الذم، وهي قراءة الحسن والأعرج وابن محيصن، وقرأ ابن مسعود: «حمالةٌ للحطب» بالرفع ولام الجر، وقرأ أبو قلابة: «حاملة» الميم بعد الألف[1]، فهذه القراءات تفتح لنا مسالك دلالية متعددة، ومنها:

- أن القراءة بالرفع عند الجمهور، جاءت على سبيل أنها جملةٌ مِنْ مبتدأ وخبرٍ سِيقَتْ للإخبار بذلك، ويمكن أن يحمل الرفع على أوجهٌ: كونُ اللفظ(حمالةُ) نعتاً ل «امرأتهُ»، وجاز ذلك لأن الإضافةَ حقيقيةٌ؛ إذا كان المرادُ المضيُّ، أو كونُه بياناً أو كونُه بدلاً. وخاصة إذا كان هذا اللفظ لَقَبًا لَهَا، جَازَ فِيهِ الرَّفْع، فَيكُونَ عَطْفَ بَيَانٍ، أو بَدَلًا، أو كونُه خبراً لمبتدأ مضمرٍ، أي: هي حَمَّالَةُ الْحَطَبِ.
- أن القراءة بالنصب، تكون إما على الحال، والمعنى: تصلى النار مقولا لها حمالة أو حال كونها حمالة، وإما على الذم والشتم، والمعنى: أذم وأشتم حمالةَ الحطب، لأفعالها الذميمة المعادية للإسلام.
- أن القراءة بالتنوين (حمالةٌ الحطب)، دالة على هذا الوصف الملازم لها في الزمن المستقبل إلى الآخرة، وما يقوي هذا المعنى قول من قال من المفسرين: "إِنَّ حَالَهَا يَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةَ الشَّوْكِ، فَلَا يَزَالُ عَلَى ظَهْرِهَا حُزْمَةٌ مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ أَوِ الضَّرِيعِ، وَفِي جيدها حبل من مسد مِنْ سَلَاسِلِ النَّارِ، كَمَا يُعَذَّبُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِمَا يُجَانِسُ حَالَهُ فِي جُرْمِهِ"[2].

1- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 535/5.

2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/ 568.

- أن القراءة باسم الفاعل، محتملةُ لقراءةِ العامَّةِ، لأن فَعَّالٌ أَحَدُ الْأَمْثِلَةِ السِّتَّةِ وَحُكْمُهَا كَاسْمِ الْفَاعِلِ[1]، أي: أن وزن فَعَّالٌ الذي للمبالغة حكمه كاسم الفاعل للدلالة على كثرة أعمالها الذميمة، "وفي الرفع أيضا ذم، لكن هو في النصب أبين، لأنك إذا نصبت لم تقصد أن تزيدها تعريفا وتبيينا، إذا لم تجر الإعراب على مثل إعرابها، إنما قصدت إلى ذمها [...]، وعلى هذا المعنى يقع النصب في غير هذا على المدح"[2]، فكل هذه القراءات القرآنية تتفق على ذم وشتم هذه المرأة لأعمالها الخبيثة، ولذلك كان لها أثر بالغ في تعدد الروايات التي تحكي الأفعال الذميمة لهذه المرأة بالموازاة مع مضامين السورة القرآنية.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾[3]، جملةٌ من خبرٍ مقدمٍ ومبتدأ مؤخرٍ، والجملةُ حاليةٌ، وقيلَ: الظرفُ خبرٌ لامرأتِه، وحبلٌ مرتفعٌ بهِ على الفاعليةِ، وقيلَ: هُو حالٌ من امرأتِه على تقديرِ عطفِها على ضميرِ سيصلَى، وحبلٌ فاعلٌ[4]، وقد ورد التعبير القرآني بالجملة الاسمية لدلالته على الثبات والدوام، فأفاد الإشارة إلى دوام حالها على حمل حزمة من حطب جهنم، كالزقوم والضريع، وفي جيدها سلسلة من النار[5]، للدلالة على عذابها الأبدي في نار جهنم.

---

[1] - نفسه، 567/10.

[2]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 839/2.

[3]- سورة المسد، الآية: 5.

[4]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، 211/9.

[5]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى،1418هـ، 346/5.

المبحث الخامس: تساند القراءات القرآنية والمكون الدلالي (البلاغي)

تعد علوم البلاغة من العلوم التي برع فيها العرب، وعُرفوا بها على مر العصور، فأنتجوا بها فن الشعر الذي شغلهم بسحره وجماله وحلاوته وطلاوته قبل نزول القرآن الكريم الذي خلب ألبابهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فهي من أهم الوسائل والآليات التي تمكن المفسر من النظر السديد في القرآن الكريم للكشف عن بعض الأسرار واللطائف الربانية التي أودعها الله في كتابه المعجز، فإذا كان علم النحو ينظر في الكلام من حيث صحته واستقامته مع إفادة المعنى، فإن علوم البلاغة تستلم المشعل من النحو، وتبدأ مما انتهى إليه هذا الأخير، من أجل الوصول إلى الفروق الدقيقة بين المعاني، مما يجعلنا نقر بالعلاقة التلازمية الضرورية بين علم النحو وعلوم البلاغة، فلا تعدم في كتب النحو إشارات بلاغية، ولا تفتقد في كتب البلاغة لمحات نحوية، فقد "ميز النحاة المتقدمون بين مستويين في النحو، فكان المستوى الأول: تلك القواعد المجردة التي استند فيها النحويون إلى كلام العرب الفصيح المنقول نقلا صحيحا [...]، أما المستوى الثاني: فكان يتمثل في العلاقات المتنوعة بين الكلمات، ثم بين الجمل"[1]، وبهذا كان لعلوم البلاغة أثر واضح في الوقوف عند المعاني والفروق الدقيقة بين الألفاظ والتراكيب اللغوية، وسنحاول في هذا المكون أن نرصد بعض الإشارات البلاغية المبثوثة في سورة المسد، وتبيان أثرها في اتساع المعنى، ونشير بداية إلى أن افْتِتَاح السُّورَة بالتباب مُشْعِرٌ، بِأَنَّهَا نَزَلَتْ لِتَوْبِيخٍ وَوَعِيدٍ، فَذَلِكَ بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالٍ[2]، مِثْلَ مَا تُفْتَتَحُ به بعض السور القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾[3]، وتُفتتح به كذلك أَشْعَارُ الْهِجَاءِ بِمَا يُؤْذِنُ بِالذَّمِّ وَالشَّتْمِ، فإذا كانت لفظة (تبَّت) تدل في المعاجم اللغوية العربية على الهلاك والخسران، فإن دلالتها يمكن أن تتسع لأكثر من معنى من خلال إمكانية توجيه الأسلوب القرآني توجيها بلاغيا، إذ يمكن توجيه اللفظتين [تَبَّتْ وَتَبَّ] داخل هذا النظم القرآني على الخبر، أو على الإنشاء، أو الأولى على الإنشاء والثانية على الخبر، وتؤيد كون الثانية خبرا، قراءة من قرأ " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَقَدْ تَبَّ". وهي قراءة غير متواترة منسوبة إلى عبد الله بن مسعود وأُبَيّ والأعمش[4]، فتوجيه اللفظتين على الخبر، ممكن من جهة أن اللفظة الأولى إخبار بهلاك يديه، واللفظة الثانية إخبار

---

[1]- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، طبع دار نوبار للطباعة، ط1، القاهرة، (د.ت)، ص: 38-39.

[2]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 600/30.

[3]- سورة المطففين، الآية: 1.

[4]- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، 234/20-236.

بهلاكه كله. وقد جاء التعبير بالماضي في الموضعين لتحقق الوقوع[1]، وَإِسْنَادُ الْهَلَاكِ إِلَى الْيَدَيْنِ، قد يكون إما من جهة المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، ذكر الجزء(اليدان)، وإرادة الكل (النفس)، وإما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من اللزوم في الجملة القرآنية، ولِأَنَّ الْعَمَلَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِاليدين، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلنَّفْسِ، وكان لقراءة (وَقَدْ تَبَّ) أثر واضح في إجماع المفسرين على تخصيص اللفظة الثانية بالخبر للدلالة على خسران وهلاك أبي لهب، وذلك أنهم عملوا بما يقتضيه المنطق من أن الدعاء يسبق خبر الهلاك، لكي تكون العلاقة بينهما منطقية، ولا يمكن كذلك، إذا سبق الخبر الدعاء. كما يُلاحظ أن إسناد (التباب) إلى يدي أبي لهب في الآية الكريمة، أمكن معه حمل اليدين على ظاهر أو مؤول يحيل إلى خارج النص، فأما الظاهر، فهو يحيل إلى ما روي في الحديث الشريف: "حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " قَالَ أَبُو لَهَبٍ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾"[2] وغيرها من الروايات التي ذكرها المفسرون، وأما المؤول، فهو عدول اليد عن الحقيقة إلى المجاز، أي: حمل اليد على معنى النعمة، إذ كان أبو لهب يحسن إلى النبي ﷺ، ويقول: إن كان الأمر لمحمد، فلي عنده يد، وإن كان لقريش فكذلك، فأُخبر أنه خسرت يده التي كانت عند النبي ﷺ بعناده، ويده التي عند قريش أيضا بخسران قريش وهلاكهم"[3]، وغيرها من التأويلات التي ذكرها المفسرون في تفاسيرهم للدلالة على التهكم من أبي لهب والسخرية به. وما يثير انتباهنا في هذا التعبير القرآني هو العدول عن التصريح باسمه الحقيقي(عبد العزى) إلى الكنية (أبو لهب) التي تدل على حُسْنِه وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، فهي كنية تستدعي المدح، لكنها وردت في السياق القرآني على سبيل الذم، والاسم أشرف من الكنية، فحطه الله عن الأشرف إلى الأنقص، فَوَافَقَتْ حَالَتُهُ كُنْيَتَهُ، ويعد التجانس مع الجملة القرآنية ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾[4] لونا من ألوان التناسب الفني في السورة الكريمة، إذ أسهم بشكل كبير في تحول دلالة هذه الكنية من المدح إلى الذم من خلال رابط المعنى بين المتجانسين، فتحققت الموافقة لفظا ومعنى، لتكون هذه الشخصية الشريرة بين لهب التصق بها كناية، ولهب النار في الآخرة، لأن الله

---

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (ت: 1270هـ)، 497/15.

[2]- حديث رواه البخاري في صحيحه، 104/2. رقم الحديث:1394.

[3]- روح المعاني، الألوسي، 497/15.

[4]- سورة المسد، الآية:3.

يعلم أزليا باستحالة إيمانه، وبموته على الكفر، فهو في الدنيا من أهل النار، ومآله في الآخرة إلى نار ذات لهب.

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1]، يحتمل أن تكون (ما) نافية أو استفهامية، كما رأينا في المكون التركيبي (النحوي)، فبتوجيه دلالة هذا الحرف للنفي، يكون الكلام خبرا لغرض الإنكار، أَيْ: لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ، وبتوجيه دلالة الحرف (ما) للاستفهام، يكون الكلام إنشاء على وجه التقرير والإنكار، وَالْمَعْنَى: أَيْنَ الْغِنَى الَّذِي لِمَالِهِ وَلِكَسْبِهِ؟، فقد حقق هذا الحرف دورا مهما في اتساع المعنى، فوقع الجمع بين النفي الذي يستدعي امتلاك الخبر، والاستفهام الذي يفيد التوبيخ والإنكار. ويمكن حمل الجملة القرآنية (وما كسب) على (ما) الموصولة (الذي كسب)، وما المصدرية (كسبه)، والاستفهام، والمعنى: وَأَيُّ شَيْءٍ كَسَبَ؟ أَيْ لَمْ يَكْسِبْ شَيْئًا، فلا يوجد ما يُلزم اشتراط حمل الجملة الأولى على الاستفهام، لكي تُحمل الجملة الثانية عليه كذلك، إذ يمكن حمل الجملة الأولى على النفي على سبيل الإخبار، والجملة الثانية على الاستفهام على سبيل الإنشاء، فيكون المعنى: لم يغن عنه ماله. وهل كسب شيئا؟، فتكون الجملة الاستفهامية تقريرا لزيادة تأكيد الجملة الخبرية الأولى، كما يجوز حمل الجملتين معا على النفي أو على الاستفهام، وبذلك كان لهذا الحمل أثر كبير في اتساع المعنى، إذ يتسع هذا التعبير القرآني لأشكال الكسب المادي والمعنوي، كما رأينا في المكون المعجمي، وبالعودة إلى السياق القرآني، نجد أن أبا لهب لم يكتسب إلا الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، بدليل أن ما يمتلكه واقع تحت النفي القاطع الذي يصور لنا أبا لهب في الخسران المبين سواء في الدنيا أو الآخرة، فلننظر إلى صورة أبي لهب من أية جهة نريد: الخبر أو الإنشاء، فإننا لا نجده إلا في هذا الخسران المبين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾[2]، تحقق إمكانية الفصل والوصل بين هذه الآية الكريمة والآية التي قبلها، فالفصل يتمثل في كون الواو في الآية الكريمة للاستئناف، لتكون لفظة (امْرَأَتُهُ) مرفوعة على الابتداء، ولفظة (حَمَّالَةَ) منصوبة على الذم، وخبرها (في جيدها حبل من مسد)، فدل هذا الفصل بين الآيتين على مواجهتها نوعا مخصوصا من العذاب الذي يناسب أفعالها الذميمة المعادية للرسول ﷺ والإسلام، والوصل يتمثل في كون الواو في الآية الكريمة حرف عطف، فتكون (امْرَأَتُهُ) معطوفة على الضمير المرفوع في (سَيَصْلَى) الذي يرجع إلى أبي لهب، فدل هذا الوصل على الاشتراك في الحكم نفسه، ليكون مصيرهما معا، عذاب جهنم، ويدعم هذا المعنى تعدد القراءات

1- سورة المسد، الآية:2.

2- سورة المسد، الآية:4.

القرآنية التي اجتمعت في لفظة (حَمَّالَةُ)، فهي تتفق بإيجاز على ذم وشتم هذه المرأة بسبب أعمالها الذميمة ضد الإسلام والمسلمين، ولذلك كان لها أثر بالغ في تعدد الروايات التي تحكي شرور هذه المرأة بالموازاة مع مضامين السورة القرآنية التي تضعنا بإزاء صورتها، وهي صورة يمكن أن تحمل على الحقيقة أو على المجاز، فأما الحمل على الحقيقة، فإنه ثابت بما تحكيه الروايات المتعددة التي تذُم أمَّ جميل في التفاسير القرآنية، ولذَلِكَ سُمِّيَتْ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، وأما الحمل على المجاز، فهو ثابت أيضا بتعدد الروايات التي تُقر أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمةِ قصد زرع الفتنة بينهم، إذ يُقَالُ لِمن يفعل ذلك : يَحْمِلُ الْحَطَبَ بَيْنَ النَّاسِ، أَيْ يُوقِدُ بَيْنَهُمُ نار الفتنة، وَيُورِثُ الشَّرَّ، فيكون الحطب هنا مستعارا للنميمة، وتكون النميمة الكلام الذي تحمله للناس، فتأتي به بطون قريش، لتحرق به بيوتهم. ويدل على هذا المعنى قول الشاعر: [من بحر الرجز]

إنَّ بَنِي الأَدْرَمِ حَمَّالو الحَطَبْ *** هُمُ الوشاةُ في الرِّضا وفي الغضبْ[1].

في الشطر الثاني من هذا البيت شرح وبيان للاستعارة التي يتضمنها البيت (حَمَّالُو الحَطَب)، فالحطب مستعار للنميمة، أي: أن هؤلاء هم الوشاة الذين يحملون النميمة - في الرضا وفي الغضب- من أجل نشر الفتنة بين الناس، وكذلك كانت امرأة أبي لهب، لتكون الصورة الكاملة لها في هذه السورة الكريمة، مبنية بناء استعاريا قائما على شبَه اكتساب الخطايا والآثام والذنوب بالاحتطاب، فكأنما تحطب ذنوبها على نفسها، فتحملها على ظهرها، لتهيئها للآخرة، كما يحمل الكفار أوزارهم على ظهورهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾[2]، والتعبير بالاستعارة ميزة القرآن الكريم، فهو يحفل بتعابير استعارية كثيرة تمتاز بحسن النظم، والتلاؤم مع السياق، وبلاغة الإيجاز، وقوتها الدلالية التي تتمثل في بعدها الإيحائي والدلالي المؤثر، مما يُفضي إلى بيان المعنى بطريقة فنية جميلة.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾﴾[3]، تقديم المسند (في جيدها) على المسند إليه (حبل)، فقد قدم الخبر (في جيدها) الذي هو شبه الجملة بالجار والمجرور على المبتدأ (حبل) في الآية الكريمة، واستنادا فإن تقديم لفظ أو تأخيره في نظم الكلام، يكون مقصودا يقتضيه غرض بلاغي، وهنا

---

[1]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالزجاج، 376/5.

[2]- سورة الأنعام، الآية:32.

[3]- سورة المسد، الآية: 5.

في الآية الكريمة أفاد الاختصاص والقصر الذي هو من أساليب التوكيد[1]، حيث إن حبل المسد مقصور على حمالة الحطب، وخاص بها، وتدفعنا هذه الخصوصية إلى القول بأن لفظة (الحبل) في علاقتها (بالجيد) تنفتح على تعدد الدلالات، نستشفها من خلال ما ورد في بعض التفاسير، إذ يمكن أن تكون إحالة إلى قلادة من ودع أو خرز أو جوهر[2]، كانت تتباهى بها امرأة أبي لهب، وتقول:" واللات والعزى لأنفقنّها على عداوة محمد"[3]، وخاصة أن لفظة (الجيد) تتناسب مع المحاسن والزينة للدلالة على جمال المرأة، غير أن السياق القرآني أورد هذه اللفظة على سبيل التهكم، وبذلك يصدق عليها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[4]، كما يمكن أن تحمل لفظة (الحبل) على الاستعارة للدلالة عما أخبر به القرآن الكريم عن سلاسل من حديد في جهنم[5]، فيكون ذلك تنكيلا لها أكثر، ويمكن أن تحمل على الحقيقة إحالة إلى تعدد الروايات المروية عن هذه المرأة، ومنها: " أَنَّهَا مَاتَتْ مَخْنُوقَةً بِحَبْلِهَا، وَأَبُو لَهَبٍ رَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَدَسَةِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ بِسَبْعِ لَيَالٍ[6]، فيكون الإخبار في السورة الكريمة قبل وقوع هذا الحدث من قبيل الإخبار بالغيب على وجه الإعجاز. – والله تعالى أعلم –.

نتذوق- في السورة الكريمة- تناسبا بديعا بين الإيقاع الصوتي والدلالة، وهذا مظهر من مظاهر بلاغة الفواصل القرآنية التي تمتاز بإعجازها البياني، لأنها تحفل بالمعاني الدقيقة في تناغم وانسجام مع الألفاظ ذات الجرس القوي، وفق نظم بديعي تميز باعتدال نسق الكلام مع وضوح الدلالة وثبوتها، وحسن موقعها في النفوس، وهكذا رسمت هذه السورة الكريمة في وجداننا صورة بَشِعة لأبي لهب وامرأته بسبب أعمالهما الدنيئة المعادية للرسول محمد ﷺ والإسلام، فقد روي أن هذه المرأة، لما سمعت هذه السورة الكريمة، أتت أبا بكر، وهو في المسجد مع رسول الله ﷺ، وَبِيَدِهَا فِهْرٌ، فَقَالَتْ: بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، فوضع الله بينها وبين الرسول محمد ﷺ حجابا، ورُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ لَهَا: هَلْ تَرَيْ مَعِي أَحَدًا؟ فَقَالَتْ: أَتَهْزَأُ بِي؟ لَا أَرَى غَيْرَكَ. وَإِنْ كَانَ شَاعِرًا فَأَنَا مِثْلُهُ أَقُولُ:

[1]- دراسات قرآنية في جزء عم، محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، 1989م، ص: 262.

[2]- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، 682/24. وينظر البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، 568/10.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 568/10.

[4]- سورة الأنفال، الآية: 36.

[5]- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 535/5.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/ 569.

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلَيْنَا وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا، فسكت أبو بكر، وَمَضَتْ هِيَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ حَجَبَتْنِي عَنْهَا مَلَائِكَةٌ، فَمَا رَأَتْنِي وَكَفَى اللَّهُ شَرَّهَا»[1].

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/568-569.

المبحث السادس: تساند القراءات القرآنية والمكون التداولي

تجدر الإشارة إلى أن اللسانيات التداولية[1] تولي أهمية كبيرة لمختلف الأطراف في الخطاب، فتعتني بالمتكلم ومقاصده، والظروف السياقية باعتبارها عنصرا هاما في تأدية المقاصد، والمخاطب الذي يستغل هذه الظروف السياقية قصد الوصول إلى مقاصد المتكلم، وعلى هذا الأساس سنستثمر إمكانات اللسانيات التداولية في فهم النص القرآني، وذلك بتوظيف السياق بنوعيه: السياق اللغوي الذي يرشدنا إلى الفهم بقرائن نصية لفظية ومعنوية، وسياق الحال أو المقام، وما يتصل به من عناصر كالزمان والمكان والمتكلم والمخاطب[2]، فهذا المنهج السياقي يقوي طريق الفهم في صناعة الخطاب التفسيري، لأن "العلم بخلفيات النصوص وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها أو ورودها يورث العلم بالمسببات، وينفي الاحتمالات والظنون غير المرادة، ويقطع الطريق على المقاصد المغرضة التي لم يردها الشارع الحكيم، ولم يرمها، ويصحح ما عوج من أساليب التطبيق، كاقتطاع النص من سياقه، والاستدلال به معزولا عن محيطه الذي نزل فيه"[3]، فهذا الكلام يبين دور السياق في بناء الفهم الصحيح للنص القرآني، إلا أن هذه الفكرة –في تقديرنا- تنبه إليها المفسرون والأصوليون وعلماء البلاغة قبل ظهور اللسانيات التداولية، وعلى أي حال، سنحاول الكشف عن دور هذا الحقل المعرفي في فهم النص القرآني، وذلك من خلال تحليل سورة المسد، ففي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[4]، افتتاح السورة بالتباب يُشعر بأن سبب نزولها مرتبط بتوبيخ ووعيد، ورأينا عند أغلب المفسرين أن التباب هو الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة، ولفظة (تَبَّتْ) دعاء مباشر من الله تعالى على أبي لهب، ولم تُفتح السورة الكريمة بلفظة (قُلْ) في سياق توجيه الخطاب للرسول محمد ﷺ كما هو الحال في (سورة الكافرون)، وذلك لأسباب ثلاثة يحتملها سياق الآية الكريمة، وهي:

[1]- التداوليات (pragmatique) فرع معرفي من فروع اللسانيات، يهتم بدراسة استعمال اللغة في سياق تواصلي محدد على اعتبار أن اللغة ذات وظيفة عملية تأثيرية في التواصل الإنساني، لأننا حينما نستعمل اللغة ننجز في الحقيقة أفعالا، تسمى بالأفعال الكلامية التي أدخلها جون أوستين في محاضراته المخصصة للفلسفة التي ألقاها بجامعة هارفارد سنة 1955م، ومن ثمة صار الفعل الكلامي محوريا في اللسانيات التداولية، حيث أصبح الاهتمام بالطبيعة الإنجازية للقول، فهو ليس ممارسة فيزيولوجية فحسب، بل هو سلوك لغوي أو فعل اجتماعي، فالتلفظ بقول ما إنجاز لفعل معين، كأن نعد وعدا ما، أو نطلب أو ننصح...إلخ، وقد نشطت التداوليات بفضل الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، واللسانيات الاجتماعية، وبسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب، مما أدى إلى التفكير في البعدين الدلالي والتداولي.

[2]- أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء، ع: 55، ص: 72.

[3]- نفسه، ص: 72-73.

[4]- سورة المسد، الآية:1.

- **السبب الأول:** رعاية القرابة التي بين الرسول محمد ﷺ وأبي لهب، فلم يقل له قل هذا الدعاء لأبي لهب.
- **السبب الثاني:** أن الكفار طعنوا في الله تعالى في (سورة الكافرون)، فقال الله تعالى: يا أيها النبي أجب عنهم، لأن الكفار ما كانوا أعماما له، أما في (سورة المسد)، فإن الذين آذوا الرسول محمد ﷺ، هم من أقاربه، ولذلك تكلف الله تعالى بأمرهم.
- **السبب الثالث:** سكوت الرسول محمد ﷺ، وعدم الرد بالمثل واجب، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

وفي قوله تعالى: (وَتَبَّ) إخبار بتحقق الخسران والهلاك لأبي لهب في الدنيا والآخرة، ويؤيد هذا المعنى قراءة عبد الله بن مسعود (ت: 32هـ) (وَقَدْ تَبَّ)، فالقرينة اللفظية (قَدْ) تفيد التحقيق في هذا السياق القرآني، وقد دلت على توكيد هذا الخسران المبين، الذي لا شك في وقوعه، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد، وعلى هذا الأساس لا يقبل السياق القرآني في هذه القراءة أن ترد اللفظة الثانية على سبيل الدعاء كالأولى، لأن «قد» لا تدخل على أفعال الدعاء، وقيل: اللفظة الأولى إخبار عن هلاك عمله، حيث لم يفده، ولم ينفعه، لأن الأعمال تزاول بالأيدي غالبا، والثانية إخبار عن هلاك نفسه[2]، فكان هذا الجزاء من جنس الفعل، فقد رُوي: أَنَّ أَبَا لَهَبٍ أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ لِلْمَنْعِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ[3]، فالملاحظ في الآية الكريمة ورود لفظة (تَبَّ) في صدرها وعجزها، مما يدل دلالة واضحة على محاصرة أبي لهب بالهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، إضافة إلى ما في الآية الكريمة من الوعيد بإيجاز وجمالية التوازي الصوتي.

وفي قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾[4]، يحتمل السياق القرآني، كما رأينا في المكون البلاغي، أن تكون (ما) في قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ) نافية أو استفهامية، لإفادة ثلاثة معان اجتمعت في نظم الآية الكريمة، وهي:

- **المعنى الأول:** توجيه (مَا) للنفي، ويكون الكلام خبرا لغرض الإنكار، أيْ: لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مَالُهُ.

---

[1]- سورة الفرقان، الآية: 63.

[2]- روح المعاني، الألوسي، 497/15.

[3]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 235/20.

[4]- سورة المسد، الآية:2.

- **المعنى الثاني:** توجيه (مَا) للاستفهام، ويكون الكلام إنشاء على وجه التقرير والإنكار، وَالْمَعْنَى: أَيْنَ الْغِنَى الَّذِي لِمَالِهِ وَلِكَسْبِهِ لدفع هذا الخسران؟، فكان لهذا الحرف أثر مهم في اتساع المعنى، إذ جمع بين النفي الذي يستدعي امتلاك الخبر، والاستفهام الذي يفيد التوبيخ والإنكار.
- **المعنى الثالث:** أن (مَا) استفهامية تحتمل معنى النفي مجازا، إذ لما حار المسؤول أمام أمر الله، فلم يجد جوابا مقنعا ينجيه من العذاب، حُمل الاستفهام على الإقرار بالنفي، ويظهر أنه أبلغ من النفي.

كما يحتمل السياق القرآني أيضا، أن تكون (ما) في قوله تعالى: (وَمَا كَسَبَ) نافية أو استفهامية أو موصولة أو مصدرية، لإفادة معان متناسبة دلاليا مع معاني الجملة القرآنية التي بعدها، وهي:

- **المعنى الأول:** حمل الجملة القرآنية (وَمَا كَسَبَ) على (ما) الموصولة، بمعنى: (الذي كسب)، وما المصدرية (كَسْبه)، مع إفادة النفي، والمعنى: ما أغنى عنه ماله الذي كَسَبَ/ ما أغنى عنه مَالُهُ وكَسْبُه، ماله: جميع المال الذي ورثه، وكسبه: ما كسبه بنفسه، فيكون ذلك على سبيل ذكر الخاص بعد العام، للاهتمام به.
- **المعنى الثاني:** حمل (مَا) على الاستفهام، والمعنى: وَأَيُّ شَيْءٍ كَسَبَ؟ أَيْ لَمْ يَكْسِبْ شَيْئًا، فيكون الاستفهام هنا على سبيل الإنكار والتوبيخ.
- **المعنى الثالث**: يجوز حمل الجملة الأولى (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ) على النفي، والجملة الثانية (وَمَا كَسَبَ) على الاستفهام، فيكون المعنى: لم يغن عنه ماله. وهل كسب شيئا؟، فتكون الجملة الاستفهامية هنا تقريرا لزيادة تأكيد الجملة الخبرية الأولى.

وعلى أي حال، يجوز حمل الجملتين معا على النفي أو على الاستفهام، ولا شك أن هذا الحمل له أثر كبير في اتساع المعنى. والملاحظ أن كل هذه التوجيهات الدلالية والتداولية تكشف عن الخسران المبين لأبي لهب سواء في الدنيا أو الآخرة، وقد عبرت الآية الكريمة عن هذا الخسران بأسلوب جميل، تميز بحسن النظم مع الإيجاز الذي تحققت معه كثرة المعاني بألفاظ قليلة أدت الغرض الذي سيقت من أجله في أكمل صورة للبيان، ليكون ذلك وجها من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

وفي قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾[1]، هذه الآية الكريمة بيان للآية التي قبلها، ويكشف السياق القرآني أنها وردت على سبيل الإخبار في المستقبل، لوجود قرينة لفظية دالة على ذلك، وهي:

[1]- سورة المسد، الآية: 3.

حرف السين الذي يختص بالمضارع، ويخلِّصه للاستقبال، وينزل منه منزلة الجزاء، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه فيه[1]. فالسين إشارة إلى المستقبل مع إفادة التحقيق، وتضمن الفعل معنى الحدوث والتجدد، ويبين السياق القرآني أن هذه الآية القرآنية إخبار عن الغيب بثلاثة أوجه، وهي:

- **الوجه الأول**: الإخبار عن أبي لهب بالتباب والخسران، وأنه اختار الكفر، وسيموت عليه، واستنادا إلى ما تحكيه الروايات عن أبي لهب، فإنه مات على الكفر.
- **الوجه الثاني**: الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وكسبه، ما أغنى عنه ماله وكسبه دفع الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.
- **الوجه الثالث**: الإخبار عنه بأنه من أهل النار في الآخرة، وقد وصفت النار باللهب لقوة اشتعالها، وشدتها في الإحراق، فقوة النار تستلزم بقاء لهبها، وقيل: لزيادة تقرير المناسبة بين كنيته وكفره، فهو أبو لهب، وهو في نار ذات لهب، إهانة وتنقيصا له، كُنيته دالة على حسن الوجه وجماله، لكن صار هذا الجمال لهب نار، تحرقه في الآخرة، فالكنية واردة في السورة الكريمة في سياق الذم، لإفادة معنى وهو: أن شدة نكايته يناسبها أشد ما يكون من حرارة نار جهنم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ۝﴾[2]، نجد أن الآية الكريمة وردت على سبيل الإخبار، فبعد أن ذمَّ الله أبا لهب، أعقبه بذم امرأته، لأنهما سواء في الشرك والكفر وإيذاء النبي محمد ﷺ، وَوُصفت بكونها (حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) استنادا إلى ما تحكيه الروايات عن هذه المرأة الشريرة، فقد رُوي: أنها كانت تضع أغصان الشوك في طريق الرسول محمد ﷺ، ليلا[3] لتُؤذيه، وقد أشار أغلب المفسرين إلى أن هذا الوصف كناية عن النميمة، لأنها كانت تشعل نار الفتنة بين المسلمين، فيكون الماشي بالنميمة حمَّال حطب، لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب[4]، وقيل غير ذلك، وفي تقديرنا – والله أعلم- أن هذا التأويل بعيد، لأنه يتعارض مع ظاهر اللفظ وسبب النزول أو سياق الحال الذي أحاط بالنص القرآني، من أن امرأة أبي لهب كانت معروفة عند الناس بحمل الحطب والشوك لتضعه في طريق رسول الله ﷺ، فحَمْلُ الحطب على الحقيقة أنسب على حمله على المجاز، ليكون جزاؤها من جنس العمل

1- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، طبعة: 1432هـ/2010م، ص: 139.

2- سورة المسد، الآية:4.

3 - النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 6/367.

4- نفسه، 6/367.

الذي كانت تؤذي به رسول الله ﷺ. والمتأمل في الآية الكريمة يجد أن السياق القرآني عدل عن استعمال لفظة (الزوجة) إلى استعمال (المرأة)، كما رأينا في المكون المعجمي، للدلالة على كونهما فاسدين، ويتناسب هذا الاستعمال مع قراءة عبد الله بن مسعود وأبي والأعمش[1] وابن عباس على التصغير (وَمُرَيَّتُهُ/ وَمُرَيْئَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ) للدلالة على التحقير بسبب أعمالها الفاسدة.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾[2]، فالآية الكريمة إخبار عن حال هذه المرأة الشريرة في نار جهنم، وقيل: إن الكلام يحتمل أن يكون دعاء عليها بالخنق بالحبل،[...]. نعم ذُكر أنها ماتت يوم ماتت مخنوقة بحبل حملت به حزمة حطب[3]. وقد وظف السياق القرآني لفظة (الْجِيد) في سورة المسد للدلالة على الوعيد والعذاب، مع العلم أن هذه اللفظة ذكرها كثير من الشعراء في سياق المدح للدلالة على حسن المرأة وجمالها، فلاشك أن استعمالها في السورة الكريمة جاء لغرض التهكم بأم جميل، ولذلك "قُدِّمَ الْخَبَرُ مِنْ قَوْلِهِ: (فِي جِيدِها) لِلِاهْتِمَامِ بِوَصْفِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْفَظِيعَةِ الَّتِي عُوِّضَتْ فِيهَا بِحَبْلٍ فِي جِيدِهَا عَنِ الْعِقْدِ الَّذِي كَانَتْ تُحَلِّي بِهِ جِيدَهَا فِي الدُّنْيَا، فتربط بِهِ، إِذْ قد كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا مِنْ أَهْلِ الثَّرَاءِ وَسَادَةِ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ[4]، فالجيد موضع القلادة التي تتزين بها المرأة، ولم يكن لأم جميل إلا ذلك الحبل في عنقها، فذُكر الجيد لما قام الحبل مقام الحلى، وذِكْره في هذا السياق القرآني، إنما جاء من باب التهكم والسخرية والبشارة بالسوء. والله تعالى أعلم.

1- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، 234/20-236.

2- سورة المسد، الآية: 5.

3- روح المعاني، الألوسي، 501/15.

4- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 607/30.

المبحث السابع: أثر التساند بين تعدد القراءات القرآنية ومكونات اللغة في اتساع المعنى

لقد تعددت القراءات القرآنية في سورة المسد، وكلها تشير إلى تعدد الروايات المرتبطة بوقائع نزول هذه السورة. فكان جزاء أبي لهب وامرأته من جنس أقوالهما وأفعالهما الذميمة، فبعد هذه التأملات الدقيقة في السورة الكريمة على مستوى الأصوات والمعجم والصرف والتركيب والدلالة والتداول، وجدنا أنها تميزت بانفتاح مفرداتها وتراكيبها على آفاق دلالية واسعة يحتملها السياق القرآني، وكان للتساند بين القراءات القرآنية ومكونات اللغة أثره الكبير في الاتساع الدلالي من خلال كثرة المعاني السياقية التي وردت في تعابيرها القرآنية بإيجاز دقيق بلغ أعلى مراتب البلاغة في الحسن والرونق والجمال، إذ وجدنا خلال مراحل القراءة أن التعبير القرآني يتسع لأكثر من معنى سواء من خلال القراءات القرآنية التي تعضد التوجه الدلالي للسورة التي رسمت لأبي لهب وامرأته مسارا دلاليا في اتجاه الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة، أو من خلال المفردات التي تضمنت صوتي الباء والدال اللذين يشتركان في الجهر والشدة والقوة والقلقلة، لتعكس هذه الخصائص النطقية ما في قلب أبي لهب وقلب امرأته من الشدة والقسوة التي أدت بهما إلى الخسار الشديد في الدنيا، فضلا عما ينتظرهما من شدة العذاب في الآخرة، إضافة إلى كثرة المدود الصوتية التي تؤشر على الاتساع النطقي والدلالي لبيان عمق الخسارة التي حلت بهما في الدنيا والآخرة، فالمكون الصوتي سند مهم في توجيه المعنى خاصة في القرآن الكريم، أو من خلال المعجم بانفتاح المفردات لأكثر من معنى مع مراعاتها لمقام الوعيد والتنكيل والتهويل في السورة الكريمة، فاللغة مدخل أساس في بناء الخطاب التفسيري، ويسندها الاشتقاق، ومن تجليات ذلك، الصيغ الصرفية الواردة في السورة الكريمة، مثل (حَمَّالَةُ، حَاملةُ...)، فالتعبير بصيغة (فَعَّال) يكون للدلالة على المبالغة التي أفادت التكثير، وحكم صيغة (فَعَّال) عند علماء الصرف كاسم الفاعل، لأنها جاءت في السورة الكريمة بمعنى (فاعلة)، بالإضافة إلى أن صيغة اسم الفاعل في قراءة من قرأ (حَامِلَةُ الْحَطَبِ) دلت على تأكيد وقوع الحدث في الماضي والمستقبل، فالمكون الصرفي والاشتقاقي هنا سند مهم في خدمة الدلالة وتوجيه المعنى، لتكون أم جميل حاملة للحطب بكثرة في الدنيا، وسيكون مصيرها هو هذا الوصف الملازم لها في الآخرة، أو من خلال التركيب كما رأينا في المكون التركيبي (النحوي)، فالبنى النحوية من المستويات النصية التي ينبني عليها توجيه الدلالة في السورة الكريمة، وذلك باعتماد الإعراب، ومن ذلك مثلا، القراءات القرآنية التي اجتمعت في لفظة (حَمَّالَةُ)، وجعلت التعبير القرآني منفتحا على تعدد المعاني، ومنها:

- إن القراءة بالرفع عند الجمهور، وقعت وصفا، وجاز ذلك لأن الإضافة حقيقيةٌ؛ إذا كان المرادُ المضيُّ، أو كونُه بياناً أو كونُه بدلاً، وخاصة إذا كان هذا اللفظ لَقَبًا لامرأة لهب، جَازَ فِيهِ الرَّفْع، فَيكُون عَطْفَ بَيَانٍ، أو بَدَلًا، أو كونُه خبراً لمبتدأ مضمرٍ، أي: هي حَمَّالَةُ الْحَطَبِ.
- إن القراءة بالنصب، تكون إما على الحال، والمعنى: تصلى النار مقولا لها حمالة أو حال كونها حمالة، وإما على الذم والشتم، والمعنى: أذم وأشتم حمالةَ الحطب، لأفعالها الذميمة المعادية للإسلام.
- إن القراءة بالتنوين (حمالةٌ الحطبَ) دالة على الوصف الملازم لها في الزمن المستقبل إلى الآخرة، ويقوي هذا المعنى ما ورد في بعض التفاسير القرآنية التي ترى أن "حَالَهَا يَكُونُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ كَانَتْ تَحْمِلُ حُزْمَةَ الشَّوْكِ، فَلَا يَزَالُ عَلَى ظَهْرِهَا حُزْمَةٌ مِنْ حَطَبِ النَّارِ مِنْ شَجَرِ الزَّقُّومِ أَوِ الضَّرِيعِ، وَفِي جيدها حبل من مسد مِنْ سَلَاسِلِ النَّارِ، كَمَا يُعَذَّبُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِمَا يُجَانِسُ حَالَهُ فِي جُرْمِهِ"[1].
- إن القراءة باسم الفاعل، محتملةُ لقراءةِ العامَّةِ، مع إفادة المبالغة للدلالة على كثرة أعمالها الذميمة، وفي الرفع أيضا ذم ، لكن هو في النصب أبين، لأنك إذا نصبت لم تقصد أن تزيدها تعريفا وتبيينا، إذا لم تجر الإعراب على مثل إعرابها، إنما قصدت إلى ذمها [...]، وعلى هذا المعنى يقع النصب في غير هذا على المدح"[2].

فالملاحظ أن المكون النحوي ينفتح على القراءات القرآنية التي تتعاون فيما بينها على تشكيل الدلالة من حيث كونها تُسند هذا المكون على ذم وشتم هذه المرأة الشريرة، بالإضافة إلى انفتاحه على تعدد الروايات التي تحكي أفعالها الذميمة بالموازاة مع مضامين السورة القرآنية، وعلى هذا الأساس تشكل القراءات القرآنية والنصوص الموازية الدعامة القوية في بناء المعاني القرآنية.

ويعد المكون البلاغي أيضا مدخلا قرائيا مهما إلى جانب المكونات الأخرى الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية...، فهو مهم في عملية تفسير القرآن الكريم من جهة بيان المعاني القرآنية، ومعرفة الوجوه التي حصل بها الإعجاز القرآني، فإذا تأملنا التراكيب البلاغية في سورة المسد، كما رأينا في المكون الدلالي، نجد أن بعضها يرد إما على سبيل الخبر، أو على سبيل الإنشاء، مما يؤثر على حركة المعنى، فتتعدد المعاني والدلالات، بالإضافة إلى ما تُتيحه القراءات القرآنية من إمكانات في توجيه المعنى، وما

1- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 10/ 568.

2- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، 839/2.

يُتيحه حمل بعض المفردات على الظاهر أو المجاز، ومن ذلك مثلا، إِسْنَادُ الْهَلَاكِ إِلَى الْيَدَيْنِ، فقد يكون المعنى إما من جهة المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، ذكر الجزء (اليدان) وإرادة الكل (النفس)، وإما من جهة الكناية عن الذات والنفس لما بينهما من اللزوم في الجملة، ولذلك نجد أن هذا الإسناد يحتمل دلالتين، وهما: حمل اليدين على ظاهر أو مؤول يحيل إلى خارج النص، فأما الظاهر، فهو يحيل إلى ما ورد في أسباب نزول السورة الكريمة، وأما المؤول، فاليد في التأويل، "بمعنى النعمة، إذ كان أبو لهب يحسن إلى النبي ﷺ، ويقول: إن كان الأمر لمحمد، فلي عنده يد، وإن كان لقريش فكذلك. فأخبره الله تعالى أنه خسرت يده التي كانت عند النبي ﷺ بعناده، ويده التي عند قريش أيضا بخسران قريش وهلاكهم"[1]، وغير ذلك مما ذكره المفسرون للدلالة على التهكم من أبي لهب والسخرية به، وكذلك في العدول عن التصريح باسمه الحقيقي (عبد العزى) إلى الكنية (أبو لهب)، كنية تستدعي المدح، لكن أوردها السياق القرآني على سبيل الذم، للدلالة على أن هذه الشخصية الشريرة بين لهب التصق بها كناية، ولهب النار في الآخرة، واستنادا إلى هذه النماذج التحليلية، يمكن القول بأن المكون الدلالي والتداولي ينفتحان كذلك على القراءات القرآنية وباقي المكونات اللغوية والنصوص الموازية التي تدخل في شبكة من العلاقات المنظمة قصد بناء المعنى واتساعه، فالمتأمل في السورة الكريمة يستنبط أسرارا ربانية كثيرة تنبئ عن الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم، ويجد أن التساند بين القراءات القرآنية ومكونات اللغة والنصوص الموازية يفتح لنا آفاقا دلالية في الفهم والتأويل، إذ نجد بعضها يكمل بعضا في نسق بياني منظم يكشف عن الخسران المبين لأبي لهب وامرأته في الدنيا والآخرة، فيُعذبان بما يجانس حالهما في جرمهما وعدائهما للرسول محمد ﷺ والإسلام.

وهكذا يظهر لنا جليا – من خلال قراءة هذه السورة الكريمة- أثر التساند بين القراءات القرآنية والمكونات اللغوية والنصوص الموازية في تعدد المعاني القرآنية التي حاصرت أبا لهب وامرأته في الهلاك والخسران في الدنيا والآخرة، فرغم القرابة الشديدة الصلة التي تجمعهما بالرسول محمد ﷺ، فإن العبرة التي يمكن أن نستشفها من السورة الكريمة، هي أن آصرة العقيدة أوثق من آصرة القرابة، وأن منزلة العباد - عند الله تعالى- لا تكون بالقرابة، وإنما تكون بالعمل الصالح.

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (ت: 1270هـ)، 497/15.

خلاصة:

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

- إن تفسير الخطاب القرآني يحتاج إلى التكامل بين العلوم اللغوية والشرعية وغيرها من العلوم الإنسانية التي تنسجم مع خصوصياته، وذلك لأجل التمكن من النفاذ إلى عمق النص القرآني وبلوغ معانيه ومقاصده.
- إن قراءة سورة المسد من منظور التساند بين القراءات القرآنية والمكونات اللغوية، يكشف عن عوالم دلالية متعددة عبر انفتاح المفردات والتراكيب على تعدد المعاني والدلالات، وكان لهذا الاتساع الدلالي أثره في إغناء السورة بتعدد المعاني السياقية مع مراعاة الإيجاز الذي يمثل أعلى طبقات البلاغة في الحسن والرونق والجمال، بحيث إن المفردات أخذت مواقعها في التركيب للتعبير عن المعاني المتعددة التي يحتملها السياق بدقة وإيجاز.
- إن القراءات القرآنية كلها تتفق دلاليا على محاصرة أبي لهب وامرأته في الخسران المبين في الدنيا والآخرة.
- إن المكونات اللغوية تتعاضد في خدمة التوجه الدلالي للسورة الكريمة، وهو تأكيد الخسران لأبي لهب وامرأته في الدنيا، وتصوير مصيرهما الأبدي في نار جهنم.
- إن سورة المسد تحفل بمظاهر متعددة من الإعجاز القرآني، إعجاز في مفرداتها، إعجاز في تعابيرها التي توحي إلى اتساع المعنى، إعجاز في نظمها، إعجاز في الإخبار بأنباء الغيب، إعجاز في معانيها التي تعد دليلا قويا على نبوة محمد ﷺ.
- إن السورة الكريمة تبين عظمة الدين الإسلامي الذي يقر بأن آصرة الإيمان والعقيدة أوثق من آصرة القرابة.
- إن الخطاب القرآني عموما هو خطاب موجه أساسا لأخذ العبرة والموعظة قصد تحسين كل ما يتعلق بأحوال الناس ومعاشهم في دينهم ودنياهم.

خاتمة:

كان بحثنا رحلتي في موضوع: " تعدد القراءات القرآنية وأثره في الإشباع الدلالي في القصص القرآني – بحث في تساند القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية-"، رحلة علمية مفيدة، تتبعنا فيها أثر القراءات القرآنية في اتساع المعنى في القرآن الكريم، وقد أفضى بنا بحث هذا الموضوع إلى جملة من النتائج، نعرضها فيما يلي:

- إن القراءات القرآنية في الاصطلاح: علم بكيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم نطقا صحيحا وفق قواعد وأصول يقوم عليها هذا العلم.
- إن القراءات القرآنية قسمان: قسم متواتر صحيح باعتبار شروط ثلاثة، وهي: موافقة العربية، ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصحة السند، فهذه الشروط الثلاثة تجعل من القراءة القرآنية مقبولة، بحيث لا يجوز ردها، وقسم شاذ اختل فيه شرط من هذه الشروط الثلاثة، لكن يجب تعلمه وتعليمه، لأنه مفيد في علم العربية.
- إن القراءات القرآنية مرت في نشأتها وتطورها بمراحل، شأنها في ذلك، شأن باقي العلوم، كعلم اللغة وعلم الحديث وعلم التفسير...إلخ، فقد ابتدأت بقراءة واحدة، ثم توسعت على سبعة أحرف، ثم إلى رواية تسند القراءة إلى الرسول محمد ﷺ، ثم إلى علم قائم بذاته، له أصوله وقواعده، وذلك بفضل علماء القراءات الذين كرسوا جهودهم في تأليف كتب القراءات وتدوينها.
- إن القراءات القرآنية لها علاقة وطيدة بالأحرف السبعة، وتظهر هذه العلاقة في كثرة الآثار المنقولة عن رسول الله ﷺ، ومن ثمة، فإن القراءات القرآنية بعض من هذه الأحرف السبعة التي أنزل عليها، لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة الإسلامية تيسيرا على العباد في القراءة، فالقرآن والأحرف والقراءات من الوحي المنزل على رسولنا محمد ﷺ.
- إن مقاصد تعدد القراءات القرآنية كثيرة، ويمكن تصنيفها إلى مقاصد عامة: كرفع المشقة، وإرادة التيسير والتخفيف على الأمة الإسلامية، وسهولة حفظ القرآن الكريم، وبيان إعجازه... ومقاصد خاصة، مرتبطة بالفوائد اللغوية والتفسيرية والشرعية والتاريخية والتراثية،... وهذا ما يجعل من التراث اللغوي للقراءات القرآنية موضوعا جديرا بالمباحثة سعيا وراء تحقيق النفع والفائدة من هذا التراث الحافل بمختلف الظواهر الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية.
- إن علم القراءات القرآنية يقوم على قواعد وأصول كثيرة، منها ما له علاقة وطيدة بكيفية أداء المفردات القرآنية، ومنها ماله علاقة قوية بالمعنى، فقد أفاض علماء القراءات في تقديم تفسيرات

صوتية لمختلف الحالات التي تعرض للخصائص النطقية للحروف من تفخيم وترقيق وإدغام...، وفصلوا القول في ذلك تفصيلا رائعا، فكان عملهم تمهيدا للدراسات اللسانية الحديثة التي عالجت الظاهرة الصوتية من مختلف جوانبها، غير أن اهتمام علماء التجويد والقراءات بالظواهر الصوتية، كان منصبا على الجانب التطبيقي الخاص بكيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم أداء جيدا قصد حمايته من اللحن والتصحيف، ولذلك أولوا العناية بمخارج الحروف، فكان لهم فضل السبق في الدراسات الصوتية خدمة للقرآن الكريم، وذلك لمعرفة كيفية أداء ألفاظه أداء صحيحا، لأن القراءة السليمة للقرآن الكريم من الواجبات التعبدية.

- إن الدراسة الصوتية للقراءات القرآنية جزء أصيل من دراسة المعنى، فقد وجدنا أن الكلمة الواحدة تحتمل أكثر من معنى حسب سياق ورودها في التراكيب القرآنية، وذلك تبعا لعملية الإبدال بين الأصوات والحركات في القراءات القرآنية، فكان للاختلافات الصوتية الناتجة عن اختلاف وجوه القراءات القرآنية أثر واضح في اتساع المعنى.
- إن العلامات الإعرابية تؤدي وظيفة متميزة في تفسير دلالات المفردات بحسب السياق القرآني، تتجلى في تعيين المعنى النحوي للجملة القرآنية؛ وبذلك يكون للإعراب أثر مهم في بناء المعاني القرآنية.
- إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند علماء اللغة العربية، كان له أثر بالغ في اتجاه مصطلحات اللغة العربية نحو المرونة والليونة، مما أدى إلى الاتساع في مدلولاتها بما يفتح المجال أمام تعديلات للقاعدة اللغوية، ولذلك تمكن النحاة المتأخرون من توجيه بعض القواعد اللغوية التي حكم عليها النحاة المتقدمون بالضعف.
- إن القراءات القرآنية خففت من حدة القياس، وعززت جانب السماع؛ ذلك أنها تمثل نصوصا سماعية وشواهد جديدة، مكنت النحاة المتأخرين من تغيير بعض المسلمات اللغوية التي انتهى إليها النحاة المتقدمون.
- إن القراءات القرآنية مدخل بلاغي مهم في تفسير القرآن الكريم، إذ كشف تعددها وتنوعها عن تعدد وجوه الدلالة، فلاشك أنها مظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم.
- لا تفاضل بين القراءات القرآنية، فكلها من لغات العرب، وهي تسهم إسهاما كبيرا في إغناء الدلالة القرآنية وإثرائها، وهي كلها صواب وحق، واختلافها إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، وليس اختلاف تضاد وتعارض.

- إن كل قراءة بمثابة آية، وأن تعدد القراءات القرآنية بمنزلة تعدد الآيات القرآنية، فهي ضرب من ضروب البلاغة التي تبتدئ من الإيجاز والاختصار، لتنتهي بكمال الإعجاز.
- إن استثمار الآليات البلاغية في القراءات القرآنية، يعين على الفهم الدقيق للمعاني القرآنية من خلال الكشف عن بعض الأسرار والحكم واللطائف الربانية.
- إن الشعر الجاهلي لم يرق إلى درجة الضبط والوثوق والتواتر الذي تم به نقل القرآن الكريم، فما أحوجنا- في نظري- إلى أن نعتمد القرآن وقراءاته حجة وأداة في بناء القواعد اللغوية، لا أن ننطلق من الشعر للطعن في بعض القراءات القرآنية وتلحينها، بل الأجدر أن تكون القراءة القرآنية الأصل الذي تبنى عليه القاعدة اللغوية، وعلى هذا الأساس، فإن إثبات اللغة بالاحتجاج بالقراءة القرآنية أولى من إثباتها ببيت شعري منحول أو مجهول قائله.
- إن الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم الشرعية العربية، كان له أثر واضح في إظهار المعاني القرآنية، وتوسيع قضايا دلالية متعددة، واستنباط الأحكام الشرعية، وغيرها من الحكم والتشريعات، كبيان حكمين شرعيين في حالين مختلفين، أو بيان ما أبهم في الحكم الشرعي، أو ترجيح لحكم اختلف فيه، أو تقييد المطلق، ورفع الإيهام الحاصل من ظاهر اللفظ، أو الجمع بين بيان الحكم والإخبار عنه، أو بيان أكثر من حكم في أحوال مختلفة.
- إن الرسم القرآني أحد مظاهر الإعجاز القرآني، كما رأينا من خلال مجموعة من الآيات القرآنية، إذ مبنى المفردة القرآنية داخل التركيب القرآني يوحي إلى تعدد المعاني والدلالات، مما يدل على أن وجوه الإعجاز القرآني متعددة ومتنوعة، فالمفردة القرآنية معجزة في رسمها، لأن كل زيادة أو نقصان في حروفها، فلأجل غايات ولطائف وأسرار ربانية، لا يمكن أن يحققها إلا هذا الرسم، فالقرآن الكريم معجز بأسلوبه ونظمه وألفاظه...، معجز في بنائه ودلالاته، معجز في تشريعه وأخباره...، فقد أعجز العرب، وهم أصحاب البيان والبلاغة والأدب، ورغم ذلك تحداهم القرآن الكريم فيما نبغوا فيه، فوقف الإنس والجن أمام هذا التحدي مذهولين مع أنه مكتوب من نفس الحروف والكلمات التي ينظمون بها، إنه كتاب عظيم يستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.
- إن القراءات القرآنية في علاقتها بحروف المعاني، أسهمت في تنوع التعابير القرآنية، وإدراك ما في اللغة القرآنية من روعة في الإيجاز والبيان، وما تؤديه من أسرار ولطائف تنبئ عن الإعجاز اللغوي والدلالي للقرآن الكريم.

- إن القراءات القرآنية جميعها تتكامل فيما بينها وتتعاضد وفق نسق بياني تتكامل فيه المعاني، وتتسع فيه الدلالة، غير أن ذلك يتطلب من الباحث الإلمام الواسع بعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم والمعارف التي تمكنه من الكشف عن مقاصد النص القرآني وأبعاده الدلالية الآسرة للألباب والنفوس بما فيها من جمال الأسلوب، وثراء المضمون، ولطافة المعنى، وروعة البيان.
- إن للقراءات القرآنية تأثيرها القوي في مجال الدراسات اللغوية عامة، والدرس الصوتي خاصة، ورغم اختلاف منازلها تواترا وشذوذا، فهي تعد مصدرا أصيلا في دراسة مختلف الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية...، فهي ثروة غنية تجمعت فيها مختلف لغات العرب، وهي على نسق واحد من الفصاحة، وأن واقعها اللغوي لا يعترف بالحدود الفاصلة بين اللغات واللهجات العربية، فبالرغم من كون العرب يمثلون قبائل عدة، فهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة.
- إن اختلاف القراءات القرآنية يؤثر تأثيرا بيّنا على الوقف والابتداء من ناحية المعنى، وما لذلك من صلة وطيدة بتعدد المعاني القرآنية في عملية التفسير والبيان.
- إن الفصل والوصل في القراءات القرآنية آليتان بلاغيتان مهمتان في وضوح الدلالة، وبناء المعاني القرآنية، ولذلك لا غرابة إذا قلنا إن الكشف عن المعنى في أي خطاب متوقف على معرفة مواطن الفصل والوصل.
- إن مواطن الحذف في القرآن الكريم كثير في القصص القرآني، وهو آلية بلاغية تطوي كثيرا من التفاصيل في القصة القرآنية، ذلك أننا نجد أحداثا كثيرة مطوية في القصة الواحدة، فتتصل الأحداث المعروضة فيما بينها في تماسك رفيع، وبناء بديع، يحدث أثرا في نفسية المتلقي.
- إن قراءة النص القرآني يحتاج إلى التكامل بين العلوم اللغوية والشرعية وغيرها من العلوم الإنسانية التي تنسجم مع خصوصياته، وذلك لأجل التمكن من النفاذ إلى عمق النص القرآني وبلوغ معانيه ومقاصده.
- إن دراسة سورة المسد من منظور تساند القراءات القرآنية ومكونات اللغة العربية، كشف عن عوالم دلالية متعددة عبر انفتاح المفردات والتراكيب على تعدد المعاني والدلالات، وكان لهذا الاتساع الدلالي أثره في إغناء السورة بتعدد المعاني السياقية مع مراعاة الإيجاز الذي يمثل أعلى طبقات البلاغة حسنا وجمالا.

- إن سورة المسد تحفل بمظاهر متعددة من الإعجاز القرآني، إعجاز في مفرداتها، إعجاز في تعابيرها التي توحي إلى اتساع المعنى، إعجاز في نظمها، إعجاز في الإخبار بأنباء الغيب، إعجاز في معانيها التي تعد دليلا قويا على نبوة محمد ﷺ.
- إن القرآن الكريم خطاب موجَّه أساسا للاعتبار والاتعاظ، وموجِّه للناس قصد تحسين كل ما يتعلق بأحوالهم ومعاشهم في دينهم ودنياهم.
- إن هذا البحث إسهام في حقل الدراسات اللغوية والقرآنية التي تتطلب مزيدا من البحث في المعاني القرآنية، وذلك باستثمار القراءات القرآنية، لأنها غنية بالظواهر الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والبلاغية...، التي تخدم لغتنا العربية.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نجدد الشكر لأستاذنا الفاضل الدكتور مولاي علي سليماني على إشرافه وتوجيهاته السديدة، وأعضاء هذه اللجنة العلمية الموقرة التي تحمَّلت عناء القراءة والتقويم لأجل أن يخرج هذا البحث في حلة جديدة، فجزاهم الله عنا جميعا خير الجزاء، وسدد خطاهم، ووفقهم في خدمة البحث العلمي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية:

الآية الكريمة	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿مَلِكِ يَوْمِ اِ۬لدِّينِ﴾.	3	28-21
﴿اِ۬لْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ اِ۬لْعَٰلَمِينَ﴾.	1	48
﴿ اِ۪هْدِنَا اَ۬لصِّرَٰطَ اَ۬لْمُسْتَقِيمَ ۝٥﴾.	5	100
سورة البقرة		
﴿وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۖ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اَ۬للَّهُ فِےٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُومِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لَاخِرِۖ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِے ذَٰلِكَ إِنَ اَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحاٗۖ وَلَهُنَّ مِثْلُ اُ۬لذِے عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٞۖ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.	226	16
﴿وَلَقَدَ ـاتَيْنَا مُوسَى اَ۬لْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى اَ۪بْنَ مَرْيَمَ اَ۬لْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ اِ۬لْقُدُسِۖ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوِيٓ أَنفُسُكُمُ اُ۪سْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاٗ كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاٗ تَقْتُلُونَ﴾.	86	23
﴿ أَوْ كَالذِے مَرَّ عَلَيٰ قَرْيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَيٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّيٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ اِ۬للَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ اُ۬للَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَّۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً اَوْ بَعْضَ يَوْمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَانظُرِ اِلَيٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَانظُرِ اِلَيٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَانظُرِ اِلَى اَ۬لْعِظَٰمِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماٗۖ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اَ۬للَّهَ عَلَيٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٞ﴾.	258	24
﴿ اُوْلَٰٓئِكَ عَلَيٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَاُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْمُفْلِحُونَ ۝٤﴾.	4	48
﴿إِنَّ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمُۥٓ ءَآنذَرْتَهُمُۥٓ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُومِنُونَ﴾.	5	48
وَلِكُلّٖ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ اُ۬لْخَيْرَٰتِۖ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَاتِ بِكُمُ اُ۬للَّهُ	148	51

جَمِيعاًۖ اِنَّ اَللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٧﴾		
﴿وَ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ اِ۬لْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذىٗ فَاعْتَزِلُواْ اُ۬لنِّسَآءَ فِے اِ۬لْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّيٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَاتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اُ۬للَّهُۖ إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ اُ۬لتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ اُ۬لْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٠﴾﴾.	220	67
﴿وَأَوْصىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ اَللَّهَ اَصْطَفَىٰ لَكُمُ اُ۬لدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾﴾.	131	75
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّے جَاعِلٞ فِے اِ۬لَارْضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُّفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ اُ۬لدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.	29	106
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى اَ۬لْمَلَإِ مِنۢ بَنِے إِسْرَآءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِےٓءٖ لَّهُمُ اُ۪بْعَثْ لَنَا مَلِكاٗ نُّقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسِيتُمُۥٓ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ اُ۬لْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَقَدُ اُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ اُ۬لْقِتَالُ تَوَلَّوِاْ اِلَّا قَلِيلاٗ مِّنْهُمْۖ وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٤﴾﴾.	244	111
﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاٗ لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِ مُصَدِّقاٗ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىٗ وَبُشْرَىٰ لِلْمُومِنِينَ ﴿٩٦﴾﴾.	96	113
﴿ اَ۬لذِينَ يَاكُلُونَ اَ۬لرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ اُ۬لذِے يَتَخَبَّطُهُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ مِنَ اَ۬لْمَسِّۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا اَ۬لْبَيْعُ مِثْلُ اُ۬لرِّبَوٰاْۖ وَأَحَلَّ اَ۬للَّهُ اُ۬لْبَيْعَ وَحَرَّمَ اَ۬لرِّبَوٰاْۖ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى اَ۬للَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ اُ۬لنّ۪ارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.	274	121
﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمُۥٓ إِن طَلَّقْتُمُ اُ۬لنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۖ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى اَ۬لْمُوسِعِ قَدْرُهُۥ وَعَلَى اَ۬لْمُقْتِرِ قَدْرُهُۥ مَتَٰعاۢ بِالْمَعْرُوفِۖ حَقّاً عَلَى اَ۬لْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٤﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمُۥٓ إِلَّا أَنْ يَّعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ اَ۬لذِے بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ اُ۬لنِّكَاحِۖ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَنسَوُاْ اُ۬لْفَضْلَ بَيْنَكُمُۥٓۖ إِنَّ اَللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.	-234 235	122

﴿ قَالُواْ اُ۟دْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ اَ۬لْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ اَ۬للَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾﴾.	69	133
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ اَ۬لتَّوَّابُ اُ۬لرَّحِيمُ﴾.	36	148
﴿ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ اُ۬لصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى اَ۬لذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٢﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَٰتٍۖ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنَ اَيَّامٍ اُخَرَۖ وَعَلَى اَ۬لذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةُ طَعَامِ مَسَٰكِينَۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۖ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.	-182 183	-150 152
﴿يُرِيدُ اُ۬للَّهُ بِكُمُ اُ۬لْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ اُ۬لْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ اُ۬لْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اُ۬للَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.	184	151
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِے عَنِّے فَإِنِّے قَرِيبٌۖ اُجِيبُ دَعْوَةَ اَ۬لدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِے وَلْيُومِنُواْ بِے لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.	185	186
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ اُ۟سْكُنَ اَنتَ وَزَوْجُكَ اَ۬لْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ اِ۬لشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ اَ۬لظَّٰلِمِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَزَلَّهُمَا اَ۬لشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا اَ۪هْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِے اِ۬لَارْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ اِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾.	35-34	190
﴿يُخَٰدِعُونَ اَ۬للَّهَ وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾﴾.	8	191
﴿خَتَمَ اَ۬للَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.	6	-199 225
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيٓـُٔهُمُۥٓ إِنَّ اَ۬للَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاًۖ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ اُ۬لْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِّنَ اَ۬لْمَالِۖ قَالَ إِنَّ اَ۬للَّهَ اَ۪صْطَفَيٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِے اِ۬لْعِلْمِ وَالْجِسْمِۖ وَاللَّهُ يُوتِے مُلْكَهُۥ مَن يَّشَآءُۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٥﴾﴾.	245	202
﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ اُ۬لشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ اَ۬لشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ اَ۬لنَّاسَ اَ۬لسِّحْرَ وَمَآ اُ۟نزِلَ عَلَى اَ۬لْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۖ وَمَا يُعَلِّمَٰنِ مِنَ اَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ	101	-207 208

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ اَ۬لْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۖ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنَ اَحَدٍ اِلَّا بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۖ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اِشْتَرٰيهُ مَا لَهُۥ فِے اِ۬لَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۖ وَلَبِيسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (101)﴾.		
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراًۖ وَلَا تَسْـَٔلُ عَنَ اَصْحَٰبِ اِ۬لْجَحِيمِ (118)﴾.	118	240
﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدٰيٰهُمْ وَلَٰكِنَّ اَ۬للَّهَ يَهْدِے مَن يَّشَآءُۖ ﴾.	271	240
﴿ وَلَن تَرْضٰى عَنكَ اَ۬لْيَهُودُ وَلَا اَ۬لنَّصٰرٰى ﴾.	119	241
﴿ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ اَ۬للَّهِ أَن يُّذْكَرَ فِيهَا اَسْمُهُۥ وَسَعٰى فِے خَرَابِهَآۖ اُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمُۥٓ أَن يَّدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۖ لَهُمْ فِے اِ۬لدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِے اِ۬لَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (113) وَلِلهِ اِ۬لْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُۖ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اُ۬للَّهِۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (114) وَقَالُواْ اُتَّخَذَ اَ۬للَّهُ وَلَداًۖ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِے اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (115)﴾.	-113 -114 115	247
﴿ وَقَالَتِ اِ۬لْيَهُودُ لَيْسَتِ اِ۬لنَّصٰرٰى عَلٰى شَےْءٍ وَقَالَتِ اِ۬لنَّصٰرٰى لَيْسَتِ اِ۬لْيَهُودُ عَلٰى شَےْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ اَ۬لْكِتَٰبَۖ كَذَٰلِكَ قَالَ اَ۬لذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۖ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ اَ۬لْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (112)﴾.	112	248
﴿ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ اَ۬للَّهِ أَن يُّذْكَرَ فِيهَا اَسْمُهُۥ وَسَعٰى فِے خَرَابِهَآۖ اُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمُۥٓ أَن يَّدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۖ لَهُمْ فِے اِ۬لدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِے اِ۬لَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (113)﴾.	113	249
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ اُ۬لْقَوَاعِدَ مِنَ اَ۬لْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ اَ۬لسَّمِيعُ اُ۬لْعَلِيمُ (126)﴾.	126	254
سورة آل عـــــمران		
﴿كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ اِ۬لْمُنكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَّهِۖ وَلَوَ ـامَنَ أَهْلُ اُ۬لْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمۖ مِّنْهُمُ اُ۬لْمُومِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ اُ۬لْفَٰسِقُونَ﴾.	110	11
﴿قُلِ اِ۬للَّهُمَّ مَٰلِكَ اَ۬لْمُلْكِ تُوتِے اِ۬لْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ اُ۬لْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ	26	22-21

وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿هُوَ ٱلذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧)﴾.	7	49
﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾.	133	50
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.	132	50
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمُۥٓ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوُ اُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلذِينَ هَٰجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ (١٩٥)﴾.	195	64
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيَ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦)﴾.	36	109
﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَيٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٢)﴾.	2	113
﴿ إِن يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٠)﴾	140	215
﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوِيٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِيسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥١)﴾.	151	216
﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۥٓ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٣)﴾.	63	229

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّآءُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ اُ۬لْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاًۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنّ۪يٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اِ۬للَّهِۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧﴾.	37	239
﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمُۥٓ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمُۥٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾.	44	239
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِےٓءٍ قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اَ۪سْتَكَانُواْۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ اُ۬لصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾.	146	241
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اِ۬لرُّسُلُۖ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اَ۪نقَلَبْتُمْ عَلَيٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۖ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَيٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ اَ۬للَّهَ شَيْـٔاًۖ وَسَيَجْزِے اِ۬للَّهُ اُ۬لشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.	144	242
﴿ وَيُعَلِّمُهُ اُ۬لْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِيٰةَ وَالِانجِيلَ وَرَسُولًا اِلَيٰ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ أَنِّے قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمُۥٓۖ إِنِّيَ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ اَ۬لطِّينِ كَهَيْـَٔةِ اِ۬لطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَٰٓئِراً بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَأُبْرِئُ اُ۬لَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ وَأُحْيِ اِ۬لْمَوْتَيٰ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِے بُيُوتِكُمُۥٓۖ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ ءَلَأٓيَةً لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ ٤٨﴾.	48	244
﴿ إِذْ قَالَتِ اِ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اُ۪سْمُهُ اُ۬لْمَسِيحُ عِيسَى اَ۪بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِ وَمِنَ اَ۬لْمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾.	45	244
﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنّ۪يٰ يَكُونُ لِے وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِے بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اِ۬للَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۖ إِذَا قَضَيٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧﴾.	47	245
﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اِ۬للَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْۖ﴾.	103	253
سورة النساء		
﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمُۥٓ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌۖ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ اُ۬لرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَۖ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۖ وَلَهُنَّ اَ۬لرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمُۥٓ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۖ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ اَ۬لثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۖ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۖ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً اَوِ	12	72-29

إِمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ اَوُ اخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا اَ۬لسُّدُسُۖ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِے اِ۬لثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِےٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اَ۬للَّهِۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.		
﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ اَ۬لْقُرْءَانَۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اِ۬للَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اِخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾.	81	62
﴿يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لنَّاسُ اُتَّقُواْ رَبَّكُمُ اُ۬لذِے خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءًۖ وَاتَّقُواْ اُ۬للَّهَ اَ۬لذِے تَسَّآءَلُونَ بِهِۦ وَالَارْحَامَۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴿١﴾﴾.	1	65
﴿ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً اِلَّا عَابِرِے سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۖ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ اَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ اَ۬لْغَآئِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ اُ۬لنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمُۥٓۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴿٤٣﴾ ﴾.	43	120
﴿ اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ اَ۬لْقُرْءَانَۖ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اِ۬للَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اِخْتِلَٰفاً كَثِيراً ﴿٨١﴾﴾.	81	179
﴿وَابْتَلُواْ اُ۬لْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ اُ۬لنِّكَاحَ فَإِنَ ـانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمُۥٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَاكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً اَن يَّكْبَرُواْۖ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِۖ فَإِذَا دَفَعْتُمُۥٓ إِلَيْهِمُۥٓ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴿٦﴾﴾.	6	214
﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِے اِ۪بْتِغَآءِ اِ۬لْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اَ۬للَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٠٣﴾﴾.	103	216
سورة المـــــائــــدة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمُۥٓ إِلَى اَ۬لصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمُۥٓ إِلَى اَ۬لْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمُۥٓ إِلَى اَ۬لْكَعْبَيْنِۖ﴾.	7	67
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اُ۬للَّهُ بِاللَّغْوِ فِے أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُّؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ	91	69

ٱلْأَيْمَنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنَ اَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمُۥٓ أَوْ كِسْوَتُهُمُۥٓ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمُۥٓ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُۥٓ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩١﴾».		
«فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحِ اِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾».	14	116
« إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ اَذْكُرْ نِعْمَتِيَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذَ اَيَّدتُّكَ بِرُوحِ اِ۬لْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي اِ۬لْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِيٰةَ وَالِانجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ اِ۬لطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَٰٓئِراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمُۥٓ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٢﴾».	112	-118 192
« فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي اِ۬لْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِے سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنَ اَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣٣﴾».	33	-134 135
« يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمُۥٓ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمُۥٓ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمُۥٓ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ اَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُّرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾».	7	-153 154
«وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾».	40	156
« أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنَ اَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٢﴾».	52	227

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٤﴾ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾.	55-54	-249 250
﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾	54	250
سورة الأنعام		
﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.	150	81
﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.	138	-111 131
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾﴾.	8	121
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَّقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠١﴾﴾.	101	230
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.	102	231
﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.	32	295
سورة الأعراف		
﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾﴾.	21	168-97
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.	9	111

﴿ فَأَلْقِىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.	106	180
﴿قَالَ أَلْقُوٓاْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٥﴾ ﴾.	115	190
﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنَ امْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ إيتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.	77-76	195
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اِسْجُدُواْ لِأدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذَ امَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١١﴾ ﴾.	11-10	203
﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرِىٰٓ أَن يَّاتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٦﴾ أَوَ امِنَ أَهْلُ ٱلْقُرِىٰٓ أَن يَّاتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٧﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَامَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٨﴾ ۞﴿ ثمن﴾ أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلذِينَ يَرِثُونَ ٱلَارْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.	-96 -97 99-98	205
﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمُۥٓ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.	43	-211 212
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدَ انزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَٰرِے سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنَ ـايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.	25	247
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِے مِن تَحْتِهِمُ ٱلَانْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِے هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.	42	251
﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلَا لَهُۥ شِرْكاً فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.	190	254
﴿ سَأَصْرِفُ عَنَ ـايَٰتِيَ ٱلذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلَارْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَّرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُومِنُواْ بِهَا وَإِن يَّرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَّرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ	146	258

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)﴾.		
سورة الأنفال		
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُومِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)﴾.	17	147
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15)﴾.	15	148
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)﴾	36	296
سورة التوبة		
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.	129	30
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (81)﴾.	81	57
سورة يونس		
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59)﴾.	59	40
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)﴾.	26	74
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾.	58	141
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾.	92	200
سورة هود		
﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)﴾.	28	119

124	71	﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٞ ٧١﴾.
185	41	﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾.
195	66-65	﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ٦٥ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.
255	68	﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٖ ٦٨﴾.
سورة يـــــــوســـف		
18	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٖ وَهُدٗى وَرَحْمَةٗ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ﴾.
49	24	﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.
50	51	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾.
50	52	﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.
61	45	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾.
65	36	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾.
125	90-89	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠﴾.
164	82	﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾.

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.	87	187
﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هِيتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.	23	188
﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾.	16	189
﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.	18	-190-258
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.	45	198
﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾.	35	201
﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾.	52-51	246
سورة الرعد		
﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.	41	240
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.	5	11
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.	9	-64-12-183
سورة النحل		
﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ	89	18

هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.		
﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ ٱلاَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاًۖ اِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.	91	70
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلاَوَّلِينَ ﴾.	24	257
سورة الإســـــراء		
﴿وَقُرْءَاناً فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلاً ﴿١٠٦﴾﴾.	106	178
سورة الكهــف		
﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ ءَلِابَآئِهِمْۖ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمُۥٓۖ إِن يَّقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴿٥﴾﴾.	5	130
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۖ سَأُنَبِّئُكَ بِتَاوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾.	77	193
﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَّبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنَ اَمْرِيۖ ذَٰلِكَ تَاوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾.	81	193
﴿ فَمَا إسْطَٰعُوٓاْ أَنْ يَّظْهَرُوهُ وَمَا إسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْباً ﴿٩٣﴾﴾.	93	194-98
﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلَ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.	65	-195 214
﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾	66	196
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالاَخْسَرِينَ أَعْمَٰلاً اَلذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴿٩٩﴾﴾.	99	209
﴿ اِذَ اَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنَ اَمْرِنَا رَشَداً ﴿١٠﴾﴾.	10	214
﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْءٍ اِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً اِلآَّ أَن يَّشَآءَ ٱللَّهُۖ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَّهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً ﴿٢٤﴾﴾.	24	-216 224

﴿ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (18) ﴾.	18	216
﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (19) ﴾.	19	217
﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً (61) ﴾.	61	217
﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (89) ﴾.	89	218
﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (89) ﴾.	94	219
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً (35) ﴾.	35	219
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً	44	220
سورة مريم		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً (84) ﴾.	84	99
﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً (25) ﴾.	25	99
﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) ﴾.	33	242
سورة طـــــه		
﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى ﴾.	117	168

﴿ إِذْ تَمْشِے أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَّكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَےْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۖ وَقَتَلْتَ نَفْساٗ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ اَ۬لْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُوناٗۖ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِےٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ (40)﴾.	40	169
﴿وَأَلْقِ مَا فِے يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ اُ۬لسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (68)﴾.	68	178
﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا اَ۬لْأُولَىٰ﴾.	30	187
﴿ قُلْنَا لَا تَخَفِ اِنَّكَ أَنتَ اَ۬لْأَعْلَىٰ﴾.	67	187
﴿ يَوْمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ اَ۬لدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ اِ۬لْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساٗ ﴾.	105	196
﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراٗ مِّن زِينَةِ اِ۬لْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى اَ۬لسَّامِرِيُّۖ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاٗ جَسَداٗ لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (86)﴾.	86	221
﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّے (38) وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ (39) إِذْ تَمْشِے أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَّكْفُلُهُۥۖ ﴾.	38-39	238
سورة الأنبياء		
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ اَ۬لْغَمِّۖ وَكَذَٰلِكَ نُنجِے اِ۬لْمُومِنِينَ (87) ﴾.	87	253
سورة الحج		
﴿وَمِنَ اَ۬لنَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اُ۬للَّهَ عَلَىٰ حَرْفٖۖ فَإِنَ اَصَابَهُۥ خَيْرٌ اِ۪طْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنَ اَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ اِ۪نقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ اَ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةَۖ ذَٰلِكَ هُوَ اَ۬لْخُسْرَانُ اُ۬لْمُبِينُ (11)﴾.	11	60
﴿ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُدْخِلُ اُ۬لذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اُ۬لصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اَ۬لَانْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ اَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤْلُؤاٗۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٞ (21)﴾.	21	228
سورة المؤمنون		
﴿ وَشَجَرَةٗ تَخْرُجُ مِن طُورِ سِينَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٖ لِّلَاكِلِينَ (20)﴾.	20	54

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾.	14	107
﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَا إِلَىٰ رُبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٥١﴾.	51	220
سورة الفرقان		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ٤٥﴾.	45	169
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً ٤﴾.	4	190
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً ٢١﴾.	21	190
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾.	25	253
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰماً ٦٣﴾	63	299
سورة الشعراء		
﴿ وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ٢٢٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ٢٢٤ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٢٢٥﴾.	-223 -224 225	123
﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.	62-61	188
سورة النمل		
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.	22	96
﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ٨٢﴾.	82	117

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفِ اِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ اَلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾.	10	-180 187
﴿اِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَٰنِ اِلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾.	30	186
﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَاباً شَدِيداً اَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ أَوْ لَيَاتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.	21	189
﴿ وَلَقَدَ ـاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْماً وَقَالَا اَلْحَمْدُ لِلهِ اِلذِے فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ اِلْمُومِنِينَ﴾.	15	189
﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِۦ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَيٰنِۦَ اَللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَيٰكُم بَلَ اَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾.	37	196
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اِللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ اُلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اِلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُواْ لِلهِ اِلذِے يُخْرِجُ اُلْخَبْءَ فِے اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اَللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ اُلْعَرْشِ اِلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾.	-24 26-25	203
﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمُۥٓ إِنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾.	54-53	226
سورة القصص		
﴿ قَالَ اَلذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ اُلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ اِلذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.	63	53
﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ اِلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾.	11	168
﴿ وَأَنَ اَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفِ اِنَّكَ مِنَ اَلَامِنِينَ﴾	31	187
﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى اَلَاجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ اِلطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ اِمْكُثُوٓاْ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ اَوْ جِذْوَةٍ مِّنَ اَلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.	29	221

245	37-36	﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧ ﴾.
سورة العنكبوت		
237	25	﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٥ ﴾.
سورة الروم		
75	1-2-3-4	﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝١ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ۝٢ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُومِنُونَ ۝٣ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤﴾.
سورة سبأ		
61	17	﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ يُجَٰزَىٰٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورُ ۝١٧﴾.
61	23	﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٣﴾.
163	33	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَامُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.
169	14	﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ۝١٤ ﴾.
سورة يس		
61	28	﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ۝٢٨﴾.
62	35	﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾.

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَاخُذُهُمْ وَهُمْ يَخَصِّمُونَ ﴿٤٨﴾﴾.	48	96
سورة ص		
﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٢﴾﴾.	22	213
﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ اِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴿٢٣﴾﴾.	23	214
﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾.	40	217
سورة الزمر		
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْاَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى اِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَلَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾﴾.	39	52
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِّحَتَ اَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْۥٓ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.	68	53
﴿ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.	27	91
﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلِاسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِۚ اُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.	21	116
﴿ قُلَ اَفَغَيْرَ اللَّهِ تَامُرُونِيَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.	61	135
سورة غافر		
﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۖ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَۖ لِلهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ﴾.	15	22
﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾.	32	196
﴿ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِالْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ	-70	280

ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.	72-71	
سورة فصلت		
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾.	16	257
سورة الشورى		
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۚ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٣﴾﴾.	13	81
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾.	48	148
سورة الزخرف		
﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾.	77	96
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾.	48	188
﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾.	49	188
سورة الدخان		
﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٤٧﴾﴾.	-44 -45 47-46	206
سورة الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾	23	226
سورة الأحقاف		
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.	15	243

سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾.	6	24
سورة ق		
﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾.	19	62-53
سورة الرحمن		
﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾.	75	28
﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ ﴾.	24	48
﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾.	25	48
﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥﴾.	3	210
سورة الواقعة		
﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩﴾.	31	62
﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾.	99-77	186
سورة المجادلة		
﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾.	19	84
سورة الجمعة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾.	9	73
سورة الطلاق		
﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾.	7	162
سورة التحريم		
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَ ٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ	11-10	278

ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.		
سورة الحاقة		
﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.	52	186
﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾	32	281
سورة المعارج		
﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾.	37	104
﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾.	1	126
سورة القيامة		
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.	17-16	17
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٦﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.	-16 18-17	183
سورة الإنسان		
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.	20	149-74
سورة الانفطار		
﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.	19	21
سورة المطففين		
﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾.	1	292
سورة العلق		
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾.	1	186
سورة القارعة		
﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٤﴾﴾.	4	74

سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (١) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ (٢) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾.	1-2-3	272
سورة الهمزة		
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾.	1-2-3-4-5-6-7-8-9	من: 139 إلى: 143
سورة المسد		
﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾.	1-2-3-4-5	من:273 إلى: 302
سورة الإخلاص		
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤًا أَحَدٌ (٤)﴾.	4	146
سورة الفلق		
﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾.	2	270
﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)﴾.	4	270

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث النبوي الشريف	تخريجه	الصفحة
هَكَذَا أَخْبَرَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ يَعْقُوبَ الْحَافِظُ، أَنْبَأَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الْمُقْرِئُ، حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مِهْرَانَ الْأَيْلِيُّ، حدثنا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ، حدثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ الزَّنْجِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ "قَرَأَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة: 129] " يَعْنِي مِنْ أَعْظَمِكُمْ قَدْرًا.	حديث خرَّجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، رقم الحديث:2945.	31
أَخْبَرَنِي أَبُو أَحْمَدَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّيْرَفِيُّ بِمَرْوَ، حدثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقَاشِيُّ، حدثنا بَكَّارُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حدثنا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أنزل القرآن بالتفخيم".	حديث خرَّجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، رقم الحديث:2953	41
"حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ».	حديث خرَّجه البخاري (ت: 256هـ) في صحيحه، رقم الحديث:6510	55
حديث موسى والخضر : قال رسول الله ﷺ: "وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ ".	حديث خرَّجه مسلم في صحيحه،1847/4، رقم الحديث:2380.	56
حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ،	حديث خرَّجه مسلم في صحيحه،560/1، رقم الحديث: 818.	56

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ»، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».		
"حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ جَمِيعًا، عَنْ حَمَّادٍ - قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ - عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».	حديث خرّجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 2702.	58
"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- يَقُولُ: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ فَقَرَأَ. قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ. فَقَرَأْتُ. فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ".	حديث خرّجه القسطلاني (ت: 923هـ) في كتابه: "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، رقم الحديث: 2419.	59
حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».	الحديث خرّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 4991. وخرّجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 272.	62
حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنِ القَاسِمِ، عَنْ زَهْدَمٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ، فَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ، فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَحْمِلَنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا».	حديث خرّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 6680. وخرّجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 1652.	70

روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: نَزَلَتْ " فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَتَابِعَاتٍ "، فَسَقَطَتْ مُتَتَابِعَاتٍ " قَوْلُهَا سَقَطَتْ تُرِيدُ نُسِخَتْ، لَا يَصِحُّ لَهُ تَأْوِيلٌ غَيْرُ ذَلِكَ.	حديث خرَّجه الصنعاني (ت: 211هـ) في مصنفه، رقم الحديث: 7657. وخرَّجه البيهقي في سننه، رقم الحديث: 8234.	72
روي عن النبي محمد ﷺ، أنه قال: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».	حديث خرَّجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 602.	73
"حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».	حديث خرَّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 929.	74
ورد عن النبي ﷺ عن صهيب عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قال: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ".	حديث خرَّجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 181.	74
أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُفْيَانَ الشَّيْبَانِيُّ، ثنا جَدِّي، ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ».	حديث خرَّجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين،2/477. رقم الحديث: 3644	109
قال النبي ﷺ : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ".	حديث خرَّجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث: 17174	136

حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى أَثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيُصَلِّي رَكْعَةً. وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، قَبْلَ التَّسْلِيمِ. فَإِنْ كَانَتِ الرَّكْعَةُ الَّتِي صَلَّى خَامِسَةً، شَفَعَهَا بِهَاتَيْنِ السَّجْدَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَتْ رَابِعَةً فَالسَّجْدَتَانِ تَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ».	حديث خرَّجه الإمام مالك في الموطأ، رقم الحديث:62.	137
حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «إِنَّمَا كَانَ مَنْزِلٌ يَنْزِلُهُ النَّبِيُّ ﷺ، لِيَكُونَ أَسْمَحَ لِخُرُوجِهِ».	حديث خرَّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 1765.	137
حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ».	حديث خرَّجه البخاري في صحيحه، 100/2 ، رقم الحديث: 1385.	138
روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال:" «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ».	حديث خرَّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 4659.	142
أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَطَّانُ، بِالرَّقَّةِ، قَالَ حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ حَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ الذِّمَارِيُّ (2) ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ سورة الهمزة، الآية: 3.	حديث خرَّجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث: 6332.	142
حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَاذَ الْعَدْلُ، حدثنا عُبَيْدُ بْنُ حَاتِمٍ الْعِجْلِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَا: حدثنا نُوحُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، حدثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الذِّمَارِيُّ، ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ: يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، بِكَسْرِ السِّينِ.	حديث خرَّجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين،281/2. رقم الحديث: 3013.	142

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا، وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا»، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.	حديث خرَّجه الإمام مسلم في صحيحه، 1402/3، رقم الحديث: 1777.	147
حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».	حديث خرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث:7436.	149
قال رسول الله ﷺ «إنه لا تتمُّ صلاةُ أحد من الناس حتى يتوضأ، فيضع الوضوءَ - يعني مواضِعَه - ثم يكبِّر، ويحمد الله عزّ وجلّ، ويثني عليه، ثم يقرأ بما شاء من القرآن... ».	حديث خرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، 368/1. رقم الحديث: 881.	154
عن عباد بن تميم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ، يتوضأ ويمسح الماء على رجليه.	حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه 101/1 رقم 201	155
حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا وَالنَّاسُ يَتَوَضَّئُونَ مِنَ المِطْهَرَةِ، قَالَ: أَسْبِغُوا الوُضُوءَ، فَإِنَّ أَبَا القَاسِمِ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».	الحديث خرّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 165.	155

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْإِسْفِرَايِينِيُّ ابْنُ السَّقَّاءِ، أنبأ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَطَّةَ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا الْأَصْبَهَانِيُّ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، حدثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا"، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، وَهَذَا مُنْقَطِعٌ وَكَذَلِكَ قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فِي قِرَاءَتِنَا " وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ تُقْطَعُ أَيْمَانُهُمْ ".	حديث خرَّجه البيهقي في سننه الكبرى، رقم الحديث: 17247.	156
حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ».	حديث خرَّجه البخاري، في صحيحه، رقم الحديث:6799. وخرَّجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 1687.	157
"أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ سَلْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا النَّضْرُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، قَالَ يُوسُفُ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِلِصٍّ فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا سَرَقَ ثُمَّ قَالَ: «اقْتُلُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا سَرَقَ قَالَ: «اقْطَعُوا يَدَهُ» قَالَ: ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ رِجْلُهُ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، حَتَّى قُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ أَيْضًا الْخَامِسَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمَ بِهَذَا حِينَ قَالَ: «اقْتُلُوهُ»، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَقْتُلُوهُ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ يُحِبُّ الْإِمْرَةَ فَقَالَ: أَمِّرُونِي عَلَيْكُمْ فَأَمَّرُوهُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِذَا ضَرَبَ ضَرَبُوا حَتَّى قَتَلُوهُ.".	حديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى، رقم الحديث:7428	157
عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ نُبَيْطٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ: كُنْتُ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَأُخْتَايَ، فَكَانَ يُحَلِّينَا الذَّهَبَ وَاللُّؤْلُؤَ".	حديث خرَّجه البيهقي في السنن الكبرى، رقم الحديث: 7561.	228
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَمَّتِهِ، أَنَّهَا سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حِجْرِي يَتِيمٌ [ص:289] أَفَآكُلُ مِنْ مَالِهِ؟ فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ».	حديث خرَّجه أبو داود في سننه، رقم الحديث: 3528.	277

قال عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ».	حديث خرَّجه أحمد في مسنده، رقم الحديث: 24148.	277
"حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " قَالَ أَبُو لَهَبٍ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾". سورة المسد، الآية:1	حديث خرَّجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: 1394.	293

فهرس الأشعار والأرجاز

البيت	الوزن	الصفحة
قال الشاعر حسان بن ثابت (54هـ/674م: وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ فِينَا ***وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ.	بحر الوافر	23
قال ابن الجزري (ت: 833هـ) في الأركان الثلاثة للقراءة المتواترة: فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ *** وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ *** فَهَـذِهِ الثَّلَاثَـةُ الْأَرْكَـانُ وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ *** شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَـةِ.	بحر الرجز	30
قال سليمان بن محمد الجمزوري (ت: بعد 1198هـ) عن المد واللين: حُرُوفُهُ ثَلاثَةٌ فَعِـــيهَا *** مِنْ لَفْظِ (وَايٍ) وَهْيَ فِي نُوحِيهَا وَاللِّينُ مِنْهَا الْيَا وَوَاوٌ سُكِّنَا *** إِنِ انْفِتَاحٌ قَبْلَ كُلٍّ أُعْلِـــنَا.	بحر الرجز	38
قال سليمان بن محمد الجمزوري في بيان أقسام المد: وَالْمَـــدُّ أَصْلِـيٌّ وَفَـرْعِـيٌّ لَـهُ *** وَسَـــمِّ أَوَّلاً طَبِيعِيًّـا وَهُـــو مَا لاَ تَوَقُّــفٌ لَـهُ عَلَـى سَبَـبْ *** وَلا بِدُونِهِ الحُرُوفُ تُجْتَلَــبْ بلْ أَيُّ حَرْفٍ غَيْرُ هَمْزٍ أَوْ سُكُونْ *** جَا بَعْدَ مَدٍّ فَالطَّبِيعِيَّ يَكُونْ وَالآخَرُ الْفَرْعِيُّ مَوْقُــوفٌ عَلَـى *** سَبَبْ كَهَمْزٍ أَوْ سُكُونٍ مُسْجَـلا فَوَاجِبٌ إِنْ جَاءَ هَمْزٌ بَعْدَ مَدْ *** فِي كِلْمَةٍ وَذَا بِمُتَّصِلٍ يُعَـــــدْ وَجَائِزٌ مَدٌّ وَقَصْرٌ إِنْ فُصِــلْ *** كُلٌّ بِكِلْمَةٍ وَهَذَا الْمُنْفَصِـــــلْ.	بحر الرجز	39-38
قال أبو عمرو الداني (ت: 444ه) في بيان أحوال الهمزة عند القراء: وَالْهَمْزُ فِيهِ كُلْفَة وَتَعْبُ *** لِأَنَّهُ حَرْف شَدِيد صَعْــبُ يُخْرِجُهُ النَّاطِقُ بِاجْتِهَادِ *** مِنْ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ اعْتِمَـــادِ لِذَاكَ فِيهِ النَّقْلُ وَالتَّسْهِيلُ *** بِالْجَعْلِ بَيْنَ بَيْنَ وَالتَّبْدِيلُ.	بحر الرجز	45
قال القاسم بن أحمد الشاطبي (ت: 590هـ) في بيان التفخيم والترقيق: وَقَدْ فَخَّمُوا التَّنْوِينَ وَقْفاً وَرَقَّقُوا *** وَتَفْخِيمُهُمْ فِي النَّصْبِ أَجْمَعُ أَشْمُلاَ.	بحر الرجز	47
قال الشاعر: فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا *** فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ.	بحر البسيط	66

قال الشاعر: كَأَنَّهَا بَعْدَ كَلاَلِ الزَّاجِرِ*** وَمَسحِي مَرُّ عُقَابٍ كَاسِرِ.	بحر الرجز	98
قال الشاعر: شَحَنَّا أَرْضَهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى*** تَرَكْنَاهُمْ أَذَلَّ مِنَ الصِّرَاطِ. وفي رواية أخرى: صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بالخَيْلِ حَتّى*** تركْنَاها أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ.	بحر الوافر	101
قال الشاعر جرير بن عطية الخطفي: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ *** إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ.	بحر الوافر	101
قال الشاعر عبيد بن الأبرص: فَجَاءُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى *** يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا.	بحر الوافر	104
قال الأعشى (ت 629م): أَأَنْ رَأَتْ رَجُلا أعشى أضرَّ به *** ريب المنون ودَهْرٌ مُتْبِلٌ خَبِلُ.	بحر البسيط	125
قال الشاعر كثير عزة (ت: 105هـ): أأن زُمّ أجمالٌ، وفارقَ جيرةٌ *** وصاح غُرابُ البينِ أنتَ حزينُ.	بحر الطويل	125
قال الشاعر ذو الرمة (ت: 117هـ/735م): أيا ظبية الوَعْساء بين جُلاجِل***وبين النَّقَا آأَنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ؟. وفي رواية: فيا ظبية الوَعْساء بين جُلاجِل***وبين النَّقَا آأَنتِ أَمْ أُمُّ سالمِ؟.	بحر الطويل	126
قال الشاعر حسان بن ثابت: سَالَتْ هذيلٌ رَسُولَ اللَّهِ فاحِشَةً *** ضَلَّتْ هذيلٌ بِمَا سالَتْ وَلَم تُصِبِ.	بحر البسيط	126
قال الشاعر أحمد شوقي(ت: 1932م): وَسَلاَ مِصْرَ هَلْ سَلاَ الْقَلْبُ عَنْهَا *** أَمْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمُؤَسِّي؟.	بحر الخفيف	126
قال الشاعر امرؤ القيس (ت: 545م): قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ	بحر الطويل	127
قال عبد الله بن مالك (ت: 672هـ) في سياق قبول قراءة ابن عامر: وَعُمْدَتِي قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرِ*** وَكَمْ لَهَا مِنْ عَاضِد وَنَاصِر.	بحر الرجز	132
قال الشاعر: مَا لِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مُوحِشًا*** خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ.	بحر الكامل	133

قال الشاعر طرفة بن العبد (ت: 569هـ): ألا أيّهَذَا اللّائِمِي أَحْضُرَ الْوَغَى *** وَأَنْ أَشْهَدِ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟. وفي رواية: ألا أيّهَذا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى *** وأن أشهد اللَّذاتِ هل أنتَ مخلِدي؟. وفي رواية أخرى: ألا أيّهَذَا اللّاحيِّ أَحْضُرَ الوَغَى *** وأن أشهد اللَّذاتِ هل أنتَ مخلِدي؟.	بحر الطويل	135
قال الشاعر امرؤ القيس: فتُوضِحَ فالْمِقراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها *** لما نَسَجَتْها من جنوبٍ وشَمْأَلِ.	بحر الطويل	182
قال الناظم: وَحَذْفُ بِسْمِ اللهِ عَنْهُمْ وَاضِحُ *** فِي هُودٍ وَالنَّمْلِ وَفِي الْفَوَاتِحِ وَطُولُ الْبَاءِ كَمَا عَنْهُمْ أَلِـفُ *** مُطَوَّلاً دَلَالَةً عَلَى الْأَلِـــفِ وَقِيلَ طُولٌ لِكَيْ يَكُـــونَا *** لَهُ مُعَظَّماً فَخُذْ تَبْيِينَـــا وَبِاسْمِ رَبِّكَ جَمِيعاً أَثْبِتَـــا *** أَلِفَهَا وَالْبَاءُ قَصِّرْ يَا فَتَـى.	بحر الرجز	186
قال الشاعر ابن مُقْبِل: يَا لَيْتَ لِي سَلْوَةً يُشْفَى الْفُؤَادُ بِهَا *** مِنْ بَعْضِ مَا يَعْتَرِي قَلْبِي مِنَ الدِّكَرِ.	بحر البسيط	199
قال النابغة الذبياني: كِلِينِي لِهَمّ يَا أُمَيْمَة نَاصِبٍ *** وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءَ الْكَوَاكِبِ.	بحر الطويل	217
قال الإمام الشافعي (ت: 204هـ): سافِر تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُصَاحِبُهُ*** وَانصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ فِي النَصَبِ وفي رواية أخرى: سافِر تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُفارِقُهُ *** وَانصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ فِي النَصَبِ	بحر البسيط	218
قال الشاعر ذو الرمة في وصف الناقة: لَا تُشْتَكَى سَقْطَةً مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ *** بِهَا الْمَفَاوِزُ حَتَّى ظَهْرُهَا حَدِبُ.	بحر البسيط	222
قال الشاعر عتبان الحروري: فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرْوَانُ وَابْنُهُ *** وَعَمْرُو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ فَمِنَّا حُصَيْنُ وَالْبُطَيْنُ وَقُعْنُـــبُ *** وَمِنَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيــــبُ.	بحر الطويل	224
قال الشاعر جرير في هجاء الأخطل النصراني: تَمُرُّون الدِّيارَ ولم تَعُوجوا *** كلامُكُم عليَّ إذاً حَرامُ.	بحر الوافر	226

قال الشاعر حسان بن ثابت: لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءَ وَابْنَي مُحَـــرِّقٍ *** فَأَكْرِمْ بِنَا خالاً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا.	بحر الطويل	234
قال الشاعر: وَقَفْنا فَقُلْنا إِيهِ سِلْمٌ فَسَلَّمَتْ *** فَمَا كَانَ إلاَّ وَمْؤُها بالحَوَاجِبِ. وفي رواية أخرى نسب هذا البيت للشاعر ذي الرمة: وَقَفْنا فقُلْنا إيهِ عن أمّ سالِمٍ *** وما بالُ تَكْلِيم الدِّيار البَلاقِعِ.	بحر الطويل	256
قال الشاعر محمود سامي البارودي (ت: 1904م)، وهو في المنفى: يَا قَلْبُ صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُ قَدَرٌ*** يَجْرِي عَلَى المَرْءِ مِنْ أَسْرٍ وَإِطْلَاقِ.	بحر البسيط	259
قال الشاعر في مخاطبة ناقته: يَشْكو إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى *** صَبرٌ جَمِيل فكِلانا مُبْتَلَى.	بحر الرجز	259
قال الشاعر: مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي *** أَمْ مَا تُعَيِّرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَــبِ غَرْسَاءُ شَاذِخَةٌ فِي الْمَجْدِ سَامِيَةٌ *** كَانَتْ سَلِيلَةَ شَيْخٍ ثَاقِبِ الْحَسَبِ.	بحر البسيط المجزوء	273
قال الشاعر امرؤ القيس: وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ *** إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ.	بحر الطويل	280
قال الشاعر النابغة الذبياني (604-535م) مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا *** لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ.	بحر البسيط	281
قال الشاعر: إنَّ بَنِي الأَدْرَمِ حَمَّالو الحَطَبْ *** هُمُ الوشاةُ في الرِّضا وفي الغضبْ.	بحر الرجز	295

جدول بأسماء القراء العشرة ورواتهم

أسماء القراء	تواريخ الوفاة	أسماء الرواة	تواريخ الوفاة
1- نافع بن عبد الرحمن المدني	ت: 169هـ	قالون: عيسى بن ميناء ورش: عثمان بن سعيد	ت: 220هـ ت: 197هـ
2- عبد الله بن كثير المكي	ت: 120هـ	قنبل: محمد بن عبد الرحمن البزي: أحمد بن محمد	ت: بعد 280هـ ت: 240هـ
3- أبو عمرو بن العلاء البصري	ت: 154هـ	الدوري: حفص بن عمر السوسي: صالح بن زياد	ت: 250هـ ت: 261هـ
4- عبد الله بن عامر الشامي	ت: 118هـ	ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد ابن عمار: هشام بن عمار	ت: 242هـ ت: 245هـ
5-عاصم بن أبي النجود الكوفي	ت: 127هـ	شعبة بن عياش حفص بن سليمان	ت: 194هـ ت: تقريبا 190هـ
6- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي	ت: 156هـ	خلف بن هشام البزاز خلاد بن خالد	ت: 229هـ ت: 220هـ
7- علي بن حمزة الكسائي الكوفي	ت: 189هـ	الدوري: حفص بن عمر الليث بن خالد أبو الحارث	ت: 250هـ ت: 240هـ
8- أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني	ت: 127هـ	عيسى بن وردان سليمان بن حجاز	ت: 160هـ ت: بعد 180هـ
9- يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصري	ت: 205هـ	رويس محمد بن المتوكل روح بن عبد المؤمن الهذلي	ت: 238هـ ت: 235هـ
10- خلف بن هشام البزار البغدادي	ت: 229هـ	اسحاق بن ابراهيم بن عثمان الوراق ادريس بن عبد الكريم الحداد	ت: 286هـ ت: 292هـ

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع).

- الإبانة عن معاني القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار مصر للطبع والنشر.
- إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، دار الكتب العلمية.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي (ت: 1117هـ)، تحقيق، أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان ط 3، 1427 هـ/2006م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 1433هـ/2012م.
- أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بودرع، مجلة الإحياء، ع: 55.
- أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، عبد الكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 1435هـ/2014م.
- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط3، 1431هـ/2010م.
- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن الطحان، مكتبة المنارة، ط1، 1408هـ.
- أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي المعافري (ت: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ /2003م.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تاريخ الطبع، 1405هـ.
- الأدب العربي المعاصر في مصر، لشوقي ضيف (ت: 1426هـ)، دار المعارف، ط1.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، أحمد بن محمد القسطلاني (ت: 923هـ)، مصر، ط7، 1323هـ.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد (ت: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998 م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992م.
- أصول النحو العربي، محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق- المغرب، طبعة: 2011م.
- الأصول في النحو، ابن السراج، أبو بكر (ت: 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- الإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1436هـ/2015م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: 1356هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، الصحوة- القاهرة، ط1، 1435هـ/2015م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (ت: 403)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف- مصر، ط5، 1997م.
- إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. أحمد سليم الحمصي، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط2، 2016م.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1419هـ/ 1999م.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، (د.ت).

- إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم (ت: 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، (د. ط)، 1960م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لابن الأنباري، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مجمع اللغة العربية – بدمشق سنة: 1390هـ/1971م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ/ 1994م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت: 745 هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط 1420هـ
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد القرطبي (ت: 595هـ)، تحقيق وتخريج: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1430 هـ/ 2009 م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- البدع والنهي عنها، أبو عبد الله محمد بن وضاح (ت: 286هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم، جدة- السعودية، الطبعة: الأولى، 1416هـ
- البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي (ت: 584هـ)، ت: الدكتور أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة- وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ/1957م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، مكتبة الآداب، ط:17، 1426هـ/2005م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان/ صيدا.

- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، طبع دار نوبار للطباعة، ط1، القاهرة، (د.ت).
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2000م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: 255هـ)، تحقيق موفق شهاب الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2009 م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت: 1205هـ)، دار الهداية.
- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط 4، 1407هـ/1987م.
- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة الدكتور فهمي أبو الفضل، والدكتور محمود فهمي حجازي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276 هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1435هـ/2014م.
- التأويلية العربية، محمد بازي، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، السنة: 2010 م.
- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط3، 1414هـ/ 1994م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت: 616هـ)، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، 2000م.
- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ط1، 1407هـ/1988م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد، ابن أبي الإصبع (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر 1984م.
- تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، سليمان بن محمد الجمزوري، تحقيق علي محمد الضباع.
- تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ/2002م.
- التذكرة الحمدونية، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت:562هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى،1417هـ.
- التعبير القرآني، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني (1)، الدكتور فاضل صالح السامرائي، (د.ط)، (د.ت).
- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق محمد علي أبو العباس، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م.
- التفاعل الدلالي بين المستويات اللسانية، صفية مطهري، مجلة التراث العربي، العدد:112 (ذو الحجة 1429هـ/ كانون الأول 2008م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار الطبع للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.
- تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف، محمد إسماعيلي علوي، مجلة تجسير، المجلد الثالث، العدد1، 2021م.
- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، جمال الدين أبو محمد بن الحسن الأسنوي (ت: 772هـ)، حققه وعلق عليه محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.
- التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى، 1405هـ / 1985 م.
- التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، 1992م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ/2001م.

- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم المعروف بالزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط1، 1427 هـ/ 2006م.
- التوجيه النحوي لوجوه القراءات القرآنية المشكلة في كتاب سيبويه، د. سليمان يوسف خاطر، مكتبة الرشد، ط1، 2009م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين محمد بن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، ط1.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ /1964م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن (ت: 749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، تحقيق وتصحيح لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.
- حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة عبد الرحمان بن محمد (ت: 403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الرسالة، ط1، 1421هـ/2000م.
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (ت: 377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1413هـ/ 1993م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط4، 1434هـ/2013م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د.ط).
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط:11، 1379هـ/1960م.
- دراسات قرآنية في جزء عم، محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، 1989م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة- مصر، (د. ط)، (د.ت).
- درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت: 516هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1998/1418هـ.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ط3، 1992م.
- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، محمد عابد الجابري (ت: 2010م)، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م، بيروت.
- ديوان أحمد شوقي، أحمد شوقي (ت: 1932م)، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- ديوان امرِئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي (ت: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط2، 1425 هـ/ 2004 م.
- ديوان محمود سامي البارودي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م.
- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: د. عبد اللطيف الهميم، ود. ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1435 هـ/2014م.
- رسائل ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي، المعروف بابن عربي، دار الكتب العلمية – بيروت، 2001م.
- الرسم العثماني، قواعده وبدائع الإعجاز فيه- رواية ورش-، محمد بنعبد الوهاب، أفريقيا الشرق، المغرب، طبعة: 2010م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمان الأردن، ط3، 1996م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين أبو محمد بن قدامة (ت: 620هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ/2002م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: 453هـ)، دار الجيل، بيروت.
- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد (ت: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1402هـ_1982م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1424هـ/2003.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ/1995م.
- الشامل في القراءات العشر، لغة وتفسيرا وأسرارا، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي- دار الرفاعي للنشر، ط2، 1430هـ/2009م.
- الشامل في تراجم الشعراء والأدباء والنقاد، لحسن أحمد بيريش، منشورات مكتبة الفجر- طنجة، ط1، 1421هـ/2000م.
- الشاهد في أصول النحو في كتاب سيبويه، الحديثي خديجة، دار النشر، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1394هـ/1974م.
- شرح السنة، أبو محمد بن مسعود البغوي الشافع (ت: 516 هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط2، 1403هـ/1983م.

- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله بن مالك (ت: 672هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط1.
- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوزني، أبو عبد الله (ت: 486هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ/2002م.
- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي (ت: 643هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.
- شرح ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري البغدادي (ت: 616هـ)، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ/2003م.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد أبو القاسم النُّوَيْري (ت: 857هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ/ 2003م.
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن قتيبة (ت: 276هـ)، دار الحديث- القاهرة، 1423هـ.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417هـ/1997م.
- صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، محمد بازي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1436هـ/2015م.
- طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط1، 1414هـ/1994م.
- العبارة (كتاب في المنطق)، الفارابي، تحقيق: محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب العرب، ط:1976م.
- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن عبد ربه (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ.

- علم الدلالة، عمر أحمد مختار، عالم الكتب، ط1، 1985م.
- علم الصوتيات، د. عبد الله ربيع، و د. عبد العزيز علام، المكتبة التوفيقية.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت- لبنان، ط5، 1401هـ/1981م.
- عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت: 1069هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.
- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ابن البناء المراكشي، تحقيق وتقديم: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، باب القاف والراء، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (ت: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1416 هـ.
- غريب القرآن في شعر العرب (مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس)، عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (ت: 68هـ) رضي الله عنهما.
- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم (ت: 1118هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004 م.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط: 1379هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1414هـ.
- فصول في فقه العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط6، 1420هـ/1999.
- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت:438 هـ)، إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية 1417هـ/ 1997 م.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- في أصول النحو العربي، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط2، 1957م.
- في البنية والدلالة: رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، سعد أبو الرضا، دار المعارف، الإسكندرية، 1987م.
- في اللسانيات العامة، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط:2010م.
- في لسانيات النص وتحليل الخطاب: نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، بودرع عبد الرحمن، مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من كلام العرب، مطبوع مع البدور الزاهرة البدور، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1401 هـ/1981م.
- القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، سمير شريف استيتة، منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2005م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة النافذة، ط1، 2008م.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ/2005م.
- الكامل في اللغة ولأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: 285هـ)، تحقيق: الدكتور يحى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1434هـ/2013م.
- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت: 370هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت- لبنان، 1411هـ/1991م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1407هـ.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، تاريخ النشر 1941م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ /2002 م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ/ 1998م.
- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
- لسانيات النص، عرض تأسيسي، كرستين أدمتسين، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009م.
- اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، الطبعة الأولى، 1985م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: 923هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان، والدكتور عبد الصبور شاهين، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1392هـ.
- اللغة العربية في نظر الأصوليين، البشير محمد عبد الله، دبي: إدارة البحوث بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، سنة:2008م.
- مباحث أصولية في تقسيمات الألفاظ، محمد عبد العاطي محمد، دار الحديث- القاهرة، سنة الطبع: 1428هـ/2007م.
- المبسوط، محمد بن أحمد بن سهل السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1406هـ/1986م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، دراقي زبير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: 392هـ)، وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط، 1420هـ/1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: حسن، دار الفكر- دمشق، ط2.
- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (ت: 456هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- مخارج الحروف عند القراء واللسانيين دراسة مقارنة، الدكتور عزيز أركيبي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: 370هـ)، تحقيق: ج. براجشتراسر، دار الهجرة- إيران، ط1.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ/1998م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ/ 1990م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، بغداد، 1975م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاصر- بيروت.

- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد (ت: 370هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عيد مصطفى درويش، والدكتور عوض بن حمد القوزي، مطابع دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى: 1412هـ/1991م.
- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار- عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1، (د.ت).
- المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، لرياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.
- المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة، 1956م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، سنة الطبع بدار الكتب المصرية، 1939م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، حققه وعلق عليه: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، طبعة: 1432هـ/2010م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1402هـ.
- مفتاح العلوم، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف السكاكي (ت: 387هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، دار ابن الجوزي، جمهورية مصر العربية – القاهرة، ط1، 2012م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/2011م.
- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو القاسم بن محمد بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ط 1490هـ/1980م.
- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون (ت: 808هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب- دمشق، (ب- ط)، 1425هـ/2004م.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- المكتفى في الوقف والابتداء، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد (المتوفى: 444هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 1422 هـ/ 2001 م.
- ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1985م.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، الأشموني أحمد بن عبد الكريم المصري الشافعي (المتوفى: نحو 1100هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، مصر، عام النشر: 2008م.
- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط4، 1434هـ/2013م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري (ت: 833هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ/1999م.
- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله المرزباني (ت: 384هـ).
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، خالد بن عبد الله المعروف بالوقاد (ت: 905هـ)، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الرسالة- بيروت، ط1، 1415هـ/1996م.
- الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو القاسم القرطبي، تقديم وتعليق د. غانم قدوري الحمد، دار عمان، ط1، 2000م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت: 1398هـ)، دار المعارف، ط15.
- نحو قراءة تأويلية موسعة للخطاب: مناولات تطالبية في نماذج من الخطاب القرآني والحديثي والشعري، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1442هـ/2021م.
- النحو والدلالة، لمحمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق للنشر.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري (ت: 577هـ)، تحقيق: الدكتور رياض مصطفى عثمان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1435هـ/2014م.
- نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 1411هـ/1991م.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الطباع (ت: 1380هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، دار النشر، فرانتش ستاينر بألمانيا، 1964م.
- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت: 1403هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1412هـ/ 1992م.

فهرس الموضوعات

مقدمة:........ 1

الباب الأول: تعدد القراءات القرآنية والاحتجاج بها في العلوم العربية اللغوية والشرعية:........ 10

مدخل:........ 11

الفصل الأول: المسار التاريخي للقراءات القرآنية........ 14

تمهيد:........ 15

المبحث الأول: المفهوم والنشأة والتطور........ 16

المطلب الأول: مفهوم القراءات القرآنية لغة واصطلاحا:........ 16

.1 التعريف اللغوي:........ 16

.2 التعريف الاصطلاحي:........ 20

المطلب الثاني: تعدد القراءات القرآنية وأنواعها........ 24

المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وتطور حركة التأليف........ 32

المبحث الثاني: أصول القراءات القرآنية ومقاصد تعددها........ 37

المطلب الأول: أصول القراءات القرآنية........ 37

أ. المد والتوسط والقصر:........ 37

ب. الإشباع:........ 41

ج. الإمالة:........ 41

د. الإظهار والإدغام والقلب والإخفاء:........ 42

هـ. التحقيق والتسهيل والإبدال والإسقاط والنقل:........ 44

و. الترقيق والتفخيم والتغليظ:........ 45

ز. الوقف والابتداء:........ 47

ح. الفصل والوصل:........ 49

ط. الحذف والذكر: 51
ي. التقديم والتأخير: 52
المطلب الثاني: القراءات القرآنية والأحرف السبعة 55
المطلب الثالث: مقاصد تعدد القراءات القرآنية 63
1. المقاصد العامة: 63
2. المقاصد الخاصة: 64
أ. المقاصد اللغوية: 65
ب. المقاصد الأصولية: 67
ج. المقاصد الفقهية: 69
د. المقاصد التفسيرية: 73
ه. المقاصد التاريخية: 75
و. المقاصد التراثية: 76
خلاصة: 78
الفصل الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية اللغوية والشرعية 80
تمهيد: 81
المبحث الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم اللغوية العربية 91
المطلب الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي الأصوات والمعجم 91
1. نشأة الدرس الصوتي ومراحل تطوره في التراث اللغوي العربي 91
أ. نشأة الدرس الصوتي في التراث اللغوي العربي 91
ب. مراحل تطور الدرس الصوتي في التراث اللغوي العربي 92
2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا الصوتية: 95

ب. الاحتجاج بالتماثل الصوتي في الحركات:........ 96
ج. الاحتجاج بالتماثل الصوتي القائم على الإبدال بين الأصوات:........ 99
3. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الصناعة المعجمية:........ 102
أ. نشأة التفكير المعجمي والدلالي عند العرب ومراحل تطوره:........ 102
ب. وظيفة القراءات القرآنية في إغناء الدلالة المعجمية:........ 104
المطلب الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي النحو والتصريف:........ 108
1. أهمية النحو في بناء المعاني القرآنية:........ 108
.2 الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا النحوية والتصريفية:........ 109
المطلب الثالث: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علوم البلاغة والشعر........ 114
.1 صلة القراءات القرآنية بعلوم البلاغة:........ 114
2. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في تنوع مدلولات الصورة البلاغية:........ 115
أ. التشبيه:........ 115
ب. الاستعارة:........ 117
ج. التعبير القرآني بين الإسناد الحقيقي والمجازي:........ 118
د. التعبير القرآني بين الكناية والتصريح:........ 120
.3 الاحتجاج بالقراءات القرآنية في الشعر:........ 122
المبحث الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في العلوم العربية الشرعية:........ 129
المطلب الأول: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علمي التفسير والحديث:........ 129
.1 وظيفة القراءات القرآنية في علم التفسير:........ 129
.2 الاحتجاج بالقراءات القرآنية عند المفسرين:........ 130
3. الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم الحديث:........ 136
المطلب الثاني: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم العقيدة:........ 144

1. أهمية القراءات القرآنية في علم العقيدة: 144

.2 الاحتجاج بالقراءات القرآنية في بعض القضايا العقدية: 146

أ. قضية التوحيد والوحدانية: 146

ب. قضية خلق أفعال العباد: 147

ج. قضية صفة الكلام الإلهي: 147

د. قضية الرؤية الإلهية بين الإثبات والنفي: 149

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقراءات القرآنية في علم الفقه: 150

أ. بيان الحكم المتعلق بقضاء رمضان: 150

ب. بيان الحكم الشرعي المبهم: 152

ج. ترجيح الحكم المختلف فيه: 152

د. بيان الحكم المتعلق بحد السارق: 156

خلاصة: 159

الباب الثاني: أثر القراءات القرآنية في اتساع الدلالة في القصص القرآني 161

مدخل: 162

الفصل الأول: تعدد القراءات القرآنية وعلاقته بتعدد المعاني القرآنية 176

تمهيد: 177

المبحث الأول: الرسم القرآني وعلاقته بالمعنى 182

المطلب الأول: الحرف بين الحذف والإثبات في المفردة القرآنية 185

1. القراءة بحذف الألف وإثباتها 185

2. القراءة بحذف حرف التاء من المفردة القرآنية 193

3. القراءة بحذف الياء وإثباتها في آخر المفردات القرآنية: 195

المطلب الثاني: الإبدال في الحروف وعلاقته بالمعنى 197

1. الإبدال بين حروف الكلمة في القراءات القرآنية: 198
.2 الإبدال بين حروف المعاني في القراءات القرآنية 203
المطلب الثالث: الإبدال في الحركات وعلاقته بالمعنى 209
1. الإبدال بين الحركات غير الإعرابية 210
أ. الإبدال بين الفتح والكسر 209
ب. الإبدال بين الفتح والضم 214
ج. الإبدال بين الفتح والكسر والضم 220
2. الإبدال بين الحركات الإعرابية وأثره في توجيه الدلالة: 224
أ. الإبدال بين الرفع والنصب: 225
ب. الإبدال بين النصب والجر 228
ج. الإبدال بين الرفع والنصب والجر 230
المبحث الثاني: تباين الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعنى 234
المطلب الأول: الوقف والابتداء 236
المطلب الثاني: الفصل والوصل 243
المطلب الثالث: الحذف والذكر 252
خلاصة: 260
الفصل الثاني: القراءات القرآنية وتساند مكونات اللغة في القصة القرآنية 262
تمهيد: 263
المبحث الأول: تساند القراءات القرآنية والمكون الصوتي 269
المبحث الثاني: تساند القراءات القرآنية والمكون المعجمي 276
المبحث الثالث: تساند القراءات القرآنية والمكون الصرفي 282
المبحث الرابع: تساند القراءات القرآنية والمكون التركيبي (النحوي) 287

المبحث الخامس: تساند القراءات القرآنية والمكون الدلالي (البلاغي).......................................292
المبحث السادس: تساند القراءات القرآنية والمكون التداولي 298
المبحث السابع: أثر التساند بين تعدد القراءات القرآنية ومكونات اللغة في اتساع المعنى 303
خلاصة:...307
خاتمة: 307
فهرس الآيات القرآنية:..312
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 337
فهرس الأشعار والأرجاز..343
جدول بأسماء القراء العشرة ورواتهم 348
فهرس المصادر والمراجع 348
فهرس الموضوعات 364